

# الحياة: الكلوبية

في العصر الجاهلي

تأليف  
د. محمد عبد المنعم خفاجي

دار الحديث  
بيروت

# الحياة: الأوبئة

في العصر الجاهلي

تأليف

د. محمد عبد المنعم خفاجي

الأستاذ والعيد بجامعة الأزهر

دار الحديث

بيروت

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ لِذَارِ الْجَيْلِ

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

## مقدمة

هذه الطبعة الثالثة لكتاب « الحياة الأدبية في العصر الجاهلي » تصدر بعد الطبعتين السابقتين بوقت طويل، وبعد أن نفذت نسخ الكتاب، وتعذر الحصول عليه.

وفي هذه الطبعة زيادات كثيرة عن الطبعتين السابقتين، وفيها تحقيقات عديدة أضفناها إلى الكتاب.

ولا يمكنني أن أنوه بالجهد الذي بذلته، والعبء الذي حملته، في سبيل إصدار الكتاب في هذا الحجم الكبير.

ولكنني أعتمد على ثقة القراء وتقديرهم.

ومن الله أستمد التوفيق، وأطلب العون، وألتمس السداد، وما توفيقني إلا بالله.

المؤلف

# تمهيد الأدب وأطواره

- ١ -

يطلق الأدب فنفهم منه باديء ذي بدء معناه ، الذى يدور حول الجيد  
البلوغ من الكلام نثره ونظمه .

فالأدب هو كل كلام عبر عن معنى من معانى الحياة ، وجلا صورة من  
صورها بأسلوب جميل ، ولفظ بديع ، فتشير معانيه العاطفة ، وتستثير بلاغته  
الاعجاب . فالكلام لا يكون أدباً إلا إذا اشتمل على : معان تبعث عواطف  
القارى . والسامع ، وعلى ألفاظ جميلة تؤدي بها هذه المعانى والأفكار ، وإلا  
إذا لام الذوق ؛ ووافق الطبع ، وأثر فى النفس ، وصور لك الأشياء كما تجدها  
أنت حين تخلو إليها وتفكر فيها .

ومبث الجمال فى الكلام قد يسكون فى معانيه ودقتها وعمقها وروعها ،  
وقد يكون فى ألفاظه وسحرها وفصاحتها وعذوبتها أو نخامتها ، وقد يكون  
فى ألفاظه ومعانيه جميعا ، وذلك أتم لبلاغة الكلام ، وأجمع لسحره وتأثيره ،  
وأدعى لخلوده وبقائه على أمد العصور .

وبعد فجوذة الأدب هى مقياس حظه من القبول والاعجاب والخلود ،  
وإنما تتأتى الجودة بحسن المعانى وتخير ما يتصل منها بالموضوع وما يناسبه فى  
دقة وحسن ترتيب ، وبحسن الألفاظ والأساليب والملازمة بين الألفاظ  
والمعانى ، وعلى أى حال فإن أجود البيان نثره ونظمه ما صدر عن الطبع ،  
وجاء عفو القرينة من غير تكلف ولا استكراه ولا إغراب .

ومتى كان الكلام جيدا على هذا النحو ، فهو الذى نسميه أدباً ، ونعنى  
بمفظة وروايته وتدوينه .

وقد مرّت كلمة أدب بأطوار تاريخية مختلفة في نشأتها اللغوية (١) ،  
نلم به في هذا المقام . .

١ - وردت كلمة أدب في الشعر والنثر المأثورين عن العصر الجاهلي :

١ - قال الأعشى :

جروا على أدب منى بلا نزق ولا إذا شمّرت حرب بأغمار (٢)

٢ - وقال عتبة بن ربيعة لابنته هند عن أبي سفيان : «يؤدب أهله ولا

يؤدبون» ، وقالت له : «وسأخذه بأدب البعل» (٣)

---

(١) راجع الجزء الأول من العصر الجاهلي للرافعي ، ومقالات في الأدب  
للزيات ، والأدب الجاهلي لطلح حسين ، والرد عليه للقمراوى وخضر حسين -  
وأصول النقد الأدبي للشايب ، ولسان العرب مادة «أدب» ، وخزانة الأدب في بيت  
سهم بن حنظلة : «حسن ذا أدبا» ، وكذلك ترجمته في الأغاني ، ٢٧ : ٢ أمالي  
المرتضى ، ١٤٥ : ٣ شرح الحماسة للتبريزي ، وقصيدة كعب بن سعد التي فيها «شب  
وهو أديب» ، في المفضليات ، وترجمته في الخزانة وشرح أمالي المرتضى (مع  
ملاحظة أن القصيدة في الجهرة منسوبة لمحمد بن كعب الغنوى - ص ٢٧٤ - وفي  
الخزانة والسيوطي والعيني لكعب بن سعد الغنوى ) ، وترجمة مزاحم العقيلي  
في الخزانة والأغاني ، وبيته «الأديب المذلل» ، ١٣ شرح أدب الكاتب للجواليقي ،  
و١٠٤ : ٢ أمالي المرتضى في حديث عتبة مع ابنته هند ، وحديث قيس بن زهير في الأغاني  
وأمالي المرتضى ١٤٩ : ١ ، ١٦٠ : ٧ شرح الكامل ، ٦٣ : ٣ شرح الكامل للبيت  
«أبعد ستين عندي يبتغى الأديب» ، من قصيدة جاهلية لامرأة ، وص ١٧ ج ٦  
تاريخ الطبري «يؤدبني الحجاج» ، ونهج البلاغة ، والأدب الصغير والأدب الكبير  
لابن المقفع ؛ ورسالة عبد الحميد الكاتب إلى اليعاقبة .

(٢) البيت من قصيدة للأعشى في شرح راجع ص ١٤ من الروائع العدد

الخامس الخاص بالأعشى .

(٣) ١٠٤ : ٢ أمالي

٣ - وقال النعمان الخطيباء العرب الذين أوفدهم إلى كسرى : فلا يكونن ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعنا ، (١) . وقال في رسالته إلى كسرى :

« وقد أوفدت إليها الملك رهطاً من العرب لهم فضل في أحسابهم وآدابهم ، (١) »

٤ - وورد في شعر جاهلي لامرأة : أبعد ستين تندي يبتغي الأديبا ؟  
وهي في كل هذه النصوص لا تخرج عن المعنى الخلق المعروف .

ب - وجاء الإسلام بعد ظلمات من الجهل والضلالة والجاهلية ، فنجد كلمة أدب تتردد في نصوص إسلامية كثيرة منها :

١ - جاء في الحديث الشريف « أدبني ربي فأحسن تأديبي ، وهو حديث مشهور ، ويبدو أن التأديب هنا بمعنى التهذيب الخلق ، ولكن إذا رجعنا إلى الرواية في أصل ورود الحديث وهي (٢) أن أبا بكر قال لرسول الله (ص) ما سمعت أفصح منك فمن أدبك ؟ فقال رسول الله (ص) : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » ، نجد أن التأديب هنا بمعنى التعليم وهو طور من أطوار كلمة أدب المشهورة بيننا الآن .

٢ - وفي حديث مشهور يروي عن عمر بن الخطاب : « طفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار » .

وعلى الجملة فالأدب في كل هذه النصوص بمعنى الخلق الكريم واصطناع السيرة الحميدة ، ودلت هذه الكلمة على ذلك في العصر الجاهلي ، كما دلت عليه في صدر الإسلام ، قال الجواليقي م . ٥٤ هـ في شرح أدب الكاتب :

والأدب الذي كانت العرب تعرفه هو ما يحسن من الأخلاق وفعل المكارم (٣) ،

---

(١) ١:١٦٩ المقدم ١٩٣٥ القاهرة المطبعة التجارية

(٢) راجعها في ص ٣٤ من الأدب العربي وتاريخه في عصر صدر الإسلام

والدولة الأموية للمرحوم محمود مصطفى ط ١٩٣٧

(٣) ١٣ شرح أدب الكاتب للجواليقي ، ص ٢٧ شفاء الغليل للشهاب الخفاجي

ج - ثم جاء عصر بني أمية . ووردت كلمة أدب ورددت فيه كثيراً :

١ - من ذلك ما أنشده الجاحظ :

ولمى - على ما كان من عنجهيتي ولونته أعرابيتي - لأديب<sup>(١)</sup>

٢ - وقول كعب بن سعد الغنوي :

حبيب إلى الزوار غشيان بيته جميل المحيا شب وهو أديب

٣ - وقول سالم بن وابصة الأسدي الشاعر من قصيدته التي ذكرها

صاحب الحماسة (٢) :

إذا شئت أن تدعى كريماً مكرماً أديباً ظريفاً عاقلاً ماجداً حراً

إذا ما أنت من صاحب لك زلة فكن أنت محتملاً لزلته عذراً

٤ - وروى صاحب اللسان (٣) في مادة « أدب » ، لمزاحم العقيل - وهو

شاعر أموي - قوله في صفة الإبل :

وهن يصرفن النوى بين عالج ونجران تصريف الأديب المذلل (٤)

٥ - وقال بعض الفزاريين :

كذلك أدبت حتى صار من خلقي أنى وجدت ملاك الشيمة الأدبا

٦ - وقال سهم بن حنظلة ، ويظهر لي أنه أموي :

---

(١) البيت في ص ١٢٦ ج ١ البيسان والتبيين ط ١٩٢٧ . العنجهية : الحق

والجمل . اللونته : الحق أيضاً ، والمراد بكل ذلك جنف الأخلق

(٢) ١٦ ج ٢ ديوان الحماسة الطبعة الثالثة ١٩٢٧ . مطبعة السعادة . وسالم بن

وابصة تابعي وأبوه وابصة صحابي جليل ، وبعض هذه الأبيات في الأمالى ص

٢:٢٢٤ طبع دار الكتب .

(٣) ٢٠٠ ج ١ اللسان

(٤) رمل عالج : جبال متصلة يتصل أعلاها بالدهناء بقرب اليمامة وأسفلها

بنجد وتوسع اتساعاً كثيراً . النوى : الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد

وهي مؤنثة لاغير .

لم يمنع الناس منى ما أردت ، ولا أعطيهمو ما أرادوا حسن ذأدبا (١)  
٧- وألف ابن المقفع م ١٤٣ هـ كتابين له ، سماهما . الأدب الكبير  
والأدب الصغير ، وفي الأدب الصغير تردد كلمة أدب كثيرا (٢) ، وكذلك  
في الأدب الكبير .

٨- ومن خطبة للحجاج : هذا أدب ابن زهية (٣) أما والله لأؤدبنكم  
غير هذا الأدب ، .

٩- ومن رسالة لعبد الحميد الكاتب : أحب ( أمير المؤمنين ) أن يهد  
إليك عهدا . . يحملك منه أدبه ، ويشرع لك عظته ، .  
وهي في كل ذلك بالمعنى الخلقى العام المعروف .  
ولكن وردت نصوص أخرى في هذا العصر منها :

١- قال عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي لمعلم ولده : أدبهم برواية  
شعر الأعشى .

٢- وقال معاوية : اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم (٤) .

٣- ووجدت طبقة المعلمين ، الذين كانوا يؤدبون الناشئين من أبناء  
الخلفاء والأمراء والولاة ، ويعلمونهم الأخبار واللغة والشعر وغيره ،  
وأطلق عليهم لقب « الأدباء » ، و « المؤدبين » ، مما يدل على أن الكلمة كانت  
تستعمل بمعنى التعليم .

٤- وقال عبد الحميد الكاتب من رسالته للكاتب : « فتنافسوا يا معشر  
الكتاب في صنوف الآداب » .

---

(١) وينسب البيت لطفيال الغنوى وهو جاهلى (١٣) شرح أدب الكاتب ط

القدسى ١٩٣٥ ، ٢٧ شفاء الغليل ط (١٢٨٢)

(٢) ص ٥٦ و ٥٣ و ٤٠ وسواها من الأدب الصغير ط ١٩١١ .

(٣) رجل كان على شرطة البصرة قبل الحجاج

(٤) ٤١ ج ٢ وفيات الأعيان

٥ - وفي الأدب الصغير لابن المقفع م ١٤٣ هـ « جل الأدب بالمنطق ، وكل المنطق بالتعليم ، ليس حرف من حروف معجمه ، ولا اسم من أنواع أسمائه ، إلا وهو مروى متعلم مأخوذ من إمام سابق من كلام أو كتاب » .

٦ - وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المتوفى عام ١٢٥ هـ : كماك من علم الأدب (١) أن تروى الشاهد والمثل .

وهي في أغلب هذه النصوص كلها ليست بالمعنى الخلقى المعروف ، إنما هي تدل على ما كان يلقى المعلم إلى طلبته من الشعر والقصص والأخبار والأنساب وكل ما من شأنه أن يثقف نفس الصبي ويهذبها من أنواع العلوم المختلفة الخاصة باللغة والشعر وما يتصل به .

ومن ذلك كان منشأ الكلمة المشهورة : « حرفة الأدب » ، وأول من قالها الخليل (٢) ، وذلك لأنهم كانوا يتكسبون بالتعليم .

فكلمة « أدب » في العصر الأموي كانت تطلق : على المعنى الخلقى المعروف ، وعلى رواية أشعار العرب وأخبارها وأيامها وأنسابها ، أو تعليمها للناشئين والمتعلمين .

وتقافة الكتاب - وهو أخص من الأدب - تجدها مبسوطه في رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب .

٥ - وجاء عصر بني العباس ، فنشأت دراسات في النحو والصرف والعروض واللغة والبلاغة ، وشملت كلمة « أدب » هذه الدراسات جميعها ، كما كان يطلق لفظ الأدباء على الكتاب والشعراء لتكسيهم بالأدب ، ويقول الجواليقي

---

(١) في القرن الأول كانوا يطلقون على موضوعات علم الأدب : علم العرب ، أما اصطلاح علم الأدب فقد وجد في القرن الثاني .  
(٢) ٥٢٩ ثمار القلوب للثعالبي

في شرح أدب الكتائب (١) ، اصطلاح الناس بعد الإسلام بمدة طويلة على أن يسموا العالم بالنحو والشعر وعلوم العرب « أدبياً » ، ويسموا هذه العلوم الأدب ، وذلك كلام مولد ، لأن هذه العلوم حدثت في الإسلام .

ولما اشتدت حركة التأليف وقويت النهضة العلمية استقلت هذه العلوم بنفسها وبحوثها وانعزلت عن الأدب ، وأصبحت منذ منتصف القرن الرابع كلمة أدب تدل على الكلام الجيد من المنظوم والمنثور وما يتصل به ويفسره من الشرح والنقد والأخبار والأنساب وعلوم العربية ؛ شملت الشعر كما شملت النثر الذي أجاد فيه فحول الكتائب في هذا العصر أيضاً ، كما شملت النقد الذي بدأ ينمو فيه . وكذلك الغناء (٢) ، قال ابن خلدون : « وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن - الأدب - لما هو تابع للشعر ، إذ الغناء إنما هو تلميحته ، وكان الكتائب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه (٣) ، وصار لفظ الأدباء من ذلك الحين لا يطلق إلا على الشعراء والكتائب ، فانفردوا به ، وزال عن العلماء جملة لاستقلال العلوم يومئذ وضعف الرواية ونضوب مادتها ، حتى قيل . ختم تاريخ الأدب بشعلب والمبرد . وألفت في الأدب بهذا المعنى كتب مشهورة : كالبيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ م ٢٥٥ هـ ، والكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد م ٢٨٥ هـ ، وكتاب العقد الفريد لابن عبدبره الأندلسي م ٣٢٨ هـ ، والأمالى لأبي علي القالي م ٣٥٦ هـ ، وكذلك الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني م ٣٥٦ هـ ، وسواها من أصول كتب الأدب ومصادره الأولى ، وكان الذين يقومون بدراسة علوم الأدب وروايتها

---

(١) ١٣ و ١٤ شرح أدب الكتائب للجواليقي ، ٢٧ من شفاء الغليل للشهاب

الحنفاجي ط ١٢٨٢ هـ

(٢) ٢٤ : ١ تاريخ آداب العرب للرافعي

(٣) ٤٨٩ المقدمة ط ١٩٣٠ بالمطبعة الأزهرية

يسمون « المؤذنين » ، إلى أن كان القرن الرابع الهجرى وانتشرت المعجمة و ضعفت العصبية العربية فانتهى عهد المؤذنين حتى قيل : ختم تاريخ الأدب بالمبرد ٢٨٥ هـ و ثعلب ٥٢٩١ م (١) ، وصار لفظ الأديب يطلق على الشاعر أو الكاتب أو الناقد فحسب ، وأصبح الأدب يدل كما قدمنا حتى اليوم على الجيد من الكلام المأثور شعراً ونثراً وما يحتاج إليه من التفسير وتبيين ما فيه من مظاهر الجمال أو القبح ؛ وأصبح النحوى أو العالم بأصول البلاغة أو بأوزان الشعر وقوافيه لا يستطيع أن يسمى نفسه أديباً (٢) .

ويقول ابن خلدون في حد الأدب : هذا العلم لا موضوع له وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهى الإجادة فى فنى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم ، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر على الطبقة وجميع متساو فى الإجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة مع ذكر بعض من أيام العرب وذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة (٣) .

والخلاصة أن :

١ - كلمة أدب وردت فى نصوص جاهلية وإسلامية بمعنى الخلق الكريم

---

(١) راجع ١٢٢ : ٥ معجم الأدباء الشعر فريد رفاعى

(٢) وذلك بعد أن كان اسم النحوى مرادفا لاسم الأديب حتى إن بعض العلماء قد ألف فى تراجم النحويين كتباً سميت باسم طبقات الأدباء كما فعل ابن الانبارى فى كتابه « نزاهة الألبا فى طبقات الأدباء » ، والفرزدقى القيروانى م ٤٧٩ هـ فى كتابه : « شجرة الذهب فى معرفة أئمة الادب » ، وهو تراجم للنحويين والنحويين ، ولم يكن النحوى هو من عرف القواعد فحسب بل كان النحوى هو من عرف القواعد وحفظ أشعار العرب وعلم تخريجها وحفظ أيامهم وخطبهم وحكمهم ومساجلاتهم ( راجع ص ٦٨ مشكلة اللغة العربية للاستاذ محمد عرفه ط ١٩٤٦ )

(٣) ٤٨٨ المقدمة لابن خلدون .

٢- وأنها وردت في العصر الأموي بمعنى الخلق الكريم، والتعليم والتثقيف اللذين يقودان إلى الكريم الفاضل من الأخلاق، ثم استعملت في رواية النثر والشعر لأنهما يدعوان إلى الفضائل ومكارم الأخلاق.

٣- وأنها في صدر العصر العباسي إلى منتصف القرن الثالث استعملت بمعنى التعليم أيضاً، وأصبحت فيه كلمة أدب تطلق على: رواية الشعر وما يتصل به من الأخبار والانساب وعلوم اللغة والعربية، وعلى تعليمها (١)، ثم استقلت هذه العلوم فأصبح الأدب منذ منتصف القرن الرابع لا يطلق إلا على الجيد المأثور من الشعر والنثر حتى العصر الحديث (٢).

وأطلق لقب الأدباء على الشعراء والكتاب لتكسيهم بالأدب كما كان يتكسب المؤدبون بصناعة التعليم.

ويجب أن يلاحظ مع ذلك أن كلمة أدب في العصر العباسي كانت تطلق من أواخر القرن الثالث أحياناً عند العظماء والكبراء وحاشيتهم وعلى سبيل التجوز على ما يشمل الثقافة العامة من غناء وسمر، وحسن أدب المنادمة والحديث وخدمة الخلفاء والملوك، والبراعة في الصيد وفي لعب النرد والشطرنج، وقيل لهذه العلوم: آداب رفيعة وهي قريبة من الفنون الجميلة عندنا اليوم، وكان الأدب يقابل لفظ المثقف. ومن هذا يمكننا أن نقول إن للأدب معنيين مختلفين: الأدب بمعناه الخاص وهو الكلام الجيد الذي

---

(١) ففي القرن الثاني كان تطلق كلمة الادباء والمؤدبين على المعلمين، ومن ذلك كان منشأ الكلمة المشهورة «حرفة الادب»، وأول من قالها هو الخليل أحمد م ١٧٤ هـ، وإنما سموا بالادباء لانهم كانوا يتكسبون بالتعليم

(٢) يقول الرافعي: لم ينتصف القرن الرابع حتى كان لفظ الادباء قد زال عن العلماء جملة وانفرد به الشعراء والكتاب لاستقلال العلوم يومئذ، على ما كان من ضعف الرواية ونضوب مادتها، حتى قالوا: ختم تاريخ الادباء بشعلب والمبرد ٢٦٦: ١ الرافعي.

يحدث في نفس قارئه وسامعه لذة فنية شعراً كان أو نثراً ، والأدب بمعناه العام وهو ما يشمل الثقافة العامة التي تكوّن الرجل وترقى به إلى مستوى عقلي ممتاز .

هذا ولقلة اطلاع بعض المستشرقين ومن تابعهم من أدبائنا ، زعموا أن كلمة الأدب لم ترد في نص جاهلي أو إسلامي ، ولما قيل لهم إن الحديث « أدبني ربي » ينفي ما ذهبتم إليه ، قالوا إنه حديث ضعيف . ثم قالوا : وإذا كانت كلمة « أدب » لم ترد في نص جاهلي أو إسلامي موثوق به وبصحة روايته ، وليست مع ذلك في اللغة العبرية والسريانية كما يؤيده الباحثون في اللغات فن أين إذا اشتقت هذه الكلمة وكيف استعملت في اللسان العربي ؟ اختلفوا في الإجابة عن ذلك السؤال :

١ - فبعض الباحثين يذهبون إلى أن كلمة « أدب » بالفتح مأخوذة من كلمة « أدب » بسكون الدال بمعنى الدعاء يقال : أدب القوم يأدبهم أدبا : إذا دعاهم إلى المأدبة لتناول الطعام (١) ، و اسم الفاعل منه « أدب (٢) » ، قال طرفة الشاعر الجاهلي الفحل :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدبَ فينا ينتمقر (٣)

ويجمع على « أدبة » ، ومنه قول الإمام علي رضي الله عنه : « أما إخواننا بنو أمية فقادة أدبة (٤) » .

فقد تولدت كلمة « أدب » ، إذاً من كلمة « أدب » بمعنى الدعاء (٥) ، فالأدب

(١) ١:٢٠٠ اللسان (٢) ١:٢٠١ اللسان

(٣) الجفلى : الدعوة العامة . النقرى : الدعوة الخاصة . انتقر : دعا النقرى

(٤) ٢:٢٠١ اللسان (٥) ويذكر ذلك الجواليقي في شرح أدب الكاتب

(ص ١٣) ، كما يذكر وجهاً آخر لاشتقاق كلمة أدب وهو أنها مأخوذة من الادب

يدعو إلى المحامد والأدب دعاء إلى الطعام ، وفي اللسان ما يؤيد ذلك قال ابن منظور م ٧١١ هـ في اللسان : « والأدب : الذي يتأدب به الأديب من الناس ، لأنه يأدب الناس إلى المحامد وبيناهم عن المقامح (١) .

وأخذ كلمة « أدب » من الأدب بالسكون رأى يعوزه الحجة ، فضلا عن أن الكلمة لم تنقل بنصها وسكون دالها والمعهود استعمال الكلمة عند نقلها من معنى إلى معنى بهيئتها وشكلها (٢) .

٢ - ويرى الاستاذ تليغو من المستشرقين أن كلمة « أدب » مشتقة من كلمة « آداب » جمع « داب » ، بعد أن دخلها القلب المكاني (٣) ، ومع مرور الزمن تنوسى الأصل وتوهم أنها جمع « أدب » .

ويضعف هذا أن « داب » لم تجمع على آداب ، وأن هذا الرأي مجرد حدس وظن .

٣ - وقيل إن كلمة « أدب » أخذت عن بعض اللهجات العربية من غير اللهجة القرشية (٤) وهي لهجات كانت لا تزال موجودة في العصر الإسلامي ثم ذاعت الكلمة بين الجميع ثم نقلت من المعنى الخلقى إلى المعنى الاصطلاحي

---

== وهو العجب فكأنه الشيء الذي يعجب منه لحسنه ، ولأن صاحبه الرجل الذي يعجب منه لفضله (١٣ و ١٤ شرح أدب الكاتب)

(١) راجع : ٢٠٠ : ١ اللسان

(٢) وفي اللسان (٢٠١ ج ١) الأدب مصدر قولك أدب القوم يأدبهم أدبا إذا دعاهم إلى طعامه والآدب الداعي إلى الطعام ، وقال سيبويه : قالوا المأدبة كما قالوا الدعاء وقيل المأدبة من الأدب . وفي اللسان أيضا : الأدب : الظرف وحسن تناول ( ٢٠٠ ج ١ اللسان )

(٣) ص ١٨ الأدب الجاهلي لطلح حسين

(٤) ص ٢٠ من المرجع نفسه

المعروف في العصر الأموي للمناسبة بين المعنيين ، قالوا : وهذا رأى قريب إلى العقل وهو أشبهه بالصواب .

٤ - وهناك من الباحثين من يفرض أن كلمة أديب مأخوذة من لغة السومريين إذ كان معناها عندهم ( إنسان ) ، وبقيت في لغة العرب كما كانت في الأصل مراداً بها معنى الانسانية ، وغيرت في اللغات السامية الأخرى من أديب إلى آدم (١) .

وكل هذه الفروض والتأويلات ترينا مدى تحبط هؤلاء وهؤلاء .

إن كلمة أدب قد وردت في نصوص جاهلية وإسلامية وأموية بنصها حيناً وبمادتها حيناً آخر ، وإذا كان بعض اللغويين لم يرووا هذه النصوص ولا هذه الكلمة عن العصر الجاهلي كابن منظور فانها ماثوثة في كتب الأدب وسواها فارجعوا إليها إن شئتم .

ولا حاجة لنا - بعد وجود هذه النصوص في الأدب الجاهلي - إلى أن نبني على استنتاج لا يؤيده الدليل آراء هي من صنع الوهم والخيال .

#### - ٤ -

وبعد فالأدب مظهر للبلاغة ، وصورة من صور التفكير والخيال والعاطفة والإحساس والشعور والذوق والفهم والحياة ، وهو وسيلة للمصلحين والمرسلين وأصحاب الدعوات العامة ، ولا يستغنى عنه إنسان في العصر الحديث . فالصحافي والقاضي والمحامي والنائب والوزير والأمير والسكران والمصلح والواعظ والمرشد وغيرهم في حاجة ماسة إلى الأدب وتأثيره وقوته في التعبير والاقناع وإثارة المشاعر في نفوس الجماهير والطبقات .

هذا والأدب العربي من أغنى آداب الأمم جميعاً ، ولا يزال كما

---

(١) راجع الفصل الأول من الباب الأول من كتاب أصول النقد الأدبي للشايب

كان حافلا بأسباب القوة والبلاغة ، وعاملا كبيرا في المجتمعات العربية وإصلاحها .

- ٥ -

وينقد الدكتور طه حسين رأي من يذهب إلى أن كلمة أدب مشتقة من الأذب بمعنى الدعوة إلى الطعام . كما ينقد رأي نلمينو الذي ذهب إليه من أن الكلمة مأخوذة من آداب جمع دأب (١) ويذهب إلى أن الكلمة - أدب - استعملت في عصر بني أمية بمعنى التعليم بطريق الرواية على اختلاف ألوان هذه الرواية (٢) ، وأنها قد دخلت في لغة قریش إبان العصر الأموي حيث انتقلت إليها من إحدى اللهجات العربية الغير القرشبة التي ضاعت (٣) .

ويقول : إن الأدب في القرن الثاني والثالث والرابع كان يدل على ما يؤثر من الشعر والنثر ، وما يتصل بهما لتفسيرهما من ناحية ، ولتقدمهما من ناحية أخرى (٤) . . وهذا هو مدلول الأدب الآن عندنا ، وعند الأمم الأجنبية القديمة والحديثة على السواء (٤) . فالأدب عنده هو مآثور الكلام ، والأدب يستطيع ألا يتجاوز مآثور الكلام نظما كان أو نثرا ، ولكن مؤرخ الأدب لا يستطيع أن يكتفى بمآثور الكلام ولا بما يتصل به من علوم ، وإنما هو مضطر إلى أن يدرس تاريخ العقل الإنساني ، فيلم بتاريخ العلوم والفلسفة والفنون وسواها (٥) .

ويدخل طه حسين النقد في الأدب ، ويخالفه هيكل في ذلك ، فيخرج النقد عن الأدب ، بدعوى أن القصيدة مثلا تغلب فيها الذاتية أي تظهر فيها شخصية الشاعر وميوله وأهواؤه ، أما النقد فتغلب عليه الموضوعية ، أي تمنحى أو تكاد تمنحى فيه شخصية الناقد ولا تظهر فيه إلا أصول النقد وموازينه الدقيقة ، وهو من أجل هذا - عند هيكل - إلى أن يكون علما أدنى منه إلى أن يكون أدبا . من حيث يرى طه حسين أن الذاتية هي المؤثر

(١) ١٨ و ١٩ الأدب الجاهل ل طه حسين طبعة ١٩٢٧

(٢) ص ١٩ المرجع (٣) ٢١ المرجع

(٤) ص ٢٤ المرجع (٥) ٢٦ المرجع

الأول في النقد ، وأن الذوق هو المسيطر على الناقد ، فالذاتية هي الظاهرة في النقد لا الموضوعية ، فهو كالتصيدة مثلا سواء بسواء ، فن الغلو - كما يقول طه حسين - أن يقصر لفظ الأدب على الشعر والقصة والرسالة دون ما يمس هذه الآثار كلها من النقد ؛ ويرى هيكل أن التاريخ الأدبي ليس من الأدب لأنه علم ، ولكن طه حسين يقول: إن كلمة الأدب لها معنيان : أحدهما خاص وهو يدل على الشعر والنثر الفني وكل كلام يقصد به إلى الجودة وإلى إحداث المتعة الفنية في نفس القارئ. أو السامع ، والثاني عام يعمد إليه الذين يريدون تاريخ الآداب وهو يدل على كل ما تنتجه النفس الإنسانية من ثقافات ، فالأدب بمعناه الخاص عند طه حسين يدخل فيه النقد والتاريخ الأدبي وبعض كتب التاريخ وبعض كتب الفلسفة أحيانا .

- ٦ -

وأدب لغة أية أمة من الأمم هو ذلك الفن البليغ من مآثور شعرها ونثرها بما يصدر عن الطباع ، ويؤثر في النفوس ، ويشير العواطف ، ويدعو إلى الإعجاب والاستحسان ، وما يتصل بذلك من شرح ونقد وقصص وأخبار وأنساب وثقافة عامة تعين على فهم الآثار الأدبية وتدوقها ، ولذلك يقول ابن خلدون م ٨٠٨ هـ في مقدمته : الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف ، وقد سبقه إلى ذلك ابن قتيبة م ٢٧٦ هـ فقال : « من أراد أن يكون عالما فليلزم فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع في العلوم ، (١) .

وأهم مصادر الأدب العربي : البيان والتبيين للجاحظ والكمال للمبرد والأغاني للأصفهاني ، والأمالى للقالي ، وأمالى ابن الشجري ، والعقد الفريد لابن

---

(١) ٤٨٨ المقدمة ط المطبعة الأزهرية . وهو مسبوق بكلام عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى الكتاب حيث يقول منها في ثقافة الكاتب : « قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتب به ،

عبد ربه، وبتيممة الدهر ، ومعجم الأدباء لياقوت م ٦٢٦ هـ ، ووفيات الأعيان لابن خلدكان م ٦٨١ هـ ، وزهر الآداب للحصرى م ٤٢٣ هـ ، وبغية الوعاة للسيوطى م ٩١١ هـ ونفع الطيب للمقرى وقلائد العقبان للفتح بن خاقان ، والمستظرف للأبشيى من علماء القرن التاسع الهجرى ، وثمرات الأوراق لابن حجة الحموى م ٨٣٧ هـ ، وسواها من الكتب والمصادر .

-- ٧ --

اما تاريخ أدب اللغة العربية ، فهو علم جديد حديث للنشأة ، ابتكره الإيطاليون فى القرن الثامن عشر (١) ، وعنى به المستشرقون فى القرن التاسع عشر ، ونقله عنهم المغفور له الأستاذ حسن توفيق العدل إثر عودته من ألمانيا عام ١٨٩٢ وقيامه بتدريسه فى مدرسة المعلمين العليا ودار العلوم ؛ ثم سار على أثره جورجى زيدان فى كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » ، ثم ألف فيه بعد ذلك عدد من فحول الأدباء من أمثال الاسكندرى فى الوسيط الذى اشترك معه فى تأليفه الشيخ مصطفى العنانى ، وفى غير الوسيط من كتبه فى تاريخ الأدب التى كانت تدرس فى دارالعلوم ، والشيخ علام سلامة ، والمرحوم أستاذنا محمود مصطفى والدكتور طه حسين فى الأدب الجاهلى ، وأحمد حسن الزيات فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » ، والمغفور له مصطفى صادق الرافعى فى كتابه « تاريخ أدب لغة العرب » ، الذى طبع بعد وفاته فى ثلاثة أجزاء ، وأصحاب المفصل بجزئيه - وقد كان علم تاريخ أدب اللغة العربية فى أول القرن العشرين يسمى تاريخ أدبيات اللغة العربية :

كان منهج أدباء العرب فى دراسة الأدب العربى (٢) ينحون نحو دراسة تراجم الأدباء والكتب والشعراء ورواية آثارهم الادبية ونقدتها والموازنة بينها وبين غيرها من الآثار مع تدوين مآثور أدب العرب شعراً ونثراً وشرحه

---

(١) على أن أول من ميز الأدب والفنون بالتاريخ هو باكون مؤسس الفلسفة الحديثة المنوفى ١٦٢٦ م فقد جعل التاريخ ثلاثة أنواع : التاريخ الدينى وتاريخ الاجتماع وتاريخ الأدب والفنون (٢) راجع كتابى « مذاهب الأدب » ، ص ٧٩

وتحليله ونقده والإمام ببعض أصول الادب والشعر في الاسلوب والطبع والروح والذوق ، ومن هؤلاء : الجاحظ في البيان والمبرد في الكامل ، وابن سلام في طبقات الشعراء ، وابن قتيبة في « الشعر والشعراء » ، وأبو الفرج في الاغانى ، والقالى في الامالى ، وابن عبد ربه في العقد ، والآمدي م ٥٢٧١ في الموازنة ، والقاضى الجرجاني م ٣٦٦ هـ في الوساطة . وابن رشيق م ٤٥٦ في العمدة ، وأبو هلال في الصناعتين . ومن هذه الكتب : وفيات الاعيان لابن خلكان م ٦٨١ هـ ، وقيمة الدهر للشعالبي م ٤٢٨ هـ ، ومعجم الادباء لياقوت م ٦٢٦ ، ونفح الطيب للمقرئ ، وقد تبع هذا المنهج في العصر الحديث الشيخان : المرصفي في الوسيلة الادبية ، وحمزة فتح الله في المواهب الفتحية .

ويقول ابن خلدون : كتب الادب أربعة : كتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب الكامل للمبرد وكتاب أدب السكاك لابن قتيبة وكتاب النوادر لابن قتيبة أيضاً .

ولكن المستشرقين (١) استمدوا من هذه الاصول والدراسات العامة المبتوثة المفارقة في أدبنا العربي ما أعانهم على بحث تاريخ الادب العربي على ضوء بحوثهم في تاريخ آداب لغاتهم ، فأخذوا يبحثون عن صور الآداب العربية وحالة اللغة والادب في كل عصر وحلوا المؤثرات العامة التي أثرت في الادب في كل فترة من هذه الفترات نهضة أضعفاً ، وعنوان تاريخ اعلام الادب العربي في الشعر والنثر والكتابة والخطابة وترجموا لهم ودرسوا آثارهم الادبية دراسة واسعة وذكر والخلاف بين المدارس الادبية المختلفة وأثر كل مدرسة في الاخرى ، والتجديد والتقليد بين هذه المدارس المنوعة ، إلى غير ذلك من جديد الدراسات التي لم توجد بهذا اللون في الادب العربي القديم ، والتي

---

(١) راجع مقدمة الادب الجاهلي ومقدمة تجديد ذكرى أبي العلاء لطفه

لا تعد دراسات العمدة والمثل السائر وفهرست ابن النديم مجانبها شيئاً مذكوراً  
وسميت هذه الدراسات « علم تاريخ أدب اللغة العربية » .

فهذا العلم جديد إذ ، وهو يبحث في أحوال اللغة نثرها ونظمها في شتى  
العصور المختلفة ، وفي المؤثرات العامة في الادب العربي في كل عصر ضعفاً  
وقوة ، وفي ما كان لأعلام الادب العربي من الاثر فيه وفي اللغة ، وفي  
حياتهم وتحليل أدهم ونقده .

ولهذا العلم منزلة كبيرة في دراسات الادب في العصر الحديث : فهو  
يوقفنا على الاساليب الاولى التي أثرت في الادب العربي ارتقاء وضعفاً في شتى  
العصور ؛ ويعرض علينا الآثار الادبية لكل عصر ، حتى لتكاد نلبس سمات  
كل عصر في التعبير والبيان ، ونقف على الفروق بين الادب وأساليبه في كل  
جيل ، وهو فوق ذلك لا ينسى أعلام الادب ورجاله ، فيؤرخ حياتهم ويدرس  
آثارهم ، ويحيي ذكرهم على مر الاجيال .

- ٨ -

والتاريخ الأدبي لأداب أمة من الامم شديد الصلة بتاريخها الاجتماعي  
والسياسي :

١ - فهو يؤرخ حياة الامم الادبية والفكرية والخلقية .

٢ - وبعين المؤرخ السياسي في فهم حقائق التاريخ وحالة الامة التي  
يريد تدوين تاريخها العام .

وإذا كان التاريخ الأدبي مؤثراً في التاريخ العام فلا شك أنه يتأثر به إلى  
حد كبير أيضاً ، فليس من السهل دراسة أدب الامة إلا بعد دراسة تاريخها  
السياسي وأثره في حياتها الادبية ؛ وليس من السهل دراسة الادباء من شعراء  
وكتاب ، إلا بعد دراسة عصورهم التي نشأوا فيها ، وأثر بيئاتهم وأحوال  
مجتمعاتهم في حياتهم العامة والخاصة ، فضلاً عن أن الاحداث السياسية الكبرى  
هي التي تؤثر في حالة الادب وحياته وضعفه أو قوته .  
فكلا التاريخين في الحقيقة متأثر بصاحبه مؤثر فيه .

وتاريخ أدب اللغة العربية يمكنك أن تقسمه إلى عصور متعددة ،  
تختلف حالة الأدب العربي في كل عصر منها عن حالته في الآخر اختلافاً  
واضحاً ، لاختلاف الحياة السياسية في هذا العصر عنها في العصر الذي يليه  
أو الذي قبله .

وهذه العصور هي :

١ - العصر الجاهلي : ويبتدىء باستقلال العدنانيين عن اليمنيين في منتصف  
القرن الخامس للميلاد ، وينتهي بظهور الإسلام سنة ٦٢٢ م .

٢ - العصر الإسلامي : ويبتدىء بظهور الإسلام وينتهي بقيام الدولة  
العباسية سنة ١٣١ هـ ، وبعض الباحثين يقسم هذا العصر إلى قسمين :

١ - عصر صدر الإسلام : من ظهور الإسلام حتى قيام الدولة الأموية  
عام ٤١٠ هـ .

ب - العصر الأموي : من عام ٤١ إلى سقوط الدولة الأموية عام ١٣٢ هـ

٣ - العصر العباسي : ويبتدىء بقيام الدولة العباسية عام ١٣٢ هـ وينتهي  
بسقوطها على أيدي التتار عام ٦٥٦ هـ .

وبعض العلماء يقسمه إلى عصرين :

١ - العصر العباسي الأول : ويبتدىء من قيام الدولة إلى عام ٣٣٤ هـ .

ب - العصر العباسي الثاني ، يبتدىء من عام ٣٣٤ هـ إلى آخر عهد الدولة .

٤ - العصر التركي : ويبتدىء بسقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ ، وينتهي بحكم

محمد علي لمصر عام ١٢٢٠ هـ .

ويقسمه البعض إلى عصرين :

عصر المماليك ، وعصر العثمانيين :

٥ - عصر النهضة الحديثة : من قيام حكم محمد علي في مصر عام ١٢٢٠ هـ حتى يومنا هذا .

والمثل من الجدير بالذكر أن ننوه هنا بأن الحياة الأدبية في أول عصر من العصور لا تنكاد تختلف عنها في نهاية العصر الذي قبله في كثير ، ذلك أن حياة الأمة وحالتها الاجتماعية والخلاقية والعقلية والفكرية لا تتغير إلا ببطء وبعد مدة كبيرة تعمل فيها عوامل التغيير السياسي الجديد عملها ، وفي بدء الانقلاب السياسي لا تنكاد تشعر بفارق كبير بين الحياة الأدبية التي توجد في بدء الانقلاب وبينها قبيل الانقلاب ، فإذا ما مضى الزمن وسارت الأيام ظهر أثر هذا التغيير السياسي الجديد في حياة الأمة وتفكيرها وتراثها الأدبي بجميع فنونه وألوانه .

هذا والمؤثرات السياسية ليست وحدها العامل الرئيسي في التغييرات الأدبية ، بل هناك عوامل كثيرة أخرى منها : نفس الإقليم الذي تعيش فيه الأمة ، ونوع الحضارة التي نحيا في ظلها ، ومقدار الثقافة التي تشبع فيها ، ومنها الدين الذي هو قوام الحياة النفسية والوجدانية للشعوب : ومنها مدى الاتصال بين هذا الشعب والشعوب الأخرى التي تتجاوره أو البعيدة عنه ، ومنها استعداد الأمة الفطري الذي يلون ملكاتها العامة بألوان خاصة متميزة ومنها الحروب التي تقوم بين الأمة وغيرها من الأمم المجاورة لها ؛ إلى غير ذلك من ستى المؤثرات في الحياة الأدبية .

ومن ذلك نعلم أن الحياة السياسية لا تستلزم تحسنها نهضة الأدب والشعر في أي أمة من الأمم ، بل قد تسوء الحياة السياسية ومع ذلك ترتقي الآداب وتنهض كما حدث في القرن الرابع الهجري فقد ارتقت الحياة الأدبية إلى حد كبير بتشجيع الملوك والأمراء للأدب والشعر واللغة ، وقد ترقى الحياة السياسية للأمة ومع ذلك يضعف أدبها كما في عصور الطغيان السياسي في حكم الملوك المستبدين .

# الباب الاول

## المؤثرات العامة

### في الأدب الجاهلي

يتأثر الأدب عامة في شتى العصور بمؤثرات كثيرة (١)، أهمها : البيئة ؛ والدين ؛ وحياة الأمة السياسية، ومقدار حظها من البداوة أو الحضارة ، وما يؤثر في عقول أبنائها من ثقافة ومعرفة ، ومدى ما بينها وبين غيرها من الأمم المختلفة من اتصال وعلاقة ، وفطرة الأمة نفسها وما تدفعها إليه هذه الفطرة من اتجاهات وأهداف ، ومن المؤثرات في الأدب : التنافس الأدبي ؛ وظهور النقد، والأسواق الأدبية والأندية الثقافية ، وسوى ذلك مما ينهض بالأدب ويؤثر فيه .

وقد كانت هناك عوامل كثيرة تؤثر في الأدب الجاهلي ، منها هذه البيئة العربية . وحياة العرب السياسية والاجتماعية والدينية . ومعارفهم العامة ، ومدى اتصالهم بغيرهم من الأمم والشعوب ، ومنها هذه اللغة العربية نفسها . إلى غير ذلك من المؤثرات في الأدب الجاهلي (٢) مما سنلم به في هذا الباب في شيء من التفصيل .

---

(١) راجع المؤثرات العامة في الأدب بتفصيل في كتابي «مذاهب الأدب» ، ص ٦٩ وما بعدها ، وفي كتاب «الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام» ، تأليف : خفاجي وحسن حاد والمسئول ص ٤٨ طبعة ١٩٥٥ ، وفي أصول الأدب كالتاليات ، ولذلك آثرنا عدم التعرض لها بتوسع في هذا المقام .

(٢) راجع كتاب «قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي» - تأليف عبدالله

عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي

## الامة العربية

موطن العرب ، وصف للجزيرة العربية :

العرب هم سكان الجزيرة العربية . وتطلق على هذه البقعة اسم جزيرة ، مع أن الماء لا يحيط بها من كل حدودها . فبينما نجد أنه يحيط بها من الغرب بحر القلزم ، والبحر الأحمر ، ومن الجنوب بحر الهند أو بحر العرب ، والمحيط الهندي ، ومن الشرق بحر عمان وفارس ونهر الفرات ، نجد حدودها من الشمال أرضا مقسمة شاسعة تشمل الجزيرة وبلاد الشام وفلسطين إنما هو خارج عن شبه الجزيرة ، وإن كان العرب قد سكنوا قبل الإسلام جزءا كبيرا من سوريا والجزيرة العربية وأرض فلسطين .

وتنقسم شبه جزيرة العرب إلى خمسة أقسام هي : تهامة ، ونجد والحجاز واليمن ، والعروض .

تهامة : هي الجزء الواقع غرب جبل السراة الذي يقسم شبه الجزيرة من الجنوب ( اليمن ) إلى الشمال ( الشام ) قسمين .

وهي أرض منخفضة ، وتسمى الغور ، وتمتد على شاطئ البحر الأحمر ، وسموها تهامة لشدة حرها وركود ريحها ، من التهم وهو شدة الحرور كود الرياح . ويسمى جبل السراة الحجاز لأنه حجز بين تهامة الواقعة غربيته وبين نجد الواقعة شرقيه ، ومن ذلك يقال : أغار وأنجد وأنهم .

وتهامة أقسام : تهامة اليمن ، وتهامة الحجاز .

وأما نجد : فهي الواقعة شرقي جبل السراة من أدنى حدود اليمن جنوبا إلى السماوة شمالا وتنتهى من الشرق إلى العروض ، وسميت نجدا لارتفاع أرضها .

وتقع اليمن جنوبي نجد إلى ساحل بحر الهند وتمتد شرقا إلى حضرموت

والشحر وعمان . وتشمل قسما من تهامة وقسما من نجد .

وأما العروض : فتشمل اليمامة والبحرين وما والاها وفيها مرتفعات ومنخفضات ومسائل أودية . وسميت عروضاً لاعتراضها بين اليمن ونجد والعراق .

وأرض شبه الجزيرة كثيرة الجبال الجرد المختلفة اللون ومنها الحرار جمع حرّة . وهى الجبال السوداء اللون . يتخلل هذه الجبال : بعض الأودية التى تجرى فيها السيول أحيانا ، والصحارى الواسعة الكبيرة .

وأشهر الأودية بشبه الجزيرة وادى الدهناء بنجد ، وهو فى مواطن تميم بالقرب من البصرة .

وتكثر فى بلا اليمن الأودية والرياض (١) . من حيث تقل فى الحجاز ، فيعتمد أهله على العيون أو ماء المطر الذى ينبت الكلاً فى بعض الأراضى القريبة من الأودية . ولعدم نزول المطر فى مواعيد منظمة تعذر على العرب المسكث فى مكان واحد . ومن أجل ذلك أكثروا الرحلة والاتجاج لمواقع الماء ومنابت الكلاً والعشب .

وجو شبه الجزيرة شديد الحرارة فى تهامة مع رطوبة شواطئها الواقعة على البحر الأحمر ، شديد أيضا فى الجبال صيفا وإن اشتد البرد بالجبال شتاء . أما نجد فعتدلة الهواء ، وحول الأودية أكثر ، لارتفاعها ، ووجود بعض الأعشاب والحشائش والمزروعات فيها . وأما اليمن فعتدلة شتاء ، شديدة الحرارة صيفاً ؛ ينزل بها المطر بغزارة فى الربيع . وأطيب الرياح بشبه الجزيرة ربح الصبا ، وأشدها حرارة ربح السموم .

وأهم مدن الحجاز : مكة وتقيم بها قريش وكنانة وبجنوبها هذيل . والمدينة وبها الأوس والخزرج وهم الانصار وبنو قريظة والنضير وقينقاع

---

(١) هى المواضع التى يستنقع فيها الماء

من اليهود وشمالها فدك وخيبر . وبمحاذاة فدك وادى القرى الذى يقول فيه جميل :

ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلةً

بوادى القريّ إني إذا لسعيدٌ

ومن مدنه كذلك الطائف وتسكنها ثقيف وهى فى الجنوب الشرقى لمكة ويقع شرقها سوق عكاظ ، وهى خصبة جيدة الجو والهواء تزرع بها الفاكهة وتقع جدة على البحر الأحمر فى امتداد مكة . كما تقع ينبع عليه فى امتداد المدينة .

وأشهر مدن اليمن نجران شمالاً وقد اعتنق سكانها النصرانية ، وأراد ذو نواس إرغامهم على اليهودية فأبوا فأحرقهم فى الأخدود الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم . قتل أصحاب الأخدود ، . وبنجران بنى أبرهة معبداً كبيراً ليصرف العرب عن الكعبة إليه ولكنه أخفق فيما أراد . ومن مدن اليمن : مأرب أو سبأ وكان فى الجنوب الغربى منها السد الذى خربه سيل العرم عام ١٢٠ ق م وفيه يقول الاعشى :

وفى ذاك للتوتسى أسوةٌ      ومأربُ عنيّ عليها العرمُ  
رُخامٌ بلبته لهم حميرٌ      إذا جاء موآره لم يَرمِ  
فأروى الزرعَ وأعناها      على سعة ماؤهم إذ قسم  
فصاروا أبادى ما يقدر      ن منه على شربِ طفلٍ فطم

ومن مدنها صنعاء وهى حاضرتها حتى اليوم ، وبها قصر غمدان وفى جنوبها خرائب مدينة ظفار ، حاضرة الحميريين . وفى المثل د من دخل ظفار حمر ، أى تكلم باللغة الحميرية . وتشمل اليمن : حضر موت ومهرة والشحر ، وشمال حضر موت الأحقاف مساكن عاد واذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف ، وإلى مهرة تنسب الإبل المهرية وقيل إن نسبتها إلى مهرة حتى من قضاة من عرب اليمن ولغة المهرين حميرية مستعجمة لاتسكاد تفهم وأهم القبائل باليمن : همدان وكان لها فى الجاهلية صنيان يغوث ويعوق .

وكذلك مذبح ومراد . والحضارمة ذو نشاط في التجارة والرحلة .

وبنجد مدينة الرياض ، ومن جبالها أجأ وسلمى جبلاطية ؛ وبها كثير من القبائل العربية المشهورة كطيء وتميم وبكر وتغلب وقيس وعيلان وعطفان ، ونجد : إقليم صحراوي تكثر بها الدارات (الواحات) والاولدية وجوها معتدل طيب الهواء ، وقد أشاد بها وبجوها الشعراء . قال الشاعر :

تمتّع من شميمِ عرارِ تجمدُ فما بعدَ العشيّةِ من عرارِ  
ألا يا حبيذاً نفحاتِ نجدِ وريا روضة بعد القطار (١)

ولابن الصمة :

قفا ودّعاً بنجداً ومن جلاً بالحمى وقلّ لنجدٍ عندنا أن يودّعاً  
بنفسى تلك الارض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا  
وأما العروض فتنتظم اليمامة والبحرين وعمان .

وأما عمان فقطر جبلي على شاطئ البحر في الجنوب الشرقي للجزيرة وقد اشتهر أهله بالملاحة وكان يسكنها قوم من طيء من أشهرهم قبيلة نهران . واليمامة في الداخل وتنسب إليها زرقا اليمامة وتقع في الجنوب الشرقي لنجد وكانت مسكناً لطسم وجديس . والجزء الممتد في شرق الجزيرة إلى حدود العراق على بحر فارس يسمى البحرين ومن أشهر مدنه : هجر وتشتهر بالتمر ، وفي المثل : كناقل التمر إلى هجر . وخرابها القرامطة وبنوا مكانها الإحساء ، ومن مدنه كذلك قطر .

واشتهر أهلها بالفوص على اللؤلؤ . وقد كان يسكن البحرين قبائل من عبد القيس و تميم .

أصل العرب :

العرب إحدى الامم السامية التي تنسب إلى سام بن نوح ومن الامم

(١) العرار : نبت طيب الرائحة . القطار : جمع قطر جمع قطرة

السامية البابليون والآشوريون والسبثيون والآراميون والانباط والاحباش  
والعبرانيون والفيليبينيون .

وقد اعتمد العالم ايشهورن م ١٨٢٧ هـ هذا التقسيم وأقره وحشر هذه  
الشعوب كلها في زمرة واحدة .

وقد استخلصت هذه التسمية « السامية » من التوراة (١)

فبمجموعة الامم التي كانت تقطن بلاد آسيا الدنيا هي التي كانت تكون  
هذه الوحدة الدموية واللغوية المستقلة .

ولكن هل كان لجميع الامم السامية موطن واحد ومهد أصلي نشأت كلها  
فيه ثم تفرعت عنه وانتشرت في أنحاء المعمورة (٢) ؟

لم يتفق الباحثون من المستشرقين بعد على شيء في ذلك . فبعضهم يقول  
بالإيجاب ، وبعضهم يجيب بالنفي ، والذين يقولون إنه كان للأمم السامية  
موطن أصلي واحد يزعم بعضهم أن المهد الأصلي للساميين هو أرض أرمينية  
بالقرب من حدود كردستان . والتوراة تؤيد أن هذا المهد الأصلي هو  
أرض بابل ، ويؤيد ذلك المستشرق الإيطالي جويدى . والبعض يرون أن مهد  
الساميين هو جزيرة العرب ، وآخرون يرونه في الحبشة . ومن الذين ينفون  
هذا المواطن الأصلي المشترك للساميين نولدكة ويؤيد رأيه باختلاف  
مسميات المشاهدات الأولى - من جبل وشجر وحيوان ونبات - في جميع  
اللغات السامية .

ومهما يكن فأقدم الهجرات السامية كانت هجرة سكان الجزيرة الذين

---

(١) سفر التكوين الاصحاح العاشر

(٢) راجع : كتاب « اتجاه الموجات البشرية لمحج الدين الخطيب ، وفي مجلة  
الرسالة عام ١٩٣٦ بحث لسكانب في أصل الحضارة العربية وهل نشأت في الجزيرة  
العربية أو في العراق أو الحبشة ثم انتقلت اليها ، وراجع كذلك كتاب تاريخ  
اللغات السامية .

انجهوا نحو بابل وأسسوا لهم ملكاً كبيراً في وادي الفرات .

### الشعوب العربية :

يجتمع رأى المؤرخين على أن العرب ثلاث طبقات :

١ - الطبقة الأولى وقد بادت وتلاشت وتسمى العرب البائدة أو العاربة وقد درست آثارهم وأخبارهم إلا القليل . والمشهور منهم قبيلة عاد وكانت بلادها الأحقاف بين اليمن وعمان من البحرين إلى حضرموت والشحر ، وقبيلة ثمود وكانت منازلهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم من الجبال ، وغيرها من القبيلتين : كالعالمقة ، وطسم بالأحقاف ، وجديس ، ويزعم بعض الباحثين أن الحورايين من العرب البائدة وهو خطأ في البحث والرأى .

ب - والطبقة الثانية - التي بقيت آثارها وأخبارها - هي أولاد قحطان الذى يسمى فى التوراة باسم يارح بن يقطان وأبوهم يعرب بن قحطان أول من نطق بالعربية من هذا الجيل ، ويزعم العرب أنه أصل لسانهم وبذلك يفتخر حسان فى قوله :

تَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنْطِقِ الشَّيْخِ يَعْرُبِ      أَيْدِينَا فَهَرْتُمْ مُعَرَّبِينَ ذَوِي نَفْسٍ  
وَكُنْتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عَجْمَةٍ      كَلَامٌ وَكُنْتُمْ كَالْبَهَائِمِ فِي الْقَفْرِ  
وقد سكنوا اليمن بعد المعينيين مهاجرين اليها من بابل أو الحبشة . وهذه الطبقة فرعان :

١ - العرب المتعربة ، وقد ورثوا صفات العرب القديمة . وهم السبئيون والحيريون .

٢ - العرب المستعربة وهم عرب الشمال أو الاسماعيلية أو العبدانية الذين استفادوا اللغة من عرب الجنوب ، ونقلوا العادات والأخلاق عنهم بمصاهرة اسماعيل لقبيلة جرم الثانية اليمنية الى نزحت من الجنوب الى الشمال

وهي غير جرهم الأولى إحدى القبائل البائدة . والعدنانيون أهل الحجاز وأصحاب اللغة الفصحى ومظهر المدنية العربية إلى يومنا هذا . أما أهل الجنوب من ولد قحطان فقد بادت دولهم وطويت صحائفهم قبل البعثة بعدة قرون ، ومن بقي منهم اندمج في عرب السماء .

وينتهي نسب العدنانيين إلى اسماعيل عليه السلام الذي هاجر به أبوه إبراهيم إلى مكة بواد غير ذي ذرع هو وأمه هاجر المصرية وتزوج من جرهم ثم كثر أولاده واستقلوا بهذه البلاد وطردها منها الجرهميين ، وأصبحوا عنصراً جديداً يخالف في الحياة والتقاليد واللغة عنصر القحطانيين .

ويبدأ تاريخ العدنانيين منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وسلسلة نسبهم إلى عدنان - من ذرية اسماعيل - معروفة أما ما بين عدنان واسماعيل فيختلف فيه علماء الأنساب اختلافاً كبيراً .

### القبائل العربية (١) :

#### ١ - القبائل القحطانية :

(١) راجع في هذا :

١ - كتب التاريخ كابن خلدون والطبري والكمال لابن الاثير وسواها

ب - كتب الانساب وهي كثيرة لا يحصها العد

ج - كتب الادب : ومن أهمها : العقد الفريد ( ٢٠٨ - ٢٦٣ : ٢ العقد

ط (التجارية ١٩٣٥ )

ملاحظة : قال ابن الكلبي : الشعب أكبر من القبيلة ثم من العارة ثم البطن

ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ، والفصيلة هي أهل بيت الرجل خاصة ، والعشيرة

هي رهط الرجل . وقال غيره : الشعوب العجم والقبائل العرب ( راجع ٢٢٣

ج ٢ العقد ط ١٩٣٥ .. وراجع ١١٢ الشباب الراصد للطبق جمعه ط ١٩٢٦ -

والاحكام السلطانية للماوردي ص ٣٥٣ بون ط ١٨٥٣ ، ولسان العرب مادة

نخذ ، وبلوغ الارب . ١٩٠ : ٣ وما بعدها )

قحطان (١) هو الجد الأول للقبائل القحطانية ، وأبؤهم هو يعرب بن قحطان .

وكان مهد شعب قحطان هو اليمن . وأشهر قبائلهم : كهلان وحمير .

أما كهلان : فكان لهم ملك باليمن حيث شاركوا الحميريين في ملك هذه البلاد ، ثم انفرد الحميريون بالملك وصارت بطون كهلان تحت إمرتهم ونفوذهم ثم تضائل ملك حمير وبقيت الرياسة على العرب بالبادية لبني كهلان .

ومن بطون كهلان : « الأزدي » ومنها : الأوس والخزرج سكان المدينة ، وغسان ملوك الشام ، و « طيء » ، وكانت منازلهم باليمن ثم هاجروا منها بعد سيل العرم وأقاموا بنجد بجبلى أجأ وسلمى (٢) ، و « كندة » باليمن ونجد ، و « بجيلة » ، و « لحم » ، و « عاملة » شمالي الشام ، و « مذحج » باليمن ، ومراد وهمدان بها أيضا ، و « جذام » على خليج العقبة .

وأما حمير : فكانت بلادهم مشارف اليمن فظفار وما حولها . ومن قبائلهم : « قضاعة » وكان قضاعة مالكا لبلاد الشحر ، وقبره موجود بجبل الشحر واليه نسبت القبيلة . ويزعم بعض النسابين أن قضاعة من القبائل العدنانية وهذا خطأ واضح . وانقسمت قضاعة إلى بطون من أشهرها :

---

(١) راجع انساب اليمن في المقدم (٢٤٢ : ٢ ط ١٩٣٥) . وفي كتاب تاريخ سني الملوك لحمة الأصفهاني تفصيل لتاريخهم وانسابهم .

(٢) يقعان في الشمال الشرقي للمدينة ويخترقهما وادي الدهناء . ولما عتهما عث بنو طيء . في عز ومنعة قال شاعرهم عارق الطائي :

ومن مبلغ عمر بن هند رسالة إذا استحققتها العيس تنضى . من البعد  
أيوعدني والرمل بيبي وبينه تأمل رويدا ما أمامة من هند ؟  
ومن أجأ حولي رعان كأنها قبائل خيل من كبيت ومن ورد

« بلي ، شمالي الحجاز و « جهمينة ، كذلك « وعذرة ، جنوب الحجاز  
و « تنوخ ، قرب المعرة .

هذا وكان اليمينيون يسمون مقاماتهم باليمن مخاليف جمع مخلاف ، ويضاف  
إلى اسم القبيلة التي تسكنه .

وقد أثر في حياتهم الاجتماعية والسياسية سيل العرم تأثير كبيراً . فقد  
كانوا بنوا في مأرب سداً كبيراً بمثابة ( الخزانات الحديثة المعروفة عندنا )  
وأفادوا منه في تجميع مياه السيول والأمطار وخنزها فيه وتصريفها عنه على  
حسب الحاجة . ولما قلت العناية به وبالسر عليه تصدعت جوانب هذا  
السد ولم يستطع مقاومة هجمات السيول المتواردة عليه والمياه الكثيرة  
المحجوزة خلفه فانكسر وفاضت المياه على ما أمامه من القرى والمزارع  
فأتلقتها ، وكان ذلك على ما حققه الباحثون عام ١٢٠ ق م وأدى ذلك إلى هجرة  
أهل الجنوب إلى الشمال .

٢ - العدنانيون أو الاسماعيليون أو الحجازيون أو عرب أهل الشمال :

يلتمى نسبهم إلى اسماعيل بن ابراهيم الذي نزل مكة وجاور جرهما وصاهرهم  
و بنى هو وأبوه ابراهيم البيت الحرام ، ثم تناسل أبناؤه وكان منهم عدنان  
وولده ، ومن عدنان ابتدئ سلسلة نسب العدنانيين المعروفة .

وقد انقسمت القبائل العدنانية من نزار بن معد بن عدنان . ومن بطونه :  
لياد وربيعه ومضر وأنمار . وأشهرهم وأكثرهم ربيعة ومضر .

أما ربيعة فمنها قبائل كثيرة لها شهرة وذكر عظيم في تاريخ العرب حيث  
كانوا ايتاوثون مضر في الشرف والسيادة ومنهم كان أكثر الخوارج في الإسلام  
ومن ربيعة : عبد القيس ، ومنها بكر وتغلب ابنا وائل ، ومن بكر حنيفة  
وعجل ابنا لجم .

وأما مضر (١) فانقسمت إلى جذمين كبيرين :

١ - قيس عيلان بن مضر . ولها بطون كثيرة أشهرها : سليم وهو اذن وعطمان ، وعبس وذبيان ، وأشجع ، وعدوان ، وغنى ، ومن قيس : عامر ابن صعصعة ومنه تفرعت بطون كثيرة .

٢ - إلياس بن مضر وقد تشعبت منه بطون كثيرة منها : تميم بن مر ، وهذيل بن مدركة ، وبنو أسد بن خزيمه وبطون ، كنانة بن خزيمه . ومن كنانة : قريش وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

وانقسمت قريش إلى قبائل كثيرة أشهرها : جمح ، وسهم ، وعدى ، ومخزوم ، وتيم ، وزهرة بن كلاب ، وعبد الدار بن قصي ، وأسد بن عبد العزى ابن قصي ، وعبد مناف بن قصي .

وكان من عبد مناف أربع فصائل : عبد شمس ، ونوفل ، وعبد المطلب ، وهاشم . وبيت هاشم هو الذى كان منه سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم صلوات الله عليه ، ومنه العباسيون أولاد عباس بن عبد المطلب وأما الأمويون فليسوا من بني هاشم ، وإنما هم من بنى عبد شمس أخيه ، وبالجملة فهدى شعب عدنان مكة وما جاورها من أرض الحجاز وتهامة ؛ ولما تكاثرت أولاد عدنان هاجروا إلى بلاد كثيرة .

فهاجرت عبد القيس - من ربيعة - وبطون من بكر بن وائل إلى البحرين وكان معهم بطون من تميم ومنهم كان أمير هذه الجهة من قبل الفرس حين مجىء الإسلام ، وهو المنذر بن ساوى التميمي .

وهاجرت بنو حنيفة - من بكر - إلى اليمامة ، ونزلوا بمحجر حاضرتهما ، وكان أميرهم حين مجىء الإسلام هو هوذة الحنفي وفيه يقول الأعشى .

(١) ويحمد مضر يفتخر شاعره ويقول :

إذا مضر الحمراء كانت أرومتي وقام بنصرى خازم وابن خازم  
عطست بأنف شاخ وتناولت يدائى الثريا قاعدا غدير قائم

من يرد هودذة، يسجد غير متدبٍ إذا تعمم فوق التاج أو وضعها  
له أكاليل بالياقوت فصلها صواغها، لا ترى عيبا ولا طبعا  
وأقامت سائر بكر . وائل ما بين اليمامة والبحرين حتى أطراف  
سواد العراق .

وأقامت تغلب بالجزيرة الفراتية . وسكنت بنو تميم ببادية البصرة .  
وأقامت بنو سليم بالقرب من المدينة . وسكنت ثقيف بالطائف ، وهوارن  
في شرقي مكة . وبنو أسد شرقي تيماء وغربي الكوفة ، وأقام بمكة وضواحيها  
بطون قریش .

---

## حياة العرب الاجتماعية والسياسية والدينية

تمهيد :

العرب (١) اسم جمع واحده عربي ، وأصل هذه المادة على اختلاف أوضاعها تدل على التحول والانتقال مثل «عبر» و«برع»... الخ . ويرى بعض المعاصرين أن هذه الكلمة كانت في أصلها تطلق على نوع خاص من القبائل التي كانت تسكن الخيام وتنتقل من موضع إلى آخر . وكان قدماه العبرانيين يطلقون هذا الاسم على صنف خاص من القبائل التي كانت تنتقل بخيامها في جهات طورسينا وبادية فلسطين والشام . وبهذا يتبين أن كلمة «عرب» لم تكن تدل في أصلها على كل من يتكلم باللغة المنسوبة إلى العرب وإنما كانت تدل على القبائل المتبدية التي كانت تسكن شمال الجزيرة ثم شاعت لغة هذه القبائل وسار لها السلطان على أكثر قبائل الجزيرة العربية فأطلق لفظ «العرب» على كل من يتكلم بهذه اللغة من أولئك السكان سواء أكانوا بدوا أم حضرا . ويزعم آخرون أن لفظه «عربي» أو «عرب» يراد بها في اللغة السامية الأصلية «الغريبيون» ويريدون بهم سكان غربي الفرات من بدو وحضر إلى البحر المتوسط ، وكانوا يسمون بلادهم «مات غريبي» أي بلاد الغريبيين ، فلفظ «العربي» مرادف للفظ «الغربي» أي من يسكن غربي الفرات . ثم سرى هذا الاسم على جميع سكان الجزيرة عندما تغلبت عليها لغة الساكنين في هذه الجهات وما لبث العرب أن أفردوا لفظا يدل على سكان الخيام المتنقلين في البوادي وهو لفظ «الأعراب» . فاذا أرادوا هذا الجيل مطلقا سواء كان حضريا أو بدويا أطلقوا عليه اسم «العرب» وإذا أرادوا سكنة الخيام المتنقلين خاصة أطلقوا عليهم اسم «الأعراب» ، فكل أعرابي عربي ولا عكس .

وقد كان الناس في العصر الثامن الهجري وما بعده يطلقون اسم «العرب»

ولا يريدون به إلا الأعراب خاصة فجرى ابن خلدون في مقدمته على عرف أهل زمانه ، ولذلك اختلط على الناس فهم كلامه فاختلفوا في مراده . فمنهم من قال إنه لا يريد بهذه الكلمة إلا المتنقلين من أهل البوادي خاصة ، ومنهم من قال إنها كلمة مطلقة فيجب إجراؤها على إطلاقها فهو يريد بهم هذا الجيل من الناس بدوهم وحضرهم . وقد أظن الكتاب في هذا الموضوع وأسهبوا ، مع أن الأمر من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى إيضاح . فان أسلوب ابن خلدون يدل على أنه جرى عرف زمانه في إطلاق لفظ « العرب » على الأعراب خاصة . ولا يزال هذا العرف شائعا عند العامة من عرب هذا العصر في العراق والشام ومصر وغيرها فلا يفهمون من لفظ « العرب » إلا البدو أو القبائل التي تقطن الأرياف (١) . وبعض الناس اليوم يظن أن العرب والأعراب لمعان مترادفان لا يتميز أحدهما عن الآخر .

ولما أراد علماء العربية تدوين اللغة وضبط قواعدها في القرن الثاني الهجرى استعانوا بالقرآن الكريم أولا وبكلام العرب الموثوق بعريتهم ثانيا ، ولما كان العرب حينذاك منتشرين في الأرض يخاطون حمراء الأمم وصفراها وقد اضطربت سلاتتهم ولى علماء العربية وجوههم شطر الأعراب في وسط الجزيرة ، فنقلوا الكثير من أشعارهم وأخبارهم ودونوا أمثالهم وخطبهم وما يتعلق بأحسابهم وأنسابهم فاجتمع لهم من ذلك الشيء الكثير ، وأصبح ما نقلوه مادة الأدب ويلبوع الشاهد في ضبط قواعد اللغة . وهذا هو الذى حدا ببعض الناس إلى الظن بأن الأعراب هم مصدر اللغة ويلبوعها ، ومنهم تستهد أصولها وفروعها ؛ وأنهم الأكثرية في سكان الجزيرة العربية . وإذا أرادوا أن يمثلوا العربى لا يجدون له مثلا إلا الأعرابى . وهذا وهم شائع . لأنك إذا تقربت الجزيرة العربية في صدر الإسلام وجدت سكان الأرياف والقرى والمدن الذين يقيمون على المياه ويعيشون على الزراعة والتجارة هم الأكثرية وعليهم كان الاعتماد فى الفتوح

(١) راجع ص ١٥٢ من كتاب صور من الفكر العربى للخفاجى

الإسلامية ، منهم القواد والقسم الأعظم من الأجناد . أما الأعراب فكانوا على الهامش لاشأن لهم في الفتوح إلا تبعاً . ولم يبلغ فيهم من أهل الحنكة إلا القليل .

### حياتهم الاجتماعية :

العرب بدو وحضر : فالبدو هم الذين يقيمون بالبادية ، والحضر هم سكان المدن .

وكان بالجزيرة العربية مدن كثيرة أكثرها ببلاد اليمن : كإرب وصنعاء وزبيد وعدن . ومن أشهر مدن الجزيرة العربية : مكة والمدينة والطائف . وفرق كبير بين حياة البدو وحياة الحضر :

فالبدو قوم رحل ، يرتادون منابت الكلاب ومواقع الغيث . لا يستقر بهم مقام ، يرحلون بأغنماهم وأنعامهم إلى حيث تطيب لهم الإقامة حيناً ، غذاؤهم لحوم أنعامهم وألبانها ولباسهم من أصوافها وأوبارها ، وحياتهم كفاف وقناعة . اللبن والتمر واللحم هي ما كولاتهم . ومن أجل هذا الفقر والشقاء كثرت بينهم الغارات والحروب ، يأبون أن يكونوا أصحاب حرفة ويرون في ذلك عارا كبيرا . أهم ما يفتخرون به البطولة والقوة على النضال والنزال أما أهل المدن فعيشهم مستقرة ، يعتمدون على الزراعة والصناعة في اليمن أو على التجارة في الحجاز ، يأوون إلى بيوت ومساكن ، ويعيشون في ظل أمن وسلام غالبا وكانوا أقل شجاعة وأشد حبا للمال وأكثر توفرا على وسائل الترف والنعيم . وكان اليمنيون أمن في الحضارة وقد نقل المؤرخون كثيرا من أحوالهم مما يدل على إفراط في الترف من النسيج الفاخر وأطباق الذهب والفضة وتزين قصور أغنيائهم بأنواع الزينة ، وقد وصلهم إلى ذلك كثرة الأموال في أيديهم من طريق التجارة والزراعة . وكان أكثر الحجازيين تحضرا قریش في مكة فقد أغنتهم التجارة ومن يأوى اليهم من الحجاج ، فنعموا بما لم ينعم به غيرهم من سكان الحجاز .

والقبيلة هي الوحدة التي بنيت عليها حياتهم ، وأفراد القبيلة ينتسبون إلى أب واحد (١) وقلَّ أن ينتسب إليها من لم يشاركها في نسبها إلا عن طريق الخلف (٢) أو الولاء .

والقبيلة تسمى غالباً باسم الأب كربيعة وهضر والأوس والخزرج ، وقليلاً ما تنتسب إلى الأم كخندف وبجيلة ، وقد تعرف القبيلة بمحادث حدث كغسان وهو اسم للماء الذي نزلت به هذه القبيلة . ولكن الكثير الذائع نسبة القبيلة إلى الأب .

ويسود أفراد القبيلة العصبية والتناصر والتعاون ، وكل فرد يتعصب لقبيلته أصابت أم أخطأت :

وما أما إلا من د غزيرة ، إن غوت غويت وإن ترشُد غزيرة أرشُد  
والقبيلة تحميه من العدوان وتطالب بدمه إن جنى أحد عليه ؛ وإذا خرج فرد منها على تقاليد القبيلة أو جر عليها المغارم تحملت عنه وأعلنت براءتها منه وسمى د خليفاً ، وقد يلتجئ فرد إلى غير قبيلته فيسمى د حليفاً .

ولكل قبيلة رئيس هو سيدها ومرجعها وملاذها في الشدائد (٣) ؛

---

(١) ١٢٠ ج ٣ المخصص .

(٢) وكما كان الفرد يصير حليفاً لقبيلة غير قبيلته فقد كانت القبيلة تحالف قبيلة أخرى تحتوى بها ، وإن بقيت بعض القبائل معتزة بعصبيتها متجمرة بنفسها لانحالف غيرها ، وجرات العرب ثلاثة : ضبة ونمير وعبس ، والبعض يزيد رابعة هي بنو الحارث بن عبد المدان .

(٣) وكان لرئيس القبيلة حق معلوم في الغنائم ، قال الشاعر يخاطب بسطام

ابن قيس سيد شيبان :

لك المرباع مندا والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول

المرباع : ربع الغنيمة . والصفايا : ما يصطفيه الرئيس لنفسه قبل القسمة ، والنشيطه : ما أصابه الرئيس في الطريق قبل الوصول إلى دار العدو . والفضول : ما فضل من الغنيمة مما لا يقبل للقسمة على عدد الغزاة .

ولها شاعر أو أكثر يتغنى بمفاخرها وشرفها ومجدها ، ويزود عنها أعداءها  
وخصوصاً ومها .

وعلاقة القبيلة بالقبائل الأخرى علاقة عداة غالباً : إغارة وسلب وحرب  
وانتقام وأخذ بالنار :

يُغَار علينا وَاترِينَا فَيَشْتِنِي بِنَا إِنْ أُصِبْنَا ، أَوْ نَغِيرُ عَلَى وَتُرْ  
قَسَمْنَا بِذَلِكَ الدَّهْرَ شَطْرِينَ بَيْنَنَا فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرٍ

وكانت القبيلة تنقسم إلى أسر ، والأسرة تخضع للأب خضوعاً مطلقاً  
في كل شيء .

وللمرأة شأن في الأسرة العربية . يبدأ بذكرها الشعراء قصائد لهم ،  
ويتغنون بجمالها وبكثرتها وبكثرتها ، ويحترمونها ، ويفخرون بلسبتهم  
إلى أمهاتهم كما يفخرون بالنسبة إلى الأب ، ويستمعون لمشورة  
زوجاتهم ونسائهم وحسبك أن الحارث بن عوف أحد أشراف  
العرب كانت زوجته الصغيرة بنت أوس بن حارثة بن لام الطائي هي التي  
أشارت عليه بأن يسعى في الصلح بين عبس وذبيان ففعل فاستحق بذلك  
حمد الناس ومدح الشعراء ، وكانوا يستشيرونها في الزواج ويقبلون  
رأيها (١) .

كانوا يتزوجون ويعددون بين الأزواج كما كانوا يطلقون ،  
قال الأعشى :

أيا جارتى بينى فانك طالقة كذاك أمور الناس غاد وطارقة

---

(١) راجع في ٢٠٤ ج ٢ الأملى أخذ عتبة بن ربيعة لرأى ابنته هند في  
زواجها وكانت قد شرطت عليه ذلك ، ويرأيها وموافقها تزوجت أباسفيان  
ابن حرب .

وكانوا يحبون أولادهم ويحنون عليهم :

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض

وإذا كان بعض العرب قد أدوا البنات خشية الفقر أو العار ، فانما كان ذلك في طبقة منحلة منهم في بعض بطون من تميم وأسد ، وقد كان بعض العرب يكره أن تلد امرأته بنتا (١) .

وعلاقة الرجل بإخوانه من قبيلته علاقة محبة وتناصر وكافي المثل ، انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . . ويقول الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندُبهم في النائباتِ على ما قالَ برهانا

وكانوا يلهون بالخمر (٢) وغناء القيان والقمار ، وبصيدون الوحوش بالخيال أو بالكلاب المعلمة ، وقد قالوا إن كليب بن وائل أول من اصطاد بالفهد - ويرد في شعرهم كثير من الأبيات يصفون فيها صيد بقر الوحش وحمار الوحش وغيرهما ، والجود والكرم أهم خصائص العربي (٣) .

وكانوا يتمدحون بالمروءة والأخلاق والشرف والشجاعة والكرم

---

(١) وفي ذلك تقول زوج عربي ولدت بنتا فغضب زوجها وتحول إلى

بيت جاره :

ما لأبي حمزة لا يا تينا يظل في البيت الذي يلينا

غضبنا ألا نلد البنيما والله ما ذلك في أيدينا

وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالارض لزراعينا

(٢) ومن العرب من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية (راجع ١٦٢٠٤ الامالي)

(٣) راجع أجواد أهل الجاهلية في العقيد لفريد (١٤٥١ ط ١٩٢٨)

وراجع حديث حاتم وما اشتهر به من الجود والنجدة وما وقع له مع زوجته ما وية في ذيل الامالي ص ١٥٢ . ومن أجواد العرب : كعب بن مامة الإيادي وأوس بن حارثة بن لام الطائي وهرم بن سنان (راجع بلوغ الأرب)

والوفاء (١) .

وللكرم في حياة العربي حظ كبير ، ومن العرب أناس اشتهروا بالجود  
والسخاء وصاروا مضرب الأمثال كحاتم وسواه .

والإبل هي عماد الحياة في جزيرة العرب ، وكانوا يعنون بالخيول  
للطعان والنزال .

وأشهر صناعاتهم الغزل ، وفي المدينة والطائف واليمن قامت الزراعة  
وكذلك حول المياه والعيون (٢) .

وكانت التجارة دأب القرشيين الذين كانوا يفتدون ويروحون في  
الجزيرة العربية آمنين مطمئنين ، وكان لبني عبد مناف رحلات إلى  
الشام واليمن ، والحبشة وفارس ، لأخذ اليهود من ملوكها وتأمين السبل  
لتجار قریش (٣) .

---

(١) وقصة وفاء السموات معروفة . ومن وفاتهم انهم قتلوا أخاهم وفاء بعمد  
الجار قال الشاعر :

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا وكان أبونا قد تبحر بمقاربه

(راجع ٥٩ : ١ تاريخ الأمم الإسلامية للخضري بك ط ١٩٢٦) . وكذلك  
قصة وفاء هانيء بين قبيصة لأمانات النعمان بن المنذر التي أودعها عنده والتي  
تعرض بسببها هو وقومه والعرب للحرب كسرى في يوم ذي قار ، قصة معروفة  
مشهورة (راجع ٣٣٧٤ من العقد الفريد ط ١٩٢٨)

(٢) والبيت الذي رواه سيبويه في شواهد (٣٥٩ ج١ الكتاب لسيبويه) وهو :

إلا رجلا جزاه الله خيرا يدل على محصلة تبيت

يدل على أنهم كانوا يعرفون استخراج الذهب ، ولا شك أن ذلك كان في اليمن  
إذا صح أن هذا البيت جاهلي . والمحصلة : المرأة التي تحصل الذهب من تراب  
المعادن وتخلصه منه وطلبها للبيت لغرض التحصيل طبعاً .

(٣) ١٩٩ النوادر منحق بكتاب الأمالى . ويقول الشاعر :

بأيها الرجل المحمول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف

وامتدت تجارة قریش إلى الین والشام ، وكانت لهم رحلتان رحلة إلى الین شتاء ورحلة إلى الشام صيفاً ، وقد تقسم أولاد عبد مناف البلاد التي يتاجرون معها ، فكان هاشم يذهب إلى الشام ونوفل إلى فارس وعبد شمس إلى الحبشة والمطلب إلى الین ، ولم يكن يتعرض لهم أحد لأنهم أهل بيت الله وحماة .

وأمدت هذه الرحلات الهاشميين بثقافة واسعة وصقلت أفكارهم وأذواقهم وأسلوبهم وجعلتهم أرقى عرب الشمال فكراً وأبعدهم نظراً وأحصفهم عقلاً .

### حياتهم السياسية :

(١) المجتمع العربي يتحكم فيه رؤساء القبائل وساداتها ، فكل قبيلة تأمر بأمر سيدها وتخضع لإرادته في السلم والحرب جميعاً :

دعانا والأسنة مشرعات فكنا عند دعوته الجوابا

وهو الحكم والمرجع في كل ما شجر بين أفرادها من خلاف . وللقبيلة بجانب رئيسها أحكام امتازوا بأصالة الرأي وحصافة العقل وصدق النظر يفرع اليهم في الخصومات الأدبية كالمفاخرة في النسب ونحوها (١) .

وهذا النظام هو الذي كانت تسير عليه أغلبية العرب من البدو في نجد والحجاز وتامة . ويستثنى من ذلك مكة والإمارات التي على التخوم والین .

---

== الاخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الإيلاف

والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالمكافي

(١) وكان عمرو بن حممة الدوسي أحد حكام العرب (راجع ١٤٣ ج ٢ الآمال)

(ب) والقرشيون لثرائهم من التجارة، ولانصالحهم بالأمم المتحضرة كفارس والروم، ولنضوج عقليتهم وثقافتهم وتفكيرهم، كانوا يحكمون مكة حكماً أدق وأنضج من هذا النظام البدوي السائد، وقد وضع قصى في القرن الخامس الميلادي أساس هذا النظام الجديد، فقد جمع شتات القرشيين ووحّد كلمتهم وأخذ ولاية البيت الحرام وجدد بناء الكعبة وبنى دار الندوة ليجتمع فيها الرؤساء الذين لا تقل أعمارهم عن الأربعين ليتشاوروا ويعقدوا أنكحتهم وألويتهم ويفصلوا في خصوصياتهم.

وأصبح لقصى السيادة التامة في مكة، كما صار الرئيس الديني للبيت؛ وكان له رئاسة دار الندوة، واللواء، فلا تعقد راية الحرب إلا بيده، والحجابه وهي حجابه الكعبة لا يفتح بابها إلا هو وهو الذي يلى أمر خدمتها، وسقاية الحاج ورفادته، والسقاية هي الخياض التي كانوا يملأونها بالماء ويحلوها بشيء من التمر والزبيب ليشرّب منها الناس إذا وردوا مكة، والرفادة هي الطعام الذي كان يصنع للحجاج على سبيل الضيافة، وكانت قريش تساعد قصياً على ذلك بما تقدمه من خراج سنوى.

وورث أولاد قصى هذه المسآثر والمفاخر، وتنافسوا عليها، ثم استقر رأيهم على اقتسامها بينهم (١).

١ - فكانت السقاية في بنى هاشم ويقوم بها العباس بن عبد المطلب.

٢ - والعقاب - راية قريش - كانت في بنى أمية عند أبي سفيان بن حرب وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حميت الحرب فإذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب وإلا رأسوا صاحبها فقدموه.

٣ - والرفادة كانت في نوفل عند الحرث بن عامر، والرفادة هي ما كانت تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحاج.

(١) راجع العقد الفريد، ١٣٤٩ ج ١ بلوغ الأرب

٤ - والسدانة لبني عبد الدار يقوم بها الحرث بن طلحة وكان اليه السدانة مع الحجابة ، والسدانة خدمة الكعبة وحجابتها ويبد صاحبها مفتاح الكعبة ولها المقام الأول عندهم .

٥ - والمشورة لبني أسد وصاحبها يزيد بن زمعة بن الأسود وكان يستشار في الأمور الكبيرة .

٦ - والندوة في بني عبد الدار أيضاً ، وهي الاشراف على دابر الندوة .

٧ - والأشناق وهي الديات والمغارم وهي في بني تميم ونهض بها أبو بكر الصديق ، وكان صاحبها إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه وإن احتملها غيره خذلوه .

٨ - القبة والأعنة ، والقبة هي الخيمة التي كانوا يضربونها ويجمعون اليها أدوات الحرب ، والأعنة هي تولى أمر الخيل في الحرب ، وكان ذلك لبني مخزوم ونهض بهما خالد بن الوليد ؛ وقيل إن الأعنة كانت في بني عدى .

٩ - السفارة وهي لبني عدى ونهض بها عمر بن الخطاب وكانت اليه السفارة في الجاهلية وهي التوسط بين قريش وغيرها في الحرب وفي السلم معاً

١٠ - الأيسار وهي تولى أمر الأزمات وكانت في بني جمح وقام بها صفوان بن أمية .

١١ - الحكومة والأموال المحجرة التي سموها لآلهمم وهي لبني سهمم ويقوم بها الحارث بن قيس ... وبما وضعته قريش « حلف الفضول » فقد اجتمعت بطون قريش وتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان على رد المظالم بكه والأيظلم أحد إلا منعه وأخذوا للظلم بحقه ، وحضره الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في الخامسة والعشرين من عمره وقال فيه : « لقد شهدت حلف الفضول وما أحب أن لي به حمر النعم » .

(ج) ولقد قامت في اليمن دول متحضرة منظمة من أشهرها :

١ - دولة (١) المعيليين : ما بين ١٢٠٠ - ٨٠٠ ق م .

نزحوا من العراق إلى اليمن واستوطنوا بها وشادوا القصور  
والمخامد .

٢ - دولة سبأ : من القرن الثامن قبل الميلاد حتى أواخر القرن الثاني  
قبل الميلاد أيضا ، وقد ورد ذكرها في التوراة ، وفي القرآن الكريم ما يدل  
على ترف أهلها : وقد ازدهرت مدينة سبأ قبل الميلاد بقرون وتدل النقوش  
والآثار التي عثر عليها على أنها كانت في القرن الثامن قبل الميلاد .

وحاضرة هذه الدولة هي مأرب وكانت تمر بها التجارة بين الهند والحبشة  
والعراق ومصر والشام في بعض العصور ، فازدهرت المدينة والدولة .  
ووجدت صلات تجارية بين بلقيس ملكة سبأ والملك سليمان بن داود ملك  
أورشليم . إلا أنه أثر في حياة دولة سبأ أمران :

أولهما : انتقال التجارة إلى الطريق البحري وانقطاع مرورها بسبأ .  
وثانيهما : سيل العرم الذي حطم سد مأرب فأغرق البلاد ، وهاجر أهلها  
منها وتفرقوا في أرجاء الجزيرة العربية .

٣ - الدولة الحميرية : ١٢٠ ق م - ٥٥٠ م .

وعاصمة هذه الدولة ظفار ، وامتازت بالفتوحات ومحاربتها الفرس

---

(١) راجع ص ٢٢٧ وما بعدها من كتاب تاريخ اللغات السامية لولفغسون  
ط القاهرة سنة ١٩٢٩ في الحديث عن اليمن ودورها وتاريخها والمصادر التاريخية  
التي تتحدث عنهم . وراجع كتاب تاريخ المدن الإسلامي

والحبشة ، وتضارب المؤرخون في أسماء ملوكهم (١) وعددهم  
ومدة حكمهم .

وتنقسم هذه الدولة إلى طبقتين :

١ - الأولى ينتهى حكمها فى أواخر القرن الثالث الميلادى (٢) .

٢ - والثانية مدت سلطانها على الشحر وحضرموت ويسمى ملوكها  
التبابعة (٣) وآخرهم ذو نواس (٥١٥ - ٥٢٥ م) .

وذو نواس صاحب الاخدود الذى عذب فيه أهل نجران لعدم تركهم  
النصرانية واتباعهم دينه الرسمى ( اليهودية ) وأحرق الكتاب المقدس مما  
دعا إلى غضب الحبشة فقامت بحملة حربية على اليمن دفاعا عن النصرانية (٤)  
وكانت بقيادة أرياط وأبرهة فاستولوا على اليمن عام ٥٢٥ م وحكمها أرياط  
ثم أبرهة ، وأبرهة هو الذى بنى كنيسة عظيمة بصنعاء. اصرف العرب عن  
الكعبة إليها ، ثم غزا مكة ليهدم الكعبة فأهلكه الله ، وملك بعده ابنه  
يـكسوم ؛ ثم قام سيف بن ذى يزن وحارب الحبشيين وأخرجهم من

---

(١) راجع اجتماع العرب عند ملك من ملوك حير (٧٦؛ ٢ ج١ الأمالى) ، وتعزية  
وفود العرب لسلامة ذى فائس فى ابنه (٢٩٩ ج٢ الأمالى)

(٢) ومن ملوكها : ربيعة وهو الذى قص رؤيته على شق سطيج وأقام بعض  
أبنائه بالحيرة ومنهم النعمان بن المنذر

(٣) فتبع الأول اسمه زيد ، وتبع الآخر هو أسعد أبى كرب وكان ملكه  
قبل ملك ربيعة بن مضر ، وذلك من ٣٨٥ -- ٤٢٠ م ، وقالوا : لأنه غزا المدينة  
وكسا الكعبة فى مكة وأنه أول من تهود من العرب

(٤) ويعمل المؤرخون اليونانيون هذه الحملة الحربية بتعميل آخر (١١٦)  
الشهاب الراصد

الذين بمساعدة الفرس له الذين أمدوه بجيش بقيادة وهرز (١).

وكانت مدة حكم الحبشة لليمن اثنتين وسبعين سنة ، وكتاب الإكليل  
للهمداني أحسن مرجع قديم عن اليمن وتاريخها .

(د) إمارة الحيرة : من القرن الثالث الميلادى إلى ٦٣٢ م

وهى إمارة عربية أقامها الفرس على حدود بلادهم بالقرب من الكوفة  
لتحميهم من غارات العرب وليحاربوا بها أعداءهم الروم . فقد وضع  
أردشير يده على هذه البلاد واستولى عليها وحكم العرب المقيمين فيها بما  
أدى إلى هجرة قضاة عنها إلى الشام ، ورأى أردشير أنه يستحيل عليه أن  
يحكم العرب مباشرة ويمنعهم من الإغارة على تخوم ملكه إلا بأن يملك عليهم  
رجلا منهم . فاختار جذيمة الوضاح ملكا على الحيرة وسائر من  
بادية العراق والجزيرة من ربيعة وهضر ، وجذيمة هو الذى قتلته الزبارة نحو  
عام ٢٦٨ م انتقاما منه لقتله والدها ، فاحتال ابن أخت له اسمه عمرو بن عدى  
حتى قتلها (٢).

---

(١) راجع ١٦٦٧٥ الأغانى ، ٢:٥٣ الأغانى أيضا . وراجع وفود قریش  
على سيف بن ذى يزن فى العقد الفريد ( ص ١٧٥ ج ١ ط ١٩٢٨ )  
(٢) المصادر الافرنجية تذهب إلى أن الزبارة كانت ملكة تدمر من قبل  
الرومانيين ، ثم حاربها الرومان وأسروها وماتت فى روما نحو عام ٢٧٣ م ،  
وكان اسمها عندهم زونوبيا . وكان سابور قد هاجم تدمر بعد أن أسر الامبراطور  
فالريان امبراطور الروم ، ولكن ملكة تدمر قاومته بما سارت عليه من حرب  
العصابات حتى هزمته ومنحت روما ملك تدمر لقب أمير الشرق وملك تدمر ،  
وكان اسمه د اودناتوس ، ثم قتل وتولى الملك بعده ابنه الطفل وقامت زوجته  
وصية على ولدها وكانت تلك الزوجة هى زونوبيا . أرادت زونوبيا التوسع  
فأرسلت جيشا ليفتح مصر ويخرج الرومان منها فأفلق فى ذلك ، ثم غزت الاناضول  
واستولى جيشها عليها عام ٢٧٠ م واعترف بها الامبراطور شريكه له فى  
الامبراطورية وأصبحت تدمر عاصمة مهابة . ثم تولى دكولوديوس ، امبراطورية =

ثم ولى على الحيرة عمرو بن عدى بن نصر اللخمي أول ملوك اللخمين بالحيرة ، وملكهم ما بين عامي ( ٢٦٨ ، ٦٣٢ م ) أى حتى فتح خالد ابن الوليد للحيرة .

ومن ملوكها : النعمان بن امرئ القيس صاحب الخورنق والسدير (١) . والنعمان بن المنذر الذى مدحه النابغة وقد قتله كسرى وقامت من أجله موقعة ذى قار عام ٥٨٠ م (٢) .

وولى على الحيرة بعد النعمان بن المنذر إياد بن قبيصة الطائي ، وحارب هانيء بن مسعود الشيباني طلباً لودائع النعمان بن المنذر التي أودعها عنده وانتصر بنو شيبان وهزموا الفرس هزيمة منكرة ، ثم عاد الملك إلى آل الحكم .

---

== الرومان تخلف محاربة زنوبيا فهزموها فى الاناضول ثم على حدود تدمر وحاصر عاصمتها تدمر . ثم أخذوها أسيرة هى وابنها واستولوا على تدمر وخربوها عام ٢٧٢ م .

(١) بناهما له سننار الذى قتله الملك خوفاً أن يبني مثلهما فقبل فى المثل وجزاه جزاء سننار ،

(٢) راجع خطبة هانيء بن قبيصة فى قومه يجرضهم على الحرب فى يوم ذى قار فى الامالى ( ١٦٩ ج )

وراجع فى الامالى ( ١٩٥ النوادر الملحق بالامالى ) خير المنذر بن ماء السماء وقتله نديمه وجعله لنفسه فى كل سنة يوم بؤس ويوم نعيم وقتله عبيد بن الابرص يوم بؤسه .

ولهند بنت النعمان بن المنذر لرجل اولها يدا فدعت له : شكرتك يدنايتها خصاصة بعد ثروة ، وأغناك عن يدنايتها ثروة بعد فاقة ( ٢٧ : ٤ زهر الآداب ) وراجع اجتماع ووفود العرب عند النعمان فى العقد ( ١ : ٢٥٦ ط ١٩٢٨ ) ، ووفود العرب على كسرى فى العقد ( ١ : ١٦٦ ) ، ووفود حاجب بن زرارة على كسرى ( ١ : ١٧٤ ) ، ووفود أبي سفيان على كسرى ( ١ : ١٧٤ ) ، ووفود حسان بن ثابت على النعمان ( ١٧٥ : ١ : العقد )

وقد تأثرت إمارة الحيرة بحضارة الفرس وثقافتها ومعارفها تأثراً كبيراً وكان ملوكها في استقلال داخلي .

ووفادة العرب على كسرى مظهر للنفوذ الفارسي في بلاد العرب ، حدث ابن القطامي عن السكابي قال :

« قدم النعمان بن المنذر على كسرى ، وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها ، .

فقال كسرى - وأخذته عزة الملك - : « يا نعمان ، لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ؛ ونظرت في حال من يقدم علي من وفود الأمم ، فوجدت الروم لها حظ في اجتماع ألفتها ، وعظم سلطاتها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيانها ، وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ويرد سببها ، ويقم جاهلها . ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعاتها ، وطيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها . وكذلك الصين في اجتماعها ؛ وكثرة صناعات أيديها وفروسياتها ، وهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديد ، وأن لها ملكاً يجمعها . والترك والخزر - على ما بهم من سوء الحال في المعاش ، وقلة الريف والثمار والحصون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس - لهم ملوك تضم قواصمهم وتدبر أمرهم .. ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير ، في أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوة ، ومع أن مما يدل على مهانتها وذلتها وصغر همتها محللتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطيور الحائرة ، يقتلون أولادهم من الغافة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة . قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ، ولهوها ولذاتها : فأفضل طعام ظنر به ناعمهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من السباع لثقلها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها . وإن قرى

أحدهم ضيفاً عدّها مكرمة ، وإن أطعم أكلة عدها غنيمة - تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ما خلا هذه التنوخية التي أسس جدى اجتماعها ، وشده مملكته ، ومنعها من تدوها ، فخرى لها ذلك إلى يومنا هذا وإن لها - مع ذلك - آثاراً ولبوساً ، وقرى وحصوناً ، وأموراً تشبه بعض أمور الناس ( يعنى اليمن ) . ثم لا أراكم تستكثرون على ما بكم من الذلة والقلة والبؤس ، حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس .

قال النعمان : د أصلح الله الملك احق لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ، ويعظم خطبها ، وتعلو درجاتها . إلا أن عندى جواباً فى كل ما نطق به الملك فى غير رد عليه ، ولا تكذيب له . فإن أمنى من غضبه ، نطقت به . قال كسرى : د قل ، فأنت آمن . قال النعمان : أما أمتك - أيها الملك - فليست تنازع فى الفضل لموضعها الذى هى به من عقولها وأحلامها ، وبسطة محلها ، وبمبوحه عزها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الأمم التى ذكرت فأى أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها ، قال كسرى : د بماذا ؟ ، قال النعمان : بعزها ومنعتها ، وحسن وجوها ، وبأسها ، وبسخائها وحكمة أسننها ، وشدة عقولها ، وأنفتها ؛ ووفائها . . . فأما عزها ومنعتها ، فإنها لم تنزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك ، وقادوا الجند . ولم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل . حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر : إذ غيرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور .

وأما حسن وجوها وألوانها . فقد يعرف فضلهم فى ذلك على غيرهم ، من الهند المنحرفة ، والصين المنحفة ، والترك المشوّهة ، والروم المقشرة . . . وأما أنسابها وأحسابها ، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها ، وكثيراً من أولها ، حتى إن أحدهم ليسأل عن وراء أبيه دنيا ، فلا يلبسه ولا يعرفه . وليس أحد من العرب إلا يسمى آباءه أباً فأباً ، أحاطوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا أنسابهم ، فلا يدخل رجل فى غير قومه

ولا ينتسب إلى غير نسبه ، ولا يدعى إلى غير أبيه . وأما سخاؤها ، فإن أديانهم رجلا تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه في حمله . وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يكتبني باللذة ويجتريء بالشرية ، فيعقرها له ، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحداثة ، وطيب الذكر . وأما حكمة ألسنتهم . فإن الله تعالى أعطاهم في أشه'رهم ، ورواق كلامهم ، وحننه ووزنه ووقوفه ، مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال ، وإبلاغهم في الصفات - ما ليس لشيء من السنة الأجناس ، ثم خيلهم أفضل الخيل ، ونساؤهم أعف النساء . ولباسهم أفضل اللباس ومعادتهم الذهب والفضة ، وحجارة جبالهم الجزع ، ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفر ولا يقطع بمثلها بلد فقير .

وأما دينها وشريعتها فإنهم متمسكون به ، حتى يبلغ أحدهم من نسكه أن لهم شهراً حراماً ، وبلداً محرماً ، وبيتاً محجوجاً ، يمسكون فيه مناسكهم ، ويذبحون فيه ذبائحهم ، فيلتي الرجل قاتل أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثأره ، وإدراك رغبته منه ، فيحجزه كرمه ، ويمنعه دينه عن تناوله بأذى . وأما وفاؤها ، فإن أحدهم يلحظ الملحظة ، ويومئ الإيماءة ، فهي واث وعقدة لا يحملها إلا خروج نفسه ، وإن أحدهم يرفع عوداً من الأرض فيكون رهناً بدينه ، فلا يفلق رهنه ولا تحفر ذمته . وإن أحدهم ليبلغه أن رجلا استجار به ، وعسى أن يكون نائياً عن داره فيصاب ، فلا يرضى حتى يغني تلك القبيلة التي أصابته أو تغني قبيلته ؛ لما أخفر من جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث ، من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله .

أما قولك ، أيها الملك يتدون أولادهم ، فإنما يفعل من يفعل منهم بالإناث أنفة من العار ، وغيره من الأزواج . وأما قولك : : إن أفضل طعامهم لحوم الإبل ، على ما وصفت منها ، فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً له فعمدوا إلى أجلبها وأفضلها . فكانت مراكبههم وطعامهم ، مع أكثر البهائم شحوماً ، وأطيبها لحماً ، وأرقها ألباناً ، وأقلها غائلة ، وأحلاها مضمة ؛ وإنه لا شيء من

اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه ، . وأما تماربهم ، وأكل بعضهم بعضاً ، وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم ، إذا أنست من نفسها ضعفاً ، وتخوفت من نهوض عدوها لئليها بالزحف . وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد ، يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون إليهم أهولهم ، وينقادون لهم بأرمتهم ، وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين مع أنفتهم من الخراج .

وأما اليمن التي وصفها الملك ، فإنما أتى جد الملك الذي أتاه ، عند غلبة الجيش له على ملك متسق ، وأمر مجتمع . فأتاه مسلوباً طريداً مستحضراً قد تقاصر عن إيوانه ، وصغر في عينه ماشيد من بنائه . ولولا ما وتر به من يليه من العرب ، لمال إلى مجال ؛ ولتوجد من يجيد الطعان ويغضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار .

فمجب كسرى لما أجابه النعمان به ، وقال : « إنك لأهل لموضعك من الرياسة في أهل لإقليمك ؛ ولما هو أفضل ، ثم كساه من كسوته وسرحه إلى موضعه من الحيرة . فلما قدم النعمان الحيرة ، وفي نفسه ما فيها ، بما سمع من كسرى من تنقص العرب ، وتهجين أمرهم . بعث إلى أكتهم بن صيفي ، وحاجب بن زرارة التميميين ، وإلى الحرث بن عباد وقيس بن مسعود البكرين ، وإلى خالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمي ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي ، والحرث بن ظالم المرى . فلما قدموا عليه في الخورنق ، قال لهم :

« قد عرفتم هذه الأعاجم ، وقرب جوار العرب منها . وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غور ، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولاً كبعض طمطمته في تأنيهم الخراج إليه كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله . فقص عليهم مقالات كسرى وما رد

عليه . فقالوا : « أيها الملك ، وفقك الله ! ما أحسن ما رددت ! وأبلغ ما حججت به ! فمرنا بأمرك ، وادعنا بما شئت . قال : « إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكك وعزرت بمكانكم ، وما يتخوف من ناحيتكم . وليس شيء أحب إلى مما سدد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام عزكم ، والرأى أن تسيروا بجماعتكم - أيها الرهط - وتنطلقوا إلى كسرى . فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ، ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدته نفسه ، ولا ينطق رجل منكم بما يبغيه ، فإنه ملك عظيم السلطان كثير الأعوان ، مترف معجب بنفسه . ولا تنخذلوا له انخذال الخاضع الذليل . وليكن أمر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم ، وفضل منزلتكم وعظيم أخطاركم . وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكرم من صبنى لسنى حاله ، ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها ، وإنما دعاني إلى التقدم إليكم على بميل كل رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه ، فلا يكون منكم ذلك فيجد في آدابكم مطعناً ؛ فإنه ملك مترف ، وقادر متسلط ، . »

دعاهم بما في خزائنه من طرائف حلل الملوك ، لكل رجل منهم حلة وعممه عمامة ، وختمه بياقوتة . وأمر لكل رجل منهم بنجبية مهربية وفرس نجبية ، وكتب معهم كتاباً : « أما بعد ، فإن الملك ألقى إلى من العرب ما قد علم وأجبتة بما قد فهم ، بما أحببت أن يكون منه على علم ، ولا يتلجلج في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجرت دونه بمملكتهما ، وحمى ما يليها بفضل قوتها ، تبلغها في شيء من الأمور التي يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة . وقد أوفدت - أيها الملك - رهطاً من العرب لهم فضل من أحسابهم وأفسابهم ، وعقواهم وآدابهم ، فليسمع الملك وليغضض عن جفاء ، إن ظهر من منطقتهم وليكرمني يا كرامهم وتعجيل سراهم . وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائريهم ، فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا إليه كتاب النعمان . فقرأه وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم فلما أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر الرؤساء

ووجوه أهل مملكته ، فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله . ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه ، وأقام الترجمان يؤدي إليه كلامهم . ثم أذن لهم في الكلام . فتكلم كل رجل بما حضره ، وكسرى يسمع فيقبل ما يعجبه ويقوم ما يراه معوجا ، حتى انتهوا . فقال : « قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم ، وتفنن فيه متكلموكم . ولولا أني أعلم أن الأدب لم يشقف أودكم ، ولم يحكم أمركم ، وأنه ليس ملك يجمعكم فتنتظقون عنده منطلق الرعية الخاضعة الباخعة فنطقم بما استولى على ألسنتكم وغلب على طباعكم - لم أجز لكم كثيرا مما تكلمتم به : وإني لأكره أن أجبه وفودي ، أو أحقق صدورهم ، والذي أحب إصلاح مدبركم . وتألف شواذكم ، والاعذار إلى الله فيما بيني وبينكم . وقد قبلت ما كان في منطقتكم من صواب ، وصدفت عما كان فيه من خلل . فأنصرفوا إلى ملككم فأحسنوا مؤازرته ، والتزموا طاعته . واردعوا سفهاكم وأقيموا أودهم ، وأحسنوا أدبهم - فان في ذلك صلاح العامة ، .

### (هـ) إمارة غسان :

هاجرت قبائل من قضاة إلى مشارف الشام وسكنت بها لخصبها ، وكانت هذه البلاد تحت حكم الرومان فاصطنعهم الرومان لينعوا غارات العرب عن ملكهم وليكونوا عدة ضد الفرس واللخمين ، ثم تغلب على هذه البلاد بنو جفنة الغسانيون ورئيسهم جفنة بن عمرو فولته الروم ملكا على الشام ، وشمل حكمهم مقاطعتي حوران والبلقاء ، وعاصمة ملكهم هي جولان أو الجابية أو جلق بالقرب من دمشق .

وقد تأثرت هذه الامارة بالحضارة الرومانية ، ومن أشهر (١) ملوكها الحارث بن جبلة وقد عينه الامبراطور جوستينيان عام ٥٢٩ م أميرا على

---

(١) ومن ملوكها الحارث بن أبي شمر الغساني . راجع حديثه مع قيس بن

جميع قبائل العرب في الشام ومنحه لقب بطريق وكان الحارث نصرانيا على مذهب اليعاقبة وقد سافر إلى القسطنطينة عام ٥٦٣ م وهو الذي توسط لامرىء القيس في الذهاب إلى قيصر في القسطنطينة ليستعين به . وآخر ملوكهم هو جبلة بن الأبرم ، وقد اشتهر الغسانيون بالكرم ومدحهم الشعراء كحسان والأعشى والناطقة وعلقمة الفحل .

وقد حارب الغساسنة الفرس واللخميين وكانت لهم أيام انتصروا فيها على اللخميين .

### الحياة الدينية عند العرب :

الحياة الدينية عند العرب مختلفة الألوان والمظاهر والعقائد فمن وثنية إلى يهودية ونصرانية إلى حنيفية وتحنث : ويهمننا هنا أن نلم بكل هذه الألوان المختلفة من التدين عند العرب .

وكانت الوثنية هي الدين السائد في جزيرة العرب ، وهي عبادة الأصنام والأوثان .

والأصنام هي تماثيل الإنسان من المعادن أو الخشب ، والأوثان هي تماثيل الإنسان من الحجر

وكان بدء عبادة الأصنام عند العرب أنهم كانوا يعظمون الكعبة تعظيما شديدا فلما تكاثروا وضاعت بهم مكة وهاجروا منها كان لا يظن ظان إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما له وحبا لمكة فحيثما حل وضعه وطاف به كما كان يطوف بالكعبة . واستمروا على تعظيم هذه الحجارة حينما تأصل فيه حبهم لها وتعظيمهم إياها ثم استحال هذا التعظيم عادة فعبادة ، ثم عمّت هذه العبادة حتى وصلته إلى مكة مقر التوحيد .

وكان أول من غير دين إبراهيم وإسماعيل فوضع الأصنام في الكعبة عمرو بن لحي ، وكان حاجب البيت الحرام ، شاهد أهل البلقاء يعبدون

الأصنام فنصب صنما في الكعبة سماه « هبل » وجعل عبادته إليه ، ومن أشهر الأصنام عند العرب :

مناة : وكان منصوبا على ساحل البحر بين المدينة ومكة وكانت العرب تعظمه وتذبح حوله وكان الاوس والخزرج يعظمونه وقد ذكرت «مناة» في القرآن الكريم « ومناة الثالثة الأخرى » وكان من أسماء العرب « عبد مناة » و « زيد مناة » . قيل كان يعبد مناة خزاعة ، قيل : وهذيل أيضا ، وقيل أنها كانت لبني كعب . والصحيح أنها كانت للاوس والخزرج . وفي سنة ٥٨ هـ وهي عام الفتح بمث الرسول (ص) عليا رضى الله عنه فهدمها .

واللات وهي صخرة مربعة بنت عليها ثقيف بناء بالطائف وكانت ثقيف تعبدها ومن سديتها عتاب بن مالك ، ومن أسماء العرب : زيد اللات وتيم اللات . وورد ذكرها في القرآن الكريم : أفرايم اللات والعزى . ويقول عمر بن الجعيد :

فانى وتركى الكأس عمدا لكالذى تبرأ من لات وكان يدينها

وبقيت إلى أن أسلمت ثقيف فبعث رسول الله المغيرة بن شعبه فهدمها وحرقها بالنار ، وفي ذلك يقول شداد بن عارض ينهى ثقيفا عن العودة إلى عبادتها :

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر  
إن التي حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقابل لدى أحجارها هدر  
إن الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

ويقول أوس بن حجر :

وباللات والعزى ومن دان دينها وباللّه إن الله منهن أكبر

والعزى : وهي شجرة وكانت أعظم الأصنام فكانت قريش تخصصها بالزيارة والهدايا والنحر عندها . وكانت العزى بواد من نخلة بأرض الشام

يقال له حرض وقيل بالقرب مكة وسدنتها من بني مرة من سليم ، ومن أسماء العرب عبد العزى . وبعد ظهور الإسلام أرسل الرسول صلوات الله عليه خالد بن الوليد وذلك عام الفتح فقطعها .

وكان من العرب من يقولون إن الثلاث - اللات والعزى ومناة - بنات الله .

ومن أصنامهم : ود ، وسواع ، ويعوق ، ويعوث ، ويعوق ، ونسر . وكان ود لكعب ، ومسواع لهذيل : قال الشاعر :

تراهم حول قبيلتهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع

ويعوث لمذبح ، ويعوق لهمدان وقيل لمراد ، ونسر لمحير قبل أن يدينوا باليهودية . ومن أصنامهم : هبل ، وهو أعظم الأصنام التي كانت حول الكعبة وكانوا يستقسمون عنده بالأزلام ، وذو الخالص ، وهو الخشم وهو مروة بيضاء منقوش عليها مثل هيئة التاج وقد بنى له بيت بين مكة والمدينة على مسيرة سبعة ليال من مكة . وروى أن امرأ القيس استقسم عنده في الأخذ بثأر أبيه فنهى عن ذلك فرمى بالقدح في وجهه وقال :

لو كنت يا ذا الخالص الموتورا مثلي وكان شيخك المقبوراً

لم تنه قتله العداة زورا

وقيل إنه وجد حول الكعبة بمكة يوم الفتح ستون وثلاثمائة صنم حطمها الرسول (ص) بيده كلها . وكان لأهل كل بيت صنم في بيتهم يعظمونه . وكان لغير قریش بيوت عبادة كالكعبة وتسمى الطواغيت وكانوا يضعون فيها الأصنام ويطوفون بها ويهدون إليها الهدايا ويذبحون الذبايح ويستقسمون عندها بالقدح ولها سدنة وحجاب .

وهكذا كانت حياة العرب متأثرة بهذه الأصنام أيما تأثر (١) إلا أن

---

(١) ومن القرابين - الذبايح - التي كانوا يذبحونها عندها : البهيرة والسائبة والوصيلة والحام . وهي مذكورة في القرآن الكريم .

الشعر العربي الذي يصور هذه الناحية الدينية من نواحي حياة العرب العامة غير كثير ، وقد يكون ذلك لأن رواة الشعر الجاهلي بعد الإسلام قد أهملوا ما ظهرت فيه الوثنية تديناً وارضاء لله

ودخلت اليهودية إلى جزير العرب فانتشرت في يثرب وحولها في فذك وخيبر ، وفي اليمن ومن أول ملوكهم الذين تهودوا ، ذو نواس ، وقد تعصب لليهودية وحاول جعلها الديني الرسمي وأحرق نصارى نجران في الأخدود تعصباً يهوديته مما أثار الحبيشة النصرانية فغزت اليمن بلاد وملكتها وكان ذلك في أوائل القرن السادس الميلادي كما تقدم

وتهود كذلك بعض أناس من كندة وكفانة وأشهر شعراء العرب من اليهود السموأل بن عادياء .

ودخلت النصرانية إلى الجزيرة أيضاً حيث استقرت في ربيعة وغسان وبعض قضاة وطىء لتردهم على الروم وفي قبائل العباد ، بالحيرة وكان بنو تغلب من نصارى العرب أيضاً ، وأشهر مواطن النصرانية في اليمن « نجران » وكان أهلها على مذهب اليعاقبة كالحبيشة

وكانت اليهودية والنصرانية قليلتين بالنسبة إلى الدين السائد في الجزيرة وهو الوثنية . وكان القسوس والرهبان يردون العرب ويدعون إلى دينهم ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار ، وأشهر شعراء النصرانية قس بن (١) ساعدة وأميرة ابن أبي الصلت وعدي بن زيد .

ومن العرب من كان يعبد الكواكب ، فقد كان بين اليمنيين من عبد الشمس ، وعبدت كنانة القمر ، وعبد قوم من لخم وخزاعة وقريش نجم الشعري ، وروى أن قوماً من قريش اعتنقوا الزندقة أخذوها عن بعض أهل الحيرة الذين أخذوها عن الفرس ، والزندقة تسير على مذهب

---

(١) راجع حديثه مع قيصر (٢:٣٧ الأمل)

ماني وتقول بالهين : إله النور وهو أصل كل خير وإله الظلام وهو منبع كل شر .

ووجد من العرب من أنكروا هذه الأديان كلها وقالوا ما حكاها الله عز وجل عنهم « ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » .

وكانت قريش لها ولاية البيت وبعض مييزات دينية كعدم الوقوف بعرفة أو الإفاضة منها وسوى ذلك . وكان بعض قليل من العرب يعبدون الله على ما يتصورون من دين الحنيفية البيضاء دين ابراهيم واسماعيل .

وبعضهم أنكروا الأديان وغابت عنهم حقيقة الحنيفية فنفروا في البلدان يلتمسونها ويطلبون التوحيد ، ومن هؤلاء ورقة بن نوفل الأسدي وزيد بن عمرو بن نفيل العدوي وعثمان بن الحويرث بن خزيمه وعبيد الله ابن جحش الأسدي ، فأما ورقة فتنصر ، وأما زيد فاعتزل الأديان كلها وقال أعبد رب ابراهيم ، وأما عثمان بن الحويرث فقدم على ملك الروم وتنصر ، وأما عبيد الله فأقام على ما هو عليه من الشرك حتى جاء الإسلام فأسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة فلما قدمها تنصر فيها .

وكان في العرب كهان مشهورون ، لهم قصص كثيرة وكان العرب يأخذون رأيهم في المشكلات . . ومنهم : سطيح ، وطريفة ، وزبراء الكاهنة (١) ، وسواد بن قارب (٢) .

وكان منهم الطوارق بالحصى (٣) ، ومن الكهان ابنة الخنيس (٤) .

---

(١) راجع حديث زبراء مع بني رثام من قضاة في الامالي (١: ١٢٦) ،  
واقرا وفود عبد المسيح على سطيح في المعقد الفريد (١: ١٧٨ ط ١٩٢٨)

(٢) ٢: ٢٨٩ الامالي

(٣) راجع الامالي (١: ١٤٢)

(٤) راجع حديثها مع أبيها في (ذيل الامالي ص ١٠٧)

## معارف العرب في الجاهلية

١ - كان التبابعة في اليمن ، والمناذرة والقساسنة في الحيرة والشام على حظ من المعرفة والثقافة يدلنا على ذلك ما وصلوا إليه من بناء السدود وحفر المجارى المائية وتخطيط المدن وتنظيم الجيوش وهندسة الأمواه ، ولا شك أنهم تأثروا بالفرس والروم وسواهم من الأمم المتحضرة وأخذوا عنهم الطب والحساب والزراعة .

ب - أما سواد العرب فأميون بدو لاعهد لهم بعلم أو ثقافة ولا بتعليم أو تدريس ، وإنما كانت لهم معارف وصناعات أفادوها بتجارهم أو باتصالهم بالأمم الأخرى عن طريق التجارة أو الأمارات القائمة على الحدود أو البعوث الديبية ، ومن أشهر معارفهم :

### ١ - النجوم والمطر والرياح :

ففي اللغة العربية أسماء متعددة للنجوم ، وللرياح على اختلاف أنواعها ، وللمطر . وتشابه أسماء البروج والكواكب في العربية والسكندانية كثير .

وبعض هذا وصلهم عن السكندانيين أهل بابل القديمة ، وبعضه اهدوا إليه بفطرتهم لحاجتهم إلى معرفة الوقت والعلم بزمان الخصب والمحل وأوقات الرياح والمطر سواء كانوا في البر أو البحر ، وساعدهم على ذلك صفاء جو الصحراء وحدة فطنتهم ، وحاجتهم إلى المطر والسحاب .

ويتصل بهذا ما كان عليه بعض عرب السواحل كأهل اليمن والبحرين من معرفة بالملاحة البحرية وسير المراكب في البحار ، وفي اللغة العربية ألفاظ كثيرة لذلك ، ويقول طرفة :

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوءَ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدْرِ  
عَدُوِّ لَيْتَةٍ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنْ يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي  
يَشْتُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْزُومًا بِهَا كَمَا قَسَمَ التَّرْبَ الْمُتَفَائِلُ بِالْيَدِ

٢ - الطب

وقد وصلهم بعض معلومات عنه من الفرس والروم واليونان وكان  
الحارث بن كلدة طبيب العرب في الجاهلية م ١٣ هـ قد تعلم في بلاد الفرس  
وكان من ثقيف وعاش حتى جاء الإسلام وكان الرسول صلى الله عليه وسلم  
يشير على المرضى أن يذهبوا إليه ، ويضرب المثل بابن حذيم الطبيب قال  
الشاعر أوس بن حجر :

فهل لكمو فيها إلى ، فاني طبيب بما أعيانا النطاسمي حذيمًا (١)  
وتروى عنه الحكمة المشهورة « البطنة بيت الداء والحمية رأس الدواء ،  
وهو من تيم وكان يقال « أظبُّ من ابن حذيم » .

كما استمدوا بعضه من تجاربهم العامة . وكان للكي بالنار حظ كبير في  
علاجهم . وكانوا يعالجون إبلهم وخيلهم بالكي وبالقطران إلى غير ذلك  
من العلاج .

وفي اللغة العربية أسماء لكثير من الأمراض ولكثير من الأدوية النباتية  
وسواها ، ولكثير من أوصاف الإبل والخيل .

ويضرب بطب الحارث بن كلدة المثل ، وقد وفد الحارث (٢) بن كلدة

---

(١) الضمير يعود للمعزى أي فهل لكم ميل في رد المعزى إلى وهي معرء على  
إغتهاها نضيقوه . النطاسمي : العالم

(٢) كان الحارث من الطائف طبيب العرب في عصره ، وقد سافر إلى فارس  
وتعلم الطب ، وعرف الداء والدرء ، وكان يضرب بالعود ، تعلم ذلك بفارس  
والين ، وبقى أيام رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية توفي نحو  
سنة ٥٠ هـ راجع ٣٢٨ : ٣ بلوغ الأدب ، ٣٤١ : ٤ العقد القريد

الثقفي على كسرى أنوشروان ، فأذن له بالدخول عليه ، فلما وقف بين يديه ، قال له : من أنت ؟ قال : أنا الحرث بن كلدة الثقفي . قال : فما صناعتك ؟ قال : الطب ، قال : أعرابي أنت ؟ قال : نعم من صميمها ، وبمجموعة (١) دارها ، قال : فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها ، وسوء أغذيتها ؟ قال : أيها الملك ؛ إذا كانت هذه صفتها كانت أحوج إلى من يصلح جهلها ، ويقم عوجها ، ويسوس أبدانها ، ويعدل أمشاجها (٢) ؛ فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه !

قال كسرى : فكيف تعرف ما تورده عليها ؟ ولو عرفت الحلم لم تنسب إلى الجهل !

فقال : أيها الملك ، العقل من قسم الله تعالى ، قسمه بين عباده كقسمة الرزق فيهم ، فنكل من قسمته أصاب ، فمنهم مثر ومعدم ، وجاهل وعالم ، وعاجز وحازم ، وذلك تقدير العزيز العليم ! فأعجب كسرى من كلامه .

ثم قال : فما الذي تحمد من أخلاقها ، ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ قال الحرث : أيها الملك ؛ لها أنفس سخية ، وقلوب جرية ، ولغة فصيحة ، وألسن بليغة ، وأنساب صحيحة ، وأحساب شريفة ، يمرق (٣) من أفواههم الكلام مروق السهم من نبعة الرام (٤) ، أعذب من هواء الربيع ، وألين من سلسبيل المعين (٥) ؛ مطعمو الطعام في الجذب ، وضاربو الهام في الحرب ، لا يرام عزمهم ، ولا يضام جارهم ، ولا يستباح حريمهم ، ولا يذل كريمهم ، ولا يقرون بفضل للأنام ، إلا للملك الهام ، الذي لا يقاس به أحد ، ولا يوازيه سوقة (٦) ولا ملك !

(١) بمجموعة : صميم

(٢) يمرق : يخرج . (٣) الرام شجر

(٤) السلسبيل : اللبن الذي لا خشونة فيه ، والمعين : الماء الجاري

(٥) السوقة : خلاف الملك .

فاستوى كسرى جالساً ، وسر لما سمع من محكم كلامه ؛ وقال جلسائه :  
إني وجدته راجحاً ، ولقومه مادحاً ، وبفضيلتهم ناطقاً ، وبما يورده من لفظه  
صادقاً ؛ وكذا العاقل من أحكامه التجارب اشم أمره بالجلوس فجلس ، فقال له :  
كيف بصرك بالطب ؟ قال : ناھيك ا

قال : فما أصل الطب ؟ قال : ضبط الشفتين ، والرفق باليدين ، قال :  
أصبت ا فما الداء الدوى ؟ قال : إدخال الطعام على الطعام ، هو الذى يفنى  
اليرية ، ويملك السباع فى جوف البرية . قال : فما البجرة التى تلهب منها  
الأدواء ؟ قال : هى التخمة ، إن بقيت فى الجوف قتلت ، وإن تحللت أسهمت  
قال : صدقت .

فما تقول فى الحجامة ؟ قال : فى نقصان الهلال ، فى يوم صحو لاغيم فيه ،  
والنفس طيبة ، والعروق ساكنه ، والسرور يفاجئك ، وهم يباعدك ، قال : فما  
تقول فى دخول الحمام ؟ قال : لا تدخله شبعان ، ولا تقم بالليل عريان ، ولا تقعد  
على الطعام غضبان ، وارفق بنفسك ، يكن أرخى لبالك ، وقلل من طعامك ،  
يكن أهناً لنومك .

قال : فما تقول فى الدواء ؟ قال : ما لزمك الصحة فاجتنبه ، فإن هاج داء  
فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه ؛ فإن البدن بمنزلة الأرض ؛ إن أصلحتها  
عمرت ، وإن تركتها خربت .

قال : فما تقول فى الشراب ؟ قال : أطيبه أهناه ، وأرقه أمراه ، وأعذبه  
أشهاه ، لا تشربه صرفاً فيورثك صداعاً ، ويشير عليك من الأدوية أتواعاً .

قال : فأى اللحم أفضل ؟ قال : الضأن الفتى ؛ والقديد المالح مملك الأكل  
واجتلب لحم الجزور والبقر .

قال : فما تقول فى الفواكه ؟ قال : كلها فى إقبالها وحين أوانها ، واتركها إذا  
أدبرت وولت وانقضى زمانها ؛ وأفضل الفواكه الرمان والأنرج ، وأفضل

الرياحين الورد والبنفسج : وأفضل البقول الهندباء (١) والخس .

قال : فما تقول في شرب الماء ؟ قال : هو حياة البدن ، وبه قوامه ،  
ينفع ما شرب منه بقدر الحاجة ، وشربه بعد النوم ضرر ، أفضله أمراه ،  
وأرقه أصفاه .

قال : فما طعمه ؟ قال : شيء لا يوصف ، قال فما لونه ؟ قال : اشتبه على  
الابصار لونه ، لانه يحكى لون كل شيء يكون فيه .

قال : فما النور الذى فى العينين ؟ قال : مركب من ثلاثة أشياء : فالبياض  
شحم ، والسواد ماء ، والناظر ريح .

قال : فعلى كم جبل وطبع البدن ؟ قال : على أربعة طباع : المرة السوداء  
وهى باردة يابسة ، والمرة الصفراء وهى حارة يابسة ، والدم وهو حار رطب ،  
والبلغم وهو بارد رطب ؛ قال : فلم لم يكن من طبع واحد ؟ قال : لو خلق من  
طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ؛ ولم يمرض ولم يهلك ؛ قال : فمن طبيعتين ؟ لو كان  
اقتصر عليهما ؛ قال : لم يجوز لانهما ضدان يقتتلان ؛ قال : فمن ثلاث ؟ قال :  
لم يصلح موافقان ومخالف ؛ فالأربع هو الاعتدال .

قال فأجمل لى الحار والبارد فى أحرف جامعة ؟ قال : كل حلوحار ، وكل  
حامض بارد ، وكل حريف حار ، وكل مر معتدل ، وفى المر حار وبارد ، قال  
فأفضل ما عولج به المرة الصفراء ؟ قال : كل بارد ابن ، قال : فالمرة السوداء ؟ قال  
كل حار لين ، قال فالبلغم ؟ قال : كل حار يابس ، قال فالدم ؟ قال : لإخراجه  
لإذازاد ، وتطمينه إذا سخن بالأشياء الباردة اليابسة ، قال فالرياح ؟ قال بالحقن  
اللينة ، والأدهان الحارة اللينة ، قال أفنامر بالحقنة ؟ قال : نعم قرأت فى بعض  
كتب الحكماء أن الحقنة تنقى الجوف ، وتكسح الأدوية عنه ، والعجب لمن

احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد ! وإن الجاهل من أكل ما قد عرف مضرته ؛  
ويؤثر شهوته على راحة بدنه .

قال : فما الحمية ؟ قال : الاقتصاد في كل شيء ، فإن الأكل فوق المقدار  
يضع على الروح ساحتها ، ويسد مسامها .

قال : فما تقول في النساء (١) .. وأيهن القلب اليها أميل ، والعين  
برؤيتها أسر ؟

قال : إذا أصبتها مديدة القامة ، عظيمة الهامة (٢) ، واسعة الجبين ،  
قنواء المرنين (٣) ، كحلاء (٤) لعساء (٥) ، صافية الخد ، عريضة الصدر ،  
مليحة النحر (٦) ، في خدها رقة وفي شفثها لس ، مقرونة الحاجبين ، ناهدة  
الثديين ، لطيفة الخصر (٧) والقدمين ، بيضاء ، فرعاء (٨) جمدة (٩) ، غضة  
بضة (١٠) ، تحالها في الظلمة بدرأ زاهراً . تبسم عن أفحوان (١١) ، وعن  
مبسم كالأرجوان (١٢) ، كأنها بيضة مكنونة ، ألين من الزبد ، وأحلى من  
الشهد ، وأنزه من الفردوس والخلد ، وأزكى رجماً من الياسمين والورد ،  
تفرح بقرها ، وتسرك الخلوة معها .

فاستضحك كسرى حتى اختاجت كتفاه ! وقال : لله درك من أعرابي ، لقد  
أعطيت علماً ، وخصصت فطنة وفهماً ! وأحسن صلته وأمر بتدوين مناطق به .

---

(١) عبارات نابية في الأصل حذف هنا (٢) الهامة : الرأس  
(٣) قنواء : بينة القنار وهو ارتفاع أعلى الأنف واحدياب وسطه وسبوغ  
طرفه ، والمرنين : الأنف كله أو ما صلب منه .

(٤) الكحلاء : التي كأنها مكحولت ولم تكحل (٥) لعساء : في شفثها سواد

(٦) النحر . أعلى الصدر (٧) الخصر : وسط الإنسان

(٨) الفرعاء : التامة الشعر (٩) جمدة : غير سبطة الشعر

(١٠) بضة ناعمة (١١) الأفحوان : نبت من نبات الربيع ، له نور

أبيض ، كأنه نقر جارية حديثة السن (١٢) الأرجوان : صبيغ أحمر ،

٣ - الأنساب والأخبار (١) :

أما الأخبار فمصدرها عندهم قصص التوراة والإنجيل وأساطير الفرس  
والروم والأخبار المتوارثة عن آبائهم وأجدادهم وعن الأمم الأخرى  
المجاورة لهم .

وأما الأنساب فكانوا على جانب كبير من التبوغ فيها لأنهم كانوا شديدي  
العناية بحفظ أنسابهم لاعتزازهم بعنصرهم ودمهم .

وكان في كل قبيلة نسابون يعرفون الكثير من أنساب العرب وقبائلهم  
وبطونهم ومفاخرهم وتاريخهم وأيامهم ووقائعهم .

ومن أشهر النسابين : « دغفل » السدوسي وقد ضرب به المثل وأدرك  
زمن الرسول وعاش إلى زمن معاوية ، ومن أشهرهم أيضاً : ابن لسان الحمرة  
من بني تميم اللات ابن ثعلبة ، ومن أشهرهم أيضاً « زيد ابن الكيس النمرى »  
وسيدنا أبو بكر الصديق .

ويقول الجاحظ في البيان والتبيين :

ومن رؤساء النسابين : دغفل بن حنظلة وزيد بن الكيس النمرى (٢) .

ويذكر أسماء بعض النسابين (٣) ، وفي مختصر العقد ذكر لأخبار عن

أبي بكر الصديق ودغفل في هذا الباب (٤) .

---

(١) أشهر النسابين :

١ - دغفل ، وابن الأشقر ( الرافعي - الفهرست - أديان العرب ٢٢٦ ج ١

و ٩٦ ج ٣ البيان والتبيين - الميداني )

ب - ابن لسان الحمرة وهو من علماء زمانه من بني تميم ومن أنساب العرب كان  
في الكوفة أيام المغيرة بن شعبه ( ١٣٨ ج ١٤ الأغاني )

(٢) ٢١٠ ج ١ البيان والتبيين

(٣) ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ ج ١ البيان

(٤) ٢٠١ - ٢٠٤ مختصر العقد

٤ - الفراسة والقيافة :

والعراسة هي الاستدلال بالأمور الظاهرة على الخفية كالأستدلال بشكل المرء ولونه وقوله على خلقه ، وللعقل فيها نصيب كبير .

والقيافة قسمان : قيافة الأثر وهي الاهتداء إلى الهارب بآثار أقدامه ، وقيافة البشر وهي الاستدلال بهيئة الرجل وشكل أعضائه على نسبه .

اشتهر بنو لُحَب بالقيافة وكذلك بنو مُدَج ، كما اشتهروا أيضاً بالزجر وهو الاستدلال بصوت الحيوان وحركته على الحوادث ، وكانوا يتفامون بالطير الذي يمر من ميامن الإنسان ويتشاءمون بالطير الذي يمر من ميامره ويسمون الأول سائحاً والثاني بارحاً ، ويقول النابغة :

زعم العواذلُ أن رحلتنا غداً      وبذاك خبيرنا الغرابُ الأسودُ

وفى بنى لُحَب يقول الشاعر :

خبيرُ بنو لُحَبِ فلاتك مُسلفياً      مقالةً لُحَيِّ إِذَا الطيرُ مَرَّتِ

٥ - الكهانة والعرافة :

وهما الأخبار عن الأمور المغيبة ماضية كانت أو مستقبلية . وقيل الكهانة الإخبار عن الماضي والمستقبل والعرافة خاصة بالماضي . وكان في العرب كهان ولهم فيهم اعتقاد . ومن أشهرهم (١) : سطيح الذنبي . وطريفة الخير ، ومن أشهر العرافين الأبلق الأسدي عراف نجد ، ورباح بن عجلة عراف اليمامة ويقول عروة بن حزام :

جعلتُ لعَرَافِ اليمامة حِكْمَهُ      وعَرَافِ نِجْدِ إِنْ هُمَا شَفِيانِي

وكان العرب يفرعون إلى كهانهم في كل ما يطرأ عليهم من أمر أو

(١) راجع ص ٤٩ من هذا الكتاب . هذا والكهانة بالفتح والكسر، والعرافة بالكسر في الحرف الاول

يستعصى عليهم من مشكلات وأزمات وشدائد .

ومن السكمان المشهورين : طريفة (١) ، وبروى أنه كانت العمارة في أرض سبأ أزيد من مسيرة شهرين المراكب المجد ، وكان أهلها يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة أربعة أشهر ؛ ثم مزقوا كل ممزق .

وكان أول من خرج من اليمن في أول الأمر عمرو بن عامر مزقياء (٢) وكان سبب خروجه أنه كانت له زوجة كاهنة ، يقال لها طريفة الخير ، وكانت رأت في منامها : أن سحابة غشيت أرضهم ، فأرعدت وأبرقت ، ثم صعدت (٣) فأحرقت كل ما وقعت عليه ، ففرعت طريفة لذلك فرعا شديداً وأنت الملك عمراً ، وهي تقول : ما رأيت كاليوم ، أزال غنى النوم ، رأيت غيما أرعد وأبرق ، وزجر وأصعق ، فما وقع على شيء إلا أحرق . فلما رأى ما داخلها من الفرع سكنها .

ثم إن عمراً دخل حديقة له ، ومعه جاريتان من جواريه ، فيبلغ ذلك طريفة ، فخرجت إليه ، وخرج معها وصيف (٤) لها اسمه سنان ؛ فلما برزت من بيتها عرض لها ثلاث مناجد (٥) ملتصبات على أرجلهن ، واضعات أيديهن على أعينهن ، فقعدت إلى الأرض واضعة يديها على عينيها ، وقالت لوصيفها : إذا ذهب هذه المناجد فأخبرني . فلما ذهبت أخبرها ، فانطلقت مسرعة ، فلما عارضها الخليج الذي في حديقة عمرو وثبت من الماء سالحفاة ،

---

(١) شرح مقامات الحريري ص ٢٦٥ ج ١ ، بلوغ الأرب ص ٢٨٣ ج ٣ ،  
مجمع الأمثال ص ٢٥٢ ج ١ ، المسعودي ص ٣٤٤ ج ١ ، معجم البلدان (مأرب)  
(٢) ملك اليمن ، ومزقياء : لقبه ، فقد كان يلبس كل يوم حلتين ويمزقهما  
بالعشى ، يكره العود فيهما ، ويأنف أن يلبسهما غيره (٣) أصابت بصاعقة :  
وهي نار تسقط من السماء مع الرعد الشديد (٤) الوصيف : الخادم ، غلاما كان  
أوجارية (٥) هي دواب تشبه اليرابيع ، واليربوع : دويبة نحو الفأرة ، لكن  
ذنبه وأذنيه أطول منها ، ورجليه أطول من يديه .

فوقعت في الطريق على ظهرها ، وجمعت تروم الانقلاب فلا تستطيع ، وتستعين بذنبها فتحشو التراب على بطنها من جنباتها ، وتقذف بالبول قذفا .

فلما رأته طريفة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة إلى الماء مضت طريفة إلى أن دخلت على عمرو ، وذلك حين انتصف النهار في ساعة شديد حرها فإذا الشجر يتكفأ (١) من غير ريح ، فلما رآها استهيا منها ، وأمر الجاريتين بالانصراف إلى ناحية ؛ ثم قال لها : هلمى يا طريفة ، فكمننت (٢) له ، وقالت : والنور والظلماء ، والأرض والهواء ، إن الشجر لهالك ، وليعودن الماء كما كان في الزمن السالك .

قال عمرو : من أخبرك بهذا ؟ قالت : أخبرني المناجد ، بسنين شدائد ، يقطع فيها الولد الوالد . قال : ماتقولين ؟ قالت : أقول قول الندمان لهما ؛ لقد رأيت ساحنا (٣) ، تجرف التراب جرفا ، وتقذف بالبول قذفا ؛ فدخلت الحديقة ؛ فإذا الشجر من غير ريح يتكفأ !

قال : ماترين في ذلك ؟ قالت : هي داهية دهياء (٤) من أمور جسيمة ، ومصائب عظيمة ! قال : وما هو ؟ ويك ! قالت : أجل ! إن فيه الويل ! وما لك فيه من قيل (٥) ، وإن الويل فيها يحى به السيل !

فألقي عمرو نفسه عن فراشه ، وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : خطب جميل وحزن طويل ، وخلف (٦) قليل ! قال : وما علامة ماتذكرين ؟ قالت : اذهب إلى السد ، فإذا رأيت جرذاً (٧) ؛ يكثر بيديه في السد

---

(١) يعيل (٢) كهن له : قضى له بالغيب (٣) السلحفاة (٤) داهية دهياء : شديدة (٥) قال قتيلا : نام في القائلة ، وهي نصف النهار ، والمراد الإقامة والملك .

(٦) الخلف : ما استخلفته من شيء .

(٧) ضرب من الفهران

الحفر ، ويقلب برجليه من أجل الصخر ، فاعلم أن غمر الغمر (١) . وأن قد وقع الأمر .

قال : وما الذى تذكرين أنه يقع ؟ قالت : وعد من الله تعالى نزا وباطل بطل ، ونكال بنا نكل ، فبغيرك ياعمرؤ يكون الشكل (٢) ١

فانطلق عمرو فإذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقبلها خمسون رجلا ، فرجع إلى طريفة فأخبرها الخبر ، وهو يقول :

أبصرت أمراً عاذني منه ألم وهاج لي من هوله برح (٣) السقم  
من جرذ كفحل خنزير الأجم (٤) أو كبش صرم (٥) من أفاريق (٦) الغم  
يسحب صخراً من جلاميد العرم له مخالب وأنياب قضم (٧)  
ما فاته سحلا (٨) من الصخر قضم (٩)

فقالت طريفة : وإن علامة ذلك الذى ذكرته لك أن تجلس فتأمر بزجاجة فتوضع بين يديك فإن الريح تملؤها من تراب البطحاء من سهلة (١٠) الوادى ورملة ، وقد علمت أن الجنان مظلمة لا يدخلها شمس ولا ريح .

فأمر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه ، ولم تمكث إلا قليلا ، حتى امتلأت من التراب ، فأخبرها بذلك ، وقال لها : متى يكون ذلك الخراب الذى يحدث فى السد؟ قالت : فيما بينى وبينك سبع سنين ! قال : ففى أيها يكون ؟ قالت : لا يعلم بذلك إلا الله تعالى ، ولو علمه أحد لعلمته ، وإنه

---

(١) الغمر : الماء الكثير

(٢) الشكل : كسبب وقفل : الموت والهلاك (٣) البرح : الشدة

(٤) الأجم : جمع أجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف (٥) الصرم : الجماعة

(٦) الأفاريق : الفرق تجمع على فرق وجمعت فى الشعر على أفارق وجمع الجمع

أفراق وجمعه أفاريق (٧) قضم قضمًا : أكل بأطراف أسنانه (٨) سحله :

قشره ونحته (٩) قضم : كسر (١٠) السهلة : تراب كالرمل يجىء به الماء .

لأنأتى على ليلة فيما بينى وبين سبع السنين إلا ظننت هلاكة فى غدها  
أو فى مساءها !

ثم رأى عمرو فى منامه سبل العرم (١) ، وقيل له : إن آية ذلك أن ترى  
الحصباء قد ظهرت فى سعف النخل ؛ فنظر إليها فوجد الحصباء قد ظهرت فيها ،  
فعلم أنه واقع . وأن بلادهم ستخرب .

فكنتم ذلك ، وأجمع على بيع كل شىء له بأرض مأرب وأن يخرج منها  
هو وولده ؛ ثم خشى أن تنكر الناس عليه ذلك ، فأمر أحد أولاده إذادعاه  
لما يدعوه إليه أن يتأبى عليه (٢) ، وأن يفعل ذلك به فى الملامن الناس ؛ وإذا لطمه  
يرفع هو يده ، ويلطمه .

ثم صنع عمرو طعاماً ، وبعث إلى أهل مأرب : إن عمراً قد صنع طعاماً  
يوم مجد وذكر ، فاحضروا طعامه !

فلما جلس الناس للطعام جلس عنده ابنه الذى أمره بما قد أمره ، فجعل  
يأمره فيتأبى عليه ؛ فرفع عمرو يده فلطمه ، فلطمه ابنه فصاح عمرو : واذلاه يوم  
نخر عمر ويهيجه صبى ويضرب وجهه ! وحلف ليقتلنه ، فلم يزالوا به حتى  
تركة ، وقال : والله لأقيم بموضع صنع هذا بي فيه ! ولأيعن أموالى ، حتى  
لا يرث بعدى منها شيئاً ! .

فقال الناس بعضهم لبعض : اغتتموا غصبة عمرو ، واشتروا منه أمواله  
قبل أن يرضى ؛ فابتاع الناس منه كل ماله بأرض مأرب ، وفضا بعض حديثه  
فما بلغه من شأن سبل العرم ، فقام ناس من الأزد فباعوا أموالهم ؛ فلما  
أكثروا البيع استنكر الناس ذلك فأمسكوا عن الشراء ! فلما اجتمعت إلى عمرو  
أمواله أخبر الناس بشأن السبل وخرج نخرج لخروجه منها بشر كثير .

---

(١) العرم : السبل الذى لا يطاق ، وقيل هو المطر الشديد ، وقيل هو اسم واد  
(٢) تأبى عليه : امتنع .

٦ - ومن معارفهم الخط والكتابة وسنتحدث عنهما بتفصيل .  
وكان الشعر ديوانهم ومظهر معرفتهم وأهم ثقافة لهم .

٧ -- وفوق ذلك فقد كان العرب يعرفون بعض الصناعات كالغزل وصناعة الرماح وكانت تصنع في الخط بالبحرين . أما السيوف فكانوا يجلبونها من العراق والابلة وكانوا يسمون الابلة الهند ولذلك يقولون سيوف هندية ، إلى غير ذلك من صناعاتهم الصغيرة . واشتهرت اليمن والحيرة ومشارف الشام بألوان كثيرة من الصناعات .

## الخط العربي (١) في الجاهلية

١ - كان العرب أميين لا يقرؤون ولا يكتبون ، كان ذلك هو الغالب عليهم والذائع فيهم والمشهور عنهم . ذلك أن الكتابة أثمرت آثار الحضارة والعرب كانوا لا يزالون يعيشون على الفطرة والبداءة كما كانوا من قديم الأزمان والعصور .

٢ - وأول الخطوط المعروفة وأقدمها هو الخط المهرى ، القديم ، وهو مبدأ سلسلة الخط العربي . وقد استمد الفيثيقون منه د خطهم الفيثيق ، والفيثيقيون هم سكان ساحل الشام ، وكانوا يترددون على مصر للتجارة وغيرها كما خضعوا لحكم الفراعنة قديماً ، وعن الخط الفيثيقي أخذت أمم كثيرة أصول خطوطها كالآرايين ( سكان فلسطين والشام والعراق ) والحميريين ( سكان اليمن ) .

---

(١) راجع ١٩٦ وما بعدها من تاريخ اللغات السامية ط القاهرة ١٩٢٩ - ص ٥٨ وما بعدها ج ١ من تاريخ آداب اللغة العربية لمحمد بك دياب - وكتاب الخط الخط لعرفان بك - ٤٣٠ ج ٢ صبح الأعشى وج ٣ ص ٥ من صبح الاعشى أيضاً - و ٢١٤ - ٢٢٢ ج ٢ المزهرة للسيوطي طبع صبيح

فسكان اليمن من معينيين ثم سبئيين ثم حميريين قد أخذوا خطهم عن الفيليقين وأدخلوا عليه شيئاً من التنقيح والنحوير فسمى بالخط المسند أو الحميري .

وهذا محل اتفاق بين المؤرخين من العرب والمستشرقين وبعد ذلك يختلف الفريقان اختلافاً كثيراً :

### ١ - فوزخو العرب :

يرون أن النبط (١) أخذوا خطهم من الخط الحميري (المسند) مستدلين على ذلك بالآثار التي عثر عليها في بلادهم وعليها خطوط حميرية ، ويشرح ذلك أن النبط كانوا متصلين باليمن تجارياً وكانت اليمن على جانب كبير من الحضارة .

وعن النبط وعن كندة التي ترجع إلى أصل حميري أخذ أهل الحيرة والآبار خطهم المعروف بالخط الحيري وعنه أخذ الحجازيون خطهم وهو الخط العربي وعن الخط الحجازي أو العربي أخذ الخط الكوفي مع شيء من التحسين .

فسلسلة الخطوط المعروفة على هذا الرأي هكذا :

الخط المصري - الفنيقي - الآرامي والحميري - النبطي وهو مأخوذ من الخط الحميري - الحيري - الحجازي فالكوفي . وعلى هذا الرأي يسير

---

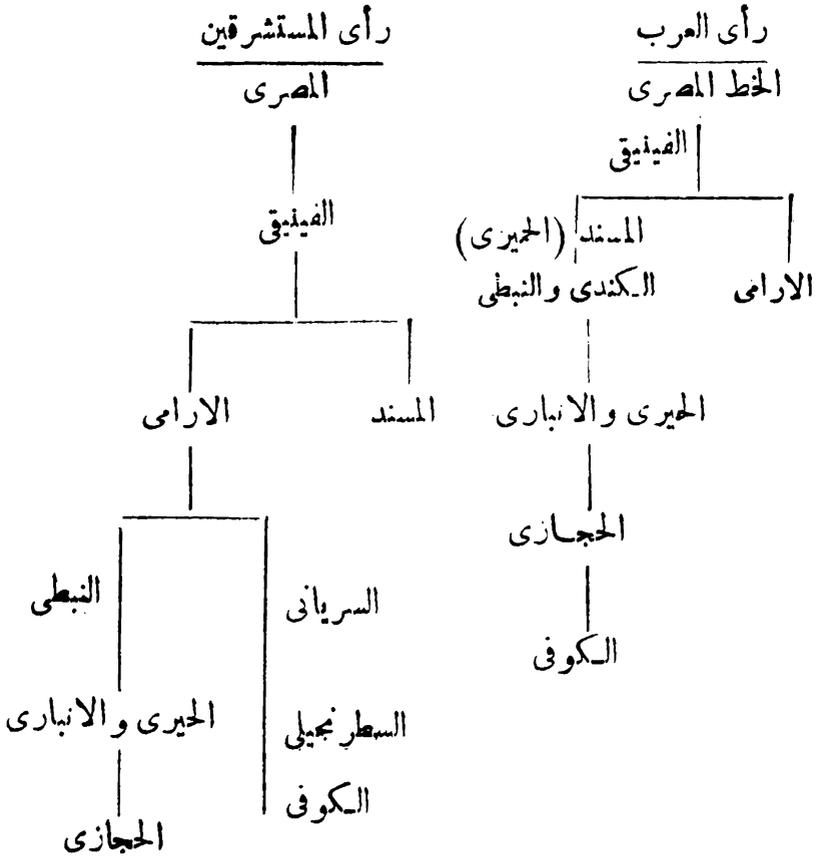
(١) عنصر سامي ظهر في شبه جزيرة طور سينا وامتد إلى صحراء سوريا حتى شملت دولتهم دمشق وتوغلوا في بلاد الحجاز نحو عام ٨٠ ق م ثم استولى الرومان على بلادهم عام ١٠٦ ب م (راجع ١٣٤ تاريخ اللغات السامية ط ١٩٢٩) ويرى المستشرقون أن النبط ليسوا آرمين خالصين وهناك ميل عند طائفة من المستشرقين إلى أن النبط من سلالة العرب وكانوا يستعملون الكتابة الآرامية في النقوش وسائر الشؤون العمرانية

الأستاذ محمد هاشم عطية في كتابه تاريخ الأدب الجاهل (١)

ب - والمستشرقون :

يرون أن النبط أخذوا خطهم من الخط الآرامي لقرب بلادهم بعضها من بعض ، والخط الكوفي في رأيهم متولد من نوع من الخط السرياني يسمى السطر نجيلي قبل الإسلام . وسلسلة الخطوط على هذا الرأي هكذا :

المصرى -- الفينيقي -- المسند والآرامي - النبطي وهو مأخوذ من الآرامي - الحيرى - الحجازى وعلى هذا يرى يسير الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربى (٢) .



(١) مقتبساً ذلك عن تاريخ الأدب احفنى ناصف (٤٢ ط ١٩٣٦ محمد هاشم)

(٢) ص ٧٦ ط ١٩٣٥

٣ - وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر رجلاً (١) وفي غزوة بدر جعل الرسول فداء الأسير تعلم عشرة من صبيان المدينة وشجع الرسول ﷺ الكتاب واتخذ كتابه ، وكان زيد بن ثابت يعرف الفارسية والحبشية والقبطية والرومية (٢) . وكان عدد كتابه ثلاثة وأربعين كتاباً وكان العرب يكتبون في الرق والعظام والاحجار حتى انتشر بينهم الورق عام (٣) ١٢٠ هـ والظاهر أن انتقال الخط الحيرى إلى الحجاز كان على يد التجار من الحيرة .

ويروى أن الذى نقل الخط الحيرى إلى الحجاز هو حرب بن أمية وأنه كان قد صادق فى رحلاته التجارية بشر بن عبد الملك أخا أكيدر صاحب دومة الجندل واستصحبه إلى مكة وزوجه بنته الصهباء فأقام بشر بمكة مدة علم فيها نفراً من أهلها الكتابة منهم حرب وقيل إن الذى علمه هو عبد الله بن جدعان وقيل غير ذلك . ويقول بعض الشعراء : من دومة الجندل من كندة يمن على قریش بذلك :

ولا تجحدوا نعماءة بشر ، عليكم  
أناكم بخط الجزم (٤) حتى حفظتم  
فقد كان ميمون النخبية أزهرأ  
من المال ماقد كان شتى مبعثراً

---

(١) ص ٤ : ٣ العقد

(٢) (راجع ص ٦ ج ٣ العقد الفريد ط ١٩٣٥) . وفى العقد يروى أن ثلاث نفر من طيء اجتمعوا ببقعة وهم : مرامر بن مرة . واسلم بن سدره . وعامر بن جدرة ، فوضعوا الخط وقاضوا هجاء العربية على هجاء السريانية فنقله قوم من الانبار ( ٢ ج ٣ العقد ) وذلك رأى جد خطير

(٣) أسس أمير سمرقند العربى مصنعا للورق فى سمرقند اشرف عليه بعض الاسرى الصينيين وذلك سنة ٧٥١ م . وفى سنة ٧٩٣ م استقدم الرشيد بعض صناع سمرقند إلى بغداد فأسسوا مصنعا آخر للورق . وانتقلت الصناعة إلى دمشق التى صارت تورد إلى العالم العربى الورق

(٤) سعى بالجزم لانه مقتطع من الخط الحيرى

فأجرينم الأفلام عوداً وبدأة وضاهيتمو كتاب كسرى وقيصر  
وخط الجزم هو الخط الذي تفرع من الخط المسند الحميري (١)  
أو قل هو الخط الحميري ؛ وبشر هو بشر بن عبد الملك الذي ذكرنا قصته  
فيما سبق آنفا .

---

(١) سمي بالجزم لأنه مقتطع من الخط الحميري

## أيام العرب<sup>(١)</sup> وأثرها في الأدب

- ١ -

١ - كانت العرب تعيش قبائل وشعوبا متنافرة متخاصمة ، تمتاز كل قبيلة بشرفها وكرامتها وعصبيتها . ونحاول أن نقيم على مواقع الغيث ومنابت السكلاء ولو اغتصبته بالرمح والسيوف من قبيلة أخرى ، وكانوا يقدمون الحرية ويعيشون في ظلال الفوضى . وكما يقول حافظ :

ولذيذ الحياة ما كان فوضى ليس فيه مسيطر أو أمير

وأسباب الحرب عند العرب كثيرة : ترجع إلى التنازع حول الرياسة ، وعلى أما كن المياه والعشب ، أو إلى الاعتزاز بالعصبية والانتصار لها . أو إلى المحافظة على الشرف والكرامة والذود عنهما . أو إلى الأخذ بالتأروحية الجار ومساعدة الخليف أو إلى الدفاع عن الملك والتعصب لذي سلطان أو إلى التنازع في مفاخرة من المفاخرات أو منافرة من المنافرات . أو إلى الفقر الذائع الذي يدفع إلى النهب والعدوان .

ونفس العربي وما فطرت عليه من شجاعة وإباء وشمم وفروسية كانت تجعل الحرب قريبة منه مألوفة لديه بل محبوبة عنده في كثير من الأحيان . وكانوا يغيرون على أعدائهم فإن لم يجدوا لهم أعداء أغاروا على الأقرباء :

---

(١) راجع في ذلك كتب التاريخ العامة وراجع العقدا الفريد (٣٠٣ - ٣٧٨ : ط ٣ ١٩٢٨ م) والجزء الأول والثاني من تاريخ ابن الاثير ، وأمثال الميداني والجزء الاول والثاني من تاريخ الطبري ، والاغاني . وبلوغ الارب وتاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان . ومعجم البلدان في الكلام على أسماء البلدان . والنقائض وقصة الادب الحجاز في العصر الجاهلي

أغر ن (١) من الضباب على حلال وصبة إنه من حان حانا  
وأحيانا على بكر أحننا إذا مالم نجد إلا أحننا

وأيام العرب كثيرة جدا (٢) ، منها ما كان بين العرب والفرس كيوم  
ذى قار . ومنها ما كان بين التزارين واليمنيين كيوم خزازى (٣) وما كان  
بين اليمنيين بعضهم مع بعض كبعثات بين الخزرج والأوس . وما كان بين  
التزارين ربيعة ومضر . ومنها ما كان بين الربيعين بعضهم مع بعض كحرب  
البسوس بين بكر وتغلب ، وما كان بين المضريين كحرب داحس والغبراء  
بين عبس وذبيان .

٣- وهذه الأيام كانت أكبر ميدان تقابق فيه العقول والبلاغات  
والمملكات .

فشعراء القبائل المختلفة طالما نظموا الشعر للتمدح بشجاعة الأبطال  
وظفرهم في الحرب . ووصفوا المعارك المختلفة وأحوالها . والقتال وأدواته  
وأسلحته . والأسرى وذلمهم . ورثوا القتلى .

كما كانوا ينظمونه طلبا للأخذ بالثأر : أو دعوة إلى السلام ومدحا  
لدعاة السلم والعاملين على إنهاء الحرب كما فعل زهير ، مع ما اتصل بذلك من  
صلح ووفاء ومغارم ومحامل في الديات .

---

(١) الضمير يعود إلى الافراص المذكورة في بيت سابق ، والابيات للقطامي ،  
وهي في الحماسة ١٣٥ - ١ : الضباب عدة قبائل منهاضبة وحسل . الحلول : الذين  
يكونون في مكان واحد

(٢) ويروى أن أبا الفرج الاصفهاني صاحب الاغانى الف كتابا في أيام العرب  
يشمل ألفا وسبعمائة يوم . وأن أبا عبيدة ألف فيها كتابا صغيرا حوى خمسة  
وسبعمين يوما ، وآخر كبيرا جمع فيه ألفا ومائة يوم . وقد ألف جماعة من الأدباء  
المعاصرين كتابا في أيام العرب

(٣) هو اسم جبل ما بين البصرة إلى مكة

فليس بمعجيب إذا أن نقول إن شعر الحماسة وهو أغلب فنون الشعر عند العرب في جاهليتهم وكذلك جزء كبير من شعر الرثاء والنخر والمدح كان أمراً لهذه الأيام التي اشتعلت فيها الحروب وتصاوت الأبطال من شتى القبائل في الجاهلية . كما يشغل ذلك جزءاً كبيراً من النثر الجاهلي أيضاً ، كما تجدد في خطبة هانيء بن قبيصة في قومه يعرضهم على الحرب يوم ذي قار (١) وسواها .

وعناية العرب بأنسابهم وبمجيولهم وأسلحتهم وبأنواع الحيوان المشهورة بالبطش والقوة كالأسد والذئب ؛ كل ذلك من آثار شعورهم بالحاجة إليها حين الخصام والنضال وفي الممارك والحروب .

وبعد فسنحدث عن أهم هذه الأيام وأكثرها أثراً في اللغة والأدب والشعر بما يكون قد اشتمل على خطبة بليغة أو قصيدة رائعة أو حكمة سائرة أو شعر قيل في أثناء النضال والخصام :

## ١ - حرب داحس والغبراء (٢)

وكان السبب الذي هاجمها أن قيس بن زهير وحمل بن بدر ، تراهنما على فرسهما : داحس ، و د والغبراء ، أيهما يكون له السبق . وكان داحس لقيس وكانت الغبراء لحمل بن بدر وجعلا الرهان مائة بعير وجعلا منتهى

(١) ١٦٩ : ١ الامالي

(٢) راجع ٣٨ : ٢ الميدياتي . و ٢٠ > ١٦ الاغاني . والجزء الثالث من خزانة الأدب . ومعجم البلدان . والنقائض . والجزء الثاني من العقد . ٤٥٣ : ١ أمالي المرتضى ، والجزء الاول من ابن الاثير . والروض الانف . وتاريخ ابن كثير . وقد كانت حرب داحس والغبراء بين عيس وذبيان من مضر

الغاية مائة غلوة (١).

ثم قادوهما إلى رأس الميدان بعد أن أضمر وهما أربعين أيلة وفي طرف الغاية شعاب كثيرة فأمكن حمل بن بدر في تلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين وأمرهم إن جاء داحس سابقا أن يردوا وجهه عن الغاية فأرسلهما فلما جرى سبقت الغبراء فقال حمل بن بدر : سبهتك يا قيس ، فلما أوغلا في الجرد (٢) وخرجا إلى الوعث (٣) برز داحس عن الغبراء فقال قيس وجرى المذكيات غلام (٤) ، فذهبت مثلا ، فلما شارف داحس الغاية ودنا من النخيلة وثبوا في وجه داحس فردوه عن الغاية ففى ذلك يقول قيس بن زهير :

كما لاقيت من حمل بن بدر وإخوته على ذات الأصاد  
همو نخروا على بغير نخسر وردوا دون غايته جوادى

وئارت الحرب بين عبس وذيان ابني بنيض أربعين سنة لم تنتج لهم ناقة ولا فرس لاشتغالهم بالحرب . بعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا إلى قيس بن زهير يطلب منه حق السبق ، فقال قيس : كلا . لا مطلقك به ، ثم أخذ الرمح فضعه به فوق صلبه ، ورجعت فرسه عائرة فاجتمع الناس فاحتملوا دية مالك مائة عشراء ، وزعموا أن الربيع بن زياد حملها وحده فقبضها حذيفة وسكن الناس ، ثم أن مالك بن زهير أخطأ قيس نزل اللقطة من أرض الشرية فأخبر حذيفة بمكانه فعدا عليه فقتله . ففى ذلك يقول عنبرة الفوارس :

فله عينا من رأى مثل مالك - قهيرة قوم إن جرى فرسان  
فليتهما لم يجرى قيس غلوة وليتهما لم يرسل لرهان  
فقال بنو عبس : مالك بن زهير بمالك بن حذيفة وردوا عينا مالدا ،

(١) نوازى أربعائة ذراع

(٢) الفضاء لانبات به (٣) الطريق تفرق فيه الاقدام

(٤) ويرى غلاب والمذكية من النخيل المسنة

فأبى حذيفة أن يرد شيئاً . وكان الربيع بن زياد القيسى عم قيس مجاوراً  
لبنى فزارة ولم يكن في العرب مثله ومثل إخوته وكان يقال لهم الكلمة .

وكان بينه وبين قيس بن زهير بغضاء وخصام ، فلما قتل مالك بن زهير  
قامت بنو فزارة يسألون ويقولون : ما فعل حماركم قالوا صدناه ، فقال  
الربيع : ما هذا الوحى ؟ قالوا : قتلنا مالك بن زهير ، قال : بئس ما فعلتم  
بقومكم ، قبلتم الدية ثم رضيتم بها وغدرتم ، قالوا : لولا أنك جارنا لقتلناك  
وكانت خنزرة الجار ثلاثاً ، فقالوا له : بعد ثلاث ليال اخرج عنا ، فخرج  
وانبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه ، وأتاه قيس بن زهير فعاقده وفي ذلك  
يقول الربيع :

فإن تك حربكم أمست عواناً      فإنى لم أكن بمن جناها  
ولكن ولد سودة أرثوها      وحشوا نارها لمن اصطلاها  
فإنى غير خاذلكم ولكن      سأسعى الآن إذ بلغت مداها

ورثى الربيع مالك بن زهير فقال :

من كان مسروراً بمقتل مالك      فليأت نسوتنا بوجه نهار

ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان إلى بنى فزارة  
وذبيان ورئيسهم الربيع بن زياد ورئيس بنى فزارة حذيفة بن بدر واستمرت  
الحرب بين الفريقين وظلت أربعين سنة . ومن أشهر أيامها :

يوم المريقب : لعبس على ذبيان ، وفيه قتل عنبرة ضمضها المرى فتوعده

وقال في ذلك عنبرة من معلقته :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر      للحرب دائرة على ابني ضمضم  
الشامى عرضى ولم أشتهمها      والناذرين إذا لقيتهما دى  
إن يفعلوا فلقد تركت أباهما      جزر السباع وكل نسر قشعم

ويوم ذى حسا : وهو لذبيان على عبس

ويوم الهياوة: لعبس على ذبيان ، وقتل فيه حمل بن بدر وأخوه حذيفة  
ولما اشتد الكرب بحمل قال : ناشدتك الله والرحم يا قيس ، فقال : لبيكم  
لبيكم ، فعرف حذيفة أنه لن يدعهم ، فانهز حملا وقال : إياك والمأثور  
من الكلام ، فذهبت مثلاً ، وقال لقيس : لئن قتلتني لا تصلح غطفان بعدما  
فقال قيس : أبعدها الله ولا أصلحها ؛ ولما قتلا قال قيس يرثي حمل  
ابن بدر :

تعلم ان خير الناس ميت	على جفر الهياوة ما يريم
ولولا ظلمه ما زلت أبكي	عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر	بغى والبغى مرتعه وخيم
أظنّ الحلم دل على قومي ؟	وقد يستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني	فمعوج على ومستقيم

ومثلاً بحذيفة .

فما أصيب أهل الهياوة واستعظمت غطفان قتل حذيفة تجمعا ،  
وعرفت بنو عبس أن ليس لهم مقام بأرض غطفان . فخرجوا إلى  
اليمامة ، فنزلوا بإخوانهم بني حنيفة ، ثم رحلوا عنهم فنزلوا ببني سعد بن  
زيد مناة .

وقال قيس أيضاً يرثي حذيفة وأخاه :

شفيت النفس من حمل بن بدر	وسيفى من حذيفة قد شغاني
فإن أن قد بردت بهم غليلي	فلم أقطع بهم إلا بناني

يوم الفروق : ولما امتد لهيب الحرب وطال أمدها ، سعى الحارث بن  
عوف وهرم بن سنان المريان في الصلح وتحملا دياب القتلى ، وفي ذلك قال  
زهير معلقته .

أمن أم أو في دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثل  
ومنها :

لعمرى لعنم السيدان وجدتما على كل حال من سخيل ومبرم  
تداركنها عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بيدهم عطر ملشم (١)

(١) ويروى أن الحارث بن عوف قال لصديق له : أتراني أخطب إلى أحد  
فيردني قال ، نعم قال ومن ذلك قال : أوس بن حارثة بن لأم الطائي فقال الحارث  
لغلامه ارحل بنا ففعل فركبنا حتى أتينا أوس بن حارثة في بلاده فوجداه في منزله  
فلما رأى الحارث بن عوف قال مرحباً بك يا حارث وراك ربك ما جاء بك يا حارث  
قال جئتك خاطباً قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه . ودخل أوس على امرأته  
مغضباً وكانت من عبس فقالت : من رجل وقف عليك فلم تطل ولم تكلمه قال ذاك  
سيد العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري قالت فمالك لا تستنزله قال : إنه  
استحمتي قالت وكيف ؟ قال جاءني خاطباً قالت أفتريد أن تزوج بناتك قال نعم ،  
قالت فإذا لم تزوج سيد العرب فن ؟ قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال  
فاذا ؟ قالت تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني ما فرط اليه قالت تقول له إنك  
لقيمتي مغضباً بأمر لم تقدم مني فيه قولاً فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت  
فانصرف ولك عندي كل ما أحببت فانه سيفعل فركب في أثرهما . قال خارجة بن  
سنان والظاهر إنه غلام الحارث ) : فوالله إنى لأسير إذ حانت مني التفاتة فرأيت  
فأقبلت على الحارث يكلمني عما فقلت له : هذا أوس بن حارثة في أثرنا . قال وما  
نصنع به امض فلما رأنا لا نقف عليه صاح : يا حارث ، اربع على ساعة فوقفتنا  
له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً فبلغني ان أوساً لما دخل منزله قال لزوجته  
ادعي لي فلانة الأكبر بناته فأتته ، فقال يابنية هـ . هذا الحارث بن عوف سيد من  
سادات العرب قد جاءني طالباً خاطباً وقد أردت أن أزوجهك منه فما تقولين ؟  
قالت : لا تفعل ، قال : ولم ؟ قالت : لأنني امرأة في وجهي ردة وفي خلقي بعض  
العمدة ولست بابنة عمه فيرعى رحى وليس بجارك في البلد فيستحي منك ولا آمن  
أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون على في ذلك ما فيه ، قال : قومي بارك الله فيك  
وادعي لي فلانة لابنته الوسطى فدعتها ثم قال لها مثل ما قال لاختها ، فأجابته بمثل  
جوابها وقالت إنى خرقاء وليست بيدي صناعة ولا آمن أن يرى مني ما يكره  
فيطلقني فيكون على في ذلك ما نعلم و ليس بابن عمي فيرعى حق ولا جارك في بلدك  
فيستحييك ، قال قومي بارك الله فيك ادعي لي بهيمة يعني الصغرى فأتني بها فقال لها

كما قال لها فقالت أنت وذاك فقال لها إني قد عرضت ذلك على أختيك فابتاه ولم يذكر لها مقالتهما فقالت : لكفى والله الجميلة وجها الصناع يدا الرفيعة خلقا الحسينية أبا فان طلقني فلا أخلف الله عليه بخير فقال بارك الله عليك . ثم خرج إلينا فقال قد زوجتك يا حارث بهيمة بنت أوس قال قد قبلت فأمر أمها أن تهيمها وتصلح من شأنها ثم أمر بيوت فضرب له وأنزله لإياه فلما هيئت بعث بها إليه فلما أدخلت إليه لبث هنيهة ثم خرج فقلت أفرغت من شأنك؟ قال لا والله قلت وكيف ذلك؟ قال لما مددت يدي إليها قالت مه أعند أبي واخوتي هذا والله ما لا يكون قال فأمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا فسرنا ماشاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت وعدل بها عن الطريق فما لبث أن لحق بي فقلت أفرغت قال لا والله . قلت ولم؟ قال : قالت لي أ كما يفعل بالامة الجميلة أو السبية الاخيذة؟ لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لمثلي قلت والله إني لأرى همة وعقلا وأرجو أن تكون المرأة منجبة إن شاء الله فرحلنا حتى جئنا بلادنا فاحضر الإبل والغنم ثم دخل عليها وخرج إلى فقلت أفرغت قال لا والله قالت لي لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه فيك قلت وكيف قالت أنفرغ لانسكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وذلك في أيام حرب عيس وذبيان قلت فيكون ماذا قالت اخرج إلى هؤلاء القوم فاصلح بينهم ثم ارجع إلى أهلك فإن يفوتك فقلت والله إني لأرى همة وعقلا ولقد قالت قولا . قال فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى فيؤخذ الفضل من هو عليه لحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين فانصرفنا بأجل الذكر، قال محمد بن عبد العزيز : فمدح بذلك وقال فيه زهير ابن أبي سلى ( راجع ٢٩٤ : ١٠ : الأغاني ، ٢٢٢ : ٢ المستطرف ) :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

ومنها :

تداركتما عيساً وذبيان بعدما      تغانوا ودقوا بينهم عطره نسيم  
فأصبح يجرى فيهم من تلادكم      مضانم شتى من إقال مزيم  
ينجمها قيوم لقوم غرامة      ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

## ٢ - حرب البسوس بين بكر وتغلب من ربيعة

١ - مجد كليب (١) :

لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب ، وهم : عامر وربيعة ، وكليب ، فالأول عامر بن الظرب ، والثاني ربيعة بن الحارث ، والثالث كليب بن ربيعة ، وقاد معدا كلها يوم خزازى ففرض جوع اليمن وهزمهم . فاجتمعت عليه معد كلها ، وجعلوا له قسم الملك وتاجه ونجيته ، وأطاعته معد بذلك حيناً من دهره ، ثم دخله زهو شديد ، وبغى على قومه لما هو فيه من عزة وانقياد معد له ، حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه ، ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ، ويقول : وحش أرض كذا في جوارى فلا يهاج ، ولا تورد إبل أحد مع إبله ، ولا توقد نار مع ناره ، حتى قالت العرب : أعز من كليب وائل . وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتامة ، وكان كليب قد تزوج بنت مرة بن ذهل بن شيبان ، وأخوها جساس . وكانت البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس ، وكانت نازلة في بني شيبان مجاورة لجساس ، وكان لها ناقة يقال لها سراب ، ولها تقول العرب أشأم من سراب وأشأم من البسوس ففرت إبل لكليب بسراب ناقة البسوس وهي معقولة ، فلما رأت سراب الإبل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعته الإبل ، واختلطت بها ، حتى أتت إلى كليب وهو على

---

وذكر قيامهم في ذلك فقال :

صحا القلب عن سلى وقد كاد لا يسلو

وفي قصيدة يقول فيها :

تداركتما الأحلاف قد نل عرشها وذبيان قد ذلت بأقدامها النعل  
وهذا لهم شرف إلى الآن . ورجع فدخل بها فولدت له بنتين وبنت  
(١) اسمه وائل ، وكليب لقبه ( ٤٤٠ - ٤٩٤ م )

الحوض معه قریش وكنانة ، فلما رأها أنكرها فشد عليها بسهم فخرم  
ضربها ، فنفرت الناقة وهي ترغو ، فلما رأتها البسوس قذفت خمارها عن  
رأسها وصاحت : واذلاه واجاراه .

## ٢ - مقتل كليب :

فأحسست جساسا ، فركب فرسا له مغرور أبه ، وأخذ آلتة ، وتبعه عمرو  
ابن الحرث بن ذهل على فرسه ومعه رمحه ، حتى دخلا الحى على كليب فوال  
له : يا أبا الماجدة . عمدت إلى ناقة جارتى فعقرتها ، فقال له : ما مانعنى من  
أن أذب عن حمائى ؟ فأحسسه الغضب ، فطعنه جساس فقصم صلبه ، وطعنه  
عمرو بن الحارث من خلفه فقطع بطنه ، فوقع كليب وهو ينحصر برجله ،  
وقال لجساس : أغثنى بشرقة ماء فقال : تجاوزت شبينا والأحص ، وأجهز  
عليه . وفى ذلك يقول الشاعر :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالدار

فلما قتل كليب ارتحلت بنوشيبان حتى نزلت بماء يقال له النهى ، وتشمر  
المهلهل أخو كليب واسمه عدى بن ربيعة ، واستعد لحرب بكر ، وترك النساء  
والغزل وحرم القهار والشراب على نفسه ، وجمع إليه قومه فأرسل  
رجلا منهم إلى بنى شيبان يعذر إليهم فيما وقع من الأمر . فأتوا مرة بن  
ذهل وهو فى نادى قومه ، فقالوا له : إنكم أتيتم عظيمنا بقتلكم كليباً بناب  
من الإبل ، فقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمه ، وإنا كرهنا المجله عليكم دون  
الإعذار اليكم ، ونحن نعرض عليكم خلا لا أربع . لكم منها مخرج ، ولنا  
فيها مقنع ، فقال مرة : وماهى ؟ قال : تحي لنا كليباً ، أو تدفع إلينا جساسا  
قائله فنقتله به ، أو هما ما فإنه كفء له ؟ أو تمكنا من نفسك فان فيك  
وفاء من دمه .

فقال : أما إحيائى كليباً فهذا ما لا يكون ، وأما جساس فإنه غلام  
طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدرى أى البلاد احتوت عليه . وأما

همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وكاهم فرسان قومهم فلن يسلموه  
لى فأدفعه اليكم يقتل بجزيرة غيره . وأما أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل  
جولة غداً فأكون أول قتيل فيها فما أتعجل من الموت ؟ ولكن لكم عندي  
خصلتان : أما إحداهما فهو لاء بنى الباقون فعلقوا فى عنق أيهم شتمت نسمة  
فانطلقوا به إلى رحالكم فاذبحوه ذبح الجزور ، وإلا فألف ناقة سوداء  
المقل أقيم لكم بها كفيلاً من بنى وائل فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ،  
تبذل لنا ولدك وتسو منا اللين من دم كليب .

### ٣ - اشتعال الحرب :

ووقعت الحرب بينهم ، ولحقت جليلة زوجة كليب بأبيها وقومها وانزات  
قبائل بكر بن وائل وكرهوا معاونة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال إخوتهم  
وأعظموا قتل حساس كليبا بناب من الإبل ، وانقبض الحارث بن عباد  
فى أهله ، وهو أبو بجير وفارس النعامة ، وقال المهلهل يرثى كليبا :

بت ليلى بالإنعمين طويلا أرقبُ النجم ساهراً أن يزولا  
كيف أهدا ولا يزالُ قتيلٌ من بنى وائل يدسى قتيلا  
إلى أن قال :

قتلوا ربهم كليبا سفهاها ثم قالوا : ما إن نحاف عويلا  
كذبوا والحرام والحلل حتى يُسلب الخدرُ بيضته المحجولا  
ويموت الجنين فى عاطف الرحيم وتروى رماحنا والخيولا  
وقال أيضا يرثيه :

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها إذ أنت حليتها فيمن يخليها ؟  
نعى النعام كليبا لى فقلت لهم مالت بنا الأرض أوزالت رواسيها  
الحزم والعزم كانا من طبيعته ما كل آلائه يا قوم احصيها  
القائد الخيل تردى فى أعنتها زهواً إذا الخيل لجت فى تعاديا

من خيل تغلب ما تلقى أسننها إلا وقد خضبوها من أعاديها  
ليت السماء على من تحمأ وقعت وانشقت الأرض وانجابت بمن فيها  
لا أصلح الله منا من يصلحكم ما لاحت الشمس في أعلى مجاريها

٤ - يوم النهى ( لتغلب على بكر ) :

وأول وقعة بينهم كانت على ماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة  
عليه ، ورئيس تغلب المهلهل ، ورئيس شيبان الحارث بن مرة ، فكانت  
الدائرة لبني تغلب وكانت الشوكة في شيبان ، واستمر القتل فيهم إلا أنه لم  
يقتل في ذلك اليوم أحد من بني مرة - وكان هذا اليوم لتغلب على بكر .

٥ - يوم عنيزة :

ثم التقوا بعنيزة فظفرت بنو تغلب . ثم كانت بينهم معارك ووقائع  
كثيرة وكانت الدائرة لبني تغلب على بني بكر فيها كلها . وقال مهلهل يصف  
هذه الأيام وينعى على بكر في قصيدة طويلة أولها :

أَلَيْتَنَا بَدَى حُسْمٌ أَنْ يَرَى إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْوِرِي  
وإن يكُ بالدَّائِبِ طَالِ لَيْلِي فَقَدْ أَبْكَى مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ  
وفيها يقول :

فلو نبش المقابر عن كليب  
كاننا غدوةً وبني أبنينا  
وإني قد تركت بواردات  
هتكتُ به بيوت بني عباد  
على أن ليس عدلا من كليب  
ولولا الريح أسمع من مُحْجَرِ  
وقال مهلهل لما أسرف في الدماء :

أكثرُ قتلَ بني بكر برّهم  
حتى بكيت وما يبكي لهم أحد

آيتُ بالله لا أرضى بقتلهم حتى أُبهرجَ بكرًا وإنما وجدوا  
قال أبو حاتم: ابهرج: ادعهم بهرجا، لا يقتل فيهم قتيل، ولا يؤخذ لهم  
دية، وقال: البهرج من الدراهم من هذا. وقال المهلهل:

يالَ بكرٍ أنشِرُوا لى كليباً يالَ بكرٍ أين أين الفرار ؟  
وقال :

قتلوا كليباً ثم قالوا اربعوا كذبوا ورب الحل والإحرام  
حتى تبيد قبيلةً وقبيلةً ويعصّ كل مشقّف بالهام  
وتقوم رباتُ الخدور حواسراً يمسحن عرض ذوائب الأيتام  
حتى يعصّ الشيخُ بعد حميمه مما يرى ندما على الإبهام

٦ - يوم قضة :

ثم إن مهلهلا أسرف في القتل ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر، وكان  
أكثر بكر قعد عن نصره بنى شيبان لقتلهم كليب بن وائل، فكان الحارث  
ابن عباد اعتزل تلك الحروب حتى قتل ابنه بجير، فلما بلغ الحارث قتله قال:  
نعم القتل قتيلاً أصلمح بين ابني وائل، وظن أن المهلهل قد أدرك به نار  
كليب وجعله كفواً له فقيل له إنما قتله بشسع نعل كليب، وذلك أن المهلهل  
لما قتل بجيراً قال: «بؤبشسع نعل كليب»، فغضب الحارث بن عباد، وكان  
له فرس يقال لها النعامه. فركبها، وتولى أمر بكر، فقتل من تغلب حتى  
هرب المهلهل، وتفرقت قبائل تغلب، فقال في ذلك الحرث بن عباد:

قرباً مربوطاً النعامه منى لقتحت حربُ وائل عن حبال  
لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرّها اليوم صالى  
قرباً مربوطاً النعامه منى إن قتل الكريم بالشسع غالى

وكان اليوم الذى شهدته الحارث بن عباد يوم قضة وهو يوم تحلاق اللحم (١)

(٢) سمي بذلك لان بنى بكر حلقوا فيه جميعاً رؤسهم وكان لبكر على تغلب.

وفيه يقول طرفة :

سائلوا عنا الذي يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللعم

وفيه أسر الخارث بن عباد المهلهل وهو لا يعرفه ، فقال الخارث له :  
دلتني على عدى (اسم المهلهل) وأخلى عنك فقال له عدى : عليك العهود بذلك  
إن دلتك عليه ، قال نعم ، قال فأنا عدى . فجزّ ناصيته وتركه .

ثم إن المهلهل فارق قومه ونزل في بني مذحج فخطبوا إليه ابنته فنههم ،  
فأجبروه على تزوجها وساقوا إليه في صداقها جلوداً من آدم ، فقال في ذلك :

أعزز على تغلب بما لقيت أخت بنى الأكرمين من جشم

وعاش مهلهل باليمن (١) حيناً . ثم ملت تغلب الحرب فاصطلحت هي  
وبكر على ترك القتال ولم يحضر المهلهل صلحهم ، ثم اشتاق إلى دياره فعاد  
إيها ومات بعد قليل .

٧ - وكانت جميلة بنت مرة أخت جساس زوجا لكليب (٢) بن ربيعة ،  
فلما قتل جساس (٣) كليياً اجتمع نساء الحى للماتم ، فقلن لأخت كليب :  
رحلى جميلة عن ماتك ، فإن قيسامها فيه شماعة وعار علينا عند العرب ؛

(١) راجع أخذ المهلهل بثأر أخيه كليب وقصيدته (اليلتنا بذى حسم أنيرى)  
في الامالى ٢ : ١٢٩ .

(٢) كان كليب بن ربيعة سيد ربيعة ، ينزلهم ويرحلهم ، ولا يصدرون في  
شيء إلا عن أمره ، ولا يجير أحد من بكر وربيعة إلا بأذنه ، وكان يحمى الصيد  
وحياض الماء . وضرب به المثل فقالوا : أعز من كليب .

(٣) كان لجساس خاله من بنى سعد جاورت بنى مرة ، فنزلت على جساس  
ابن أختها ، ومعها ناقة فندت الناقة يوماً ، فدخلت في إبل كليب نزعى في حماه ،  
فنظر إليها فأنكرها ورماها بسهم في ضرعها ، فولت حتى بركت بفناء صاحبها  
وضرعها يشخب دماً ، فصاحت : واذلاه : فقتل جساس كليياً لذلك ، وقتل  
جساس نحو سنة ٨٥ ق . هـ

فقال لها : يا هذه اخرجى عن مأتمنا ، فأنت أخت واترنا ، وشقيقة قاتلنا .  
نفرجت وهى تجر أعطافها ، فلقمها أبوها مرة ، فقال لها : ما وراءك يا جميلة ؟  
فقال : نكل العدد ، وحزن الأبد ، وفقد الحليل ، وقتل أخ عن قليل وبين  
ذين غرس الأحقاد ، ونفتت الأكياد . فقال لها : أو يكف ذلك كرم الصفع  
وإغلاء الديات ؟ فقالت جميلة : أمنية مخدوع ورب الكعبة ! أبا البدن (١)  
تدع لك تغلب دم ربه !

ثم بلغ جميلة أن أخت كليب قالت حين رحلت : رحلة المعتدى وفراق  
الشامت ، ويل غداً لآل مرة من السكر بعد السكر ! فقالت . وكيف  
تشممت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ! أسعد الله جد أختى . أفلا قالت :  
نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء ! ثم أنشأت تقول :

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا	تعجلي باللوم حتى نسألى
فإذا أنت تبينت الذى	يوجب اللوم فلومى واعذلى
إن تكن أخت امرئ لميت على	شفق منها عليه فافعللى
جل عندى فعل حساس فيا	حسرتى عما انجلت أو تنجلى
فعل حساس على وجدى به	قاطع ظهرى ومدن أجلي
تحمل العين قذى العين كما	تحمل الأم أذى ما نفتلى (٢)
يا قتيلاً قوض الدهر به	سقف يديتى جميعاً من عل
هدم البيت الذى استحدثته	وانثنى فى هدم بيتى الأول
يا نسائى دونكن اليوم قد	خصنى الدهر برزه معضل
خصنى قتل كليب بلظى	من ورأى ولظى مستقبل
ليس من يبكى ليومين كن	إنما يبكى ليوم ينجلى
يشتمنى المدرك بالشار وفى	دركى تارى نكل المشكل (٣)

(١) البدن : جمع بدنه تكون من الإبل والبقر .

(٢) نفتلى : تربي المشكل : التى لازمها الحزن

ليته كان دمي فاحتببوا بدلا منه؛ دماً من أكحل (١)  
إنني قاتلة مقتولة ولعل الله أن يرتاح لي (٢)

### ٣- يوم بعث (٣)

وبعث اسم موضع في ديار بني قريظة من اليهود ، وكان بنو النضير  
وبنو قريظة يساعدون الأوس على الخزرج وذلك حينما قتل عمرو بن النعمان  
رهابن اليهود التي كانت عند الخزرج .

والتقت الأوس وحلفاؤها من اليهود بالخزرج في بعث ، وعلى رأس  
الأوس حضير الكتائب ، وعلى رأس الخزرج عمرو بن النعمان ؛ فهزمت  
الخزرج ، ومات حضير بسبب جراح أصابته ؛ وفي رثائه يقول خفاف  
ابن ندبة :

فيا عينُ بكّيتُ حَضِيرَ الندى حَضِيرَ الكتائب والمجاس

### ٤- يوم حليلة (٤)

كثرت الحروب بين ملوك الحيرة وملوك غسان تبعاً للخصومات  
السياسية التي كانت بين الفرس والروم .

ومنها يوم حليلة ، وحليمة هي بلد الحرث بن أبي شمر الغساني وكانت

---

(١) الاكحل : عرق في الذراع يفصد

(٢) راجع ٦٣ : ٥ الاغانى ، ٢١٤ : ٥ نهاية الارب ، ٢١٦ : ١

ابن الاثير .

(٣) وهو بين الاوس والخزرج - وكان قبل الهجرة بنحو خمس سنوات .

(٤) كان بين المناذرة والغسانيين

من أجل السماء ، أمرها أبوها أن تطيب فرسان الغسانيين الذين أرسلهم ليفتكوا بالمنذر بن المنذر بن ماء السماء ، وكان لتحميس حليمة لهم أثره في حاستهم وقتلهم للمنذر ملك الحيرة في مدينته اغتيالاً ، فنسب هذا اليوم إلى حليمة . وقيل سمي هذا اليوم يوم حليمة لأنه كان في مكان اسمه مرج حليمة ، ويضرب المثل بهذا اليوم . قالوا : « ما يوم حليمة بسر » . وقال النابغة يصف سيوفاً :

تخبرن من أزمان يوم حليمة إلى اليوم قد جربن كل النجارب

### ٥ - يوم الزويرين (١)

سببه اعتداء بكر على أرض تميم وعينهم بيلادم وهتكهم لعوراتهم فتحمس بنو تميم ، والتقوا ببني بكر ، وكان على بكر عمرو الأصم سيدها وكانت تميم قد أقبلت بجملين مقرونين مقيدين وقالت : لا نبرح حتى يبرح هذان الزويران .

ودارت الدائرة على بني تميم ، وأخذت بكر الزويرين ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

يا سلم إن تسألني عنا فلا تكشف عند اللقاء ولسنا بالمقاريف (٢)  
نحن الذين هزمتنا يوم صبحتنا جيش الزويرين في جمع الأحاليف  
ظلوا وظلنا نكر الخيل وسطهم بالشيب منا وبالمرد الفطاريف

### ٦ - يوم شعب جبلة (٣)

وهو أعظم أيام العرب وأكثرها جمعاً ، كان قبل الإسلام بنحو سبع وخمسين سنة .

(١) كان بين ربيعة ومضر

(٢) مقاريف جمع مقرف وهو : من أمه عربية وأبوه غير عربي والكشف جمع أكشف وهو : من ينهزم في الحرب .

(٣) كان لعامر وغبس على ذبيان وتمام

أب لقيط بن زرارة الكلابي جموع العرب على بني عامر وبني عابس ،  
وكان في جيشه : أبا الجون الكلابي ملك حجر ، وحسان أخو النعمان بن المنذر  
لامه ، وسنان بن أبي حارثة ، وسواهم من سادة العرب .

وكان الأحوص بن جعفر سيد هوازن وشيخها وبطلها ، فأظماً إبلا  
لقومه ومنعها المرعى وحبسها في الشعب . فلما اقتحم لقيط ومن معه عليهم  
فم الشعب أطلق الإبل من عقابها فانطقت نائرة إلى الماء والمرعى تحطم  
كل شيء أمامها ، فهزم لقيط وأحلافه ، وقتل في هذا اليوم ، وأسر أخوه  
حاجب بن زرارة كما قتل معاوية بن الجون الكلابي ، ورثت بنت لقيط  
دختوس - أباهما :

فرت بنو أسد فرا ر الطير عن أربابها  
عن خير خندق كلما من كهلها وشبابها  
وأتمها حسبا إذا ضمت إلى أحسابها  
ويقول جرير :

ويوم الشعب قد تركوا لقيطاً كان عليه حلة أرجوان

#### ٧ - يوم خزازي (١)

ولي ابرهة الحبشي زهير بن جناب الكلابي على العدنانيين فامتنعوا عن  
دفع الأتاوات له . ووقع بمض العدنانيين أمرى عنده ، فذهب وفد من  
وجوه معد إليه ليطلق سراهم ، فأطلقهم ولكنه احتجز بمض أعضاء  
الوفد ، فثارت معد ، وقادهم كليب وسار بهم إلى خزازي وهو جبل بين البصرة  
ومكة فأوقد عليه النار ، وأقبلت مذحج إلى خزازي ، فاقبطل الفريقان قتالا  
شديداً هزمت فيه مذحج وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

ونحن غداة أوقد في خزاز رُفدنا فوق رُفد الرافدينَا

(١) كان بين زرار والبنين

وكننا الأيمنين إذا التقينا وكان الأيسرين بنو (بيننا)  
فصالوا صولة فيمن يليهم وصلنا صولة فيمن يلينا  
فأبوا يا لنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

### ٨ - أيام الفجار (١)

وهي أربعة أيام ، وكانت قریش ومعهما بكر على هو ازن في هذه الأيام  
وأهم هذه الأيام هو الفجار الرابع والذي أشعل الحرب فيه أن البراض  
الكنناني قتل عروة الرحال الذي أجار لطيمة النعمان بن المنذر ، وكان عروة  
سيداً شجاعاً شريفاً ، والبراض خليعاً ماجناً ، فذارت الحرب .

وكان البراض بن قيس الكنناني رجلاً فانتكا خليعاً (٢) ، يجنى الجنائيات  
على أهله . نخلعه قومه ، وتبرءوا من صديعه ، ففارقهم ، وقدم مكة ، فخالف  
حرب بن أمية ، ثم نبا به المقام بمكة أيضاً . ففارق أرض الحجاز إلى أرض  
العراق العراق ، وقدم على النعمان بن المنذر الملك ، وكان النعمان يبعث كل  
عام بلطيمة (٣) للتجارة إلى عكاظ (٤) تباع له كل عام هناك - فقال يوماً ،  
وعنده البراض وعروة بن عتبة بن جعفر المعروف بالرحال (٥) : ومن  
يجزلي لطيمتي هذه حتى يبلغها عكاظ ؟ فقال البراض : أبيت اللعن ! أنا  
أجيزها على كنانة ، فقال النعمان : إنما أريد من يجيزها على كنانة وقيس ،  
فقال عروة : أكلب خليع يجيزها ! أبيت اللعن ؟ أنا أخيزها على أهل  
الشيخ والقيصوم (٦) من أهل تهامة وأهل نجد ! فقال البراض - في غضب -

(١) الاغانى ج ١٩ ، والجزء الثاني من العقد ، واديان العرب ومعجم البلدان

(٢) كان يضرب المثل بفتنك ، فيقال : دأفتك من البراض ، .

(٣) اللطيمة : العير التي تحمل الطيب وبزالتجار (٤) عكاظ موضع كان

بين نخلة والطائف (٥) لقب بالرحال لكثرة رحلته إلى الملوك (٦) الشيخ  
والقيصوم : نباتان مما يطلع في السهل .

وعلى كنانة (١) تجيزها يا عروة؟ قال: وعلى الناس كلهم!

فدفع النعمان اللطيمة إلى عروة الرحال، وأمره بالمسير بها، وخرج  
البراض يتبع أثره، وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه، حتى إذا كان عروة  
بين ظهرائي قومه أدركه البراض بن قيس، فأخرج قداحه يستقسم (٢) بها  
في قتل عروة، فربه عروة فقال ما تصنع يا براض؟ فقال: استقسم في  
قتلك، أيؤذن لي أم لا؟ فقال عروة: همتك أضعف من ذلك، فوثب إليه  
البراض بالسيف فقتله.

فلما رآه الذين يقومون على العير والأحمال قتيلاً انهزموا، فاستاق  
البراض العير، وسار على وجهه إلى خيبر، وتبعه رجلاً لياً أخذه: أحدهما  
غنوى والآخر غطفاني، وسارا حتى لقيهما البراض بخيبر، فقال لهما: من  
الرجلان؟ قالوا من قيس قدمنا لنقتل البراض، فأزلهما وعقل راحلتهما،  
ثم قال: أيكما أجراً عليه وأجود سيفاً؟ قال الغطفاني: أنا، فأخذه ومشى  
معه ليدله - بزعمه - على البراض، ثم قال للغنوى: احفظ راحلتيكما ففعل.

وانطلق البراض بالغطفاني حتى أخرجه إلى خربة (٣) في جانب خيبر،  
وقال له: هو في هذه الخربة يأوى إليها، فأمهلني حتى أنظر أهو فيها؟  
فوقف، ودخل البراض، ثم خرج فقال: هو فيها وهو نانم، فأرني سيفك  
حتى أنظر إليه أضرار هو أم لا، فأعطاه سيفه، فضربه به حتى قتله، ثم

---

(١) كنانة هم قوم البراض.

(٢) الاستقسام: كانوا إذا أراد أحدهم سفراً أو تزويجاً أو نحو ذلك من المهام

ضرب بالقداح وكان على بعضها مكتوب: أمرني ربي، وعلى بعضها الآخر:  
نماني ربي، والباقي غفل، فان خرج أمرني ربي مضى أشأنه، وأن خرج نماني  
ربي، أمسك، وأن خرج الغفل أجالها، وضرب بها أخرى إلى أن يخرج  
الامر أو النهي.

(٣) الخربة: موضع الخراب

أخفى السيف وعاد إلى الغنوى ، فقال له : لم أر رجلا أجبن من صاحبك ، تركته في البيت الذي فيه البراض وهو نائم فلم يقدم عليه ا فقال : انظر لي من يحفظ الرحلتين حتى أمضى إليه فأقتله ، فقال : دعهما وهما على ، ثم انطلقا إلى الخربة ، وقتله وسار بالعبير إلى مكة (١)

وسميت حرب الفجار ، لأنها حدثت في الأشهر الحرام : ذى القعدة والحجة ومحرم ورجب ، التي كان القتال فيها محرما .  
وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحرب واشترك فيها مع قومه وسنة أربع عشرة سنة ، وكان يبذل على أعماه .

#### ٩ - يوم ذى قار (٢)

كان عدى بن زيد العبادى أستاذاً للنعمان بن المنذر . ثم التحق عدى بخدمة أبو شروان ، فمات المنذر (٣) فأشار على كسرى بتولية النعمان على الخيرة مكان أبيه ، ثم وشى خصوم عدى به إلى النعمان فأرسل إليه يطلب أن يزوره في الخيرة فقدم عدى عليه فأمر بحبسه . وفي ذلك يقول عدى يستعطفه بشعره :

أبلغ النعمان عنى ما لكأ أنه قد طال حبسى وانتظارى  
لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى

فأمر بإطلاقه ثم خاف منه فقتله ، واحتل زيد مكان أبيه عدى في خدمة

---

(١) راجع ١٠١ : ١ المضاف والمنسوب ، ٢٣ : ٢ مجمع الامثال ، ٣١٠ : ١

ابن الاثير

(٢) راجع ٣٧٤ : ٣ العقد الفريد ط ١٩٢٨ - وكان هذا اليوم بين العرب

والفرس (٣) راجع خبر المنذر بن ماء السماء وقتله ندييه وجعله لنفسه في كل سنة يوم بؤس ويوم نعيم وقتله عبيد بن الأبرص يوم بؤسه ( ١٩٥ الثوادر ملحق الامالى ) .

كسرى ، ثم أخذ زيد يحرض كسرى على النعمان فاستدعاه من الخيرة فلبجأ إلى هانيء بن قبيصة مستجيراً به ووضع عنده أمواله وسلاحه وبنته حرقة ، وذهب إلى كسرى فحبسه حتى مات في السجن ، وولى مكانه على الخيرة إياس ابن قبيصة الطائي ، وأمره أن يأخذ أمانات النعمان من هانيء ، فطلبها منه فرفض ، فثار كسرى وانتظر على بني شيبان حتى أنزلهم الحر بذي قار وأرسل إليهم جيشاً كثيفاً يحاربهم به ، ولكن بني شيبان وأحلافها من العرب صمدوا لجيش الفرس وهزموه هزيمة منكرة . وانتصر العرب انتصاراً مؤزراً .

وفي هذا اليوم خطب هانيء خطبته المشهورة (١) : يا معشر بكر ، هالك معذور خير من ناج فرور الخ . وكان هذا اليوم في مبعث الرسول صلوات الله عليه ، وقال فيه : إن هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبني نصرها .

وقد افتخر الشعراء بهذا النصر العظيم ، قال الأعمش :

لو أن كل معد كان شاركننا      في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف  
وقال العديل المعجلي :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة      إلا أء ظلمينا وكأ ما وقدى النار  
وما يعدون من يوم سمعت به      للناس أفضل من يوم بذي قار  
وقال أبو تمام :

وأتم بذي قار أمالت سيوفكم      عرويش الذين استرهنوا قوس حاجب

## اللغة العربية (١)

### أصل اللغة العربية :

١ - هي إحدى اللغات السامية المشهورة الباقية إلى يومنا هذا ، وهي لغة الجنس العربي الذي تحدثنا عنه وعن موطنه وحياته العامة وصفاته وأخلاقه في العصر الجاهلي .

واللغات السامية هي - حسب ترتيبها ترتيباً زمنياً مطابقا لانتشار آدابها -

كما يأتي :

١ - اللغة البالية والأشورية ( من ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠ ق م )

٢ - د العبرية ظهرت من ١٥٠٠ ق م ) واستمرت إلى يومنا هذا

٣ - د السبئية أو الحميرية أو العربية الجنوبية (٢) وجدت منها نقوش

يرجع تاريخها إلى القرن الثاني بعد ميلاد المسيح وقد تلاشى السبتيون نهائياً من صفحات التاريخ حينما أخذ العدنانيون في الظهور والقوة

(١) راجع الكلام على أصلها وخصائصها وعوامل نموها في :

الخصائص - المزهري - الصحاح - كتب فقه اللغة - الأدب العربي الرفاعي

وراجع نشأة اللغة في : ٤٣٣ : ٤ شرح - ج البلاغة ، و ٨٠ : ٣ بلوغ الأرب ،

والميسر والقدر لابن قتيبة ، وكتاب الأدب الرفاعي .

(٢) راجع الكلام عليها في ٢٢٧ وما بعدها من كتاب تاريخ اللغات السامية

لاسرائيل ولفنسون ط ١٩٢٩ القاهرة . ويرجع ولفنسون معلوماً عن البن

ولغاتها إلى : القرآن وكتب السيرة وكتاب الإكليل للهمداني ، وبعض مصادر

عبرية يهودية ، ومصادر تاريخية يونانية ورومانية لطيرو دوت وسرأبو الروماني

وسواهما ، ونقوش وكتابات جمعها الرواد الأوريون خلال القرن التاسع عشر

٤ - اللغة الآرامية وهي كاللغة الحميرية ( نقوش وجدت منها منذ سنة ٨٠٠ ق م )

٥ - اللغة الفنيقية وترجع النقوش التي عثر عليها منها إلى القرن السابع قبل المسيح .

٦ - اللغة الحبشية ( ٣٥٠ ق م حتى يومنا هذا )

٧ - اللغة العربية العدنانية (١) ، وهي لغة الشعر والنثر الجاهليين ولغة القرآن الكريم . وهي من أحدث اللغات السامية عهدا وأقربها ظهورا ، وكل ما ألف ودون عنها وما روى من آثارها فهو ليس بعيداً عن البعثة المحمدية بأكثر من مائة عام تقريبا .

والعدنانية هي أقرب لغات الساميين إلى اللغة السامية القديمة (٢) لأن الجنس العربي عاش في عزلة تامة بعيداً عن العالم ولم يختلط بغيره اختلاطاً كما اختلط الأجناس الأخرى بسواها ولم تخضعهم أمم أخرى لحكمهم (٣) فلم تتأثر لغتهم تأثراً كبيراً بغيرهم .

ب - وتمتاز اللغات السامية عن أنواع اللغات الأخرى (٤) بميزات

---

(١) راجع تاريخ الأدب العربي للمستشرق الانجليزي رينولد نيكلسون .  
وص ١٠٧ الشهاب الراسد للطيفي جمعه ط ١٩٢٦ .

(٢) راجع ٧ : ٢ من كتاب تاريخ اللغات السامية طبع القاهرة ١٩٢٩ .

(٣) وقد يكون السبب في قرب اللغة العربية من الاصل الاول للغات السامية انها كانت موجودة في مهد اللغات السامية أو في ناحية قريبة منه أو أن العناصر التي نزحت إلى بلاد العرب كانت من أقدم الامم السامية .

(٤) اللغات الأخرى تشمل مجموعتين : اللغات اليافثية أو الآرية ، واللغات

الحامية :

أما الآرية فقد انتشرت في الهند وسارت منها إلى الافغان وفارس ثم إلى أوروبا . وهي فسيان :

وخصائص (١) منها:

( ا ) كثرة عدد حروفها

(ب) أغلب الكلمات فيها يرجع في اشتقاقه إلى أصل ثلاثي الحروف وهذا الأصل هو الفعل ، والرأى الذى يذهب إليه بعض علماء العربية من أن أصل الاشتقاق هو المصدر مخالف لأصل الاشتقاق فى باقى اللغات السامية ولعله تسرب إلى اللغة العربية من العلماء الفرس الذين بحثوا فى اللغة العربية بعقليتهم الآرية إذ الأصل فى الاشتقاق عند الآريين هو المصدر الاسمي .

( ج ) ليس فى اللغات السامية أثر لإدغام كلمة فى أخرى حتى تصير الكلمتان كلمة واحدة تدل على معنى مركب من معنى كلمتين مستقلتين كما هى الحال فى غير اللغات السامية .

( د ) اقتصارها فى الكتابة على الحروف دون حركاتها .

( هـ ) كثرة اشتقاق صيغ متعددة من المادة الواحدة

(و) اشتراكها فى كثير من الكلمات مع اختلاف قليل أحيانا ويظهر ذلك من التشابه بين العربية والعبرية ، فبعض الكلمات بالسین فى العربية وهى بالشين فى العبرية ، والألف فى العربية واو فى العبرية ، فسلام فى العربية هى شلوم فى العبرية . وكذلك الثاء فى العربية شين فى العبرية كثور وشور ؛ وما كان فى العربية بالصاد فهو فى العبرية بالصاد كأرض وأرض وهكذا .

١ - الآرية الشمالية وهى لغات أوروبا القديمة والحديثة .

ب - الآرية الجنوبية وهى السنسكريتية (الهندية القديمة) وفروعها : الهندية الحالية والفارسية والأرمنية والافغانية .

وأما الحامية فقد انتشرت شمالى افريقية وتشمل الزنجية والبربرية ( لغة سكان المغرب ) والمصرية القديمة ( قبل فتح الهكسوس لمصر )

وأما اللغات السامية فقد انتشرت غربى آسيا .

(١) راجع ص ١٤ وما بعدها من كتاب تاريخ اللغات السامية ط ١٩٢٩

وهذا الاشتراك دليل على أن اللغات السامية من أصل واحد (١) .  
وأوجه الشبه بين أغلب اللغات السامية تظهر في بعض أسماء الأشياء التي  
كانت معروفة لهم جميعاً كأسماء أعضاء الجسم والضمائر فانها متقاربة  
فيها جميعاً .

ج - وتنقسم اللغة العربية بوجه عام - لا اللغة العدنانية خاصة -  
إلى لهجتين :

١ - لهجات القبائل العدنانية شمالى الجزيرة .

ب - لهجات القبائل القحطانية جنوب الجزيرة وتسمى اللغة الحميرية (٢)  
وهي أقدم من لغة الشمال ، وقد عثر في اليمن على نقوش مكتوبة بهذه اللغة  
ولها حروف تخالف الحروف العربية المعروفة كما أن لها صيغاً في التنوين  
وجمع المذكر السالم وجمع التكسير وأداة التعريف وغيرها تخالف لغة أهل  
الحجاز وكذلك في حروف الكلمات فهمزة أفعل في بعض الكلمات  
الحميرية هاء .

---

(١) يختلف الباحثون في ذلك : فالبعض يذهب إلى أن اللغات السامية تفرعت  
من أصل واحد مجهول ، والبعض يذهب إلى أن إحداهن أصل لأخواتها ، فقيل  
البابلية هي الأصل ، وقيل العربية ، والراجح أن اللغات السامية تفرعت من أصل  
واحد مجهول ، وأيد ذلك جورجى زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية .  
واللغات السامية من الوجهة الجغرافية تنقسم إلى ثلاث مناطق :

١ - شرقية وتشمل البابلية والاشورية .

ب - غربية وتشمل الكنعانية والعبرية والآرامية .

ج - جنوبية وفيها اللهجات العربية في جميع بلدان الجزيرة العربية واللهجات  
الحبشية .

(٢) وتشمل اللغة المعينية واللغة السبئية واللغة الحميرية ولغة قتيبان وحضرموت  
وفي تاريخ اللغات السامية لو لغنسون حديث طويل عنها (٢٢٧ - ٢٥٢ ط  
القاهرة ١٩٢٩)

أما لغة الشمال أو لغة الحجاز أو اللغة العدنانية فهي أحدث من لغة الجنوب ، وما روى إلينا من شعر جاهلي فهو بها ، لأن الشعراء الذين نظموا هذا الشعر : إما من ربيعة أو مضر وهما فرعان عدنانيان : وإما من قبائل يمنية رحلت إلى الشمال كطى وكندة وتنوخ .

واللغة العدنانية هي التي يعيننا البحث عنها ، وهي التي ينصرف إليها الحديث عند إطلاقنا لفظ « اللغة العربية » .

### نشأتها :

١ - اللغة العربية الباقية - التي هي العدنانية - هي مزيج من لهجات مختلفة اختلطت ببعضها ببعض وصارت لغة واحدة بعد أن فنى أصحاب اللهجات الأولى وبادوا بالحروب والمهاجرة والامتزاج بغيرهم (١) .

على أن امتزاج هذه اللهجات وتدخل بعضها في بعض لم يتم مرة واحدة أو في زمن واحد بل حدث شيئاً فشيئاً وسار تدريجياً أزمنة طويلة أثناء الجاهلية إلى ما قبل الإسلام بقليل وهكذا كانت لغة الشمال اللغية العدنانية ذات سلطان قوى ونفوذ واسع في العصور القريبة من ظهور الإسلام فابتلعت اللهجات الجنوبية والهمتها الواحدة منها تلو الأخرى ، وسادت هي في أغلب أقاليم الجزيرة العربية ، وكونت لنفسها أدباً جديداً وشعراً فنياً .

وأخذت اللهجات في بلاد اليمن تتدهور وتتلأثى حتى كادت تفتى في القرن السادس الميلادي ، وخاصة لفقدان اليمن لحريتها بخضوعها للأحباش طوراً ثم للفرس طوراً آخر فتدهورت حضارتها ، وتفاصلت اللهجات اليمنية .

ويسر ذلك السبيل أمام اللغة العدنانية للنصر في المعركة ، وبقي من اللهجات

---

(١) راجع ص ١٦٦ وما بعدها من تاريخ اللغات السامية ط ١٩٢٩

اليمنية في اللغة العربية صدى قليل لا يكاد يكون شيئاً مذكوراً (١).

٢ - ووجود بعض ألفاظ عبرية ، وآرامية ويونانية (٢) ، اندمجت في العربية بواسطة السريانية ، وفارسية (٣) ، من الخطأ أن تستدل به على إفادة اللغة العربية من هذه اللغات في طور نشأتها ، لأننا لا نعلم متى دخلت هذه الألفاظ في اللغة العربية ، ولو سلمنا أنها دخلت في العصر الجاهلي فيكون المعقول أن تعد أثراً من آثار تهديب اللغة العربية أو طوراً من أطواره .

٣ - ولا شك أن اللهجات التي امتزجت باللغة العربية قسماً :

١ - لهجات سكان شمال الجزيرة كشمود (٤) وغيرها من القبائل العربية القديمة البائدة ؛ ومنها قبائل معين (٥) التي استوطنت في شمال الجزيرة العربية .

ب - ولهجات سكان جنوب الجزيرة وتمثل في اللغة المعينية القديمة

---

(١) وفي ص ٢٤٠ من المزهري للسيوطي أن بعض لهجات عربية حميرية كانت شائعة في اليمن للقرن الثامن الهجري .

(٢) مثل : انجيل واسطوانه ، وأسقف وناموس وميل وبستان وصراف وخنديس وفرذوس

(٣) مثل : مجوس وجيش وأستاذ (راجع في ذلك ١٥ : ١ من تاريخ آداب اللغة لمحمد دياب)

(٤) راجع موطنها وأخبارها في ١٧١ وما بعدها من كتاب تاريخ اللغات السامية .

(٥) راجع ص ١٧٦ وما بعدها تاريخ اللغات السامية

القديمة (١) ، واللغة السبئية التي خلفت اللغة المعينية (٢) ، أما اللغة الحيرية فهي السبئية مع خلاف قليل وقد نشأت مع اللغة العدنانية في وقت واحد (٣) ثم تغذت بها العدنانية ثم التهمتها وقضت عليها . ومن المرجح أن ظهورها بدأ قبل الميلاد بقرن واحد أى قبل البعثة بسبعمائة عام (٤) .

٤ - ورحل ابراهيم بابنه اسمعيل إلى الحجاز وأقام بمكة وخاطب قبيلة جرهم الثانية اليمنية وصاهرها وتعلم لغتها فكان لهذا العنصر الذى يرجع إلى العربية أثر فى اللغة العربية العدنانية (٥) .

٥ - ثم بدأت عوامل تهذيب اللغة العربية العدنانية تعمل عملها : باختلاط القبائل العربية بعضها ببعض ، ورحلات القرشيين فى البلاد واتصالهم بالأمم الأخرى ، ثم نزل القرآن الكريم فأضفى على العدنانية ثوب القوة والخلود (٦) .

وهكذا نشأت العدنانية ونضجت .. وقبل أن نختم هذا البحث نعرض هذا النص : قال الأستاذ محمد لطفى جمعة : فى كتابه الشهاب الراصد (٧) :

(١) والمعينيون قدموا من العراق إلى اليمن ولقنهم بالبلية وباقامتهم فى اليمن أخذت تتباعد عن أصلها شيئاً فشيئاً حتى صار لغة مستقلة ( راجع ١٢٤ الشهاب الراصد ) .

(٢) والسبئيون أو القحطانيون قدموا إلى جنوب شبه الجزيرة من الحبشة أو من العراق فى القرن الثامن قبل الميلاد واقتبسوا لغة المعينيين ( ١٢٤ الشهاب الراصد ) وأولهم هو قحطان رأس العرب العاربة وابنه يعرب هو الذى نطق بلغة المعينيين وبدأ يهذبها .

(٣) ١٢٥ الشهاب الراصد . (٤) ١٢٣ المرجع

(٥) وراجع ما كتبه الجاحظ فى البيان والتبيين عن اسماعيل ونطقه بالعربية

دون تلقين ( ١٦٨ : ٣ )

(٦) راجع ٢١٥ تاريخ اللغات السامية

(٧) ١٢٥ الشهاب الراصد

ومن المجمع عليه لدى علماء أصول اللغات وعلماء المشرقيات أن هذه العربية المحضة - العدنانية - هي الغاية التي انتهت اليها تلك اللغات وكانت جميعها روافد تغذى نهرها العظيم ، فالحبشية والسبئية والحيرية والعبيرية والنبطية وما تخلف عنها من لهجات متنوعة خدمت كلها تلك المضربة الفصحى الخالصة ،

### أطوار تهذيب اللغة :

١ - سبق (١) أن ذكرنا أن المعينين بعد هجرتهم من العراق إلى اليمن انحرفت لغتهم البابية ثم استقلت فسميت اللغة المعينية ، وتوارثها السبئيون وتحولت فصارت لغة جديدة هي اللغة السبئية ، وكانت هي لغة الحيريين إلا أنها اكتسبت صفات جديدة بفعل الزمن وتبدل الحياة والمعيشة ؛ ثم هاجر اسماعيل إلى مكة وأقام بها وكان لسانه عبرانيا ، وجاور جرهم الثانية القحطانية وخالطها وصاهرها وتكلم بلقمتها - وهي اللغة القحطانية أو السبئية - وتكلم بهذه اللغة أحفاده ، وبذلك نشأت اللغة العدنانية ، وكانت نشأتها هي واللغة الحيرية في وقت واحد على الأرجح وذلك قبل الميلاد بقرن واحد أو قبل البعثة بسبعمائة عام ، ثم أفادت العدنانية من الحيرية وصارعتها حتى طوتها وتغلبت عليها ، وذلك هو الدور الأول من أدوار تهذيب اللغة العربية .

٢ - ثم كان لاجتماع القبائل واختلاطهم بعضهم ببعض أثر في تهذيب اللغة ورقبها .

ولاشك أن : الحروب ، والتجارة ، والحج ، كان لها أثر كبير في اختلاط القبائل بعضها ببعض وتفاهمها وتقارب لغاتها ، بما يشبه الأثر الذي أحدثته سيل العرم - الذي حدث حوالي ميلاد المسيح (٢) - وأدى إلى هجرة القبائل

---

(١) راجع ١٣١ الشهاب الراصد .

(٢) راجع ١١٩ الشهاب الراصد . ويخطئ الزيات في جعل تاريخ سيل العرم

هو عام ٤٤٧ م ( راجع ص ١٣ تاريخ الادب العربي الزيات )

واختلاط القحطانيين بالعدنانيين وتأثرت لغاتهم بذلك الاختلاط .

والحج له - من بين هذه العوامل - أثر كبير في تهذيب اللغة . فقد كان العرب يمجون إلى السكبة وكانت قریش متصل بهم ويتصلون بها ، وكان القرشيون على قسط من المعرفة والرقى الفكري ، وفيهم ذوق ولهم ملكات ناضجة في النقد اللغوي ، فسكانوا يميزون بين اللهجات والألفاظ ، ويقبسون من لهجات القبائل أعذبها ومن ألفاظهم أسهلها وأفصحها ، ويضيفون ذلك إلى لغتهم . فهدبوا لغتهم حتى خلت من السقيم والمستبشع من الألفاظ واللهجات . كما كانوا في رحلاتهم التجارية إلى الشام واليمن وفارس والحبشة يأخذون من لغات هذه الأمم بعض ألفاظها ويدخلونها في لغتهم بعد أن ينطقوا بها نطقاً عربياً فصيحاً - وهو ما نسميه التعريب - وبذلك زادت ثروة اللغة العدنانية القرشية ، وقلدت القبائل الأخرى قریشاً في ذلك وحاكتها في لغتها وأخذت عنها فكان بذلك لقریش أثر كبير في تهذيب اللغة ، بل كانت تقوم بما تقوم به مجامع اللغة الآن ، وصارت لغة قریش أعذب اللغات لفظاً وأبلغها أسلوباً وأوسعها مادة .

أثر الأسواق (١) : ومن العوامل الأخرى - التي ظهر فيها اختلاط العرب وكان لها أثر في تهذيب اللغة - الأسواق .

والأسواق العربية كانت ميداناً لاجتماع العرب وتبادلهم التجارة ، كما كانت سبباً في دعم الوحدة والتفاهم بينهم وفي مزجهم بعضهم ببعض ، وفي التقريب بين لغاتهم ولهجاتهم وكانت مع ذلك مجمعاً أدبياً كبيراً حيث كان يجتمع فيها الشعراء والخطباء فيشدون ويخطبون .

---

(١) راجع الكلام على عكاظ والمربد في الرسالة العدد ١٢ و ١٣ و ١٥ و ١٦ ، وفي بلوغ الأرب ٢٦٤ : ١ ومعجم البلدان والكلام على عكاظ في العقد الفريد

يقول سيديو : « أنشأ العرب أسواقاً عامة يتعارفون فيها ويتحاربون فلم تكن هذه الأسواق في عكاظ ومجنة وذى المجاز سوى مؤتمرات للشعر في الحقيقة خالية من التحكم على النفوس ، ولا شيء أروع من تلك الأسواق على ما كان يسودها من البساطة فقد كانت تشابه الألعاب الأولمبية ، فكان ينهض مقاتل شجاع متزن الخطأ أمام جمهور صامت جامع لحواسه ، لم يكن عليه من الزينة ما يشير إلى أنه من طبقة عالية ؛ فكانت الأبصار تشخص إليه فينشد بصوته الرخيم من فوق مرتقى قصيدة بأسرها ، فترام يترنم بأعماله السامية وشرف عشيرته أحياناً ، وتراه يمدح القوة والشجاعة أحياناً ، وتراه يصور عجائب الطبيعة وعزلة الصحراء والمهاهل المبتغاة ويصف الغزال أحياناً ، وذلك على حين يسير الجمهور مع المشاعر التي يود الشاعر أن يوحى بها إليه ، فيشاهد على وجهه المتلبه علامات الإعجاب بالبطل الصابر في الضراء كما تشهد علامته احتقار الجبان النذل ، وما كان المستمعون ليخفوا عواطفهم ، والشاعر كلما توسم اعتراف الجمهور بقدرته عاد إلى نشيده بمهاسة جديدة . وقصائد الشعراء إذا ما تقبلتها مؤتمرات عكاظ بقبول حسن ، كتبت بحروف من ذهب على نسج ثمينة وعلقت في الكعبة لحفظ للحفدة ، ويستمتع العرب تحت الخيام مساء تلك الأشعار العجيبة بلذة وهي التي تجمع بين سحر القصة المؤثرة المحزنة ومحاسن الترنم وحلاوة التوقيع وعذوبة اللحن ، فيجدونها شاملة لما يثيرهم من العواطف والشجون والحماسة ، فكانت لها وضعت بلغة معبرة عما يجيش في صدورهم ، وتجد في شعر الشعراء الذين اشتهروا في هذا الدور وصفاً دقيقاً لحياة عرب البادية الذين لم يفسد الزمن طبائعهم . وليس من النادر أن كانت تحدث بعد الوقائع الدامية مباريات نحر وكرم عرفت بالمنافرات ويقع التحكم فيها من حكم يرضونه ، وأحكام كهذه لا بد أن تصدر في احتفال كبير فتؤثر في النفوس تأثيراً جليلاً .

وإذا كان الخطباء والشعراء ، وكل ذى كلام - يريد له سعة فهم وكثرة ذبوع ، ولا بد أن يريد - يرون لغة قريش أوفى اللغات بهذا ، فقد انتسبوا إليها جميعاً يستوحون فصاحتها وبيانتها ، ويستمدون قوتها وسلطانها حتى غطت على جميع اللهجات ، فأصبحت العلم الذى بنوره يهتدى ؛ والإمام الذى به يقتدى . عرف العرب لها ذلك واعتقدوه فى المحاكاة والتقليد ، فأخذوا يتقربون بلغاتهم إليها ؛ وكانت الأسواق من أقوى العوامل على هذا التقريب ، حتى قارب توحيد اللهجات التمام ، واستعد العرب لفهم القرآن الكريم الذى نزل بلغة قريش ، ولمعرفة مواطن الإعجاز فيه . وما زال القرآن الكريم هو الحفيظ على هذه الوحدة والدرع لهذه اللغة يصونها من أن تمحوها النوازل أو تشعب منها لهجات مختلفة تنقطع صلتها بالنبع الأول فينضب ويحف ، .

ومن أهم هذه الأسواق : عكاظ ومجنة وذو المجاز :

١ - أما عكاظ : فهى قرية بين نخلة والطائف ، كانت تقام بها سوق تجارية عامة ، وتاريخ إقامة هذه السوق يبدأ من عام ٥٤٠ م ، وكانت تعقد فى أول ذى القعدة إلى العشرين ، وبقيت فى الإسلام ، إلى أن نهى الخوارج عام ١٢٩ هـ . وكانت ميداناً للمناظرة والمماخرة والتجارة وفداء الأسرى وإنشاد القصائد ، وجاء ذكرها فى الشعر العربى ، قال طريف بن تميم :

أوكليا وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلى عريفهم يتوهم  
وقال النابغة :

أرأيت يوم عكاظ حين لقيتني تحت العجاج فاشققت غباري  
وقال حسان :

سأنشر إن بقيت لهم كلاما يفرق فى المجامع من عكاظ

وسوق عكاظ سوق عامة كان يحضرها العرب جميعا ، أما الأسواق الأخرى فكانت أسواقا محلية. وعكاظ سمي عكاظا لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً بالفخار ، وكانوا يتفاخرون في سوق عكاظ إذا اجتمعوا - وعكاظ نخل في واديينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت تقام سوق العرب (١) . وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتمرقون ، وكان هناك صخور بطوفون بها ويحجون إليها ، ولم يكن عندهم أعظم من عكاظ ، قالوا : كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج (٢) . وهذا رأى آخر في زمان انعقادها .

وبروى أن المملقات أنشدت في عكاظ ، ويقول أحمد أمين من مقالة له : كان لعكاظ أثر كبير لغوى وأدبي ، فقد رأينا قبائل العرب على اختلافها من قحطانيين وعدنانيين تنزل بها ، وملك الحيرة يبعث تجارته إليها ، ويأتي التجار إليها من مصر والشام والعراق (٣) ، فكان ذلك وسيلة من وسائل تفاهم القبائل ، وتقارب اللهجات ، واختيار القبائل بعضها من بعض ما ترى أنه أليق بهار أنسب لها ، كما أن التجار من البلدان المتمدنة كالشام ومصر والعراق كانوا يطلعون العرب على شيء مما رأوا من أحوال تلك الأمم الاجتماعية . وفوق هذا كانت عكاظ معرضاً للبلاغة ومدرسة بدوية يلقي فيها الشعر والخطب وينقد ذلك كله ويهذب ، قال أبو المنذر : وكانت بعكاظ

---

(١) وقال الواقدي : عكاظ بين نخلة والطائف وراجع كتابه قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي لخفاجي وعبد الجبار .

(٢) ٢٠٣ : ٦ معجم البلدان

(٣) يروون أن عبد الله بن جدهان أتى مصر فباع ما معه وعاد إلى سوق عكاظ انظر الإكليل للهمداني جزء ٨ ص ١٨٤ وما بعدها .

منابر في الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعد ماثره وأيام قومه من عام إلى عام فمنها أخذت العرب أيامها ونفخها ، وكانت المنابر قديمة يقول فيها حسان :

أولاء بنو ماء السماء (١) نوارثوا دمشق بملك كبرا بعد كابر  
يؤمنون ملك الشام حتى تمكنوا ملوكا بأرض الشام فوق المنابر (٢)

(١) ماء السماء لقب عامر بن حارثة الازدي أبو عمرو مزقياء الذي خرج من اليمن لما أحس بسيل العرم ، وسمى ماء السماء لأنه كان إذا أجذب قومه ما نهم - أى كقوام مؤونتهم - حتى بأنهم الخصب فكانه خلف من ماء السماء وقيل لولده بنو ماء السماء وهم ملوك الشام ، والعرب يسمون أيضا بنى ماء السماء لأنهم يعيشون بماء السماء قال الأزهري : السجارة ماء بالبادية وكان اسم أم المنذر ماء السماء فسمته العرب ابن ماء السماء وهو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى وأمه ماء السماء وهى امرأة من النربن قاسط سميت بذلك بلجالها . ولما ملك كسرى قباذ بن فيروز خرج في أيامه مزدك فدعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم وان لا يمنع أحد أخاه ما يريد فدعا قباذ المنذر ليدخل في هذا المذهب فأنتف وأبى المنذر هذا الفعل فطرده قباذ من مملكته ونفاه عن الحيرة ودعا الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار فأجابوه وكان الحرث شديد الملك فشدد له ملكه ، وكانت أم أنوشروان بين يدي قباذ بو ما فدخل عليه مزدك فلما رآها قال لقبها إلى لأقضى حاجتى منها فقال له قباذ دونكها فوثب اليه أنوشروان فلهزل يسأله أن يهب له أمه حتى قبل رجله فتركها له فلما هلك قباذ وتولى أنوشروان جلس في مجلسه وأقبل المنذر اليه وأذن للناس فدخل عليه مزدك ودخل عليه المنذر فقال أنوشروان كنت أتمنى أمتيتين أرجو أن يكون الله تعالى قد جمعهما لى فقال مزدك : وما هما أيها الملك ؟ قال تمنيت أن أملك فاستعمل هذا الرجل الشريف يعنى المنذر وأن أقتل هؤلاء الزنادقة فقال له مزدك أو تستطيع أن تقتل الناصر كلهم فقال إنك لهبنا وأمر به فقتل وصلب وقتل في ضحوة واحدة من الزنادقة مائة ألف وصلبهم وطلب الحرث بن نجر هاربا بجميع ما معه وأخذ المنذر في طلبهم فأخذ من بنى آكل المرار ثمانية وأربعين رجلا فضرب رقابهم ، وألح في طلب امرئ القيس فلاح بالسموأل

فيقف أشراف العرب يفخرون بمناقبهم ومناقب قومهم في عكاظ .  
قام عمرو بن كلثوم خطيباً بسوق عكاظ وأنشد قصيدته المشهورة :

ألا هي بصحنك فاصبحينا (١)

وكان الأعمى يوافي سوق عكاظ كل سنة ، وفيها أنشدهم قصيدته في مدح  
المخلوق (٢) .

وكان السابعة الذيباني تضرب له قبة آدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها  
الشعراء ، فيدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعمى والخنساء ، فينشدونه جميعاً  
ويفاضل بينهم ونقد فيما زعموا قول حسان :

لنا الجننات الغريلمن في الضحى وأسيفنا يقطرن من نجد دما  
قال لحسان : قلت العدد ولو قلت الجنان لكان أكثر ؛ وقلت يلعبن  
بالضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ في المدح لأن الضيف بالليل  
أكثر طرقاً (٣) .

وفي عكاظ مدح دريد بن الصمة ابن جدعان بعد أن هجاه فقال : إليك  
ابن جدعان أعملتها (٤) الخ . وخطب قس بن ساعدة الناس خطبته المشهورة  
فذكروهم بالله والموت ورسول الله يسمع له (٥) وكانت الخنساء تشهد الموسم  
بعكاظ وتعظم العرب بمصيبتها في أبيها عمرو بن الشريد وأخوها صخر  
ومعاوية ، وتشد في ذلك القصائد (٦) ، وعلى الجملة فكانوا في عكاظ يتبايعون  
ويتما كظون ويتفاخرون ويتحاجون ؛ وتشد الشعراء ما تجده لهم . فن هذا  
كله نرى كيف كانت عكاظ مركزاً لحركة أدبية ولغوية واسعة النطاق ،  
كما كانت مركزاً لحركة اجتماعية واقتصادية .

(٢) الأغانى ٨ ص ٧٩ ، ٨٠

(١) الأغانى ٩ ص ١٨٢

(٤) الأغانى ٩ ص ١٠

(٣) المرجع ٨ : ١٩٤ و ١٩٥

(٦) صفة جزيرة العرب ص ٢٦٣

(٥) أغانى ١٤ ص ٤١ و ٤٢

وكانت القبائل - كما أسلفنا - تنزل كل قبيلة منها في مكان خاص بها ، تتلاقى أفراد القبائل عند البيع والشراء أو في الحلقات المختلفة . فكان الناس يجتمعون على سرحة ، أو حول الخطيب يخطب على منبر ؛ أو في قباب من آدم تقام هنا وهناك ، ويختلط الرجال بالنساء في الجامع ، وقد يكون ذلك سببا في خطبة أو زواج أو تنادر (١) وكانت تحضر الأسواق - وخاصة سوق عكاظ - أشرف القبائل ، وكان أشرف القبائل يتوافون بتلك الأسواق مع التجار من أجل أن الملوك كانت ترضخ للأشرف ، لكل شريف بسهم من الأرباح ، فكان شريف كل بلد يحضر سوق بلده ، إلا عكاظا فإنهم يتوافون بها . من كل أوب (٢)

وكان الأشرف يمشون في هذه الأسواق ملثمين ؛ مخافة أن يؤمروا يوما فيكبر فداؤهم فكان أول من رفع اللثام طريف العنبري ، لما رآهم يطلعون في وجهه ويغفرون في شماله قال : قبح من وطن نفسه إلا على شرفه ، وحمر عن وجهه وقال : «أوكلسا وردت عكاظ قبيلة ، إلى آخر الأبيات (٣).

وكان على سوق عكاظ كلها رئيس إليه أمر الموسم وإليه القضاء بين المتخاصمين ، قال أبو المنذر : وتزعم مضر أن أمر الموسم وقضاء عكاظ كانت في بني تميم . . . . وكان ممن اجتمع له ذلك منهم عامر بن الظرب العدواني وسعد بن زيد بن مناة من تميم ، وقد نخر المخبل بذلك في شعره :

ليألى سعد في عكاظ يسوقها له كل شرق من عكاظ ومغرب

حتى جاء الإسلام فكان يقضى بعكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع (٤) .

(١) أنظر الاغانى ج ١٠ ص ١٤٥ وما بعدها و ج ١٣ ص ١٤٠ وما بعدها

(٢) الاغانى ٤ ص ١٣٦ وما بعدها (٣) الازمنة والامكنة ٢ ص ١٦٦

(٤) انظر تعداد من ولى عكاظ في الازمنة والامكنة ٢ ص ١٦٧ .

ومن المسير جدا أن نحدد بدء عكاظ ، فلم نجد في ذلك خبرا يصح التعمويل عليه ، يقول الألومى فى بلوغ الأرب : « إنها اتخذت سوقا بعد الفيل بـخمسة عشرة سنة » ، ولكن إذا بحثنا فى الأحداث التى رويت فى عكاظ وجدنا ذلك غير صحيح ، فهم يروون - كما قدمنا - أن عمرو بن كلثوم أنشد قصيدته فى عكاظ ، وعمرو بن كلثوم كان قبل ذلك .

وقد عد المرزوقى فى الأزمئنة والامكنة من رؤساء عكاظ قبل الإسلام عشرة ، أولهم : عامر بن الظرب العدوانى . وهذا - من غير شك - يجعل تاريخ عكاظ أبعد مما يحكى الألومى بزمان طويل

وظلت سوق عكاظ تقوم كل سنة ، وكانت فيها قبيل الإسلام حروب الفجار وهى حروب أربع ، وكان سبب الأولى المفاخرة فى سوق عكاظ ، وسبب الثانية تعرض فتية من قريش لامرأة من بنى عامر بن صعصعة بسوق عكاظ ، وسبب الثالثة مقاضاة دائن لمدينته مع إذلاله فى سوق عكاظ ، وسبب الأخيرة أن عروة الرحال ضمن أن تصل تجارة النعمان بن المنذر إلى سوق عكاظ آمنة فقتله البراء فى الطريق (١) .

فكلها تدور حول سوق عكاظ ، وهذه الحروب كانت قبل بعث النبى صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة ، وشهدها النبى وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه ، وقال : كنت يوم الفجار أنبل على عمومتى (٢) . واستمرت هذه الحروب نحو أربع سنوات .

واستمرت عكاظ فى الإسلام ، وكان يعين فيها من يقضى بين الناس ، فعين محمد بن سفيان بن مجاشع قاضياً لعكاظ ، وكان أبوه يقضى بينهم فى

---

(١) أنظر العقد الفريد ٣ ص ١٠٨ والأغانى

(٢) النهاية لابن الاثير مادة فخر

الجاهلية وصار ذلك ميراثاً لهم (١) :

ولكن يظهر أن هذه الأسواق ضعف شأنها بعد الفتح فأصبحت البلاد المفتوحة أسواقاً للعرب خيراً من سوق عكاظ ، وصار العرب يفتشون المدن الكبيرة لقضاء أغراضهم ، فضعفت أسواق العرب ومنها عكاظ ، ومع ذلك ظلت قائمة وكان آخر العهد بها قبيل سقوط الدولة الأموية . قال الكلبي : « وكانت هذه الأسواق بعكاظ ومجنته وذى المجاز قائمة في الإسلام ، فأما عكاظ فإنما تركت عام خرجت الحرورية بمكة مع أبي حمزة المختار ابن عوف الأزدي الأباضي في سنة تسع وعشرين ومائة ، خاف الناس أن يذهبوا ، وخافوا الفتنة فتركوا حتى الآن ، ثم تركت مجنته وذو المجاز بعد ذلك ، واستغنوا بالأسواق بمكة وبمنى وبعرفة . . . . . وآخر سوق خربت سنة ١٩٧ أشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخرّبها وتركوا إلى اليوم (٢) »

فمعاظ عاصرت العصر الجاهلي الذي كان فيه ما وصل إلينا من شعر وأدب ، وجرت فيها أحداث بحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، ومهدت السبيل قبيل الإسلام لتوحيد اللغة والأدب ، وعملت على إزالة الفوارق بين عقليات القبائل ، وقصدها النبي صلى الله عليه وسلم يبيت فيها دعوته ، وعاصرت الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي ولكن كانت حياتها في الإسلام أضعف من حياتها قبله ، وبدأ ضعفها من وقت الهجرة لما كان من غزوات وحروب بين مكة والمدينة وبين المؤمنين والمشركين . فلما فتحت الفتوح رأى العرب في أسواق المدن المتحضرة في فارس والشام والعراق وهدر عوضاً عنها ، ثم كانت ثورة أبي حمزة

(١) الأزمينة والإمكينة ج ٢ ص ١٦٧ وما بعدها

(٢) أخبار مكة للأزرقي ص ١٢١ و ١٢٢

الحار جى بمكة فلم يأمن الناس على أموالهم فخربت السوق ، وختمت صحيفة  
لحياة حافلة ذات أثر سيماسى واجتماعى وأدبى (١).

٢ - مجننة : موضع بممر الظهران ، وكانوا ينتقلون إليها من عكاظ  
فيقيمون إلى غاية ذى القعدة .

٣ - ذو المجاز : خلف عرفة وكانوا يقيمون فيها ثمانية أيام من ذى الحجة  
ثم يقفون بعرفة فى اليوم التاسع .

وبعد فقد كان لهذه الأسواق عملها اللغوى فى الفهم والنقد والإيثار  
والاختيار ، ثم فى التبادل اللغوى بين القبائل عامة ، بما كان له أثر كبير فى  
تهذيب اللغة .

ثم أنزل القرآن بلغة قريش فجمع العرب عليها وهذبها وجعلها  
أفصح اللغات ونشرها فى الدنيا وجعلها لغة عالمية بعد أن كانت لغة العرب  
وخدمهم ، وبالقرآن الكريم تمت سيادة لغة قريش على لغات جميع القبائل  
العربية الأخرى ولهجاتهم .

### اختلاف اللهجات العربية :

١ - كانت اللهجات كثيرة لأن العرب شعوب وقبائل وبطون وأغاذ  
وعشائر وفصائل متشعبة ، وكان لكل قبيلة لهجة تميزها ، وبذلك كثرت  
اللهجات العربية وظهر الاختلاف بينها (٢) ، ولكنه كان فى الفروع واللهجات

---

(١) راجع عكاظ فى السالى ٣٢٧ : ٩ ، والمعقد الفريد ٣٦٠ : ٣ ، ومجمع

البلدان ٢٠٣ : ٦ .

(٢) واختلاف اللغات - أو اللهجات - يرجع إلى أمور ثلاثة :

١ - تباين اللهجات وتنوع المناطق كاختلافهم فى صيغة اللفظ أو كيفية النطق

وهو المراد هنا .

لأن أصل اللغة ذاتها وكان أترأ للبيئة والمعيشة والحياة والجور . ولم تدون جميع هذه اللهجات (١) ، ولكن بقي ظلها في اللغة العربية .

ويقول أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤ هـ : « ما لسان حمير وأقصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعريتنا » ، وكذلك يقول ابن خلدون في مقدمته : « ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر كما هي لغة للعرب لعهدنا » .

وهذا طبعاً تصويراً للخلاف الواسع بين العربية والحيرية على عهد ابن العلاء . وعهد ابن خلدون ، وهما يقصدان إلى اختلاف اللهجات . وذلك بدى بما ذكرناه .

ب - ومن صور اختلاف اللهجات العربية ما يبدو لك (٢) من :

١ - الكشكشة في لهجة ربيعة ومضر ، وهي : زيادة شين بعد كاف الخطابية المؤنثة في الوقف ، أو في الوقف والوصل جميعاً ، أو جعل الشين مكان هذه الكاف مع كسرها في الوصل وإسكانها وفقاً .  
فيقولون في رأيتك : رأيتكش ، أو رأيتش .

٢ - الكسكسة في لهجة ربيعة ومضر أيضاً ؛ وهي : أن يجعلوا بعد الكاف أو مكانها في خطاب المذكر سينا فيقولون في عرفتك : عرفقس أو عرفتكس ونسبها الحريري لبكر لالبيعة ومضر ، وجعلها مثل الكشكشة ( زيادة شين بعد خطاب المؤنثة ) ، ونسبها القاموس لتيم وفسرها بما فسر بها الحريري .

---

٣ - اختلاف الدلالة للفظ الواحد باختلاف اللغات التي تنطق به ومن هذا النوع المترادف والأضداد .

٣ - ما يكون قد انفرد به عربي مع إطباق العرب على النطق بخلافه وهذا يجوز أن يكون قد دفع لذلك الاعرابي من لغة قديمة طال عليها العهد وبادت آثارها .  
(١) وبقيت اللغة مسماة منسوبة إلى أصحابها من العرب عند الرواة والعلماء .  
إلى آخر القرن الثالث ( ١٢٩ الشهاب الراصد )

(٢) راجع ص ٩٠ وما بعدها ج ١ من تاريخ آداب اللغة العربية لمحمد دياب

٣ - شنشنة العين ، وهى : إبدال الكاف شينا مطلقا ، فيقولون فى لبيك : لبيش ، وفى كلمتى : شلمنى .

٤ - القُطعة فى لغة طىء ، وهى قطع اللفظ قبل تمامه فيقولون : يا أبا الحكاء ، فى : يا أبا الحكم .

٥ - الخنازية الشجر وعمان ، وهى حذف بعض الحروف اللينة فيقولون : مشا الله ، فى : ما شاء الله .

٦ - طمطمطانية حمير : والطمطمة أن يكون الكلام مشبها لكلام العجم . والطمطمطانية هى : إبدال لام التعريف يما ، ومن ذلك : ليس من أمبر أمصيام فى أمسفر ، وفى اللغة : الطمطم والطمطمطانى : الذى فى لسانه عجمة والعبي الذى لا يفصح .

٧ -- فحففة هذيل وهى قلب الحاء عينا مثل : عتى ، فى : حتى ، .

٨ - عجمجة قضاة (١) وهى قلب الياء المتطرفة بعد عين جيما مثل : الساعج ، فى : الساعى .

٩ - غمغممة قضاة وهى إخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر

١٠ - عنمة تميم وقيس وهى جعل الهمزة المبدوء بها عينا مثل : عنت كريم ، فى : أنت كريم ، . والفرنج بمكسور فيقلبون العين همزة فيقولون فى على : ألى ، .

١١ - الاستنطاء فى لغة سعد والأزد وقيس والأنصار وهو قلب العين الساكنة نونا قبل الطاء نحو : أنطى ، فى : أعطى .

١٢ - تلتلة بهراء من تميم وينسبها ابن فارس إلى أسد وغيرهم وهى كسر أحرف المضارعة ، وقيل كسر ناء تفعلون .

١٣ - وهم كلب وهو كسر هاء الغيبة إذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا كسرة مثل منهم وعنهم .  
١٤ - وكم ربيعة وهو كسر كاف الخطاب في الجمع قبل ياء أو كسرة مثل « عليكم » .

١٥ - وتم اليمين : وهو إبدال السين المهملة تاء مثل التات في الئاس .

ج - على أن هناك اختلافات أخرى في اللهجات منها :

١ - إبدال التاء هاء وعكسه في الوقف عند طىء فيقول في فاطمة « فاطمت ، وفي نعمت « نعمه » .

٢ - إبدال الياء مياء وعكسه مثل « باسمك ، مكان « ما اسمك ، ودمكر ، مكان « بكر ، وهو لغة « مازن ، ومنها آثار في لهجة أهل مديرية الدقهلية وبعض الغربية حديثاً في مصر .

٣ - وإبدال الحاء هاء مثل « مدهته ، في : مدحته .

خصائص اللغة العربية :

تمتاز اللغة العربية بما يأتي :

١ - ثروتها اللغوية ، ففيها أسماء لكل ما تقع عليه العين أو تسمعه الأذن أو يجول في الخاطر .

٢ - صيغ المشاركة ، كتنصموا وتحمجوا ، فهي خاصة باللغة العربية ولا توجد في اللغات الأخرى .

٣ - الإعراب ويشاركها فيه كما يقول جورجى زيدان الحبشية والألمانية وكادت الألمانية تتخلص منه ، ويلاحظ أن العربية العامية تخلصت من الإعراب .

٤ - الإيجاز فهو فيها أوضح .

م المجاز والاشتقاق وهما كذلك ظاهران في اللغة العربية .

٦ - الاشتراك وهو دلالة اللفظ الواحد على أكثر من معنى كالعين للماء والذهب والفضة واللبصر ، وهو خاص باللغة العربية . ومنشؤه على الأرجح تعدد القبائل فيكون اللفظ بمعنى عند قبيلة وهو بمعنى آخر عند قبيلة أخرى . وقرائن الكلام والأسلوب توضح المراد من اللفظ .

٧ - التضاد : وهو أن يدل اللفظ على معنيين متضادين كجمل للعظيم والحقير (١) . ومنشؤه كذلك تعدد القبائل ، فتضع قبيلة اللفظ بمعنى ؛ وتضعه أخرى لخصه .

والقرينة فيه أيضا هي التي ترشد إلى المراد .

### عوامل نمو اللغة :

وأسباب نمو اللغة كثيرة منها :

١ - الاشتقاق : وهو أخذ كلمة من أخرى مع تشابه في المعنى واتفاق في الأحرف الأصلية وفي ترتيبها . وذلك كأكرم بكرم الخ وهو قياسي . وأصل الاشتقاق المصدر أو الفعل على خلاف في ذلك ، ويشتق من أسماء الأجناس كتذاب الرجل واستأسد . وهذا النوع من الاشتقاق سماعي . والمراد بالاشتقاق هنا الاشتقاق الصغير طبعا .

---

(١) وكلفظ الجون للابيض والاسود ، ولفظ الوئب للعود في لغة حمير . ويروى في أصل المثل « من دخل ظفار حمر ، أن اعرايبا دخل على ملك من ملوك حمير فقال له الملك : « ئب ، يريد : اقمع بلغة حمير ، فوئب الاعرابي ، فسأل الملك عن ذلك فقيل له إن الوئب بلغة العرب هكذا ، فقال أما إنه ليست عندنا عربية ، من دخل ظفار حمر ، أى تكلم بلغة حمير ، وهذا المثل صار يضرب لمن يدخل في القوم فيأخذ برؤسهم .

٢ - المجاز، وبه يتسع التعبير، وتظهر البلاغة، ويتنوع البيان.

٣ - التعريب، وهو نقل اللفظ من العجمية إلى العربية (١). وفي القرآن ألفاظ معربة كسجيل ومشكاة وأباريق واستبرق ويم وطور، وأنكر ذلك أبو عبيدة. وجمع آخرون بين الرأيين بأن الألفاظ أعجمية بحسب الأصل ثم صارت عربية.

وقد نشأ التعريب في اللغة العربية بمجاورة العرب في الجاهلية لسواهم من الأمم كالفرس والروم، وباختلاطهم بهم في التجارة والحروب والبعوث الدينية وغير ذلك.

٤ - النحت :

وهو أخذ كلمة من كلمتين فأكثر للدلالة بها على معنى ما نحتت منه كحمدل، في « الحمد لله »، « وبسمل » في « بسم الله »، وعبشمى في « عبد شمس »، وفائدته الاختصار وزيادة ثروة اللغة وسهولة النطق.

وهو غير قيامى لإعند ابن فارس، ومن الألفاظ المنحوتة المولدة : الفذلكة  
٥ - الترادف (٢) :

وهو توارد لفظين أو أكثر على معنى واحد كالبر والقمح والليث والأسد، وينكر بعض الباحثين الترادف في اللغة العربية بدعوى أن كل لفظ من المترادفات يفيد مالا يفيد الأخر والصحيح أنه ورد في اللغة. والترادف وسيلة للتعبير والإيضاح والبلاغة وهو ثروة في اللغة وسهولة في النطق.

وسبب الترادف قد يكون تعدد القبائل فتضع قبيلة اسما للشيء وتضع أخرى

(١) ص ٣ شفاه الغليل للخفاجي ط ١٢٨٢

(٢) راجع ٣٠٣ : ١ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط ١٩٣٥

اسماً آخر له ؛ وقد يكون اختلاف صفات الشيء ، ويرى ابن نجني أنه لا مانع من أن تضع القبيلة للمعنى الواحد ألفاظاً كثيرة . ويروى أن الرسول (ص) قال لأبي هريرة - وكان من قبيلة دوس - : ناولني السكين ، فلم يفهم أبو هريرة حتى أشار إليها الرسول (ص) فقال : ألمدية تريد ؟ فقبل له نعم فقال : أو تسمى عندكم سكيناً ؟ ثم قال : والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ .

#### ٦ - الإبدال :

وهو جعل حرف مكان حرف يقرب منه مخرجاً غالباً .  
وهو عظيم الأثر في زيادة ثروة اللغة . كمدح ومدح .  
ومشثرة تعدد اللغات ووضع القبائل ، أو تعدد الوضع من القبيلة الواحدة .  
ومن أمثلته : اطم و لدم ، ولثم أنفسه ورثمه . فاللطم : الضرب بالكف مفتوحة ، واللدم : الضرب بشيء ثقيل يسمع صوته . ولثم أنفه : لكه .  
ورثمه : كسره .

#### ٧ - القلب :

وهو تقديم حرف أو تأخيره من حروف اللفظ الواحد مع المحافظة على معناه أو انجرافه قليلاً عن أصله .  
وهو الاشتقاق الكبير . ومثاله : سبك وسكب ، وجذب جبذ وهكذا .  
وسببه التحريف أو اختلاف اللمجات أو استعمال القبيلة لهما فيما لهما مصدر واحد .

فالقلب وروده في اللغة مسلم ، وهو رأى اللغويين والكوفيين ، ويرى ابن درستويه أن مثل هذا لا يسمى قلباً لأن كل لفظ موضوع على حدة وذلك بسبب تعدد وضع القبائل .

ويرى آخرون أن ما كان له أصل واحد كان من القلب مثل أيس ويتس

وما كان له أصلان معروفان فهو من تعدد اللغات مثل جذب وجذب وهو مذهب البصريين .

### فصاحة لغة قریش :

وبعد فاللغة العدنانية كما سادت على جميع لهجات العرب ، كذلك سادت لهجة قریش على جميع اللهجات العدنانية ، بما كانت تضيفه إلى لغتها دائماً من ثروة لغوية بفضل ما أفادته من ذوق لغوي في رحلاتها التجارية وفي مواسم الحج وفي الاجتماعات العربية في الأسواق وسواها .

ثم جاء القرآن الكريم بلغة قریش فتم لها السيادة على جميع لهجات العرب .

وقال معاوية يوماً لجلسائه : أي الناس أفصح ؟ فقال رجل من السماط يا أمير المؤمنين : قوم قد ارتفعوا عن رنة العراق ، وتيامروا عن كسكسة بكر ، وتيامنوا عن قشقشة تغلب ، ليس فيهم غمغمة قضاة ، ولا طمطمانية حمير . قال : من هم ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين قریش . قال : صدقت ، فمن أنت ؟ قال من جرم . قال الأصمى : جرم فصحاء الناس . وبحق كانت قریش أفصح العرب كما يقول الجاحظ ( ١٢٧ / ٣ البيان والتبيين ) .

وكانت قریش تسمى آل الله وجران الله وسكان الله واكتسبوا منزلة دينية وسياسية واجتماعية وأدبية كبيرة مما جعل في العصر الجاهلي للقریش السيادة والغلبة والذبوع .

ويقول عبد المطلب بن هاشم :

نحن آل الله في ذمته لم نزل فينا على عهد قدم

لم نزل لله فينا حرمة يدفع الله بها عنا النقم

ويقول عمر بن عتبة : « إن كلامنا كلام يقل لفظه ويكثر معناه ويكتفى

بأولاه ويستشفى بأخراه ، يتحدر تحدر الزلال على الكبد الحراء ، والله قوم

أدركتهم كما بما خلقوا التحسين ما قبحت الدنيا ، سهلت ألفاظهم كما سهلت عليهم أنفاسهم ، .

وقال أبو الحسن : أمرع الناس جوا بما عند البديهة قريش ثم بقية العرب .

### اللغة العربية ومنزلتها بعد نزول القرآن :

وقد انتشرت اللغة العربية بعد نزول القرآن والفتح الإسلامي في جميع أرجاء العالم ، وأصبح يلهمج بها بعد قرن سكان سوريا ومصر وفلسطين وأفريقية الشمالية . وكان الاغريق قد سيطروا من قبل على الشرق الأدنى ، لكن سكانه ظلوا يتكلمون لغاتهم الأصلية منذ فتوح الاسكندر إلى الفتح العربي . ولم تعد اللغة اليونانية خلال عشرة قرون أن تكون لغة الطبقة المثقفة التي تبحث في السياسة والعلوم والآداب .

وحدث بعد مرور قرنين على الفتح العربي أن أعرضت كل هذه الشعوب عن لغاتها الوطنية واعتنقت العربية ، حتى إن المتكلمين بالعربية زاد عددهم عن عدد المتكلمين بالسريانية في القرن الثالث الهجري .

وقال الدكتور طه حسين في محاضرة له : إن لغة العربية مميزة لا توجد في اللغة اليونانية ، وهي قوتها وجاذبيتها وقدرتها على زحزحة اللغات الوطنية والتمركز محلها ، وهي في العالم الشرقى تشبه اللاتينية في أوروبا الغربية . وقد فعلت في الشرق الأدنى وأفريقيا الشمالية وأسبانيا ما فعلته اللاتينية في أوروبا الغربية ، فللغتين إذا القوة نفسها والمهمة نفسها .

ثم قال . إن أثر الثقافة اليونانية يومئذ لم يكن عميقاً ، وأن أولى الخدمات التي أدتها اللغة العربية للمدنية العالمية ، ولعلمها أعظمها ، هي أنها سهلت للثقافة اليونانية الاتصال بمختلف طبقات الشعب في الشرق الأدنى . ولهذا التعمق في الثقافة اليونانية أهميته الخاصة نظراً إلى أثر هذه الثقافة في العالم . فاللغة العربية لغة عالمية عملت على التعاون بين الأمم والشعوب وهذه اللغة التي

تسكمت بها شعوب الشرق الأدنى في أقل من قرنين وانتشرت أيضا في إيران والهند والشرق الأقصى ، وهي وإن لم تتمكن من زحزحة لغات هذه البلاد إلا أنها تركت فيها الأثر البين وهي لغة السياسة كما أنها بصفة خاصة لغة الدين والعلوم والآداب .

وفي خلال ثلاثة قرون أعرض الإيرانيون عن أديهم الإيراني وتأدبوا بالأدب العربي وكثيرون من كبار شعراء العربية هم من أصل إيراني أمثال بشار وأبو العتاهية وسولهما . وهكذا تمكنت العربية ، هذه اللغة البدوية ، في بعض الوقت ، من زحزحة لغة عريقة كالإيرانية التي صمدت في وجه اللغة اليونانية .

واللغة العربية لم تقتصر على الزحزحة والاحتلال ، بل إنها أخذت تغني الشعوب التي اعتنقتها عن لغاتها الأصلية ، وقد فتحت صدرها للفلسفة اليونانية وللحكمة الهندية والإيرانية ، وللسياسة الإيرانية والمدنية اليونان والهند وإيران ، وأصبحت العربية لغة تعاون بين الشعوب ، وخاصة بين الذين لم يتمكنوا بغير واسطتها من الاتصال والتفاهم . واللغة العربية هي الأولى في التاريخ التي أوجدت التعاون بين العالمين الشرقي والغربي ، وهذا عمل كبير وجليل .

وقد استطاعت العربية أن تحفظ مكانها بوصفها لغة مدنية حتى في عالم اليوم ، عالم القرن العشرين .

## الأدب العربي ودراساته

- ١ -

أدب اللغة العربية ما ثور شعرها الجميل ونثرها البليغ المؤثر في النفس المثير للعواطف ، وما يتصل به مما يعين على فهمه وتذوقه ونقده من لغة وأخبار وأيام وأنساب ونحو ذلك مما قد تمس الحاجة إليه في فهم الأدب ، كالإلمام بأطراف من الفلسفة ومذاهبها والنلك والعقائد والنحل ، فإن مثل هذه الألوان من المعارف تتردد كثيراً في النصوص الأدبية كما نجد ما في شعر أبي العلاء والمتنبي وغيرهما ، والأدب صورة الحياة ومرآتها . تتمثل فيه جوانب النهضة ، ومظاهر المدنية ، وأدوات الحضارة ، وألوان الثقافة ، ومرافق الحياة ، ونوازع النفوس . لكل أمة من الأمم في كل عصر من العصور ، ولهذا يقول ابن خلدون : « الأدب حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل فن بطرف (١) » . ويقول ابن قتيبة : من أراد أن يكون عالماً فليلزم فنا واحداً ومن أراد أن يكون أديباً فليتسع في العلوم .

و على هذا النحو تجد أمهات الكتب الأدبية كالآغانى والأمالى والكمال والعقد الفريد والبيان والتبيين .

- ٢ -

ولقد كان منهج المؤلفين من أدباء العربية في كتبهم ترجمة الأدباء والشعراء والعلماء ، ورواية آثارهم الأدبية ونقدها أو شرحها وتحليلها ، وقديوازون بينها وبين غيرها من الآثار ، مع الإلمام ببعض أصول الأدب والشعر ،

---

(١) المقدمة ٤٨٨ - ويلاحظ أن هذا ليس تعريفاً للأدب بمعنى هذه النصوص التي ندرسها وننشئها ، وإنما هو في الواقع تعريف لما يسمى التأديب أو تحصيل الثقافة العامة اللازمة لإنشاء الأدب وفهمه ونقده .

ونحو ذلك مما نجده مبشوراً مفرقاً في كتبهم الكثيرة ، أو مجتمعة قليلاً في بعض الكتب . وقد برزوا في هذه النواحي تبرزاً قوياً ظهر في كتبهم ، كوفيات الأعيان لابن خلكان ، وفوات الوفيات للكتبي ، وبغية الوعاة للسيوطي ، ومعجم الأدباء لياقوت ، والأغاني لأبي الفرج ، وبتيمة الدهر للثعالبي ، وقلائد العقيان للفتح بن خاقان ، ونفح الطيب للمقرئ ، والعمدة لابن رشيق ، والمثل السائر لابن الأثير ، والمقدمة لابن خلدون ، والموازنة الآمدى وغيرها .

غير أن ما في هذه الكتب لا يمدو - في الجملة - أن يكون أخباراً مفردة غير مرتبطة ، لا تحدد عصرها من العصور . ولا تصور الحياة الأدبية قوة وضعفاً في زمن من الأزمنة ، ولا تظهر ما بين الشعراء أو الكتاب من علاقة في الصنعة والمذهب ، ولا تذكر ما عرا النثر والنظم من تحول وتقلب ، فهي أدب لا تاريخ أدب .

وجاء المستشرقون فجمعوا هذه المسائل المفرقة ، واستمدوا منها أصولاً أعانهم على بحث تاريخ أدب العرب على ضوء بحوثهم في تاريخ أدبهم فقد بحثوا عصور الآداب العربية ، وردوا إلى كل عصر آثاره الأدبية ، وحلوا المؤثرات العامة التي أثرت في كل فترة قوة أو ضعفاً ، وعنوا بدراسة أعلام الأدب وبيان مذاهم ، وما يكون من تأثير القديم في المحدث ، وما يكون من المشابهة والفروق التي تباعد بين الشعراء والكتاب أو تقر بهم ، وغير ذلك من الدراسات التي لم يمهدها أدباء العرب والتي نسميها نحن الآن « تاريخ الأدب العربي » .

فتاريخ أدب اللغة إذن علم يبحث عن أحوال اللغة وآدابها ، ويصور ما يختلف عليها من رقي وانحطاط في مختلف العصور والأطوار ، ويعنى بتاريخ الناهين من أهل الصناعتين ونقد مؤلفاتهم وتأثير بعضهم في بعض بالفكر والصناعة .

وهو إذن علم حديث النشأة ، ابتدعه الإيطاليون في القرن الثامن عشر ، وعنى به المستشرقون في القرن التاسع عشر ، وقد ظل مجهولاً في الشرق حتى اشتد خلطه بالغرب ، فكان أول من نقله إليه المرحوم الأسناذ حسن توفيق العدل على أثر عودته من ألمانيا وقيامه بتدريسه في دار العلوم ،

ثم تتابع المؤلفون على هذا المنهج كإسكندري في الوسيط وجورجى زيدان في ( تاريخ آداب اللغة العربية ) والرافعى في ( تاريخ آداب العرب ) والزيات في ( تاريخ الأدب العربي ) وغيرهم من أساتذة الجامعة والأزهر .

أما كتاباه الوسيلة الأدبية للمرصفي ، و « المواهب الفتحية » ، لمحة فتح الله ، فهما على نهج الكتب القديمة ، وهي كما ذكرنا من كتب الأدب لا من كتب تاريخ الأدب . لأن الأدب كما رأينا هو نفس النصوص الشعرية والنثرية ، وتاريخه هو العلم الذي يبحث في أحوال هذه النصوص وأطوارها والعوامل السياسية والاجتماعية والإقليمية التي أثرت فيها ،

وهكذا نرى تاريخ الأدب يتصل بالتاريخ العام من حيث حاجة كل منهما إلى الآخر ، فالتاريخ السيامي يحتاج إلى تاريخ الأدب في استظهار بعض الصور الأدبية التي تتصل بالأخلاق بما يعينه على تعليل التقلبات السياسية ونحوها . والتاريخ الأدبي يحتاج إلى التاريخ السيامي في استنباط الصورة الأدبية الصحيحة بما يعرضه الأخير من النظم السياسية والاجتماعية المؤثرة في الأدب وفي حياة الأديب أو الشاعر ، فكلاهما متأثر بالآخر مؤثر فيه ،

هذا ومؤرخو الأدب يقسمون عصور تاريخ الأدب العربي إلى أقسام ، حسب الخصائص الفنية لكل مجموعة من الآثار الأدبية متأثرة بمؤثرات خاصة من النظم الاجتماعية والسياسية والدولية . وهذه الأقسام هي : العصر الجاهلي ويقدرونه بقرن ونصف قبل الإسلام ، وعصر صدر الإسلام من البعثة إلى سنة ٤١ هـ ، والعصر الأموي من ولاية معاوية سنة ٤١ هـ إلى سنة ١٣١ هـ

والعصر العباسي من سنة ١٣٢ هـ إلى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، ثم عصر الدول المتتابعة حتى بدء حكم محمد علي سنة ١٢٢٠ ثم عصر النهضة الحديثة من محمد علي إلى اليوم .

وهذاني الواقع تقسيم تقريبي مبني على مسأيرة اللغة العربية للانقلابات السياسية والاجتماعية ، إذ الواقع أن هذه العصور متداخلة ، نظراً لأن هذه المسأيرة تكون بطيئة ، وتأثر الأدب بهذه الانقلابات يكون تدريجياً ، بعد أن تتشبع نفوس الأدباء بالأحداث الجديدة .

- ٣ -

وينقسم الأدب إلى إنشائي ووصفي ، فالأدب الإنشائي هو ما تعبر به من شعر أو نثر عما تحس به من الخواج والعواطف والخواطر نحو الطبيعة سواء أكانت هذه الطبيعة داخلية تحسها في نفسك وتجدها في قلبك ؟ متمثلة في عواطفك وميولك وأهوائك ، أم خارجية تراها في الجبال والبحار والسماء والنجوم والرياح والأحداث المختلفة . فإذا هزك منظر من مناظر الطبيعة بأوراقك مشهد من مشاهدها ، أو اختلجت نفسك بعاطفة من عواطف الحب أو البغض أو الرثاء أو الازدراء ، وصورت ما أحسسته وشاهدته تصويراً ملائماً للموضوع ، فإن هذا التصوير الذي يتمثل في شعرك أو نثرك يسمى أدباً إنشائياً ، لأنك إنشأته بعد أن لم يكن ، وارتجلته مقلداً به الطبيعة التي يظهر ابتهاجها وغضبها مثلاً في عصف الريح وقصف الرعد واضطراب البحر ، وبتجلى ابتسامها ورضاها في ضوء الشمس وعرف الزهرة وتفريد الطائر . وإذن فموضوع الأدب الإنشائي الطبيعة داخلية أو خارجية .

أما الأدب الوصفي فهو ما يتناول القصيدة أو الرسالة من الأدب الإنشائي بالوصف والنقد والتقريظ ، فيثني عليها ويطنرها إن رضى عنها ،

وينقدها ويعيها إن يخط عليها . فهذا النقد أو التقريظ لا يصور الطبيعة تصويراً مباشراً ، ولا يصور تأثير صاحبه بها ، وإنما يصف الكلام الذى قبل فى تصوير الطبيعة ، فموضوعه إذن هو الكلام لا الطبيعة : القصيدة التى تصور البحر لا البحر نفسه .

فالآدب الوصفى إذن هو الذى نسميه نقداً ، ولا شك أنه وجد بعد الآدب الإنشائى ، وتستطيع أن تدخل فيه تاريخ الآدب ، إذ كان بما يعالجه هذا التاريخ الموازنة والخصائص الفنية ونحوها .

وبهذا تستطيع أن تقسم الآدب الوصفى إلى قسمين : أحدهما النقد الذى يبين ما يمتاز به الآدب الإنشائى من المحاسن والعيوب ، والآخر تاريخ الآدب ، وقد عرفت مهمته فى بيان أحوال الآدب وأطواره .

#### -- ٤ --

وينقسم الآدب كذلك إلى ذاتى وموضوعى .

فالآدب الذاتى هو الذى يعبر فيه الأديب عن خواطره ومشاعره وآرائه وأحاسيسه وتأملاته ، فالشعر الغنائى - وهو قسم التمثيلى والقصصى - من الآدب الذاتى لأن الشاعر يتغنى فيه بعواطفه الذاتية وخواجه النفسية وآماله وآلامه ، وليس معنى هذا أنه مجرد من الصبغة الموضوعية ، بل معناه أن الصبغة الذاتية هى الراجحة فيه .

والآدب الموضوعى هو ما لا يعبر به الأديب عن عاطفته أو ميوله الخاصة ولا ينطق بلسان نفسه ، وإنما يعبر به عما يجول عما يجول بخواطر غيره فالآدب التمثيلى والقصصى من الآدب الموضوعى ، لأن الشاعر أو الكاتب إنما يعبر فيهما عما يجول بخواطر الأشخاص الذين يتحدث عنهم ويعبر عن آرائهم وينطق بلسانهم ، فهو كالمؤرخ يسرد الحوادث التاريخية فى أسلوب بليغ دون أن يصيب عباراته بهزات وميوله وآرائه الخاصة .

## الباب الثاني

### النثر الجاهلي

معنى الجاهلية :

يسمى العهد الذي كان قبل بعثة الرسول صلوات الله عليه العصر الجاهلي . وقد وردت نصوص إسلامية كثيرة فيها لفظ «الجاهلية» . من ذلك قول عمر رضي الله عنه : إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة ، وقول عائشة رضي الله عنها : كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء ، وقولهم : يا رسول الله كنا في جاهلية وشر ، وقالوا : شاعر جاهلي ، وقال رسول الله صلوات الله عليه أربعة في أمتي من أمر الجاهلية . كل ذلك من الجهل ، ضد العلم والمعرفة ، أو بمعنى السفه والطيش والإثم ، أو بمعناها جميعاً ، ثم قيل جاهل بهذا المعنى أو ذاك أو ذلك ونسب لإيه ، وأصبح ذلك علماً على العصر الذي كان في شبه الجزيرة العربية قبل مبعث محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا الاسم حدث في الإسلام كما يقول ابن خالويه (١) .

وسنتحدث هنا عن الأدب العربي في العصر الجاهلي وما كان عليه شعراً ونثراً ، وعن أعلام الأدب وحياتهم وأدبهم .

الشعر والنثر :

والأدب الجاهلي ، أو قبل الأدب على الإطلاق قسمان : شعر ونثر : فالشعر هو الكلام الموزون المنقفي ، والنثر هو ما خلا من الوزن والتقفية

---

(١) راجع ص ١٥ من كتاب عادات العرب في جاهليتهم ط القاهرة ١٩٢٤ وراجع في هذا البحث الشهاب الراصد ص ٤٩ ط ١٩٢٦ .

والشعر يعتمد على الخيال والعاطفة ، ويشير الشعور والوجدان ، والنثر غالباً ما يعتمد على الحقائق ويركن إلى صدق التعبير ، وقد يعتمد على الخيال ويعتمد إثارة العواطف ، ويصاغ في أساليب شبيهة بأساليب الشعر فيسمى شعراً منشوراً .

والنثر نوعان : أحدهما ما يدر في كلامنا المألوف إذا تحدث الناس بعضهم إلى بعض في حاجاتهم ومصالحهم فيرسلونه لإرسالاً على سجيتهم وعلى ما تدعو إليه الحاجة والمصلحة ، وهذا ما نسميه لغة التخاطب ، وهذا لا يعنى به الأدب وليس قسماً منه ، فليس شعراً ، وهو في الوقت نفسه ليس هو النثر الذى يحفظ ويروى ويتأدب به الذى هو أحد قسمي الأدب ، وإنما هو كلام عادى لم يقصد أصحابه فيه غالباً إلى الإجادة ولا إلى جمال فنٍ وإنما أرادوا تأدية ما في نفوسهم من المعاني وتحقيق ما تقتضيه منافعهم من الأغراض .

والثاني هو ما يسمى نثراً فنياً وهو ما حوى أفكاراً منظّمة ، في عرض جميل جذاب وصياغة جيدة السبك فصيحة الأسلوب ، وهذا هو الذى يعد قسماً للشعر في باب الأدب ، وأهم أنواعه : الخطابة ، والكتابة الفنية . والكتابة عند الأوربيين : وصف أو قصص ، وعند العرب : رسائل وقصص ومناظرة وجدل وتاريخ . وستكلم على مظاهر الأدب في العصر الجاهلي بالتفصيل .

ولكن هل الشعر هو السابق في اللشأة الادبية أو النثر الفني ؟

يرى الدكتور طه حسين ومن اتبعه مقلدين في ذلك بعض المستشرقين كالمسيو مرسيه الفرنسي أن الشعر أسبق في الوجود من النثر الفني (١) . ويستدلون على ذلك بما يأتي (٢) :

(١) راجع ص ٣٣ : ١ النثر الفني لذكى مبارك

(٢) ص ١٠ - ١٢ - ١٧٢ وما بعدها التوجيه الأدبي ط ١٩٤٠ - الباب السابع

( ا ) الشعر في آداب الامم الاوربية سابق على النثر فعند اليونان كانت قصائد هوميروس تمشد ويتغنى بها قبل أن يؤلف كتاب أو يظهر نثر فني ، وفي الادب الإنكليزي ترى أن أقدم الآثار الادبية عند الانكليز القدماء القصائد التي تصف أعمال ديولف ، وهي ترجع إلى القرن السادس أو السابع الميلادي . فقد ظلت الامم تتمتع بأدب الشعر قبل أن يثأ فيها أدب النثر .

( ب ) كثرة الشعراء في العهد الاول لأدب أي أمة من الامم وزيادتهم زيادة بينة على كتاب النثر .

( ج ) ومن أقوى الأسباب التي قدمت نشأة الشعر على نشأة النثر في رأيهم أن الادب المنشور يتطلب معرفة بالكتابة والكتابة متأخرة في تاريخ كل أمة فقصاصد هوميروس انتشرت وذاعت وتناقلها الناس قبل أن تذيب الكتابة وكذلك روى الرواة الشعر العربي القديم قبل أن تذيب الكتابة ، ومشى الادب المنشور لا بد له من تدوين ما يحظر له .

( د ) الشعر يعتمد على الخيال في حين يعتمد النثر الفنى على المنطق والتفكير والخيال يسبق التفكير في حياة الافراد والجماعات (١)

( هـ ) الجماعات الساذجة نجد عندها كلاما موزونا دون أن نجد عندها نثرا فنيا صحيحاً .

( و ) الشعر متصل بالفناء فالناس يغنون شعراً قبل أن يغنوا نثرا لأنهم

---

= من كتاب أصول النقد الأدبي للشايب ، ٣٦٤ - ٣٦٨ من كتاب الادب الجاهلي لطله حسين . وراجع في ذلك البحث : الطبع والصعقة لمهاوى و ٣٧ : الحيوان للجاحظ .

(١) ويبدو لي أن نظرية سبق الشعر للنثر أخذها المستشرقون من كتاب الشعر لأرسطو ، ففي الشفاء - فن الشعر - ما نصه : التخيل أسبق في الزمن من التصديق فالناس أول ما يسمعون إنما يسمعون الامثال الشعرية التي فيها مشاكلة للاقوال التخيلية ثم يتدرجون إلى الخطابة ثم إلى البرهان ( الشفاء فن الشعر )

يجدون في الشعر أوزاناً تلائم تفتيح الغناء وأنغامه (١)

أما الدليل الأول فلا يدل على شيء ، بل إن دل فإنما يدل على ضياع النثر لعدم تدوينه وبقاء الشعر لأنه يعلق بالحفاضة ويمتد بالرواية .

ومن أجل ذلك بقي الشعر وأخبار الشعراء معروفة لم يحف عليها النسيان وهو السبب في كثرة الشعراء في العصور الأولى من عصور آداب الأمم كثرة كبيرة وفي زيادتهم على الكتاب ورجال النثر ، وبذلك نجد الدليل الثاني منهاراً .

ولعدم وجود الكتابة في العصور القديمة التي هي وسيلة لتخليد النثر الفني ضاع أغلب ما لدى الأمم من نثر فني ، فكيف إذا استدلون على سبق الشعر للنثر باحتياج الأدب المنشور للكتابة في تدوينه ، وبذلك تجد الدليل الثالث لا يكاد يسير نحو الهدف خطوة واحدة .

وزعمهم أن الشعر يعتمد على الخيال والنثر على المنطق والتفكير صحيح في الأول مبالغ فيه في الثاني ، فلم لا يكون النثر الفني في بدء نشأته قد اعتمد على الخيال أيضاً كالشعر ، ولم لا يكون هذا النثر قد اعتمد على المنطق والتفكير على حسب عقلية الأمة وثقافتها ومقدار تفكيرها في هذه العصور القديمة ، وبذلك نجد الدليل الرابع لا يؤدي إلى غاية .

وأما أن الأمم التي لم تصعد درجة في الحضارة لها شعر وليس لها نثر في نطقاً في الرأي ، فإن هذه الجماعات الساذجة يوجد بجانب ما لديها من شعر نثر ملائم لعقليتها ومظهره الأمثال والحكم والتجارب والنصائح ، وذلك

---

(٢) ويرى المستشرقون أن كلمة شعر مأخوذة من اللغة العبرية من كلمة شعر ، بمعنى الترتيلة أو التسميحة القدسية ويرجعون ذلك بأنه لم يرد في العربية شعر بمعنى القصيدة وكل ما فيها : شعر أي قال الشعرو في اللغة الإنجليزية كلمة Bezd معناها الشاعر المغني وكان الأعشى صناجة العرب لأن شعره كان يغني به (٦٩) لجر الاسلام و٢٧ الزيات والتوجيه الأدبي )

يشاهد كثيراً في بيئتنا المصرية العامة التي يمثل بها هؤلاء تأييداً لأهم من سبق الشعر للنثر وبذلك لا يمكننا التعويل على الدليل الخامس .

وأما أن الشعر غنى به من قديم قبل أن يغنوا نثراً فنشأ ذلك أن الشعر أصلح للغناء من النثر لموسيقاه وقافيته ، فكيف يتركونه ويغنون بنثر فنى لا يلائم الغناء .

والحق أن النثر وجد أولاً ثم تحول إلى النثر الفنى ، ثم نشأ بعد ذلك الشعر ، ويؤيد هذا الرأي إجماع كثير من المستشرقين على أن السجع كان المرحلة الأولى التي عبرها النثر إلى الشعر في الأدب العربى القديم .

ويؤيده أيضاً وجود الكتب الديلمية السماوية من قديم الأجيال فى الأمم التي أنزلت لها ، وذلك قبل أن نسمع بالشعر والشعراء . ولعل هذه الكتب هي التي أدت إلى نشأة النثر الفنى فى العصور القديمة البعيدة قبل أن يوجد الشعر بزمان طويل .

ويؤيده أيضاً إجماع الباحثين أو شبه إجماعهم على أن النثر أسبق من الشعر (١)

\* \* \*

وبعد فالنثر مرسل ومزدوج ومسجوع .

فالمسجوع كما فى سورة الكوثر ، والسجع هو ما اتحدت فاصلته أو فواصله فى الحرف الأخير مثل : من عاش مات ، ومن مات فات .

والمزدوج هو ما اتحدت فواصله فى وزنها لافى الحرف الأخير منها - مما نسميه تقفية ، مثل قوله تعالى : ونمارق مصفوفة ، وزرابى مبثوثة . ويسمى هذا الموازنة عند علماء البديع ، فإن اتحدت الفواصل وزناً وتقفية عد من السجع فى الراجح وعده بعضهم من المزدوج .

والمرسل هو ما خلت فواصله من الاتحاد فى الوزن والقافية معا مثل :

---

(١) راجع ١٧ تاريخ الأدب العربى للزيات وسواه .

وإيلاف قريش ، لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف ،

هذا وينكر بعض المستشرقين ومن تابعهم وجود نثر فى جاهلى لأن عيشة العرب الأولين لم تكن توجد النثر الفنى لأنه لغة العقل ، على حين سمعت بالشعر لأنه لغة الخيال وال عاطفة ، وهذا رأى خطأ ، بدليل ما يأتى :

(أ) كان عند كثير من الأمم القديمة كالفرس والهنود وقدماء المصريين نثر فى قبل الميلاد بكثير فلم لا يكون للعرب نثر فى بعد الميلاد بخمسة قرون؟  
(ب) وجود الكتب يستدعى وجود نثر فى .

(ج) بقاء بعض من النثر الجاهلى فى مصادر الأدب العربى وأمهات كنيه كالأنغانى والأمالى وسواهما ، أما الكثير منه فقد ضاع لعدم تدوينه بالكتابة التى لم تكن معروفة فى الجاهلية إلا للتقليل النادر من الناس (١)

\* \* \*

هذا والنثر الجاهلى ينقسم إلى أمثال وحكم ووصايا ، وخطب ، ومنافرات ، ومفاخرات . ومحاورات ، ونثر الكهان .

وستنكلم عن هذه الألوان الأدبية إن شاء الله تعالى (٢)

(١) هذا وينكر طه حسين كل ما يضاف إلى عرب الجنوب من نثر فى الجاهلية ، لأن النثر المروى لنا إنما جاء بلغة قريش التى لم يكن لهم به علم ولأنه كان لهم لغة معروفة كتبوها وتركوا لنا فيها نصوصا منثورة كشفها المستشرقون وهو لا توافق لغة قريش فى شىء فكل ما يضاف إلى اليمنيين عنده من نثر مرسل أو مسجوع أو خطابة فى الجاهلية منتحل . أما عرب الشمال فيرى رفض ما يضاف إلى ربيعة وغيرها من عرب العراق والبحرين والجزيرة من نثر ، ويتردد فيما ينسب الى مضر وهذا هو موقفه بالنسبة للشعر الجاهلى أيضا

(٢) راجع ٣٦٤ - ٣٧٥ الأدب الجاهلى . طه حسين فى الكلام على النثر الجاهلى . وص ٨٦ - ١١٣ من كتاب الاسلوب للشايب فى الكلام على أساليب النثر . والباب السابع فى النثر من كتاب النقد الأدبى للشايب .

## مميزات النثر الجاهلي

- ١ -

يمتاز النثر الجاهلي في معانيه بما يأتي :

١ - الصدق والسذاجة والبساطة وعدم المبالغة أو الغلو

٢ - عدم التعمق في المعاني أو تعقيدها أو التركيب والمزج بينها ، لأنهم كانوا في بدوأة تامة في حياتهم وتفكيرهم وكل شئون معيشتهم .

٣ - معانيهم مستمدة من بيئتهم وحياتهم ، ومنطلقة مع الحرية التي ألقتهم وألغوها ، وهي بدوية كلون حياتهم ، تنطق عن فطرة البدوأة وتفكيرها وإحساسها .

٤ - كثرة الحكم والأمثال في نثرهم

٥ - تفكك المعاني وكثرة الانتقال بينها

- ٢ -

ويمتاز النثر الجاهلي في أغراضه بأنه كان يلقى في :

١ - الدعوة إلى الانتقام والأخذ بالثأر وإشمال نار الحرب . أو الدعوة إلى الصلح والسلام .

٢ - المفاخرة والمنافرة والمحاوراة والسكهانة ،

٣ - وصف مشاهد الحياة ومظاهرها في الصحراء .

التوصية بفعل خير أو إسداء معروف أو سلوك نهج محمود أو بعد عن خطئة مذمومة .

٥ - الوفاة على الأمراء والملوك إلى غير ذلك من شتى أغراض النثر

في العصر الجاهلي : كالتبشير بلبي جديد ، أو النهي عن الرذائل والآثام .

- ٣ -

أما ألفاظ النثر الجاهلي فيبدو عليها السذ والبداوة ، فأحيانا سهلة رقيقة . وأحيانا وحشية وغريبة ، ولم يكونوا يتأنفون في اختيار اللفظ ذي النغمة المنشابهة أو الجرس المتآلف ، ويندر استعمالهم للألفاظ الأعجمية في نثرهم إلا قليلا منهم ممن اتصلوا بالفرس وسواها من الأمم القديمة .

وأسلوب النثر الجاهلي يمتاز : بالخلو من اللحن والإيجاز ، وقلة المترادف ، وإيثار الكتابة القريبة على التصريح ، وبقصر الجمل غالبا ، وخاصة في الحكم والأمثال وسجع السكهان ، كما يمتاز بعدم التكليف في الصياغة والأسلوب ، وإهمال الربط بين الجمل وعدم قصد المحسنات البديعية أو تعمدها ، وكلامهم يخلو منها إلا نادرا وعن غير عمد أو قصد . وفي أسلوبهم الجزالة والقوة وشدة الأمر ، والوضوح : والقرب إلى الذوق الأدبي المطبوع .

## أمثلة للنثر الماثور في العصر الجاهلي

- ١ -

من النثر الفني في العصر الجاهلي هذه القطعة التي رواها القالي عن ابن الكلب عن أبيه قال (١) :

كان قيل من أقيال حمير منع الولد دهرأ ، ثم ولدت له بنت ، فبنى لها قصرأ منيفأ بعيدأ من الناس ، ووكل بها نساء من بنات الأقيال يخدمنها ويؤدبنها ، حتى بلغت مبلغ النساء ، فنشأت أحسن منشاء وآتمه في عقلها وكالمها ، فلما مات أبوها ملكها أهل مخلصا (٢) . فاصطنعت النسوة اللواتي ربيها وأحسنت إليهن وكانت تشاورهن ولا تقطع أمرأ دونهن . فقلن لها يوما : يا بنت الكرام لو تزوجت لتم لك الملك ، فقالت : وما الزوج ؟ فقالت لإحداهن : الزوج عز في الشدأند ، وفي الخطوب مساعد ، إن غضبت عطف ، وإن مرضت لطف . قالت : نعم الشيء هذا . فقالت الثانية : الزوج شعاري حين أصرد (٣) ؛ ومتسكني حين أرقد ، وأنسى حين أفرد ، فقالت : إن هذا من كمال طيب العيش - إلى آخر هذه القطعة الطويلة الجميلة الساحرة .

- ٢ -

وعن أبي عبيدة قال (٤) :

كان قيس بزرفاعة يقد سنة إلى النعمان اللخمي بالعراق وسنة إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني بالشام ، فقال له يوما وهو عنده : يا ابن رفاة ، بلغني أنك تفضل النعمان علي ، قال : وكيف أفضله عليك أبيت اللعن ؟ فوالله لفتاك أحسن من وجهه ، ولأملك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من قومه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولحرمانك أنفع من نداءه ؛ ولقلبك أكثر

(١) ١:٨٠ الأمالى (٢) الخلاف : السكورة (٣) أى أبرد (٤) ١:٢٥٧ الأمالى

من كثيره ، ولكرسيك أرفع من سريره ، ولجدولك أظهر من بحوره ،  
وليومك أفضل من شهوره . ولزندق أورى من زنده ، ولجندك أعز من  
جنده ، وإنك لمن غسان أرباب الملوك ، وإنه لمن لحم الكثيرى النوك (١) ؛  
فكيف أفضله عليك ؟ .

-- ٣ --

وعن العباس بن هشام عن أبيه قال (٢) :

كان قس بن ساعدة يقد على قيصر ويزوره ، فقال له قيصر يوما :  
ما أفضل العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال :  
وقوف المرء عند علمه ، قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء  
وجمه ، قال : فما أفضل المال ؟ قال : ما قضى به الحق .

- ٤ -

ومن المثل كذلك ما قالته وفود العرب في تمزية سلامة ذى فائش  
بابنه (٣) ومنها :

قال الملببُ : أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلب ، وتعطى لتأخذ ، وتجمع  
لتشتت ، وتحلى لتمر ، وتزرع الأحزان فى القلوب بما تفجأ به من استرداد  
الموهوب . وقد تناهت إليك أنباء من رزى فصبر ، وأصيب فاغتر الخ .

-- ٥ --

واجتمع (٤) عامر بن الظرب المدوانى وحممة بن رافع الدوسى (٥)  
عند ملك من حمير فقال : آساء لا حتى أسمع ما تقولان ، فقال عامر لحممة :

---

(١) أى الحق (٢) ٢:٣٧ الأماى (٣) ٢:٩٩ الأماى

(٤) ٢:٢٧٦ الأماى

(٥) وكان ابنته عمرو أحد من تتحاكم اليه العرب (٢٠١٤٣ الأماى)

من أجدر الناس بالصنيعة ؟ قال : من إذا أعطى شكر ، وإذا منع عذر ،  
وإذا موطن صبر ، وإذا قدم العهود ذكر ، قال : من أكرم الناس عشرة ؟  
قال : من إن قرب منح ، وإن بعد مرح ، وإن ظلم صفيح ، وإن ضويق سمح  
قال : من أحكم الناس ؟ قال : من صمت فادكر ، ونظر فاعتبر ، ووعظ  
فازدجر الخ .

- ٦ -

وكان هوذة بن علي الحنفي يهجر العليمة كسرى في كل عام ( واللطيمة غير  
تحمل الطيب والبز ) فوفد على كسرى ، فسأله عن بليه ، فسمى له عددا . فقال :  
أيهم أحب إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والغائب حتى يرجع . والمريض  
حتى يفيق ، فقال له : ما غداؤك في بلدك ؟ قال الخبز . فقال كسرى لجلسائه :  
هذا عقل الخبز ؛ فيفضله على عقول أهل البوادي الذين غداؤهم اللبن والتمر (١) .

-- ٧ --

ويروى (٢) أنه لما بلغ الحارث (٣) بن عمرو ملك كندة جمال ابنة عوف  
ابن محم الشيباني ، وكألهما قوة عقلمها ، دعا امرأة من بني كندة يقال لها عصام  
ذات عقل ولسان وأدب وبيان ، وقال لها : اذهبي حتى تعلمي لي علم  
ابنة عوف .

فصت حتى انتهت إلى أمها ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت إلى ابنتها ،  
وقالت : أي بلية ؛ هذه خالتك أتتك لتنظر إليك ، فلا تستري عنها شيئا  
أرادت النظر إليه من وجهه وخلق ، وناطقها إن استنطقتك .

---

(١) ص ٩٧ مختار العقيد الفريد ١٩١٠

(٢) بمجمع الأمثال ص ١٩٢ ج ٢ ، العقيد الفريد ص ٢٢٣ ج ٣ ، ٣٢٧ مختارات

العقد (٣) من أشرف العرب في الجاهلية ، كان مطاعاً في قومه ، قوياً في  
عصبته ، وكانت تضربه قبة في عكاظ ، توفي نحو ٤٥٠ ق . هـ

فدخلت عصام إليها ، فنظرت إلى ما لم تر عينها مثله قط بهجة وحسناً  
وجالاً ؛ فإذا هي أكمل الناس عقلاً ، وأفصحهم لساناً ، فخرجت من عندها  
وهي تقول : ترك الخداع من كشف القناع .

ثم أقبلت إلى الحارث ، فقال لها : ما وراءك يا عصام ؟ قالت : صرح المخض  
عن الزبد (١) . قال : أخبريني . قالت : أخبرك صدقاً وحقاً :

رأيت جبهة كالمراة الصقيلة ، يزيناها شعر حالك كأذنا ب الخيل المصفورة ،  
إن أرسلته خلته السلاسل ، وإن مشطته قلت عناقيد كرم جلاها الوايل (٢) ،  
وحاجبين كأنهما خطا بقلم ، أو سودا بجمم (٣) ، قد تقوسا على عين الظبية  
العبرة (٤) ، التي لم يرعها قانص ، ولم يذعرها قسورة (٥) ، بينهما أنف  
كحد السيف المصقول ، لم يخس (٦) به قصر ، ولم يمض به طول ، حفت به  
وجنتان كالأرجوان (٧) في بياض محض كالجمان (٨) ، شق فيه فم كالخاتم ،  
لذيذ المبتسم ، فيه ثنايا غر ، ذوات أشر (٩) ، وأسنان تبدو كالدرر ، يتقلب  
فيه لسان فو فصاحة وبيان ، يحركه عقل وافر ، وجواب حاضر (١٠) . . .  
إلى أن قالت :

فأما ما سوى ذلك فتركت أن أصفه ، غير أنه أحسن ما وصفه واصف بنظم  
أو نثر ؛ فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها ، فزوجه إياها .

---

(١) مخض اللبن : أخذ زبده ، والتصريح : التبيين . وهو مثل يضرب للامر  
إذا انكشف وتبين .

(٢) الوايل : المطر الشديد (٣) الجمم : الفحم .

(٤) العبرة : الرقيقة البشرة الناصعة البياض (٥) القسورة : الرماة من

الصيدان (٦) خنس : تأخر ، والخنس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في  
الأنفة (٧) الأرجوان : صبيغ أحمر (٨) الجمان : اللؤلؤ (٩) أشر الأسنان :  
التحزيز الذي فيها .

(١٠) انظر بقية الوصف في مراجع القصة .

فلما حملت إلى زوجها ؛ قالت لها أمها - أمانة بنت الحارث :

أى بنية ؛ إن الوصية لو تركت لفضل أدب . تركت لذلك منك ، ولكنها تذكركم للغافل ومعونة للعاقل ؛ ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء خلقن للرجال ، ولهن خلق الرجال .

أى بنية ؛ إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلفت العش الذي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفه ، وقرين لم تألفه ، فأصبح بملكك عليك رقيباً ومليكاً ، فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً (١) .

يابنية ؛ احملى عني عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً : الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ؛ والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ؛ فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ؛ فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنقيص النوم مغضبة ، والاحتفاظ ببيتته وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله ؛ فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ، ولا تنفى له سرا ، ولا تعصى له أمراً ؛ فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى صدره ، وإن عصيت أمره أو غرت صدره ؛ ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان ترحاً ، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ؛ وكوني أشد ما تكونين له إعظماً يكن أشد ما يكون لك إكراماً ، وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة .

واعلمى أنك لا تصلين إلى التحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله بخير لك .

وذكروا أن هند بنت عتبة قالت لأبيها : لا تزوجني من أحد حتى تعرض علي أمره وتبين لي خصاله ، فخطبها أبو سفيان وسهيل بن عمرو فدخل عليها أبوها يقول :

أناك سهيل وابن حرب وفيهما رضا لك يا هند الهنود ومقنع  
وما منهما إلا يواسي بفضله وما منهما إلا يضر وينفع  
وما منهما إلا كريم مرزأ وما منهما إلا أغر سميدع  
فدونك فاخترى فأنت بصيرة ولا تخدعي إن المخادع يخدع

قالت : يا أبت والله ما أصنع بهذا شيئاً ، ولكن فسر لي أمرهما ، وبين لي خصالهما ، حتى أختار أشدهما موافقة لي ، فبدأ بذكر سهيل ، فقال : في ثروة وسعة من العيش إن تابعته تابعتك ، وإن مات عنه حط اليك ، تحمكين عليه في أهله وماله . وأما الآخر : فوسع عليه ، منظور إليه في الحسب الحسيب ، والرأى الأريب . مدره أرومته ، وعز عشيرته ، شديد الغيرة ، كبير الطهرة . فقالت : يا أبت الأول سيد مضياع للحرمة فاعست أن تلين بمد إبانها ، وتضيع تحت جناحه ، إذا تابعتها بعلمها فأشرت ، وخافها أهلها فأمنت ؛ فساء عند ذلك حالها ، وقبح دلالها ، فإن جاءت بولد أحقت ، وإن أنجبت فمن خطأ ما أنجبت ، فاطو ذكر هذا عني ، ولا تسمه علي بعد . وأما الآخر فبعل الفتاة الخريذة ، الحرمة العفيفة ، وإني لأخلاق مثل هذا الموافقة : فزوجنيه ؛ فزوجها من أبي سفيان (١) .

## أقسام النثر الجاهلي

### ١- الحكيم والأمثال ، ونماذج لهما :

١- من حكماء العرب أكرم بن صيفي التيمي ، ومن حكمه :

رب عجلة تهب ريثا . رضا جميع الناس غاية لا تدرك آفة الرأي الهوى .  
من يزر غبا يزدد حبا . من سأل فوق قدره استحق الحرمان ، لم يذهب من  
مالك ما وعظك ويل للشجي من الخلى . مقتل الرجل بين فكبيه . قبل الرماء  
تملأ الكعبان (١) .

٢- ومن حكمائهم : ذو الاصبع العدواني ، وعامر بن الظرب وقس بن  
ساعدة ، وحاجب بن زرارة ، وهاشم بن عبد مناف ، وعبد المطلب بن هاشم  
وهند بنت الحنيس . وسواهم ، ولا داعي لذكر أمثلة لحكمتهم . ومن أقدم  
حكمائهم لقمان المشهور (٢) ومن حكمه : رب أخ لك لم تلده أمك . الصمت  
حكم وقليل فاعله ، آخر الدواء الكي .

وكان عمرو بن حممة الدوسي أحد من تتحاكم العرب (٣) .

٣- ومن حكمهم : العتاب قبل العقاب . كَلِمَ اللسان أنكى من كَلِمِ  
السنان . أول الخزم المشورة . أنجز حر ما وعد . أترك الشر يتركك . رب  
ملوم لا ذنب له . من مأمته يؤتى الخذر .

---

(١) راجع ص ٢١٦ معراج البيان . وراجع أمثال أكرم بن صيفي وبزوجهير

في العقد ص ٦٢ ج ٢

(٢) يتنازعه العرب والحبشة والمصريون واليهود وراجع الحديث عنه في

الجزء الثاني من الشريشي ، وكتاب الذكر الحكيم في تفسير سورة لقمان ، ص ٧٨

و ٧٩ : ١ فجر الإسلام (٣) ٢ : ١٤٣ الآمال

- ٤ - ومن أمثالهم :  
إن العوان لا تعلم الخزرة (١)  
إن البلاء موكل بالمنطق (٢)  
إن أخاك من أساك .  
سبق السيف العذل (٣)  
عينك عبرى والفؤاد فى دد . والدد : اللهو (٤) .  
عند جبهة الخبر اليقين .  
مايوم حليلة بسر (٥)  
أحشفاً وسوء كيلة - ويضرب لمن يجمع بين خصمتين مكروهتين .  
نفس عصام سودت عصاماً (٦) .  
الصيف ضيعت اللبن .  
كالمستجير من الرمضاء بالنار .  
رجع بخفى حنين .  
اليوم نحر وغدا أمر (٧)  
إلى غير ذلك (٨) .

٥ - وقد يتمثل بالأمثال على لسان طائر أو حيوان أو نبات أو جماد

- 
- (١) العوان: النصف التى بلغت مبلغ النساء ، والخزرة : لبس الخنار . يضرب للعالم بالأمر المجرب له .  
(٢) ينسب لأبى بكر قاله حين أمر الرسول أن يعرض نفسه على القبائل ويضرب لمن يتورط بقوله فيما يؤذيه .  
(٣) يضرب فى الخطأ يلام فاعله بعد وقوعه .  
(٤) يضرب لمن يظهر خلاف ما يبطن ،  
(٥) حليلة بنت ملك غسان . يضرب للامر المشهور الذى لا يكاد يحمل .  
(٦) يضرب فى سؤدد الرجل بنفسه  
(٧) يضرب فى تقلب الايام  
(٨) راجع ٢٢٤ وما بعدها معراج البيان ، وراجع كتاب الامثال للميدانى

نسائية وفكاهة أو خوفا وحذارا من استبداد مستبد أو استطرافا وروعة  
أو وضعاً للحكمة في موضع الأمر المشهور المسلم به من كل شيء . ويمثل ذلك  
كيلة ودمنة وفاكهة الخلفاء وسواهما .

ومن ذلك :

في بيته يؤتى الحكم (١) .

كيف أعادك وهذا أثر فأسك (٢)

إلى غير ذلك . . .

٦ - وفي النثر الجاهلي ألوان من القمص تتمثل في سير أيام العرب ، وفي  
القصص المروية عن الفرس ، وفي أحاديث الهوى والشباب (٣) .

ماهى الحكمة :

والحكمة قول بليغ موجز صائب يصدر عن عقل وتجربة وخبرة  
بالحياة ويتضمن حكماً مسلماً في أمر بخير أو نهى عن شر . وقد كثرت الحكم  
والحكمة في الجاهلية (٤) وكان في كل قبيلة حكميم تفرع إليه في الشدائد  
والمعضلات والمنافرات والخصومات .

والحسب من البلاغة بمكان كبير لإيجازها ووضوحها وفصاحتها ودقة  
معناها وجلال هدفها .

---

(١) قالوا : إن الأرنب النقطت ثمرة فاختلسها الثعلب وأكلها فانطلقا يتخاصمان  
إلى الضب فقالت الأرنب يا أبا الحسل . قال : سميعا دعوت . قالت : أتيناك  
لنختصم إليك . قال : عادلا حكمتما . قالت : فاخرج إلينا . قال : في بيته يؤتى  
الحكم . قالت : إني وجدت ثمرة . قال : حلوة فكلمها . قالت فاختلسها الثعلب  
قال : لنفسه بغى الخير . قالت . فلطمته . قال : بحمك أخذت . قالت : فلطمنى  
قال : حر انتصر . قالت : فاقض بيننا . قال : قد قضيت . فذهبت أقواله كلها أمثالا  
(٢) يضرب لمن لا يفي بالعهد . وهو مقول على لسان حية .

(٣) راجع ٨٢ - ٨٥ : ١ فجر الإسلام

(٤) وكانت هند بنت الحنيس من حكميات العرب ( راجع حديثها مع أبيها

في ص ١٠٧ ذيل الأمالى )

وهي تسكب الكلام سحرا وحلاوة ، وتجعله مقبولا في الذوق ، قريبا إلى القلب ، مسلما به من العقل والشعور والوجدان .  
وإذا اشتهرت الحكمة صارت مثلا .

ما هو المثل ؟ (١)

المثل مأخوذ من قولك هذا مثل الشيء ومثله أى شبهه ، ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلا ، وفي العبرية كلمة مشمل بمعنى الحكمة السائرة والحكاية القصيرة ذات المغزى والأساطير .

والمثل يعرف بأنه قول سائر شبه مضر به بمورده ، أو قل شبه فيه حال المقول فيه ثانيا بحال المقول فيه أولا ، وهذا هو رأى المبرد . وقال المرزوقي : هو جملة من القول تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول فتنتقل عما وردت منه إلى كل ما يصح قصده منها من غير تفسير يلحقها في لفظها وقد جمع هذا التعريف بين المثل والحكمة .

ويمتاز المثل بشهرته وإيجازه ودقة معناه وإصابة الغرض المنشود منه وصدق تمثيله للحياة العامة ولأفكار الشعب على وجه الخصوص ، وهو يكسب الكلام سحرا وروعة وجمالا وبلاغة . وتقال الأمثال الفرضية للحذر من استبداد المستبدين وطغيانهم ، وهي وسيلة للنقد والسخرية حقا .

والأمثال أصدق شئ . يتحدث عن أخلاق الأمة وتفكيرها وعقليتها وتقاليدها وعاداتها ، ويصور المجتمع وحياته وشعوره أتم تصوير ، وهي مرآة للحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية .

والأمثال يصعب عليك تمييز الجاهلي منها من الاسلامي ، لاختلاطهما ببعض عند الرواة والمؤلفين ولكن ما يشير إليه المثل من حادث أو قصة

---

(١) جمع العسكري والميداني الأمثال العربية في كتابهما : جمهرة الأمثال للعسكري ، وجمع الأمثال للميداني ، وراجع ٧٤ - ٨٢ : ١ فجر الإسلام

أو خبر بما يتصل بالجاهلية قد يساعد على معرفة الجاهلي منها وتمييزه من الإسلامي .

والأمثال إما حقيقية أو فرضية ، فالحقيقية لها أصل وقائلها غالبا معروف . والفرضية ما كانت من تخيل أديب ووضعها على لسان حيوان أو جماد أو ماشاكل ذلك .

والأمثال إما شعر وإما نثر ، ومثالها من الشعر :

تمتع من شميم عرار نجد  
فما بعد العشية من عرار (١)  
أن ترد الماء بماء أوفق  
لاذنب لي قد قلت للقوم استقوا (٢)  
لا تقطن ذنب الأذى وترسلها  
إن كنت شهما فأ تبع رأسها الذنبا (٣)  
كن سطح صخرة يوما ليوهنها  
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل (٤)  
وكذلك الحكيم : إما نثر أو شعر .  
وقد سبقت أمثلة لها والأمثال من النثر  
أما الحكمة الشعرية فن مثلها :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه  
فليس على شيء سواه بخزان  
ولست بمستبق أحبا لا تلمه  
على شعث أى الرجال المهذب ؟  
إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه  
فبكل رداء يرتديه جميل  
ومن لم يزد عن عرضه بسلاحه  
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

(١) للصة بن عبد الله القشيري . ويضرب في التمتع بالزائل . والعرار :

نبت طيب الرائحة وهو الرجمس البحرى .

(٢) يضرب لمن لا يقبل الموعظة .

(٣) هو لآبى أذينة اللخمي يمرض الأسود بن المنذر على قتلى بعض أسارى

غسان يضرب في التحريض على استئصال شأفة الشر

(٤) يضرب لمن يحاول مالا يستطيع فيمتعب نفسه دون فائدة

ب - الوصايا والنصائح ، ونماذج لهما :

١ - ذو الأصبغ العدواني حكيم شاعر وأحد المعمرين في الجاهلية . قال لما احتضر يوصى ابنه أسيدا :

يا بني إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، ولإني موصيك  
بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغت ، أن جانبك لقومك محبوبك ، وتواضع  
لهم يرفعوك ، وأبسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء . يسودوك  
وأكرم صفارهم ، كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك  
صفارهم ، واسمع بمالك ، وأعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم  
ضعيفك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئا ، فبذلك يتم سؤددك .

٢ - ونصح أوس بن حارثة ابنه مالمسكا حين حضره الموت فقال (١) :  
يا مالك المنية ولا الدنيا ، والعتاب قبل العقاب ، والتجلد لا التبلد ، واعلم أن  
القبر خير من الفقر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحریم ، ومن قل ذل ،  
وخير الغنى القناعة ، وشر الفقر الضراعة الخ .

٣ - وأوصت أعرابية ولدها فقالت :

أى بنى إياك والنميمة ، فانها تزرع الضغينة ، وتفرق بين المحبين ، وإياك  
والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا . وخلق لا يثبت الغرض على كثرة السهام  
وقلما اعترضت السهام غرضا إلا كلبته حتى يهوى ما اشتد من قوته ، وإياك  
والجود بدينك والبخل بمالك ، وإذا هزرت فاهزركر بما يلدن لهزتك ، ولا تهز  
لشيء فان الصخرة لا ينفجر ماؤها .

٤ - واقرا وصية زهير بن جناب السكابي لبنيه ، وإتي يقول منها :

يا بني قد كبرت سنن ، وبلغت حرسا (٢) من دهري ، فأحكمتني التجارب

(١) ١٠٢ : ١ الأماي .

(٢) أى أمراً طويلاً منه .

والأمور تجربة واختبارا ، فاحفظوا عنى ما أقول وعوه ، إياكم والخور عند المصائب ، والتواكل عند النوائب ، فان ذلك داعية للغم ، وشماتة للعدو ، وسوء ظن بالرب الخ .

٥ - وأوصى النعمان بن ثواب العبدى ابنا له فقال :

يا بنى إن الصارم يلبو ، والجواد يكبو ، والأثريهفو ، فإذا شهدت حربا فرأيت نارها تسمر ، وبطلها يخطر ، وبجرها يزخر ، وضعيفها ينصر ، وجبانها يحسر ، فأقلل المكث والانتظار ، فإن الفرار غير عار ، إذا لم تكن طالب نار .

٦ - واقراً وصية امرأة عوف بن محم الشيباني لابنتها أم إياس ، وكان عمرو بن حجر جد امرئ القيس تزوجها ، ثم خرج بها من نادى قومها ، فأوصتها أمها قالت :

أى بنية إنك فارقت الجو الذى منه خرجت وخلفت العش الذى فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فاحملى عنى عشر خصال تكن لك ذخرا :

اصحبيه بالقناعة ، وعاشريه بحسن السمع والطاعة ، وتمهدى موقع عينه فلا تقع عينه منك على قبيح ، ثم اعرفى وقت طعامه ، واهدنى عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنقيص النوم مبغضة ، ثم اتقى مع ذلك الفرح أمامه إن كان ترحا ، والا كتب عندك إن كان إفرحا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكونى أشد الناس له إعظاما ، يكن أشدهم لك إكراما ، واعلمى أنك لاتصلين إلى مانحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك . فيما أحببت أو كرهت . والله يخير لك .

٧ - وصية لأكرم بن صيفى :

تباروا فإن البر يبقى عليه العدد ، وكفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكليه ، إن قول الحق لم يدع لى صدقاً ، الصدق منجاة ، لا ينفع التوقى ما هو

واقع ، في طلب المعالي يكون العنا ، الاقتصاد في السعى أبقى للجمام ، أصبح عند رأس الأمر أحب إلى من أن أصبح عند ذنبه ، لم يهلك من مالك ما وعظك ويل لعالم أمر من جاهله ، يتشابه الأمر إذا أقبل ، وإذا أدبر عرفه الكيس والأحق ، البطر عند الرخاء حق والعجز عند البلاء أمن ، لا تفضيوا من اليسير فإنه يجنى الكثير ، لا تجيبوا فيما لا تسألون عنه ، ولا تضحكوا بما لا يضحك منه ، حيلة من لا حيلة له الصبر ، إن تعش تر مالم تره ، المكثار كحاطب ليل من أكثر أسقط ، لا تجعلوا سرا إلى أمة .

إلى ما سوى ذلك من بليغ وصاياهم ، وفصيح نصحهم الماثورة .

### ماهى الوصايا :

والوصايا جمع وصية ، والوصية ما توجهه إلى إنسان أمير لديك من ثمرة تجربة وحكمة وإرشاد وتوجيه ، وكذلك النصيحة ، فعنهما متقاربان أو متحدان .

والوصية لون من ألوان الخطابة قاصرة على الأهل والأقارب والأصدقاء ، والفرق بينهما أن الوصية تكون من الرجل لقومه أو أبنائه ، ومن الأم لابنتها ، والخطابة تكون في المشاهد والجامع والحروب والمعارك وفي المفاخرة والمحاور والمنافرة وفي الوفادة على ملك أو أمير وفي المواسم والاجتماعات العامة .

والوصايا كثيرة في النثر الجاهلي ، وتمتاز بجمالها وتناسب جملها وأساليبها ورقتها وما يشيع فيها من حكمة وصدق تعبير و نفاذ فكر وثقوب نظر .

### ج - الخطابة في الجاهلية ونماذج لها :

١ - خطب هانيء بن قبيصة الشيباني في قومه يوم ذى قار وهو يحرضهم ؛ قال :

يا معشر بكر ، هالك معذور خير من ناج فرور ، إن الحذر لا ينجي من

القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنية ، استقبال الموت خير من استبداره . الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الاعجاز والأظهار : يا آل بكر قاتلوا فما للنيايا من بد (١) .

٢ - خطبة المأمون الحارثي في نادي قومه :

قعد المأمون الحارثي في نادي قومه . فنظر إلى السماء والنجوم ، ثم فكر طويلا ، ثم قال :

أرعوني أسماعكم ، وأصفوا إلى قلوبكم ، يبلغ الوعظ منكم حيث أريد . طمخ (٢) بالأهواء الأشر (٣) ، وران (٤) على القلوب الكدر ، وطخطخ (٥) الجهل النظر ، إن فيما نرى لمعتراً لمن اعتبر ، أرض موضوعة ، وسما مرفوعة ، وشمس تطلع وتغرب ، ونجوم تسرى فتعزب ، وشاب مختضر (٦) ويفن (٧) قد غبر ، وراحلون لا يؤوبون ، وموقوفون لا يفرطون ، ومطر يرسل بقدر ، فيحيي البشر ، ويورق الشجر ، ويطلع الثمر ، وينبت الزهر ، إن في ذلك لأوضح الدلائل على المدبر المقدر ، البارئ المصور (٨) .

٣ - خطباء العرب يعزون قبلا من أقيال حمير في ابنه :

نشأ لسلامة ذى فائس ابن كأكل أبناء المقاول (٩) ، وكان به مسرورا يرشحه لموضعه ، فركب ذات يوم فرسا صعبا ، فكب به فوقعه (١٠) ، لجزع عليه أبوه جزعا شديدا ، وامتنع عن الطعام ، واحتجب عن الناس ، واجتمعت وفود العرب ببابه ليعزوه ، فخرج إلى الناس ، فقام خطباؤهم يؤسونه (١١) . فقام الملبب بن عوف الجمعي ، فقال :

(١) ١٦٩ : ١ الآمالى	(٢) ارتفع وعلا	(٣) البطر
(٤) غلب	(٥) أظلم	
(٦) أى مات حدثا صغيرا	(٧) الشيخ الكبير	
(٨) راجع ٢٧٣ : ١ الآمالى . والمأمون بالثون في الآمالى ، وبالراء (المأمور)		
عند بعض الرواة	(٩) من هم دون الملوك العظاما .	
(١٠) كسره	(١١) يعزونه	

أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلم ، وتعطى لتأخذ ، وتجمع لتشتت ،  
وتحلى لتقر ، وتزرع الأحزان في القلوب ، بما تفجأ به من استرداد الموهوب ،  
وكل مصيبة تخطأئك (١) جلال (٢) ، مالم تدن الأجل ، وتقطع الأمل ؛  
وإن حادنا ألم بك ، فاستبد (٣) بأقلك وصفح عن أ كثرك لمن أجل النعم  
عليك . وقد تناهت إليك أنباء من رزى . فصبر ، وأصيب فاعتقر . فاستشعر  
اليأس عمافات إذ كان ارتجاعه متمعاً ، ومرامه مستصعباً . فلهشى . ما ضربت  
الأسى (٤) ، وفزع أولو الألباب إلى حسن العزاء (٥) .

٤ - خطبة قس بن ساعدة الإيادي (٦) في عكاظ :

قدم وفد إياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيكم يعرف قس  
ابن ساعدة الإيادي قالوا : كلنا نعرفه ، قال فما فعل ؟ قالوا : ذلك ، قال ما أنساه  
بسوق عكاظ في الشهر الحرام على جبل له أحمر وهو يحطب الناس ويقول :  
دا سموا ، وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، إن  
في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لغيراً ، سحائب تمور ، ونجوم تغور . في  
فلك يدور ، ويقسم قس قسماً إن لله ديناً هو أرضى من دينكم هذا ، ثم قال :  
مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فأقاموا أم تركوا  
فناموا ؟ أيكم يروى من شعره ، فأنشأ بعضهم :

في الزاهيين الأولين من القرون لنا بصائر  
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر  
ورأيت قسومى نحوها تمضى الأكابر والأصاغر  
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيين غابر

- (١) أخطأئك (٢) صغير (٣) استبد به : أى جعله نصيبه  
(٤) جمع أسوة . وهى القدوة (٥) ٩٩ : ٢ الأمالى  
(٦) تجدها في البيان والتبيين ٢٠٣ : ١٠٠١ وفي العقد ص ٣٨٥ ج ٢

أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائرا (١)

٥ - وراجع ما قبل من خطب في :

١ - وفود العرب على كسرى (٢).

ب - وفود أبي سفيان على كسرى (٣).

ج - قریش على سيف بن ذى يزن (٤).

د - العرب على النعمان (٥).

٦ - ومن خطبة مرثد الخير (٦) - وكان قيلان أقبال اليمن - في سبيع

ابن الحارث وميثم بن مشوب بن ذى رعين . حين تنازعا الشرف وتخاصما ،  
وخيف أن يقع بين حبيهما شر فيمتفاني جذماهما (٧) :

« إن التخبط (٨) ، وامتطاء الهجاج (٩) ، واستحقاب (١٠) اللجاج ، سيقفكما

على شفا هوة ، في توردها بوار (١١) الأصيلة (١٢) ، وانقطاع الوسيلة ،  
فتلافيا أمركما قبل انتسكات العهد ، وانحلال العقد ، وتشدت الألفة ، وتباين  
السمة (١٣) ، وأنما في فسحة رافهة (١٤) وقدم واطدة (١٥) ، فقد عرفتم  
أنباء من كان قبلكم من العرب ، بمن عصى النصيح ، وخالف الرشيد ، وأصغى  
إلى التقاطع ، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم ، وكيف كان  
صبور (١٦) أمورهم .

(١) ٢٦٩ و ٢٧٠ مختار العقد الفريد ط . ١٩١٠

(٢) ١٦٦ : ١ العقد الفريد ط ١٩٢٨ (٣) ١٧٤ : ١ المرجع

(٤) ١٧٥ : ١ المرجع (٥) ٢٥٦ - ١ المرجع (٦) راجع ٩٢ : ١ الامالى

(٧) الجذم الاصل (٨) ركوب الرجل رأسه فى الشر خاصة

(٩) ركب الرجل هجاجة إذا لج أى ركب رأسه

(١٠) استفعال من الحقيقية وهى ما يجعل الرجل فيه متاعه . وهذا مثل يريد أنه

احتزم باللجاج أو جملة فى وعائه (١١) هلاك (١٢) الاصيلة والاصل واحد

(١٣) القرابة (١٤) ناعمة (١٥) ثابتة (١٦) الصيور : الامر الذى يرجع إليه

٧ - وخطب أبو طالب حين تزوج النبي صلى الله عليه وسلم السيدة خديجة ، فقال :

« الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم ؛ وزرع اسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما ، وبيتا محجوجا . وجعلنا الحكم على الناس . ثم إن محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا وفضلا ، وكرما وعقلا ، ومجدا ونبلا ، وإن كان فى المال قل ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق فعلى . »

٨ - خطبة هاشم بن عبد مناف يحث قريشا على إكرام زوار بيت الله الحرام :

رووا أن هاشم بن عبد مناف كان يقوم أول نهار اليوم الأول من ذى الحجة ، فيسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها ، فيخطب قريشا ، فيقول :

« يا معشر قريش ، أنتم سادة العرب ، أحسنها وجوها ، وأعظمها أحلاما وأوسطها أنسابا ، وأقربها أرحاما . »

« يا معشر قريش ، أنتم جيران بيت الله . أكرمكم بولايته ، وخصكم بجواره دون بنى اسماعيل ، وحفظ منكم أحسن ما حفظ جار من جاره ، فأكرموا ضيفه ، وزوار بيته ، فإنهم يأتونكم شعنا غربا من كل بلد . فو رب هذه البنية : لو كان لى مال يحمل ذلك لكفيتكموه ، ألا وإنى مخرج من طيب مالى وحلاله ، مالم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فواضعه ؛ فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، وأسألكم بحرمة هذا البيت ألا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعوتهم إلا طيبا ، ولم يؤخذ ظلما ، ولم يقطع فيه رحم ، ولم يقتصب . »

٩ - خطبة هاشم بن عبد مناف فى قريش وخزاعة :

تنافرت قريش وخزاعة إلى هاشم بن عبد مناف ؛ فخطبهم بما أذعن له

الفریقان بالطاعة ، فقال فی خطبته :

« أیها الناس ، نحن آل ابراهیم ، وذریة اسماعیل ، وبنو النضر بن کنانة ، وبنو قصى بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب ، ومعدن المجد ، ولکل فی کل حلف ، یجب علیه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا مادعا إلى عقوق عشیره ، وقطع رحم .

یابنی قصى ، أنتم کفصنی شجرة ، آیهما کسرا وحش صاحبه ، والسيف لا یصان إلا بعمده ، ورامی العشیره یصیبه سهمه ، ومن أحکمه اللجاج أخرجه إلى البغی .

أیها الناس ، الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمروف كنز ، والجود سؤدد ، والجهل سفه ، والأیام دول ، والدهر غیر ، والمرء منسوب إلى فعله وما أخذ بعمله ، فاصطنعوا المروف تکسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبکم السفهاء ، وأکرموا الجلیس بعمر نادیکم ، وحاموا الخلیط یرغب فی جوارکم ، وأنصفوا من أنفسکم یوثق بکم ، وعلیکم بمکارم الأخلاق فإنها رفعة ، ولایاکم والأخلاق الدنیه ، فإنها تضع الشرف ، وتهدم المجد ، وإن نهته الجاهل أهون من جریرته ، ورأس العشیره یحمل أنقالها ، ومقام الخلیم عظة لمن انتفع به .

فقال قریش : رضینا بک أبا نضلة ا وهی کنیته .

١٠ - وراجع خطبة البرجمی أمام حاتم الطائی فی وفادته علیه فی <sup>١٠</sup> دماء حملها (١) .

ماهی الخطابة ؟ : (٢)

الخطابة فن من فنون النثر ، وهی فن مخاطبة الجمهور الذی یرتد علی

(١) ص ٢١ ذیل الأمالی .

(٢) راجع : الخطابة لأبى زهرة - جمهرة الخطابة لصفوت - ٢٣٥ و ١٣٩٩ =

الاقناع والاستمالة . أو هي كلام بليغ يلقي في جمع من الناس لإقناعهم بما فيه الخير لهم في دنياهم وآخرتهم .

والخطابة قديمة نشأت مع الإنسان ، وتروى للأمم القديمة خطب كثيرة كقدماء المصريين واليونان والرومان .

والخطابة ضرورية للأمة في سلمها وحربها ، وهي أداة الدعوة إلى الرأي والعقيدة في شتى نواحي الحياة والمجتمع ، وهي وسيلة الدعاة والمصلحين ، والمهذبين والمرشدين ، وعماد القادة والزعماء ، وأداة الأحزاب السياسية ، والجمعيات الأدبية والاجتماعية ، وعالما الاعتماد في كثير من شئون الحياة ، في السياسة وفي التربية والتعليم ، والوعظ والإرشاد ، وفي محافل الأُنس ، ومآتم الحزن .

والخطابة تقوى عند ما تكون الأمة متمتعة بقسط من الحرية ، شاعرة بما هي فيه ، طامحة إلى آمال واسعة في الحياة ، وحينما تتصارع الخصومات ، وتختلف الأفكار والمبادئ . والمذاهب .

والخطابة إما سياسية أو اجتماعية أو دينية ، وفي العصر الحديث نشأت الخطابة القضائية والبرلمانية .

### الخطابة عند العرب في العصر الجاهلي :

ويروي للعرب في جاهليتهم خطب كثيرة ، ونبغ فيهم خطباء مشهورون وكانت الخطابة لسان الأشراف والرؤساء والناهبين من القبائل ، يضلونها على الشعر الذي غرض من قدره تكسب الشعراء به (١) ، ويعبرون بها عما

---

و ١٩ و ٢١ و ٢٦ ج ٢ و ٣ و ٦ و ١٥ و ٦٦ و ٥٢ ج ٣ البيان والتبيين ، والعقد الفريد - مواسم الأدب - بلاغات النساء لابن طيفور - بلوغ الأرب (١) : اجمع ١٧٠ ج ١ و ٢٥٩ ج ٣ من البيان والتبيين .

يبحث في صدورهم من أفكار وآراء ، ويصرفون بها ملكة البلاغة المتأصلة في أعماق نفوسهم وطوايا قلوبهم ، ويصورون بها جميع ما يطوف بمقولهم في شئون السياسة والاجتماع .

وكانت الخطابة عندهم منتشرة ذاتمة ، لها مكانتها في النفوس ، وسحرها في الألباب ، وأثرها في الشدائد والمشكلات ، وكان لكل قبيلة شاعر . وبالجملة فان الخطابة في العصر الجاهلي كان لها حظ من القوة والنهضة والازدهار .

ويرجع ذلك إلى ابتدال الشعر بالتكسب به ، وإلى أن الخطابة كانت مهنة القادة والزعماء والحكام ، وإلى أهميتها لاستعمالها في الدفاع عن القبيلة .

### دواعي الخطابة في العصر الجاهلي :

وكانت دواعيها كثيرة متشعبة عندهم ، فأذواقهم الأدبية وتأصل ملكات البلاغة في نفوسهم وتمسكهم زمام الفصاحة . ثم كثرة الحروب والخلافات بينهم ، ثم تفرقهم قبائل وأحياء مع أميتهم الغالبة عليهم والتي ألجأتهم إلى الاستعانة باللسان دون الكتابة . ثم ضعف شأن الشعر ؛ ومكانته في نفوس أشرافهم بتكسب الشعراء به . ثم سعة مجال الخطابة فيهم ؛ وكثرة أسبابها لديهم .

كل ذلك كان داعياً لذيوع الخطابة فيهم ، وانتشارها بينهم .

### أغراض الخطابة في العصر الجاهلي :

وأغراض الخطابة كثيرة عند العرب في العصر الجاهلي . من ذلك :

١ - التحريض على القتال أو الدعوة للسلام والوئام . وهذا كثير عند العرب في جاهليتهم لكثرة حروبهم ، وكثرة ما كان بينهم من خلافات وخصومات .

٢ - التبشير بدين جديد . ومحاربة الفوضى والذائل والوثنية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي . كما نرى في خطبة المأمون الخارثي في نادى قومه (١) . وخطبة أكرم بن صيفي التميمي في قومه (٢) ، بعد أن بعث الرسول وبعث أكرم ابنه حبيشا ليأتيه بخبره ، وكما في خطبة قس في سوق عكاظ .

٣ - التعزية في عظيم من عظمائهم أو رئيس من رؤسائهم :

٤ - الوفاة على الملوك والرؤساء للتهنئة أو الاستنجداد أو لتأمين سبيل أو إجازة تجارة أو التعزية أو سواها . والخطب المأثورة فيها الكثير من ذلك .  
٥ - الدعوة إلى الصلح وفض الخصومات وجمع الكلمة كما في خطبة مرثد الخير .

٦ - الخطب في المحافل حين الإملاك (٣) أو الولادة أو ماشاكلة ذلك .

٧ - المفاخرة والمنافرة والمباهاة بعز العشيرة وشرف المحتد وجلال الأصل .

٨ - التوصية بفعل جميل أو أدب حميد .

وهكذا تعددت أغراض الخطابة وتشعبت مناحيها .

أسلوب الخطابة :

وأما أساليبها فقد كانت مركبة من جمل قوية ضعيفة الربط يغاب عليها

---

(١) ٢٧٣ : ١ الأمالى

(٢) ٢٤٧ : ٢ أمثال العسكري ، وجمع الأمثال للسيداني الجزء الثاني . ومنها :  
إن ابني شافه هذا الرجل مشافهة ، وأتاني بخبره وكتابه ، يأمر فيه بال معروف وينهى عن المنكر ، وياخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى وخلع الأوثان وترك الحلف بالنيران ، وقد عرف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه ، وأن الرأي ترك ما ينهى عنه ، إن الذي يدعو إليه محمد ، لو لم يكن ديناً كان في أخلاق الناس حسناً . أطيعوني واتبعوا أمرى  
(٣) الإملاك : التزويج .

الحكمة والسجع ، وفيها جلاله الجزالة والفصاحة .

### المأثور من خطب الجاهليين :

والمأثور من خطب الجاهليين قليل ، أقل من الشعر المروى عنهم . ذلك أن الخطابة يصعب حفظها لطولها وعدم تقييدها بوزن أو قافية ، وعدم تدوينها إلا في القرن الثاني الهجري ؛ مما أدى إلى ضياع كثير منها - أطول العهد بها .

### الخطابة والخطيب :

وكانوا يلزمون أنفسهم الوقوف في الخطبة إلا في خطب إمامهم (١) وكثيراً ما كانوا يؤثرون أن يخطبوا وهم واقفون على نشز من الأرض . أو على شيء مرتفع : كظهر الراحلة وسواها . وذلك لظهور الخطيب ولشدة تأثيره .

كما كانوا يقبضون بأيديهم على عصا أورش أو سيف أو قوس . ويعصب الخطيب عمامة .

والخطيب يلتزم رباطة الجأش وجهاة الصوت (٢) وبلاغة القول وقوة الحججة . قليل الحركة . قليل الإشارة . ينطق بالصدق . ويتكلم بالحق . في مظهر نبيل وزى جميل ، وهو غالباً رئيس قومه أو من أشرفهم .

هذا ويهون طه حسين من الخطابة الجاهلية : لفقدان الحضارة والتنازع السيامي والديني ، وهذا غير صحيح لكثرة الخصومات والمعرفتهم بالكتابة ، ووجود بعض ألوان من الحضارة . ولكثرة كلام الرواة عن الخطابة الجاهلية .

---

### (١) الإملاك : التزويج

(٢) ويشيدون بالعباس بن عبد المطلب في جهاة صوته ( ٩٥ ج ١ البيان والتبيين ) كما أشادوا بجهاة الصوت ( ٩٤ ج ١ المرجع ، ويقولون خطيب اشدق أي بليغ . وهو من الشدق بفتح الدال وهو سعة في الشدق . ( ١١ )

## أشهر خطباء العرب في العصر الجاهلي

- ١ -

قس بن ساعدة الإيادي (١)

من إياد يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة والحكمة والخطابة .  
ويعدونه خطيب العرب كافة .

اعتنق النصرانية فآمن بها . وكان يدعو في خطبه إلى التوحيد ونبيذ  
الأوثان والأصنام وعبادة الله . وكان أسقف نجران ، وكان يفد على  
قيصر ويحادثه .

وهو أول من قال : « أما بعد ، والسابق إلى الإنكاء على العصا والسيف  
حين يخطب ، وهو القائل هذه الحكمة : « البيضة على من ادعى واليمين  
على من أنكر » .

وكان الناس يتجأون إليه في خصوماتهم . فيقضى بينهم بالحق والخير ،  
وكان معدوداً من حكماء العرب وأعقلمهم .

و كثيراً ما كان يقف في سوق عكاظ ، وقد سبقته خطبة له  
سمعها النبي صلى الله عليه وسلم في عكاظ قبل البعثة .

عاش قس طويلاً نحو ثمانين ومائة سنة ، ومات قبل البعثة نحو عام ٦٠٠ م ،  
ويعد الجاحظ من الخطباء والشعراء (٢) ورسول الله (ص) هو الذي روى  
كلامه بمكاف (٣) .

---

(١) راجع ٥١ و ٥٦ و ١٠٢٠٣ البيان والتبيين نشر السندوني ط ١٩٢٧ .

وراجع حديث قس بن ساعدة مع قيصر ( ٢٧ ج ٢ الأما لي ) و راجع ٥١ و ٥٦  
و ١٠٢٠٣ البيان والتبيين و ٣٨٥ - ٢٠ العقد .

(٢) ٥١ ج ١ البيان والتبيين (٣) ١٠٥٦ المرجع .

وكان بليغ القول . سهل الأسلوب . متخير اللفظ . كثير الحكمة والمثل ،  
سجده قصير غالب على خطابته ، وكلامه على إيجازه بعيد عن اللغو والفضول  
والخشو . مطبوع على الخطابة واللفظ الشريف ، والقول الرائع الحكيم .  
وله شعر فيه جزالة مع رقة تعبير ودقة تصوير وقوة تأثير .

ومن حكمه : إذا نهيت عن الشيء فابدأ بنفسك . من عيرك شيئاً ففيه  
مثله . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر .

ويقول فيه الأعيى :

وأفصح من قس وأجرى من الذى بذى العين من خفان أصبح خادرا

ولما قدم وفد بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم عن رجل  
كان فيهم نازلاً يقال له قس بن ساعدة الإيادي ، قالوا هلك ، فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : لقد رأيته بعد كماظ يخطب على جبل له أورق ، وهو  
يقول : أيها الناس ، اجتمعوا واستمعوا ووعوا ، من عاش مات ، ومن مات  
فات وكل ما هو آت آت ، ليل موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تغور ،  
وبحريمور ، أما بعد : فان في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا ، مالى أرى  
الناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فأقاموا ؟ أم تركوا كما هم فناموا ؟  
أقسم بالله قس قسما حقا فما حدث ولا أثم ، إن لله ديناً هو أرضى من ديننا هذا  
الذى نحن عليه . ثم قال أبياتاً ما أحفظها ، فقال رجل من الأنصار : أما شاهد  
يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، قال فأنشدنا ، قال سمعته يقول :

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر  
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر  
ورأيت قومي نحوها تمضى الأصاغر والأكابر  
لا يرجع الماضى ولا يبقى من الباقيين غابر

أيقنت إني لا محالة حيث صار القوم صائر

وقال صاحب الأغاني فيه : هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك من إباد ، كان يفد على قيصر زائراً فيكرمه ويعظمه فقال له قيصر : ما أفضل العلم ؟ قال : معرفة الرجل بنفسه ، قال فما أفضل العقل ؟ قال : وقوف المرء عند علمه . قال فما أفضل الأدب ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه ، قال فما أفضل المروءة ؟ قال قلة رغبة المرء في إخلاف وعده ، قال فما أفضل المال ؟ قال : ما قضى به الحق .

وفى الشريشى عن ابن عباس : وفد الجارود بن عبد الله في وفد عبد القيس ، وكان سيداً في قومه . معظمها في عشيرته ، فأمن وآمن قومه ، فسر النبي صلى الله عليه وسلم بهم ، ثم قال : يا جارود هل في جماعة عبد القيس من يعرف لنا قسا ؟ قال كلنا نعرفه يا رسول الله ، وأنا كنت من بينهم أقفوا أثره ، وأطلع خبره ، كان قس سبطاً من أسباط العرب ، صحيح النسب ، فصيحاً ذا شيدة حسنة ، عمر طويل ، يتقفر القفار ، ولا تكنه دار ، ولا يقره قرار ، يتحسى في تقفره بعض الطعام ، ويأنس بالوحوش والهوام ، يلبس المسوح ويتبع السياح ، على منهاج المسيح ، لا يغير الرهبانية ، مقر بالوحدانية ، تضرب بحكمته الأمثال ، وتكشف به الأهوال ، أدرك رأس الحواريين ، فهو أول من تأله من العرب ، وأعبد من تعبد في الحقب ، وآمن بالبعث والحساب ، وحذر سوء المنقلب والمآب ، ووعظ بذكر الموت ، وأمر بالعمل قبل الفوت ، الحسن الالفاظ ، الخاطب بسوق عكاظ ، العارف بشرق وغرب ، ويابس ورطب ، وأجاج وعذب ، كأنني أنظر إليه ، والعرب بين يديه ، يقسم بالرب ، ليبلغن الكتاب أجله ، وليوفين كل عامل عمله . ثم أنشأ بقول :

هاج للقلب من هواه ادكار      وليالٍ خلاهن نهار  
ونجوم يحثها قمر الليل      ليل وشمس في كل يوم تدار  
ضوءها يطمس العيون وإرنا      د شديد في الخافقين مثار

وغلام وأشمط ورضيع كلهم في التراب يوما يزار  
وقصور مشيدة حوت الخبز وأخرى حوت فهن قفار  
والذي قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلك يا جارود فاست أنداه بسوق  
عكاظ على جبل له أورق وهو يتكلم بكلام موقن ما أظن أحفظه ، فهل فيكم  
يا معشر المهاجرين والأنصار من يحفظ لنا منه شيئا ؟ فوثب أبو بكر قائما  
وقال : يا رسول الله أنا أحفظه وكنت حاضرًا بعكاظ حين خطب فأطرب ،  
ورهب ورغب ، وحذر وأنذر ، وقال في خطبته : أيها الناس ، اسمعوا وعوا ،  
وإذا وعيتم فانتفعوا فإنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت  
آت ، مطر ونبات ، أرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ،  
وجمع وشتات ، وآيات بعد آيات ، إن في السماء لحسبرا ، وإن في الأرض  
لعبرا ، ليل داج ، وسماوات أبراج ، وأرض ذات رزاق ، وبحار ذات أمواج .  
مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا  
هناك فناموا ؟ أقسم قس بالله ، قسما حقا لا آئما فيه ولا حائنا ، إن لله ديناً  
هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه ، ونبيا قدحان حيينه ، وأظلكم أوأنه  
وأدر كسكم إبانته ، فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه ، ثم  
قال : تبا لأرباب الغفلة ، من الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، يا معشر إباد  
أين الآباء والأجداد ، وأين المريض والعواد ، وأين الفراغنة الشداد ، أين من  
بنى وشيد وزخرف ونجد ، وغره المال والولد ، أين من بغى وطغى ، وجمع  
فأوعى ، وقال أنا ربكم الأعلى ؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالا ، وأطول  
منكم أجالا ، طحهنم الثرى بكلسكاه ، ومزقهنم بتطاوله ، فذلك إعظامهم بالية  
ويوتهم خاوية ، عمرتها الذئاب العاوية ، كلا بل هو المعبود ، ليس بوالد  
ولا مولود ، ثم أنشأ يقول :  
في الذاهبين الأولين - الآيات المتقدمة .

فقال رسول الله (ص) رحم الله قسا إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده .

ويروى (١) عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : حضرت مجلس المأمون ، فقلت يا أمير المؤمنين : ألا أحدثك عن الفضل بن يحيى ؟ قال : بلى اقلقت : دخلت دار الرشيد ، وإذا الفضل بن يحيى وإسماعيل بن صبيح وعبد الملك بن صالح في بعض تلك الأروقة يتحدثون ، فلما بصر بي الفضل أوماً إلى ، وقال : يا إسحاق ، انتظرناك منذ الغداة ، لتساعد علي ما نحن فيه من المذاكرة اقلقت يا سيدي ، أنا السكيت (٢) إذا أجريت الجياد ، وفاز السابق والمصلي ا فقال عبد الملك : مدحت نفسك ، ولما تكذب .

ولما فرغ عبد الملك من حديثه قال الفضل : إن لقس (٣) حديثاً سمعته من الخليل بن أحمد ، فهل عند واحد منكم له ذكر ، فسكت القوم ، فقلت : يا سيدي ، ما نعرف له حديثاً إلا حديث خطبته بمكاظ قال : ذلك شيء قد فهمته العامة واختبرته الخاصة . ثم أطرق ساعة ، فقلنا : إن رأيت أن تحدثنا ؟ فقال :

حدثني الخليل بن أحمد : أن قيصر ملك الروم بعث إلى قس بن ساعدة أسقف نجران - وكان حكيماً طيباً بليغاً في منطقه - فلما دخل عليه ، ومثل بين يديه حمد الله وأثنى عليه ، فأمر بالجلوس ، فجلس ورحب به ، وأذني نجلسه ، وقال : ما زلت مشتاقاً إليك لما سمعت من مناظرتك في الطب .

فيكان أول ما سأله عن الشراب ، فقال : أي الأشرية أفضل عاقبة في البدن ؟ قال : ما عفا في العين ، واشتد على اللسان ، وطابت رائحته في الأنف من شراب السكرم . قال : فما تقول في مطبوخه ؟ قال : مرعى ولا

---

(١) المحاسن والمساورى . طبع لبيزج ص ٣٥١

(٢) هو قس بن

(٣) السكيت : الذي يجهل في الحلبة آخر الخيل

ساعده خطيب العرب قاطبة ، ، كان يدين بالتوحيد ، ويؤمن بالبعث ، وبدعو إلى نبذ الأوثان ، في المحافل العامة ، ومواسم الأسواق وسمعه النبي قبل البعثة بخطب بمكاظ ، فمجب من حسن كلامه وأثنى عليه وعمر طويلاً ومات قبيل البعثة

كالسعدان (١) قال : فما تقول في نبيذ الزبيب ؟ قال : ميت أحبي ، وفيه بعض المتعة ، وما كاد يقوى شيء بعد الموت ! قال : فما تقول في نبيذ العسل قال : نعم شراب الشيخ للمعدة الفاسدة ! قال : فما تقول في أنبذة التمر ؟ قال أوساخ يطيب مذاقها في اللهوات ، وتسوء عاقبتها في البدن ، وتولد الأرواح في البطن لرقبتها .

قال : فمن أى شيء يكون الثمل الذى يذهب الغم ويطيب النفس ؟ قال : زعموا أن العقل تصعبه سورة الشراب إلى الدماغ ، فإذا صعبت السورة إلى الدماغ الذى هو أصله ، احتجب البصر بغير عمى ، والسمع بغير صمم ، واللسان بغير خرس : فلا يزال العقل كذلك محتجباً حتى تفكك الطبيعة من لمسار السكر ، لما بقوة فيعجل ، ولما بضعف فيبطىء .

قال . فمن أى شيء الخمار (٢) من بعد صحو السكران ؟ قال : من إعياء الطبيعة عن مجاهدة السورة في افتكك العقل وتخلصه ، حتى يردها النوم إلى هدوء وما أشبهه . قال : الصرف أفضل أم الممزوج ؟ قال : الصرف سلطان جائر والجائر مذموم . والممزوج سلطان عادل والمعدل محمود .

قال : فصف لى الأطعمة . قال الأطعمة كثيرة مختلفة . وجملة ما أمرك به الإمساك عن غاية الإكثار ، فإن ذلك من أفضل ما بلوناه من الأدوية ، ورأس ما نأمر به من الحمية . قال له : عمن حملت الحكمة ؟ قال : عن عدة من الفلاسفة . قال : فما أفضل الحكمة ؟ قال : معرفة المرء بقدره . قال فما تقول في الحلم ؟ قال : حفظ الإنسان ماء وجهه . قال : فما تقول في المال وفضله ؟ قال : أفضل المال ما أعطى منه الحق . قال : فما أفضل العطية ؟ قال : أن تعطى قبل السؤال .

قال : فأخبرني عما بلوت من الزمان وتصرفه ، ورأيت من أخلاق أهله ؟

---

(١) السعدان : نبت ذو شوك ، وهو من أنجح المرعى ، وهذا مثل يضرب للشيء يفضّل على أقرانه وأشكاله (٢) الخمار : بقية السكر .

قال : بلونا الزمان فوجدناه صاحباً يخون صاحبه . ولا يعتب من عاقبه ،  
ووجدنا الإنسان صورة من صور الحيوان ؛ يتفاضلون بالعقول ، ووجدنا  
الأحساب ليست بالأباء والأمهات ، ولكنها في أخلاق محموده ، وفي ذلك  
أقول :

لقد حلبت الزمان أشطره ثم مخضت (١) الصريح (٢) من حلب  
فلم أر الفضل والمعالى في قول الفتى : إني من العرب  
حتى رى سامياً إلى خلق يذود محموده عن النسب  
ما ينفع المرء في فكاهته من عقل جد مضى وعقل أب  
المرء إلا ابن نفسه فيها يعرف عند التحصيل للنوب

ووجدنا أبلغ العظات النظر إلى محل الأموات وأحمد البلاغة الصمت ،  
ووجدنا لأهل الحزم حذاراً شديداً ، وبذلك نجوا من المكروه ، والكرم  
حسن الاصطبار ، والعز سرعة الانتصار ، والتجربة طول الاعتبار .

قال : خبرني هل نظرت في النجوم ؟ قال : ما نظرت فيها إلا فيما أردت به  
الهداية ، ولم أنظر فيما أردت به السكينة ، وقد قلت في النجوم :

علم النجوم على العقول وبال وطلاب شيء لا ينال ضلال  
ماذا طلابك علم شيء أغلقت من دونه الأفلاك ليس ينال  
هيمات ما أحد بغامض قدره يدرى كم الأرزاق والآجال  
إلا الذي فوق السماء مكانه فلوجه الإكرام والإجلال

قال : فهل نظرت في زجر (٣) الطير ؟ قال : نحن معاشر العرب مولعون  
بزجر الطير . قال فما أعجب ما رأيت منه ؟ قال : شخصت أنا وصاحب لي من  
العرب إلى بعض الملوك ، فألفيناه يريد غزو قوم كانوا على دين النصرانية ،  
نفرج حتى إذا كان على فراسخ من مدينته أمر بضرب فساطيطه وأروقته

---

(١) مخض اللابن : أخذ زبده (٢) الصريح : الخالص . (٣) الزجر :  
ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغييب عند سماع طائر أو حيوان .

لتتوافق إليه جنوده ، وضرب له فسطاط على شاطئ نهر ، وأمر بجلبه  
فضرب لي ولصاحبي ، فبينما نحن كذلك إذ أقبل طائران : أسود وأبيض ، وأنا  
وصاحبي نرمقهما ، حتى إذا كانا على رأسه رفرفا ثم غابا ، ثم رجعا أيضاً ،  
حتى إذا كانا قريباً منه طوياه ثم أقبلنا نحونا فوقعنا . ثم رتما (١) ، فقال  
صاحبي : ما رأيت كالיום طائرين أعجب منهما ، فأيهما أنت مختار ؟ فقلت :  
الأسود . قال : الأبيض أض أعجبهما إلى ، فما تأولتهما ؟ قلت : الليل والنهار  
يطويان هذا الرجل في سفره فيموت ، وتأولت اختبارك الأبيض أنك  
تنصرف بيد بيضاء مخففة من المال . فإذا هو قد غضب .

فلما جن الليل بعث إلينا الملك لئسمر عنده ، فإذا صاحبي قد أخبره بالخبر  
فسألني فأخبرته وصدقته . فغضب ، وقال : هذه حمية منك لأهل دينك ا  
فقلت : أما أنا فقد صدقتك : فأمر بحبسي ومضى لوجه ، فلم يتجاوز إلا  
قليلاً حتى مات فأوصى لي بعشرين ناقة ، وقال : قاتل الله قسا انقد محضني  
النصيحة . فانصرفت من سفرى ذلك بعدة من الإبل ، وانصرف صاحبي  
مخففاً من المال .

قال الملك : وما رأيت أيضاً من الزجر أعجب ؟ قلت . ما رأيت مرة  
عند الملك الهمام أبو قابوس ، وقد خرج عليه خارج من مضر يريد ملكه ،  
وقد حشد له ، فبعث إلى بعض عماله في توجيه أربعمائة فارس ، ووجهني مع  
الرسول ، وأمرنا بالشد على أيديهم في جمع الخيل والرجال - وكان الرسول  
شاعراً - فبينما نحن نسير إذ سنحت لنا ظباء فيها تيس (٢) يقدمها ، وكان أبو  
قابوس يواعد للقاتنه في يوم كذا وكذا ، فنحن نقول ، إن كان الملك خرج  
في يوم كذا فهو اليوم في موضع كذا ، وقد أقبلنا ، ونحن نقود جيشاً  
عمرماً ، فأنشأ الرسول يقول :

الآليت شعرى ما تقول السوانح أغاد أبو قابوس أم هو رانح

(١) الرتع : الأكل والشرب رغداً في الربف .  
(٢) التيس : الذكر من الظباء والمعز والوعول .

قال : فنظرت إلى التيس عند فراغه من هذا البيت ، فوجدته قد دخل في مكنته (١) حتى توارى فيه ، فدخلت من ذلك ما لم أقدر على أن أمسك نفسي ، حتى استرجعت ، فقال لي رفيتي : مالك ؟ قلت : إن صدق الزوج فصاحبك قد توى في السراب ، والتحفت عليه أطباق البثرى ا قال : كيف ذلك ؟ قلت : وافق فراغك من البيت دخول التيس في مكنته ، فأعرض عني . فلما أصبحت في اليوم الذي واعدنا للقاءه لم يواف ، ولم يكن بأوشك من أن أتانا الخبر بهلاكه وعود ابنه . فأكرمه قيصر وأحسن جائزته .

قلنا : أيد الله الوزير ا لقد بلغت ما بلغت باستحقاق ، ولقد حزت قسبة الرهان في كل منقبة ، فتبسم وقال : عز الشريف أدبه ، وإذا رسول الرشيد وافاه فتمض نحوه ، وتصعد المجلس وانصرفنا .

فلما مضى من الليل بعضه إذا أنا بطارق قد طرقتي ، وبين يديه غلمان على أعناقهم البدر ، وإذا رسول الفضل وقد حمل إلى مائة ألف درهم ، وقال : الوزير يقرأ عليك السلام . ويقول : ضجرت باستماع الأحاديث ، وأوجبت على بذلك منة ، وهذا عطاء . وتح (٢) في جنب قدرك عندي ، فخذه ولا تعتد به .

فقلت : سبحان الله الذي خلق هذا الرجل ا ووجبه على كرم بذهبه من مضى ومن غير ، وإذا هو قد وجه إلى أصحابي الذين كانوا معي بمثل الذي وجه به إلى ، ففقدت إليه وأردت أن أشكره ، فقال : والله لئن ذهبت تكشف ما ستر الله لأجنونك ا فكأنما ألقى حجرا . واحتسبني عنده ، فطمعت وشربت ورحت وقد حملتني على عدة أفراس بسروج ولجم مذهبة ؛ ووجه معي بعشرة نخوت ثياب وعشر بدر .

قال : فقال المأمون : ويحك يا إسحاق ا ثواب حديثك ضعف ما أمرلك به الفضل ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم ، فقبضت ذلك وانصرفت ا

(١) المكنتس : موج الوحش من الظباء والبقر تستكن فيه من الحر .

(٢) وتح : قليل .

## أكرم بن صيفي التميمي

هو حكيم العرب وقاضيا وخطيب من أشهر الخطباء ، أوفده النعمان بن المنذر إلى كسرى أنوشروان بالمدائن ، ومعه رهط من أشرف سادات العرب (١) وخطبائها ، مثل : حاجب بن زرارة التميمي (٢) ، وعمرو بن الشريد السلمي (٣) ، وعامر بن الطفيل العامري (٤) ، وعلقمة بن علاثة العامري (٥) ، والحارث بن ظالم (٦) ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي (٧) ، والحارث بن عبادة البكري (٨) ، وسواهم ، وأعجب به كسرى حتى قال له : لو لم يكن للعرب غيرك لكنتي . وقد أدرك بعثة الرسول وبعث ابنه حبيشاً ليأتيه بخبره ، ودعا قومه إلى الإيمان بمحمد صلوات الله عليه .

وكان أكرم عارفاً بالأنساب ، كثير الحكم وضرب الأمثال في خطابته ، مصيب الرأي قوى الحججة ملهماً بالصواب وسداد القول ، كما كان عظيم المنزلة عند بني تميم قومه وعند العرب أجمعين ، وجعله الجاحظ من الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء (٩) ، وكان في خطبه كثير الإيجاز وضرب الأمثال لا يلتزم السجع ولا يقصده ؛ عميق الفكرة ، دقيق النظر ، قوى الحججة ، كثير الإقناع . جميل الأسلوب حلوا الألفاظ .

---

(١) راجع ١٦٦ و ١٧٤ ج ١ العقد ١٩٢٨ ، وبشك كثير في صدق الرواية

التي رواها صاحب العقد .

(٢) سيد من سادات تميم ، وخطيب من أبلغ خطباء العرب .

(٣) أبو الخنساء الشاعرة وكان شجاعاً شاعراً خطيباً .

(٤) ابن عم لبيد الشاعر ، فارس شجاع وشاعر .

(٥) خطيب بليغ اشتهر بالعقل الراجح والأخلاق السكرية

(٦) من مرة ، شجاع شاعر خطيب (٧) فارس شاعر توفي عام ٢١ هـ

(٨) خطيب مؤثر وشاعر بليغ (٩) ١:٢٣١ من البيان والتبيين

ومن خطبه تعزيتة لعمر بن هند ملك العرب في أخيه ، قال :

أيها الملك إن أهل هذه الدار سفر ، لا يحلون عقد الترحال إلا في غيرها ،  
وقد أتاك ما ليس بمرود عنك ، وارتحل عنك ما ليس براجع إليك ، وأقام  
معك من سيظن عنك ويدعك . إن في الدنيا ثلاثة أيام : فأمس عظة وشاهد  
عدل ، فجمك بنفسه وأبق لك وعليك حكمه ، واليوم غنيمة وصدق أتاك  
ولم تأته ، طالت غايك غيبته ، وستمرع عنك رحلته ، وغدا لا تدري من أهله ،  
وسيا تيك إن وجدك . فما أحسن الشكر المنعم ، والتسليم للقادر . وقد مضت  
لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها . واعلم أن أعظم من  
المصيبة سوء الخلف منها ، وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .

-- ٣ --

عمر بن معد يكرب الزبيدي (١)

١ - قحطاني يماني ، وفارس شجاع ، وخطيب مطبوع ، عاش في الجاهلية ،  
وأسلم سنة تسع من الهجرة هو وقومه ، ثم ارتد بعد إسلامه بعد وفاة الرسول ،  
ثم عاد من جديد إلى الإسلام عقيدة الحق والتوحيد والخير ، وأبلى في القادسية  
بلاءً عظيماً وكان عمره فيها عشرًا ومائة سنة ، وتوفي في أواخر خلافة عمر بن  
الخطاب عام ٥٢١ - ٦٤٣ . وفيه يقول أبو تمام :

إقدام عمرو ، في سماحة حاتم في حلم أحنف ، في ذكاء إياس

٢ - كان عمرو شجاعاً فارساً وخطيباً شاعراً ؛ شعره صورة لشجاعته  
وبطولته وفررسيته ؟ وحديث عن مواقفه وانتصاراته في غزواته ، وعن نفسه  
واقترانها الأدوار ومغامراتها وقت الطعن والنضال ، وبعد في الطبقة الثانية  
من الشعراء المخضرمين ، وخطابته تم عن شخصيته واعتداده ببطولته ونفسه ،  
فيها وضوح وقوة وتدفق ومنطق . مع إشراق بيان ، وسهولة عبارة ،

(١) راجع في ص ١٥٠ ذيل الأمل وما بعدها حديث عمرو بن معد يكرب مع امرأة

وقصر فقر ، وقلة سجع ، وكثرة حكمة ومثل :

٣ - قال عمرو أمام كسرى :

إنما المرء بأصغريه . قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق الدار ، وملاك النجمة  
الارتياح ، وعفو الرأي خير من استبكره الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير  
من اعتساف الحيرة ، فاجتنب طاعتنا بلفظك ، واكنظم بادرتنا بمملك ،  
وألن لنا كنفك يلمن لك قيادنا .

وروى له صاحب الحماسة عدة قصائد :

١ - منها قصيدته : (١)

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها جداول زرع أرسلت فاسبطرت  
فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروهما فاستقرت  
ومن شعره قصيدته :

تمناني ليلقاني أبي وددت وأبيها مي وداى  
أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد  
ومن شعره :

ليس الجمال بمنزور فاعلم وإن رديت بردا  
إن الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا  
كم من أخ لى صالح بوأته ييدى لحدا  
ما إن جزعت ولا هلمت ولا يرد بكأى رشدا  
ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا (٢)

(١) ص ٤٣ : ١ . مختصر الحماسة ط ١٩٢٧ الطبعة الثالثة

(٢) ومن شعره أيضا قصيدته :

ومن خطباء العرب : حاجب بن زرارة التميمي ، وهو سيد من سادات تميم ، وفد على كسرى حين منع تميميا من ريف العراق فاشند بهم القحط فأعجب به وببلاغته . ومنحه ما أراد وتعهد له بحسن الجوار ورهنه قوسه على ذلك .

وهانيء بن قبيصة الشيباني (١) ، ومرثد الخير الحيري ، والمأمون الحارثي ومن خطبائهم عامر بن الظرب العدواني : وهو أحد حكماء العرب المشهورين ، وخطيب بليغ وشاعر مجيد . ويقول الجاحظ فيه : وهو من الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء (٢) ، وهو حكم العرب في الجاهلية (٣) .

وخطب إليه صعصعة بن معاوية ابتله فقال : يا صعصعة إنك أتيتني تشتري مني كبدي ، أبغيتك (٤) أو رددتك . النكاح خير من الأيمة (٥) . والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب ، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك ، أفر من السر إلى العلانية ، أنصح ابنا وأودع ضعيفاً قويا . يامعشر عدوان أخرجت من بين أظهركم كريمتكم ، من غير رغبة عنكم ، ولكن من خط له شيء جاءه ، رب زارع لنفسه ، ما حصده غيره ، ولولا قسم الحظوظ ما ترك الأول الآخر ما يعيش به .

ومن خطبائهم قبيصة بن نعيم ، وكان من رجالات بني أسد ، وخطب أمام امرئ القيس بعد مقتل أبيه قال :

(١) راجع ١٢٩ ج ٢ الأغانى ١٢٠ ج ٢ منه ، ١٣٢ ج ٣ .

(٢) ٢٣٣ ج ١ البيان (٣) ٢٠ ج ٣ البيان

(٤) أعطاه بغيته (٥) المزوبة

إنك في المحل والقدر ، والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحدثه أيامه ، وتنتقل به أحواله ، بحيث لا يحتاج إلى تبصير واعظ ، ولا تذكرة مجرب ، ولك من سوّد من نصيبك ، وشرف أعراقك ، وكرم أصلك في العرب ، محتد يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة ، والرجوع عن الهفوة ، وقد كان الذي كان من الخطب الجليل عمت رزيتة نزارا واليمن ، ولم تخصص به كندة دونها ، للشرف البارع الذي كان لحجر : الناج والعمّة فوق الجبين الكريم ، وإخاء الحمد وطيب الشيم ، ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرامتنا على مثله ببذل ذلك ولقد بناه منه ، ولكن مضى به سبيل لا ترجع أولاه على أخراه ، ولا يلحق أقصاه أدناه ، فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث : إما أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتا ، وأعلاها في بناء المكرمات صوتا ، فقد ناه اليك بنسعة ، تذهب مع شفرات حسامك بباقي قصرته ، أو فداء بما يروح على بني أسد من نعمها ، فهي ألوف تجاوز الحسبة ، وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل ، فنسدل الأزر ، ونعقد الخمر فوق الرايات .

فبكي امرؤ القيس وقال : قد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم ، وأنى لن أعتاض به ناقة أو جملا فأكتسب بذلك سبة الأبد وفيت العضد ، وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها وإن أكون لعظمها سببا ، وستعرفون طلائع كندة من بعد ، تحمل في القلوب حنقا ، وفوق الأسنّة علما :

إذا جالت الخيل في مأزق تصافح فيه المنايا النفوسا

-- ٦ --

ومن خطباء العرب : كهب بن لؤي (١) .

(١) الروض الأنف - صبح الاعشى ٢١١ ج ١ - ٢٢٦ ج ١ البيان والتبيين للجاحظ . قال الجاحظ : وكان يخطب العرب عامة ويحضر كتاباته خاصة على البر

وأوى بن غالب (١) ، وهاشم بن عبد مناف (٢) ، وأبو طالب (٣) .  
وعمر بن كاثوم (٤) ؛ وضمرة بن ضمرة (٥) ، وعمرو بن عمار الطائي (٦) ،  
ويقول الجاحظ في البيان والتبيين : ومن خطباء العرب في الجاهلية :  
خويلد بن عمرو خطيب يوم الفجار (٧) . . ومن الخطباء البلغاء والحكام  
الرؤساء : ربيعة بن حذار ولييد وهرم بن قطبة (٨) . . ومن القدماء في الحكمة  
والخطابة والرياسة : عبيد بن شربة الجرهمي وأسقف نجران وأكيدر صاحب  
دومة الجندل ، وجذيمة الأبرش (٩) .

-- ٧ --

ومن خطبائهم من نخصهم بالذكر : هاشم بن عبد مناف ، وهو سيد  
قريش وإمامها ، وداعيا إلى الخير والشرف والوحدة ، وحامي البيت والذائد  
عنه . خطب في قريش وخزاعة حين تنافرا إليه فقال :  
يا بني قصى ، أنتم كفصنى شجرة ، أيهما كسر أوحش صاحبه ؛ والسيف  
لا يصان إلا بغمده ، ورامى العشيرة يصيبه سهمه .

---

فلما مات أكبروا موته فلم تزل كنفاته تؤرخ ؛ وانه إلى عام الفيل (٢٢٦ ج ١ البيان)

(١) الروض الأنف و ٢٢٣ ج ١ البيان والتبيين .

(٢) د د و ٤٥٨ ج ٢ ابن أبي الحديد و بلوغ الأرب ٢٢١ ج ١

(٣) د د و ٢١٢ ج ١ صبح الاعشى و ج ٣ من ابن أبي الحديد

(٤) ١٠ ٤٩ البيان والتبيين

(٥) ٢٥ ج ١ : الاغانى و ١٦٨ ج ١ البيان و ١٨٦ ج ١ الميداني و ١٦٨

و ١٢٨ و ١١٨ ج ٢ .

(٦) ١٥٩ و ٢٢٥ ج ١ البيان ، المؤلف و يقول فيه الجاحظ : كان خطيب

مذبح كلها وحمله النعمان على منادته ثم قتله ( ٢٢٥ ج ١ البيان )

(٧) ٢٢٦ ج ١ : البيان (٨) ٢٣٣ ج ١ : المرجع (٩) ٢ ٢ - ١ : المرجع

يا بني قصى ، أنتم كفضلى شجرة ، أيهما كسر أو حش صاحبه ، والسيف لا يصان إلا بعمده ، ورمى العشرة يصبه سهمه

أيها الناس : الحلم شرف . والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد والجهل سنه ، والأيام دول ، والدهر غير ، والمرء منسوب إلى فعله ، ومأخوذ بعمله ؛ فاصنعوا المعروف ، تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول ، وتجانبوا السفهاء ، وأكرموا الجليس بعمر ناديتكم ، وحاموا عن الخليط يرغب في جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم ، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة ، وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف وتمدم المجد .

ولعمري إن هذه لشفعة نبوية ، وحكمة من شريف ملهم ، وسيد مطاع .

-- ٨ --

ومن خطبائهم عبد المطلب بن هاشم ، خطب بهنى سيف بن ذى يزن بظفره على الحبشة (١) ، فقال :

إن الله أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً ، شامخاً باذخاً ، وأنبئك نبئاً طابت أرومته ، وعزت جرومته (٢) ، وثبت أصله ، وبسق (٣) فرعه ، فى أكرم موطن ، وأطيب معدن ، وأنت - أبيت اللعن - ملك العرب ، وربيعها الذى تخصص به ، وأنت أيها الملك رأس العرب الذى إليه تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومعقلها الذى تلجأ إليه العباد . سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن يخمل ذكر من أنت سلفه ؛ وإن يملك من أنت خلفه ، ونحن أيها الملك أهل حرم الله ، وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذى أبهجنا بكشف الكرب الذى فدحنا ، فنحن وفد النهنته لا وفد المرزئة (٤) .

(١) راجع أديان العرب فى الجاهلية (٢) الأصل

(١٣)

(٤) الرزء والمصيبة

(٣) علا

## د - المحاورات - وصور لها:

١ - مفاخرة طريف بن العاصي والحارث بن ذبيان عند بعض  
مقاول حمير (١)

قال الملك للحارث: يا حارث ألا تخبرني بالسبب الذي أخرجكم عن  
قومكم حتى لحقتم بالنمر بن عثمان؟

قال الحارث: خرج هجينان منا يرعيان غنما لهما، فتشاولا (٢) بسيفيهما  
فأصاب صاحبهم عقب صاحبنا فمات، فسألونا أخذ دية صاحبنا: دية  
الهجين (٢)، وهي نصف دية الصريح (٤)، فأبى قومي إلا دية الصريح وأبوا  
إلا دية الهجين، فتفاقم الأمر بين الحيين فتظاهروا علينا حسداً، فأجمع ذوو  
الحجا منا أن نلحق بأمنع بطن من الأزدي، فلهقنا بالنمر بن عثمان، فوالله  
مافت في أعضادنا، فتأينا عنهم ولقد أثارنا (٥) صاحبنا وهم راغمون.

فوثب طريف من مجلسه، فجلس بإزاء الحارث فقال: تالله، ما سمعت  
قولاً أبعد من صواب، ولا أقرب من خطل، من قول هذا. والله أيها  
الملك ما قتلتوا بهجيتهم بذجاً (٦)، ولا رقوابه درجاً، ولقد أخرجهم الخوف  
عن أصلهم، وأجلأهم عن محلهم.

فقال الحارث: أسمع يا طريف؟ إني والله ما إخالك كافاً غرب لسانك  
ولا ممنها شرة نزواتك، حتى أسطو بك سطوة تكف طماحك،  
وترد جماحك.

فقال طريف: مهلاً يا حارث، لا تعرض لذب (٧) ستاني، وغرب  
سباني.

(١) ٧٢ ج ١ الأمل (٢) تضاربا (٣) هو الذي أبوه عربي وأمه غير عربية

(٤) الخالص (٥) أثارنا: أخذنا بثأره (٦) الخروف

(٧) الذب: الحدة

فقال الحارث : إياي تخاطب بمثل هذا القول . فقال طريف : أما والأعنام المحجوبة ، والأنصاب المنصوبة ، لئن لم تقف عند قدرك ، لأدعن حزنك سهلاً ، وصفاك وحلاً .

فقال الحارث : أما والله لورمت ذلك لمرغت بالحضيض (١) وأغصصت بالجرىض ، وضائق عليك الرحاب ، وتقطعت بك الأسباب .

فقال طريف : دون ما ناجتكم به نفسك مفارعة أبطال . وحياض أهوال .

فقال الملك : أيها عنكما :

٢ - وراجع حديث النسوة اللواتي أشرن على بنت الملك بالتزوج ، ووصفهن لها بحاسن الزوج (٢) وقد سبق ذكره وراجع حديث أوس بن حارثة ووصيحتة لابنه مالك (٣) ، وحديث بعض مقال حمير مع بنتيه وما دار بينهما وبينهما من الحوار ، حين كبرت سنه ، وهو حديث طريف تمتع (٤) . وما وقع بين عمرو بن براقه الهمداني وحرث المرادي من الأغاراة وما قال عمرو في ذلك (٥) ، واجتماع عامر بن الظرب وحممة بن رافع عند ملك من ملوك حمير ، وتماورهما أمامه (٦) ، وحديث ابنة الخس مع أبيها (٧) ، وما وقع لحاتم مع زوجته ماوية (٨)

٣ - وكان قس يفد على قيصر ويذوره فقال له قيصر يوماً :

ما أفضل العقل ؟

قال : معرفة المرء بنفسه .

قال : فما أفضل العلم ؟

(١) هو القرار إذا اتصل بالجبل (٢) ٨٠ : ١ الأمل

(٣) ١٠٢ : ١ الأمل (٤) ١٥٢ : ١ الأمل (٥) ١٢٦ : ٢ الأمل

(٦) ٢٧٦ : ٢ الأمل (٧) ١٠٧ : ١ الأمل (٨) ١٥٢ : ١ الأمل

قال : وقرف المرء عند عليه

قال : فما أفضل المروءة ؟

قال : استبقاه الرجل ماء وجهه

قال : فما أفضل المال ؟

قال : ما قضى به الحقوق .

٤ - ومن أمثلة المفاخرة ما وقع من بعض سادات العرب أمام كسرى وقد قال لهم : ليتكلم كل رجل منكم بما أثر قومه ، وليصدق .

وأخذ : حذيفة بن بدر والأشعث بن قيس ، وبسطام بن قيس ، وحاجب ابن زرارة التميمي ، وقيس بن عاصم ، يعدد كل منهم ما أثر قومه ومفاخره حسب ما به .  
٥ - منافرة خالد والقعقاع التميميين :

نافر خالد القعقاع . إلى ربيعة بن حذار الأسدي فقال : هاتيا مكارمكما . فقال خالد : أعطيت من سأل ، وأطعمت من أكل ، ونصبت قدوري حين وضعت السماك ذيولها ، وطعمت يوم شوأ حظ (١) فارسا جللت نخذه بفرسه . فقال : يا قعقاع ما عندك ؟

فأخرج قوس حاجب ، وقال : هذه قوس عمى رهنها عن العرب ، وهاتان نملأ جدى قسم فيها أربعين مرباعا ، وهذه زريبة (٢) زرارة لم ير ناره خائف إلا أمن ، ولم يمسك بطنب (٣) فسطاسه أسير إلا فك .

فأدى ربيعة بن حذار : ان السماحة واللها (٤) والمرباع والشرف الأسبغ للقعقاع ، إلا إنى نفرت من كان أبوه معبدا وعمه حاجبا ، وجده زرارة (٥)

٦ - ومن أمثلة المنافرات منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة العامريين . وهي أشهر المنافرات في الجاهلية .

---

(١) من أيام العرب وكان لبني محارب على بنى عامر

(٢) البساط (٣) حبل طويل يشد به السرداق

(٤) جمع لهوة وهي : العطية (٥) هو القعقاع بن معبد بن زرارة التميمي

قيل لما (١) أسن أبو برا عامر بن مالك ، تنسازع في الرياسة عامر بن (٢) الطفيل ، وعلقمة (٣) بن ثلاثة بن عوف بن الأحوص . فقال علقمة : كانت لجدي الأحوص ، وإنما صارت لعمك بسببه ، وقد قعد عمك عنها ، وأنا أسترجعها ، فأنا أولى بها منك ؛ فشرى (٤) الشر بينهما ، وسارا إلى المنافرة ، فقال علقمة : إن شئت نافر تك ، فقال عامر : قد شئت ، والله إنى لأكرم منك حساباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول منك قصباً (٥) .

فقال علقمة : والله لأنا خير منك ليلا ونهاراً ، فقال عامر : والله لأنا أحر منك للقاح (٦) ، وخير منك في الصباح ، وأطعم منك في السنة الشياح (٧) .  
فقال علقمة : أنا خير منك أثراً ، وأحد منك بصراً ، وأعز منك نفراً ، وأشرف منك ذكراً .

فقال عامر : ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد ، وبهرى ناقص ، وبصرك صحيح ، ولكنى أنا فرك ؛ إنى أسمى منك سمّة (٨) ، وأطول منك قة ، وأحسن منك لمة (٩) وأجعد منك جمّة (١٠) . وأمرع منك رحمة ، وأبعد منك همة .

فقال علقمة : أنت رجل جسيم ، وأنا رجل قضيف (١١) ، وأنت جميل ،

---

(١) راجع هذه القصة الادبية في كتاب الاغانى ص ٥٠ ج ١٥ ، مهذب الاغانى

ص ٦٨ ج ٢ ، نهاية الارب ص ٢٧٢ ج ٣ ، بلوغ الارب ص ٢٨٦ ج ١

(٢) من بني عامر بن صعصعة : فارس قومه ، وأحد فتاك العرب وشعرائهم ولد ونشأ بنجد ، كريماً شجاعاً وقد على رسول الله يريد الغدر به ولم يسلم ، فات في طريقه قبل أن يبلغ قومه سنة ١١١ هـ (٣) علقمة بن ثلاثة : كان في الجاهلية من أشرف قومه ، أسلم ، وارتد في أيام أبي بكر فانصرف إلى الشام ، ثم عاد إلى الإسلام وتوفي نحو سنة ٢٠ هـ (٤) شرى : استطار (٥) يريد طول القامة

(٦) اللقاح : الإبل (٧) الشياح : القمح (٨) السمّة : القرابة

(٩) اللمة : الشعر المجاوز لجمّة الاذن (١٠) الجمّة : مجتمع شعر الرأس

(١١) قضيف : نحيف

وأنا قبيح ، ولكنى أنا فرك بآبائي وأعمامى .

فقال عامر : آباؤك أعمامى ، ولم أكن لأنا فرك بهم ، لكنى أنا فرك ؛ أنا خير منك عقباً ، وأطعم منك جدباً .

فقال علقمة : قد علمت أن لك عقبا ، وقد أطعمت طيبا ، ولكنى أنا فرك ، إني خير منك ، وأولى بالخيرات منك .

فخرجت أم عامر - وكانت تسمع كلامهما ، فقالت : يا عامر نافره أيبكا أولى بالخيرات .

قال عامر : والله إني لأركب منك فى الحماة ، وأقتل منك للكمة (١) ، وغير منك للولى والمولاة .

فقال له علقمة : والله إني لبر ، وإنك لفاجر ، وإني لولود وإنك عاقر (٢) ، وإني لعف . وإنك لعاهر ، وإني لوفى ، وإنك لغادر ، فقيم تفاخرنى يا عامر ؟ فقال عامر : والله إني لأنزل منك للقفرة (٣) ، وأنحر منك للبكرة (٤) ، وأطعم منك للهبرة (٥) ، وأطعن منك للشجرة .

فقال علقمة : والله إنك لسكايل البصر ، نكد النظر .

فقال بنو خالد بن جعفر - وكانوا يبدأ مع بنى الأحوص على بنى مالك بن جعفر : لن تطيق عامراً ، ولكن قل له : أنا فرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات . فقال له علقمة هذا القول ؛ فقال عامر : عير وتيس (٦) ، وتيس وعنز . نعم على مائة من الإبل إلى مائة من الإبل يعطاها اللحم ، أينا نفر عليه صاحبه

---

(١) الكمة : جمع كى ، وهو الشجاع (٢) رجل عاقر : لم يولد له ولد

(٣) القفرة : الخلاء من الارض (٤) البكرة : الفتية من الإبل

(٥) الهبرة : القطعة المجتمة من اللحم

(٦) العير : الحمار ، وغلب على الوحش ، وهو أقوى من التيس ، أى مثلى وإياك

كالعير والتيس ، وأعلى الاقل كالتيس والمنز إذ التيس أقوى على النطح من العنز .

أخرجها ؛ ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رهناً من أبنائهم على يدى رجل يقال له خزيمة بن عمرو ؛ فسمى الضمين .

وخرج علقمة ومن معه من بنى خالد ، وخرج عامر فيمن معه من بنى مالك ، وجعلا منافرتهم إلى أبى سفيان بن حرب بن أمية ، فلم يقل بينهما شيئاً ، وكره ذلك لخالهما ، وحال عشيرتهما ، وقال : أنتما كركبتي البعير الأدرم (١) . قالا : فأينا اليمين ؟ قال : كلاكما يمين ، وأبى أن يقضى بينهما . فانطلقا إلى أبى جهل بن هشام ؛ فأبى أن يحكم بينهما ، وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش ؛ فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة ؛ فأبى أن يقول بينهما شيئاً ؛ فأتيا غيلان بن سلمة الثقفى ، فردهما إلى حرملة بن الأشعر المارى ، فأبى أن يقول شيئاً . ثم تداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما ، فرحلا إليه ، ومع كل واحد منهما ثلاثمائة من الإبل : مائة يطعمها من تبعه ، ومائة يعطيها للحاكم ، ومائة تعقر إذا حكم ؛ فأبى هرم بن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرتحلا ؛ فقال هرم : لعمرى لأحكم بينكما ، ثم لأفضلن ، فأعطيانى موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول ، وتسليما لما قضيت بينكما ، وأمرهما بالانصراف ووعدهما يوماً ، فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه ، وأقام القوم عنده أياماً .

فخلاهم بعلقمة ، وقال له : أترجوان ينفرك رجل من العرب على عامر فارس مضر ؛ أئدى الناس كفا ، وأشجمهم لقاء ، لستان رمح عامر أذكر فى العرب من الأحوص ، وعمه ملاعب الأسته .

فقال له علقمة : أنشدك الله والرحم أن لا تنفر على عامرا ، اجزى ناصيتى ، واحتكم فى مالى ، وإن كنت لا بد أن تفعل فسو بينى وبينه ، فقال : انصرف ، فسوف أرى رأبى ؛ فخرج وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامرا . ثم خلا بعامر فقال له : أعلى علقمة تنفخر ؟ أنت تناوئته الأعلى ابن

(١) درم العظم : واره اللحم حتى لم يبين له حجم .

عوف بن الأحوص الأعف بنى عامر ، وأيمنهم نقيبة . وأحلبهم وأسودهم ، وأنت أعور عافر مشوم أما كان لك رأى يزكك عن هذا أأكنت تظن أن أحدا من العرب ينزكك عليه ؟ فقال عامر : نشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة فوالله إن فعلت لا أفلح بعدها أبدا ، هذه ناصيتي فاجزها ، واحتكم فى مالى ، فإن كنت لا بد فاعلا فسو بينى وبينه . قال : انصرف فسوف أرى رأى ؛ فخرج عامر ، وهو لا يشك أنه ينفره عليه .

ثم إن هراماً أرسل إلى بنيه وبنى أبيه : إني قاتل غدا بين هذين الرجلين مقالة ؛ فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر (١) ، فلينحرها عن علقمة . ويطارد بعضكم عشر جزائر ينحرها عن عامر ، وفرقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة ، فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قام هرام ، وقال : يا بنى جعفر قد تمما كتبنا عندى . وأتما كركبتى البعير الأدرم ، تقمان إلى الأرض معاً ، وليس فيكما أحد إلا وفيه ماليس فى صاحبه ، وكلاكما سيد كريم .

وعمد بنو هرام وبنو أخيه إلى تلك الجزر فنحروها حيث أمرهم هرام ، وفرقوا الناس ، ولم يفضل هرام أحدا منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل - وهما ابتاعم - فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرا .

فارتحلوا عن هرام لما أعيام نحو عكاظ ، فلقبهم الأعشى منحدرًا من العين - وكان لما أرادها قال لعلقمة : اعقدلى حبلا ، فقال : أعقدلك من بنى عامر اقال : لا يعنى عنى . قال : فن قيس اقال : لا . قال : فما أنابزائدك ، فأنى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ؛ فقال له : كيف تجيره من أهل السماء ؟ قال : إن مات ودبته - فقال الأعشى لعامر : أظهر أنسكا حكمتمانى ، ففعل ؛ فقام الأعشى ، فرفع عقيرته (٢) فى الناس فقال :

(١) جزائر : جمع جزور .

(٢) عقيرته : صوته .

حكتموه ففضى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر  
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي خسر الخاسر  
علمم لا ، است إلى عامر التناقض الأوتار والوتر  
واللابس الخيل بخيل إذا نار عجاج السكبة (١) الثائر  
إن تسد الحوص فلم تعدم وعامر ساد بنى عامر  
ساد وأنى رهطه سادة وكابرا سادوك عن كابر

وشد القوم في أعراض الإبل المائة فعمقروها ، وقالوا : نفر عامر  
وذهبت بها الغواص ، وجهد علممة أن يردها فلم يقدر على ذلك ؛ فجعل  
يتهدد الأعشى فقال :

أتانى وعيد الحوص من آل عامر فيا عبد همرو لو نبيت الأحوصا  
فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمك وبحرك ساج (٢) لا يوارى الدعاما (٣)  
كلا أبو يكم كان فرعاً دعامة ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا  
تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى (٤) بيتن خمائصا (٥)  
يراقبن من جوع خلال مخافة نجوم العشاء العاتمات القوامصا (٦)  
رمى بك في أخرام تركك الندى وفضل أقواما عليك مراهمصا (٧)  
فعض حديد الأرض إن كنت ساخطا بفيك وأحجار الكلاب الرواهمصا (٨)

(١) السكبة : الدفعة في القتال والحملة في الحرب

(٢) سحجى : سكن (٣) الدعوص : دوية أو دودة سوداء تكون في الغدران

(٤) غرث : جاع (٥) الخناص : جمع خميصه ، ضامرة البطن أى

من شدة الجوع (٦) الغميصاء : إحدى الشعريين ، قال في القاموس : من

أحاديثهم : إن الشعري العبور قطعت الحجر فسميت عبوراً وبكت الاخرى على

أثرها حتى غمضت ويقال لها الغموص أيضا (٧) راهص غريمه : راصده ،

قال في القاموس : والمراهص لم يسمع بواحدما (٨) الكلاب : موضع ،

والرواهص من الحجارة : التي تنكب الدواب ، والصخور الثابتة

فيكي علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار (١).  
هذا والمحاورة : هي التماثل والتراجع في الكلام والحديث . وهي من  
ضرورات المجتمع والحياة .

والعرب كثير والمحاورة لكثرة خصوماتهم ومفاخراتهم وتنازعهم على  
الشرف وسواه .

وتشمل المحاورات : المنافرة والمفاخرة، وسواهما من المحاورات العامة.  
١) المنافرة : المحاكمة في المفاخرة، وأصلها من قولهم : أينما أعز نفرا :  
فهى التحاكم إلى الأشراف من حكم العرب ، ليفصلوا بينهما ، ويقضوا  
بالشرف لأحدهما .

ب) المفاخرة : مصدر فخر ، وهي تفاخر القوم بعضهم على بعض ، وكانوا  
يفخرون بالحسب والشرف والأخلاق الكريمة والعز والثروة  
والكثرة والعدد .

ج) والمحاورة العامة في شئون الحياة بما لا يتصل بمفاخرة أو منافرة وهي  
كثيرة ، كثيرة مطالب الحياة وشئونها ودواعي اتصال الإنسان  
بسواه من المجتمع .

- ٩ -

٥ - سجع الكهان وصور منه :

١ - حديث زبراء الكاهنة مع بنى رثام :

كان ثلاثة بطون من قضاة متجاورين بين الشجر وحضرموت وهم :  
بنو ناعب ، وبنو داهن ، وبنو رثام ، وكان بنو ناعب وبنو داهن متظاهرين

(١) راجع حديث هرم بن قطبة مع عمر بن الخطاب حول هذه المنافرة في  
البيان والنبين (١٦٨ : ١)

على بنى رثام ، وكانت بنو رثام أقلهم عدداً وأشجعهم لقاء ، وكان لهم عجوز تسمى خويلة ، كان يدخل عليها أربعون رجلاً كلهم لها محرم : بنو إخوة ، وبنو أخوات ، وكانت خويلة عقيها ، وكان لها أمة من مولدات العرب تسمى زبراء ، وكانت زبراء كاهنة .

فقال زبراء لخويلة : انطلقى بنا إلى قومك أنذرهم ، فأقبلت خويلة تتوكأ على زبراء ، فقاموا إجلالاً لها .

فقال : يا ثمر الأكياد ، وشجا الحساد ، هذه زبراء ، تخبركم عن أنباء ، قبل انحسار الظلماء ، بالمؤبد (١) الشنماء ؛ فاسمعوا ما تقول ، قالوا : وما تقولين يا زبراء ؟ قالت :

واللوح الخافق ، والليل الفاسق ، والصبح الشارق ، والنجم الطارق ، إن شجر الوادى ليأدو (٢) ختلا ، ويمرق أنيابا عصلا (٣) ، وإن صخر الطود لينذر ثكلا ، لا تجدون عنه معلا (٤) .

وانصرفت عنهم ، فانصرف منهم أربعون رجلاً ، وبقي ثلاثون ، فرقدوا في مشربهم ، وطرقهم بنو راهن وبنو ناعب فقتلوهم أجمعين . وأقبلت خويلة عند الصباح ، فوقفت على مصارعهم ، ثم عمدت إلى خناصرهم فقطعتها ، وانتظمت منها فلادة وأقتها في عنقها (٥) .

٢ - وراجع حديث مصاد بن مذعور وخروجه في طلب الذود ، وما أخبره به الجوارى الأربع الطوارق بالحصا (٦) .

وحديث الرواد الذين أرسلتهم مذبح ووصفهم الأرض لقومهم بعد رجوعهم (٧) .

- 
- (١) الداهية والأمر العظيم (٢) أى يختل  
(٣) حرق أنيابه : حك بعضها ببعض . والعصل : الموجة  
(٤) أى منجى (٥) راجع ١٢٦ ج ١ الامالى  
(٦) ١٤٢ ج ١ الامالى (٧) ١٨٠ ج ١ الامالى

واقرا حديث سواد بن قارب وكهاتته (١) ، وحديث ابنة الخس  
مع أبيها (٢)

وفود عبد المسيح - رسول كسرى - على سطيج الكاهن (٣) .

٣ - وكانت هند بنت عتبة زوجا للفاكه بن المغيرة المخزومي ، وكانت  
داره ناديا لقومه فانهمها الفاكه برجل واستلمحها بأبيها ، فخرج بها والدها  
إلى بعض الكهان يستخبره عن أمرها ، وأخرج معها نسوة من قومها ، وأقبل  
معهم الفاكه في رجال من قومه . فلما شارفوا ديار الكاهن رأى عتبة من  
ابنته انكسارا وتغيرا ، فقال لها : يا بنية لا تكتميني من أمرك شيئا ، فإن  
كان مابك لريبة نرجع ولا بأس عليك ، فقالت هند : لا والله يا أبت ،  
ماذا لك لريبة ولا فاحشة ، ولكنكم تقدمون على بشر يخطى ويصيب ، وأخشى  
أن يسمنى بسمه ، تبقى على وصمة عار آخر الدهر ، قال : سأبلوه لك ، ثم  
خبأ خبيثا ، واقبلوا حتى أتوا الكاهن ، فأخبرهم بحديثهم ، ثم أقبل على هند  
فقال : انهضى غير رسحاء ولا زانية . وستلدين ملكا اسمه معاوية .

### ماهى الكهانة؟

والكهانة قد سبق الحديث عنها وهى تعرف الغيب من الأمور  
المستقبله أو الماضيه .

وكان فى العرب كهان يتنبأون بالحوادث ، وللعرب اعتقاد كبير فيهم ،  
فهم ملاذ المريض ، وطما نينة الحائر ، والحكم فى الخصومة .

ومن أشهر هؤلاء الكهان : شق وسطيج الذئبى (٤) ، وطريفة الخير امرأة  
عمرو بن عامر الحميرية وكانت باليمن وهى التى تنبأت بخراب سد مأرب ،

---

(١) ٢٨٩ ج ٢ الامالى (٢) ١٠٧ ذيل الامالى (٣) ١٧٨ ج ١ العقد ط ١٩٢٨

(٤) كانا متعاصرين فى زمن كسرى أنو شروان وولدا معا

ومنهم: فاطمة الخنعمية وكانت بمكة ، ولها قصة مع والد الرسول صلوات الله عليه وسلم عبد الله بن عبد المطلب قبل أن يتزوج بآمنة بنت وهب ، ومنهم زبراء ، وسواد بن قارب وغير هؤلاء كثيرون .

ويتحدث الرواة بأعاجيب كثيرة لأرائك الكهان وبمعجزاتهم في الإخبار بالغيب ومعرفة الحوادث .

وكانت الكهانة منتشرة في الجاهلية قبل البعثة . وتدور غالباً حول : التبشير بلدى ببعث ، وتفسير الرؤى ، ومعرفة ما خفي عنهم من الحوادث . وهي نوع من الفراسة والإلهام وصدق الحدس وصفاء الروح والقدرة على التحليق في جو سماوى مجرد عن حدود المادة ، وكثيراً ما تصدق النبوءات في مثل هذه الأحوال .

ويقول الجاحظ في البيان والتبيين :

( أ ) كان كهان العرب يتحاكم إليهم أكثر أهل الجاهلية ، وكانوا يدعون الكهانة وأن مع كل واحد منهم رئيساً من الجن ، مثل حازى جهمينة ، وشق ، وسطيح ، وعزى سلمة . وأشباههم ؛ وكانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع . وكان ضمرة بن ضمرة وهرم بن قطبة والأقرع بن حابس ونفيل بن عبدالعزيز يحكمون وينفرون بالأسجاع وكذلك ربيعة بن حذار ( ١ )

( ب ) ومن أهل الدماء والنكراء ومن أهل اللسن واللحن ، والكلام الصحيح ، والأمثال السائرة . والمخارج العجيبة : د هند بنت الحنس ، وهى الزرقاء . د وخمة بنت حابس . وهما داهيتا نساء العرب كما يقول أبو عمرو ابن العلاء ( ٢ ) . ويذكر حوار الابنة الحنس مع أبيها ( ٣ )

( ج ) ويذكر أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان ( ٤ )

( ١ ) ١٩٥ ج ١ البيان والتبيين : ( ٢ ) ٢٠٥ ج ١ المرجع

( ٣ ) ٢١٢ ج ١ المرجع ( ٤ ) ٢٣٠ ج ١ المرجع

ومنهم - كما يقول - في الجاهلية . عبيد بن شربة ، وشق بن الصعب ،  
وربيع بن ربيعة السطيج الذئبي ، والمأمور الحارثي ، والديان الحارثي الشريفيان  
النكاهنان (١) .

## صور من القصص الجاهلي

إشارة ابن مامة الإيادي (٢) :

خرج كعب (٣) بن مامة الإيادي في قنديل ، معهم رجل من بني النمر  
ابن قاسط ، وكان ذلك في حر الصيف ؛ فاضلوا وشح ماؤهم ، فكانوا  
يتصافنون (٤) الماء - وذلك أن يطرح في القعب (٥) حصاة ، ثم يصب فيه  
من الماء بقدر ما يغمر الحصاة ؛ فيشرب كل واحد منهم قدر  
ما يشرب الآخر .

ولما نزلوا للشرب ، ودار القعب بينهم ، حتى انتهى إلى كعب ، رأى الرجل  
النمرى يمد النظر إليه ؛ فأثره بمائه على نفسه . وقال للساقى : اسق أحاك النمرى ،  
فشرب النمرى نصيب كعب من الماء ذلك اليوم !

ثم نزلوا من القد منزلم الآخر ، فتصافنوا ببقية ما لهم ؛ فنظرا إليه كنظره  
أمس ، وقال كعب كقوله أمس ، وارتحل القوم ، وقالوا : يا كعب ؛ ارتحل  
فلم يكن له قوة للنهوض ، وكانوا قد قربوا من الماء ، فقالوا له . رد يا كعب  
إنك وارد ، فمجزع عن الجواب ، ولما أيسوا منه خيموا عليه بثوب يمنعه من  
السبع أن يأكله ، وتركوه مكانه ؛ فمات ونجا رفيقه !

---

(١) ٢٣١ ج١ المرجع (٢) بلوغ الأرب ص ٨١ ج١ ، المحاسن والمساوي  
٢٠٥ طبعة ليبزج ، الأمثال ص ١٦٧ ج١ (٣) هو كعب بن مامة بن همر بن  
ثعلبة الإيادي ، الذي يضرب المثل بجوده ، وكان أبوه ملك إياد  
(٤) تصافنوا الماء : اقتسموه بالحصص (٥) القعب : القدرح يروى الرجل

## وفاء السموأل :

لما أراد امرؤ القيس المضى إلى قيصر ملك الروم ، أودع عند السموأل (١) دروعا وسلاحا وأمتعة . تساوى جملة كثيرة ؛ فلما مات امرؤ القيس ، أرسل ملك كندة يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموأل ؛ فقال السموأل : لا أدفعها إلا إلى مستحقها ، وأبى أن يدفع إليه منها شيئاً ، فعادوه ، فأبى ، وقال : لا أغدر بدمتي ، ولا أخون أمانتي ، ولا أترك الوفاء والواجب على .

فقصده ذلك الملك من كندة بمسكروه ، فدخل السموأل في حصنه (٢) ، وامتنع به ، فحاصره ذلك الملك . وكان ولد السموأل خارج الحصن ؛ فظفر به الملك ، وأخذه أسيراً ، ثم طاف حول الحصن ، وصاح بالسموأل ، فأشرف عليه من أعلى الحصن ؛ فلما رآه قال له : إن ولدك قد أسرته ، وهاهو ذامعي ، فإن سلمت إلى الدروع والسلاح ، رحلت عنك ، وسلمت إليك ولدك ؛ وإن امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر ! فاختر أيهما شئت .

فقال له السموأل : ما كنت لأخفر ذمامي ، وأبطل وفائي ؛ فاصنع ماشئت !

---

(١) راجع المستطرف ص ٢٠١ ج ١ ، انظر ص ١٩ ، بلوغ الأرب ص ١٣٦ ج ١ ، والسموأل : هو السموأل بن غريص بن عادياب شاعر جاهلي حكيم أشهر شعره لاميته التي مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل  
ويضرب المثل بوفائه . توفي نحو سنة ٦٥ ق . هـ

(٢) هذا الحصن يسمى الأبلق الفرد ، وقد بناه أبوه يتما وفيه يقول السموأل :

لنا جبل يحمله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل  
هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره يعز على من رامه ويطول  
رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا ينال طويل

فذبح ولده ، وهو ينظر . ثم لما عجز عن الحصن رجع خائباً ، واحتسب السه وأل ذبح ولده ، وصبر محافظة على وفائه ؛ فلما جاء المواسم ، وحضر ورثة امرئ القيس ، سلم إليهم الدروع والسلاح ، ورأى حفظ ذمامه ، ورعاية وفائه أحب إليه من حياة ولده وبقائه ، وقال في ذلك :

وفيت بأدراع السكندی إني إذا ما خان أقوام وفيت

### لاحر بوادی عوف (١) :

لما مات إيث بن مالك أخذت بنو عبس فرسه وسلبه (٢) . ثم مالوا إلى خيائه فأخذوا أهله ، وسلبوا امرأته خماعة بنت عوف بن محم ، وكان الذي أصابها عمرو بن قارب وذؤاب بن أسماء ؛ فسألها مروان (٣) القرظ بن زنباع من أنت ؟ فقالت : أم خماعة بنت عوف بن محم ، فانتزعها من عمرو وذؤاب ، لأنه كان رئيس القوم ، وقال لها : غطلي وجهك ، والله لا ينظر اليه عربي حتى أركبك إلى أبيك ، وضمها إلى أهله حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كسوتها وأخدمها وأكرمها وحملها إلى عكاظ .

فلما انتهى بها إلى منازل بني شيبان قال لها : هل تعرفين منازل قومك وميزل أبيك ؟ قالت : هذه منازل قومي ، وهذه قبيلة أبي قال : فانظري إلى أبيك ، فانطلقت فخرت بصنيع مروان .

ثم إن مروان غزا بكر بن وائل فقصوا أثر جيشه ، فأسرهم رجل منهم ، وهو لا يعرفه ؟ فأتى به أمه ؛ فلما دخل عليها قالت له أمه : إنك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ ؟ فقال لها : وماترتجمن من مروان ؟ قالت : عظم

---

(١) راجع الأمثال ص ٢٩٩ ج ٢ ، بلوغ الأرب ص ١٢٥ ج ١

(٢) السلب : ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون معه وعليه من

سلاح ودابة (٣) سمى مروان القرظ . لأنه كان يغزويهم وهي منابت القرظ ، ويضرب به المثل في العز ، فيقال : أعز من مروان القرظ .

فدائه . قال : وكم ترتجمن من فدائه ؟ قالت : مائة بعير ! قال مروان : ذلك لك على أن تؤديني إلى خماة بنت عوف بن محم !

ففضت به إلى عوف (١) بن محم ، فبعث إليه عمرو بن هند أن يأتيه به - وكان عمرو وجد علي مروان في أمر ، فألى ألا يعفو عنه حتى يضع يده في يده - فقال عوف - حين جاءه الرسول : قد أجارته ابنتي ! وليس إليه سبيل ، فقال عمرو بن هند : قد آليت ألا أعفو عنه أو يضع يده في يدي . قال عوف : يضع يده في يدك علي أن تكون يدي بينهما ! فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك .

فجاء عوف بمروان فأدخله عليه ، فوضع يده في يده ، ووضع يده بينهما فمعا عنه . وقال عمرو : لاجر بوادي (٢) عوف .

### مصرع الزباء :

كان جذيمة (٣) قد ملك على شاطئ الفرات . وكانت الزباء ملكة الجزيرة ، وكان جذيمة قد وترها بقتل أبيها ، فلما استجمع أمرها ، وانتظم شمل ملكها ، أحبت أن تغزو جذيمة ، ثم رأت أن تنكتب إليه : أنها لم تجد ملك النساء إلا قبحاً في السماع ، وضعفا في السلطان ، وإنها لم تجد للملكها موصفا ، ولا لنفسها كفتاً غيرك ، فأقبل إلى لأجمع ملكي إلى ملكك ، وأصل بلادى ببلادك ، وتقلد أمرى مع أمرك .

فلما أنى كتابها جذيمة ، وقدم عليه رسلها استخفه مادعته إليه ، ورجب

---

(١) من أشرف العرب في الجاهلية ، كان مطاعاً في قومه . قويا في عصيته ، وكانت تضرب له قبة في عكاظ توفي نحو سنة ٤٥ ق . ه

(٢) أى لا سيد به يناوته .

(٣) مجمع الأمثال ص ٢١٣ ج ١ ، جهرة الأمثال ص ٦٢

فيما أطعمته فيه ؛ فجمع أهل الحجا والرأى من نقاته - وهو يومئذ ببقته من شاطيء الفرات - وعرض عليهم مادعته اليه وعرضت عليه ، فاجتمع رأيهم على أن يسير إليها فيستولى على ملكها .

وكان فيهم قصير - وكان أريبا حازما أثيرا عند جذيمة - فخالفهم فيها أشاروا به ، وقال : رأى فاتر ، وغدر حاضر (١) . ثم قال لجذيمة : الرأى أن تكتب إليها ، فإن كانت صادقة في قولها فلتقبل اليك ، وإلا لم تمكنها من نفسك ، ولم تقع في حبالها ، وقد وترتها وقتلت أباءها . فلم يوافق جذيمة وقال له : رأيك في المكن لا في الضح (٢) .

ودعا جذيمة عمرو بن عدى ابن أخته فاستشاره ، فشجعه على المسير وقال : إن قومي مع الزباء ولو رأوك صاروا معك ؛ فأحب جذيمة ما قاله ، وعصا قصيرا ، فقال قصير : لا يطاع لقصير أمر (٣) .

واستخلف جذيمة عمرو بن عدى على ملكه وسلطانه ، وسار في وجوه أصحابه ، فأخذ على شاطيء الفرات من الجانب الغربي ؛ فلما نزل دعا قصير أ فقال : ما الرأى يا قصير ؟ فقال قصير : ببقة خلقت الرأى (٣) . قال : وما ظنك بالزباء ؟ قال : القول رداف ، والحرم عثراته تخاف (٣) .

واستقبلته رسل الزباء بالهدايا والألطف ، فقال : يا قصير كيف ترى ؟ قال : خطب يسير في خطب كبير (٣) . وستلماك الجيوش ، فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة ، وإن أخذت جنبتيك ، وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك ، فاركب العصا (٤) فإنها لا يشق غبارها - وكانت العصا فرسا لجذيمة لانجاري - وإنى راكبا ومسارك عليها .

فلقمته الخيول والكتائب ، فحالت بينه وبين العصا ؛ فركبها قصير ، ونظر

---

(١) ذهب مثلا (٢) الضح : الشمس وضوءها ، والمكن : وقاء كل شيء .

وستره ، ذهب مثلا .

(٣) ذهب أمثالا (٤) العصا : اسم فرس ،

إليه جذيمة على متن العصا مولياً ، فقال : ويل امه حزماً على متن العصا (١) .  
وجرت به إلى غروب الشمس ثم نفقت ، وقد قطعت أرضاً بعيدة .  
وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيل حتى دخل على الزباء . فلما رآته قالت :  
أشوار (٢) عروس ترى ؟ فقال : أمر غدر أرى . ثم دعت بالسيف والنطع ،  
وقالت : إن دماء الملوك شفاء من الكلب ، فأمرت بطست من ذهب قد أعدته  
له ، وسقته الخمر حتى سكر ، وأخذت منه الخمر مأخذها ، فأمرت  
براهشيه (٣) فقطعا ، وقدمت إليه الطست - وقد قيل لها : إن قطر من دمه  
شيء في غير الطست طلب بدمه - فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه في غير  
الطست ؛ فقالت : لا تضيعوا دم الملك . فقال جذيمة : دعوا دماً ضيعه  
أهله (٤) ؛ فملك جذيمة .

وخرج قصير من الحى الذى هلكت العصا بين أظهرهم ، حتى قدم  
على عمرو بن عدى - وهو بالحيرة - فقال له قصير : أثار أنت ؟ قال : بل  
ثار سائر (٤) .

ووافق قصير الناس وقد اختلفوا ، فأصلح بينهم ، ثم قال لعمرو بن عدى :  
تمياً واستعد ، ولا تطلن (٥) دم خالك . قال : وكيف لى بها وهى أمنع من  
عقاب الجو (٤) ؟

وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها ؛ فقالت : أرى هلاكك بسبب  
غلام مهين غير أمين ، وهو عمرو بن عدى ، وإن تموتى بيده ، ولكن حتفك  
بيدك ، ومن قبله ما يكون من ذلك .

فخذرت عمراً ، واتخذت لها نفقا من مجلسها الذى كانت تجلس فيه إلى  
حصن لها فى داخل مدينتها ، وقالت : إن فاجأنى أمر دخالت النفق إلى

---

(١) ذهب أمثالا (٢) الشوار : الهيمة والزينة .

(٣) الراهشان : عراقان فى باطن الذراعين (٤) ذهب أمثالا

(٥) طل دمه : هدر أو ألا يثار به .

حصنى ؛ ودعت رجلا مصورا من أجود أهل بلاده تصويرا ، وأحسنهم عملا ، فجهزته وأحسنته إليه ، وقالت : سر حتى تقدم على عمرو بن عدى متذكرا ، فتخلو بحشمه فتنتضم إليهم ، وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور ، ثم أثبت لى عمرو بن عدى معرفة ؛ فصوره جالسا وقائما وراكبا ومتفضلا ومتسلحا بهيئته ولبسته ولونه ، فإذا أحسكت ذلك فأقبل إلى .

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدى ، وصنع الذى أمرته به الزباه وبلغ من ذلك ما أوصته به ، ثم رجع إلى الزباه بعلم ما رجته له من الصورة على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرو بن عدى ، فلا تراه على حال إلا عرفته وحذرتة ، وعلت عليه .

وقال قصير لعمر بن عدى : اجدع أنفى ، واضرب ظهري ، ودعنى وإياها ، فقال عمرو : ما أنا بفاعل ، وما أنت لذلك مستحقا عندى . فقال قصير : خل عنى إذن وخلاك ذم (١) . فقال له عمرو : فأنت أبصر . فجدع أنفه وأثر آثارا بظهره ؛ فقالت العرب : لأمر ما جدع قصير أنفه (١) .

ثم خرج قصير كأنه هارب ، وأظهر أن عمرا فعل ذلك به ، وأنه زعم أنه مكر بخاله جذيمة وغيره ؛ فسار حتى قدم على الزباه ، فقيل لها : إن قصيرا بالباب . فأمرت به فأدخل ، فإذا أنفه قد جدع ، وظهره قد ضرب ؛ فقالت ما الذى أرى بك يا قصير ؟ قال : زعم عمرو أنى قد غررت خاله ، وزينت له المصير إليك وغششته وما لأتك ؛ ففعل بى ما ترى . فأقبلت إليك ؛ فأكرمته وأصابت عنده من الخزم والرأى ما أرادت .

فلما عرف أنها استرسلت إليه ، ووثقت به قال : إن لى بالعراق أم والاكثيرة وطرائف وثيابا وعطرا فابعثنى إلى العراق ؛ لأحمل مالى وأحمل إليك

من بزها (١) وطرائفها وثيابها وطيبها ، لتصيب من ذلك أرباحا عظيمة ، وبعض ما لا غنى لله ملوك عنه ؛ وكان أكثر ما يطارفها من الصرفان (٢) ، وكان يعجبها ، فلم يزل يزين ذلك حتى أذنت له ، ودفعت إليه أموالا ، وجهزت معه عبيدا .

فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق ، وأتى الحيرة متنكرا ، فدخل على عمرو بن عدى ، فأخبره الخبر ، وقال : جهزنى بصنوف البز والأمتعة لعل الله يمكن من الزباء ؛ فتصيب ثارك ، وتقتل عدوك . فأعطاء حاجته .

فرجع بذلك إلى الزباء . فأعجبها ما رأت وسرها ، وازدادت به ثقة ، وجهزته ثانية . فسار حتى قدم على عمرو . فجهزه وعاد إليها .

ثم عاد الثالثة وقال لعمرو : اجمع لى ثقات أصحابك ، وهي الغرائر واحمل كل رجلين على بعير فى غرارتين ، فإذا دخلوا مدينة الزباء أقتك على باب نفقها ، وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة ، فمن قاتلهم قتلوه ، وإن أقبلت الزباء تريد النفق جملتها بالسيف .

ف فعل عمرو ذلك ، وحمل الرجال فى الغرائر بالسلاح ، وسار يكم النهار ويسرى بالليل ، فلما صار قريبا من مدينتها تقدم قصير فبشرها ، وأعلمها بما جاء به من المتاع والطرائف ، وقال لها : آخر البز على القلوص (٣) . وسألها أن تخرج فتنظر إلى ما جاء به وقال لها : جئت بما صاء وصمت (٤) .

ثم خرجت الزباء فأبصرت الإبل تسكد قوائمها تسوخ فى الأرض من ثقل أحمالها ، فقالت يا قصير :

---

(١) البز : الثياب (٢) الصرفان : تمر رزين صلب

(٣) ذهب مثلا ، والبز : الثياب ، والقلوص : الأنتى من الإبل الشابة

(٤) صاء : أراد بما صاء الشاء والإبل . وبما صمت : الذهب والفضة ، وهو

يريد أنه جاء بكل شيء ، وقد ذهب مثلا

ما للجمال مشيها وتيدا أجنديلا يحملن أم حديدا  
أم صرفانا تارزا (١) شديدا

فقال قصير في نفسه : بل الرجال قبضا قعودا .

فدخلت الإبل المدينة حتى كان آخرها بعيرا مر على بواب المدينة وكانت  
بيده منخسة . فنخس الغرارة ، فأصابت خاصرة الرجل الذي فيها فسمع له  
صوتا . فقال : شر في الجوارق (٢) .

فلما توسطت الإبل المدينة أنيخت ، ودل قصير عمرا على باب النفق الذي  
كانت الزباء تدخله ، وأرته إياه قبيل ذلك ، وخرج الرجال من الغرائر ،  
فصاحوا بأهل المدينة ، ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النفق  
وأقبلت الزباء تريده ، فأبصرت عمرا فعرفته بالصورة التي صورت لها .  
فصت خانمها - وكان فيه السم - وقالت : بيدي لا بيد عمرو (٣) . و تلقاها  
عمرو فجلها بالسيف وقتلها ، وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها وانكفا  
راجعا إلى العراق .

شاس بن زهير :

ورد شاس بن زهير (٣) من عند النعمان بن المنذر ، وقد حباه أفضل  
الحبوة : مسكا وكسا وقطفا (٤) وطنافس ، فأناخ ناقته في يوم شمال وقر (٥)  
على ردهة (٦) في جبل رياح بن الأسك الغنوي ، وليس على الردهة غير بيته  
بالجبل ، فألقى ثيابه بفنائه ، ثم قعد بهريق عليه الماء ، وامرأة رياح قريبة منه

(١) التارز : اليابس . (٢) ذهبت أمثالا .

(٣) راجع الاغانى ص ١٠ ج ٨ ، وابن الاثير ص ٣٣٧ ج ١ ، مهذب الاغانى

ص ٨ ج ٢ (٤) الاطيفة : دنار مخمل ، جمعه قطف (بضمين) (٥) الشمال :

الريح التي تهب بين مطلع الشمس وبنات نعش ، ويكون اسما وصفة ، والقيصر البرد

(٦) الردهة . النقرة يجتمع فيها ماء السماء

وإذا هو مثل الثور الأبيض . فقال رياح لامرأته : أعطيني قومي ، فهدت اليه قوسه وسهما ، وانزعت المرأة نصله لئلا يقتله ، فأهوى عجلان اليه ووضع السهم في مستدق الصلب ، بين فقارتين (١) ففصلهما وخر ساقطا ، وحفر له حفرا ، فهدمه عليه ونحر جملة وأكاه ، وأدخل متاعه في بيته .

وفقد شاس وقص أثره ونشد ، وركبوا إلى الملك ، فسألوه عن حاله ، فقال لهم : حبوته وسرحته ، فقالوا : وما تمتعت (٢) به ؟ قال : مسك ونطوع وقطف ، فأقبلوا يقصون أثره ، فلم تتضح لهم سبيله ؛ فـكثروا كذلك ما شاء الله ، حتى انقطع ذكره .

قال الراوى : ثم إن الناس أصابتهم جائحة وجوع ، فنهحر زهير (٣) بن جذيمة - أبوشاس - ناقته ، فأعطى امرأة من شحما وسنامها ، وقال اشترى لى الهدب والطيب ، فخرجت بذلك الشحم والسنام تبينه حتى دفعت إلى امرأة رياح . فقالت ؛ إن معى شحما أبيعه فى الهدب والطيب ، فاشترت المرأة منها ، ثم أنت المرأة زهيرا بذلك ، فعرف الهدب ، وذهب إلى غنى ، فقالوا نعم ، قتله رياح بن الأسك ونحن برآء منه ، وقد لحق بخاله من بنى الطماح .

ولما تبين لزهير أن رياحا نأره قال يرثى شاسا :

بكيت لشاس حين خبرت أنه	بماء غنى آخر الليل يسلب
لقد كان هأناء الرداة (٤) لحتفه	وما كان لولا غرة الليل يغلب
قتيل غنى ليس شـكل كـشـكـاه	كذلك لعمرى الحين (٥) للدره يجلب
سأبكي عليه إن بكيت بعبرة	وحق لشاس عبرة حين تسكب

(١) الفقرة والفقارة : ما انتضد من عظام الصاب (٢) متع الرجل جادا .

(٣) هو زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى ، أمير عبس ، وأحد سادات العرب

المعدودين فى الجاهلية . قتله خالد بن جعفر العامرى نحو سنة ٥٠ ق . هـ

(٤) الرداة : الصخرة (٥) الحين : الهلاك

وحزن عليه ماحييت وعولة على مثل ضوء البدر أو هو أعجب  
 إذا سيم ضيها كان للخصيم منكرأ وكان لدى الهيجا (١) يخشى ويردب  
 وإن صوت الداعى إلى الخير مرة أجا ب لما يدعوله حين يسكرب  
 ففرج عنه ثم كان وليه فقلبي عليه لو بدا القلب ملهب

ثم انصرف إلى قومه من بني عبس ، فكان لا يقدر على غنوى إلا قتله ،  
 وتجهز بنو عبس لغزو غنى قبل أن يطلبوا قودا أو دية ، وتولى رياستهم  
 الحصين بن زهير أخو شاس ، والحصين بن أسيد بن جذيمة ابن أخى زهير ؛  
 فقيل ذلك لغنى ، فقالت لرياح : انج لعلنا تصالح على شيء أو نرضيهم  
 بدية وفداء .

نخرج رياح رديفاً لرجل من بني كلاب ، فبينما هما سائران إذا هما بالقوم  
 أدنى ظلام (٢) ، وقد كانا يظنان أنهما خالفاً وجهة القوم ، قال صاحبه لرياح :  
 اذهب فإني آتى القوم أشاغلم عنك ، وأحدثهم حتى تعجزهم ، ثم أنا ما ضر إن  
 تركوني ، فانهدر رياح عن عجز الجمل فأخذ أدارجه ، وعدا إثر الراحلة حتى  
 أتى حنفة ، فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فوجل فيه ، ثم أخذ نعليه ، فجعل  
 إحداهما على سرتة ، والأخرى على صنفه (٣) ، ثم شد عليهما العمامة ، وهضى  
 صاحبه حتى لقي القوم فسألوه ، فحدثهم وقال : هذه غنى كاملة ، وقد دنوت  
 منهم ، فصدقوه واخلوا سر به ، فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه ، فقالوا :  
 من هذا الذى كان خلفك ؟ قال : لامكذبة ذلك رياح فى الأول من السمرات ،  
 فقال الحصينان لمن معهما : قفوا علينا حتى نعلم عليه ، فقد أمكنا الله من نارنا  
 ولم يريد أن يشركهما فيه أحد ، فمضيا ووقف القوم عنهما ، فلما رأهما رياح  
 رمى الأول منهما فبتر صلبه ، وطعنه الآخر قبل أن يرمى به ، وأراد السرة  
 فأصاب الريلة (٤) ومر الفرس يهوى به ، فاستدبره رياح بسهم ، رشق به صلبه

(١) الهيجا : الحرب .  
 (٢) أدنى ظلام : أدنى شيء .  
 (٣) الصفن : وعاء الخصىة  
 (٤) الريلة : أصول الأفاذ

فانفق منحنى الاوصال ، وندت فرساهما فلاحقتا بالقوم . وانطلق رياح حتى  
ورد ردهة ، عليها بيت أنمار بن بغيض ، وفيه امرأة ولها ابنان قريبان منها ،  
وجمل لها راتع في الجبل ، وقد مات رياح عطشاً ، فلما رأته يستدمى طمعت  
فيه ، ورجت أن يأتيها ابناها فقالت له : استأسر ، فقال لها : دعيني ويحك  
أشرب ! فأبت ، فأخذ حديدة فجذم بها رواهشها (١) ، وعب في الماء حتى نهل  
ثم قال فيها وفي الحصينين :

قالت لي استأسر لتكنفني (٢) حيناً ويعلو قولها قولي  
ولانت أجراً من أسامة أو منى غداة وقفت للخيل  
إذ الحصين لدى الحصين كما عدل الرجاجة (٣) جانب الميل

خالد بن جعفر بن كلاب :

لما (٤) قتل خالد بن جعفر بن كلاب زهير بن جذيمة العبسي ضاقت به  
الأرض ، وعلم أن غطفان غير تاركيه ؛ فخرج حتى أتى النعمان فاستجار به  
فأجاره ، ومعه أخوه عتبة بن جعفر .

ونهب قيس بن زهير فتمياً محاربة بنى عامر ، وهجم الشتاء ؛ فقال الحارث  
ابن ظالم : يا قيس أنتم أعلم وحرر بكم ، وأنا راحل إلى خالد حتى أقتله ! قال قيس :  
قد أجاره النعمان ! قال الحارث : لأقتلنه ولو كان في حجره !  
وكان النعمان قد ضرب على خالد وأخيه قبة ، وأمرهما بحضور طعامه  
ومداهمه (٥) .

(١) جذم: قطع، الرواهش: عروق ظاهر الكف (٢) كنفه: أحاط به وآواه  
(٣) الرجاجة: شئ. يكون مع المرأة في هودجها فاذا مال أحد الجانبين وضعت  
في الناحية الأخرى ليعتدل .

(٤) الأمثال ص ٢٣٤ ج ٢ ، عيون الأخبار ص ١٨٣ ج ١

(٥) المدام: الخمر .

فأقبل الحارث ومعه تابع له من بنى محارب فأتى باب النعمان ، فاستأذن فأذن له النعمان وفرح به . فدخل الحارث ، وكان من أحسن الناس وجهاً وحدثاً ، وأعلم الناس بأيام العرب ؛ فأقبل النعمان عليه بوجهه يمدته ، وبين أيديهم تمر يأكلونه .

فلما رأى خالد إقبال النعمان على الحارث غاظه ذلك ، فقال : يا أبا ليلى ؛ ألا تشكرني ؟ قال علام ؟ قال : قتلت زهيراً فصرت بعده سيد غطفان - وفي يد الحارث تمرات ، فاضطربت يده ، وجعل يردد ويقول : أنت قتلتني ! ! والتمر يسقط من يده .

ونظر النعمان إلى ما به من الزمعة (١) ، فنخس خالداً بعصاه وقال : هذا يقتلك ، فقال : أبيت اللعن ! فوالله لو كنت نائماً ما أيقظني ! وافترق القوم ، وبقي الحارث عند النعمان ، وأشرح (٢) خالد قبته عليه وعلى أخيه ونائماً .

وانصرف الحارث إلى رحله ، فلما هدأت العيون خرج بسيفه حتى أتى قبة خالد فهتك شرجها (٣) بسيفه . ودخل فرأى خالداً نائماً وأخوه إلى جنبه ، فأيقظ خالداً ، فاستوى قائماً ، فقال له الحارث : يا خالد أظننت أن دم زهير كان سائغاً لك ؟ وعلاه بسيفه حتى قتله ، وانقبه عتبة . فقال له الحارث : لئن نبست (٤) لألحقنك به !

وانصرف الحارث ، وركب فرسه ومضى على وجهه ، وخرج عتبة صارخاً حتى أتى باب النعمان فنأدى : يا سوء جواره ! فأجيب : لا روع عليه ! فقال : دخل الحارث على خالد فقتله ، وأخفر (٥) الملك .

فوجه النعمان فوارس في طلبه فلحقوه سحراً فمطف عليهم ، فقتل جماعة منهم وكثروا عليه ، فجعل لا يقصد جماعة إلا فرقها ، ولا لفارس إلا قتله .

---

(١) هو شبه الرعدة تأخذ الإنسان (٢) أشرح الخيمة : أدخل بعض عراها في بعض بين أشراجها (٣) الشرح : عرا الخيمة (٤) نبس : أقل الكلام (٥) أخفر الملك : نقض عهده وغدره .

فارتدع القوم عنه ، واهصرفوا إلى النعمان . فقال عمرو بن الإطابة :

علملاني وعلملا صاحبيا واسقياني من المروِّق ربا  
إن فينا القيان يعزفن بالضر ب لفتياننا وعيشاً رضا  
يقناهين في النعيم ويضربون خلال القرون مسكاذ كيا  
أبأقا الحارث بن ظالم الرعا (١) ديد والناذر النذور علميا :  
إنما تقتل النيام ولا تق تل يقظان ذا سلاح كيا (٢)

وكان عمرو قد آلى الأيدعوه رجل بليل إلا أجابه ، ولم يسأله عن اسمه  
فأتاه الحارث ايلا فهتف به ، فخرج اليه ؛ فقال : ما تريد ؟ قال : أعني على إبل  
لبنى فلان ، وهي منك غير بعيد ؛ فإنها غنيمة باردة !

فدعا عمرو بفرسه ، وأراد أن يركب حامرا ؛ فقال له : البس عليك  
سلاحك ؛ فإني لا آمن امتناع القوم ؛ فاستلام وخرج معه ، حتى إذا رزا  
قال له الحارث : أنا أبو إيلي فخذ حذرك يا عمرو ، فقال له : أمنن على . فجز  
ناصيته ؛ وقال :

علملاني بلذتي قيمتيا قبل أن تسكي العيون علميا  
قبل أن تذكر العواذل أني كنت قدما لأمرهن عصيا  
ما أبالي إذا اصطبحت ثلانا أرشيدا دعونني أم غويا  
غير ألا أمر لله إنما في حياتي ولا أخون صفيا  
بلغتني مقالة المرء عمرو بلغتني وكان ذلك بديا  
فخرجنا لموعد فالتقيناه فوجدناه ذا سلاح كيا  
غير ما نائم يروع بالليل معدا بكفه مشرفيا  
فرجعنا بالمن منا عليه بعد ما كان منه منا بديا

وهذه القصص كلها مع أنها بأسلوب الرواة فيها ملامح جاهلية وشبه  
بأسلوب الجاهليين في النثر .

# الباب الثالث

## الشعر الجاهلي

-- ١ --

تمهيد : ماهو الشعر ؟

عرفه أرسطو بأنه كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية والمخيل هو الكلام الذي يفعل له الإنسان انفعالا نفسانيا غير فكري (١). وعرفه قدامة وابن رشيق بأنه كلام موزون مقفى يدل على معنى (٢). ويقول المعري : الشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أبانه الحس (٣). ويقول ابن خلدون : الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارات والأوصاف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة (٤)، والشاعر من شعر يشعر وإنما سمي شاعرا لأنه يشعر من معاني القول وإصابة الوصف بما لا يشعر به غيره، فنكل من كان خارجا عن هذا الوصف فليس بشاعر وإن أتى بكلام موزون (٥) فإذا لم يكن عند الشاعر توكيد معنى ولا اختراعه أو استظراف النظر وابتداعه كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة ولم يكن له إلا فضل الوزن (٦). ويعرفه المحدثون بأنه الكلام المنظوم الذي يعتمد فيه صاحبه على الخيال

(١) راجع الفن التاسع - الشعر - من الشفاء لابن سينا

(٢) ١٣ نقد الشعر ، ٩٩ : ١ العمدة (٣) رسالة الغفران المعري

(٤) ٥٧٣ مقدمة ابن خلدون (٥) ٧٧ نقد النثر (٦) ٩٦ : ١ العمدة

ويقصد فيه إلى الجمال الفنى (١)، وبأنه الكلام الموزون المقفى الذى يصور العاطفة (٢) ويعرفه الرصافى بأنه مرآة من الشعور تنعكس فيها صور الطبيعة بواسطة الألفاظ انعكاسا يؤثر فى النفوس (٣)، ويقول آخر : هو الحياة باكية وضاحكة ناطقة وصامتة (٤)، ويقول أرتولد : هو كمال اللغة البشرية فيه يقرب الإنسان من الحق ويجسر على أن يفوه به (٥) ويقول كارليل : الشعر الحقيقي هو الموسيقى الأزلية التى يسمعها الشاعر من وراء الوجود (٦)، ويقول غيره : هو المحاولة الخالدة للتعبير عن روح الأشياء (٧)

وبعد فالشعر إلهام يفيض على القلب من عالم الروح ويلبس ثوبا من الخيال الساحر وينطق بلغة العاطفة الشاعرة ويحدث آثارا بعيدة فى المشاعر والوجدان ويستشف معانى الحياة فى كل شىء تفكر فيه ونحس به فى هذا الوجود، والشاعر ملك يعنى على قيثاره الفن الخالدة ليعتق معانى الطفولة السامية والصوفية المتبتلة فى الحياة وليشرق بفنه مع الفجر روحية وطهرا ومع الصبح نورا وسحرا ومع الضحى قوة وحرارة ومع الأصيل هدوءا وجمالا ومع الليل رهبة وروعة، وهو منذ الأزل يعنى وسيعيش فى سرحة الفن يملأ الوجود شمدوا وغناء، فى سبيل أداء الرسالة التى حملها والتى نيط بها بعث الجمال وإيقاظ الشعور وتجديد الأخلاق والسمو بالعواطف ليصل حيوان الأرض الناطق إلى مستوى ملك السماء الطاهر العظيم.

(١) ٣٢٧ الأدب الجاهل

(٢) أصول النقد الأدبى للشايب، ويقول ورد زورث : الشعر هو الحقيقة الرائمة التى تصل إلى القلب بوساطة العاطفة، ويقول رسكن : هو عرض البواعث النبيلة للعواطف النبيلة بوساطة الخيال (٩٦ مملكة الجمال لمحمود قراعت ١٩٣٧)

(٤) ١٦٩ ج ١ المرجع

(٢) ٨٥ ج ١ سحر الشعر

(٦) ٢١ ج ١ المرجع

(٥) ١٦٧ ج ١ المرجع

(٧) ٩٦ مملكة الجمال

## آراء في الشعر :

١ - الشعر عند بعض الأدباء الكلام البليغ المؤثر ، الذي يصور الشعور والإحساس والعاطفة ، وينطق عن حسن تخيل ودقة معان وجمال إلهام ، فهو على هذا لا يجب أن يكون موزوناً ، فالنثر قد يكون شعراً إذا اشتمل على لطف التخيل وروعة الشعور ، ولقد قال حسان لابنه عند ما وصف له زنبورا لسمه فأحسن الوصف وسماه به إلى درجة جميلة من جمال الخيال والتخيل ، قال : قد قلت الشعر ورب الكعبة يا بني ، وروى عن الأصمى أنه قال : قلت لبشار بن برد إني رأيت رجال الرأى يتعجبون من أبيانك في المشورة فقال : أما علمت أن المشاور بين إحدى الحسنين بين صواب يفوز بشمرته ، أو خطأ يشارك في مكروهه ، فقلت له : والله أنت في كلامك هذا أشعر منك في أبيانك ، فقد جعل الأصمى وناهيك به من إمام في الأدب كلام بشار شعراً ، إذ قال له « أنت في هذا الكلام أشعر » ، واعم التفضيل يقتضى المشاركة والزيادة ؛ فهذا أيضاً يدل على أنهم لا يقتصرون الشعر بالمنظوم وأن الشعر قد يكون منثوراً . ولم يسم المنظوم شعراً لكونه ذا وزن وقافية ، بل لكونه في الغالب يتضمن المعانى الشعرية . أو لأن العرب في الغالب لا تنظم الكلام إلا شعراً . ويؤيد ذلك أن العرب عدوا القرآن شعراً لسحره وروعة تصويره وبليغ أثره .

٢ - وجمهور الأدباء على اشتراط الوزن في الشعر . ويقتصر بعضهم على الوزن مع الخيال والعاطفة والشعور والإحساس والإلهام الفنى الخاص ، وهؤلاء لا يشترطون في الشعر أن يكون مقفى بل هم يزدرون القافية ويدعون إلى اطراحها لأنها وإن تعددت في القصيدة الواحدة - بحمل كل قسم من أقسامها على قافية - هي قيد للشاعر وعبء ثقيل عليه إذ لا تدع الشاعر حراً في إظهار ما يريد من معنى أو شعور ، وهي عند السبب الأكبر في تأخر

الشعر العربي عن الشعر في الآداب الغربية ، ويرون أنها ، عضو أثرى قد بقي من كلمات كان يكررها في آخر كل بيت النادب في المناحات والمتحمس في الحرب والصدام ، يوم تولد الشعر في عصور الجاهلية الاولى ، ولا بد من زواله بالتام لعدم فائدته اليوم ولتقييده الشعر فلا يتقدم حراً كبقية الفنون ، فإذا حرر الشعر من قيد القافية انصرف الشعراء إلى المعاني التي يريدونها لا إلى الألفاظ ، وإلى إظهار الشعور الحقيقي الذي تجيش به نفوسهم لا إلى الشعور الكاذب الذي تضطرم إلى تصنعه ضرورة القافية وضرورة كونها على صورة خاصة من صور الاعراب في آخر كل بيت (١) ، .

ويرى الآخرون تعدد القوافي ، ويقولون : إنه إذا اتسعت القوافي لشتى المعاني والمقاصد ، وانفرج مجال القول بزغت المواهب الشعرية على اختلافها ، ورأينا بيننا شعراء الرواية وشعراء الوصف وشعراء التمثيل . وما كانت العرب تنسك القافية المرسلة فقد كان شعراؤهم يتساهلون في التزام القافية (٢) كما في قول الشاعر :

الأهل ترى إن لم تكن أو مالك      بملك يدي أن الكفء قليل  
رأى من رقيقه جفاء وغلظة      إذا قام يبتاع القلوص ذميم  
فقال أقلا واتركا الرحل انى      بمهلك والعاقبات تدور  
فبيناه يشرى رحله قال قائل      لمن جعل رخو الملائط نجيب  
وكقول غيره :

بنات وطاء على خد الليل      لا يشمكين عملا ما أيقين

(١) من مقال للشاعر جميل صدقي الزهاوى نشره في السياسة الأسبوعية

عدد ٣ - ٩ - ١٩٢٧

(٢) قد يكون ما ذكره من ذلك ليس إلا بقايا من آثار التطور الفني في الشعر العربي في عصور نشأته الأولى . كما أن اختلاط الوزن في قصيدة عبيد بن الأبرص كان أثرا من آثار التطور الفني في الشعر العربي في عصور نشأته الغابرة .

وقول الآخر :

جارية من ضبة بن أد كأنها في درعها المنعط

فعندهم القافية ليست من الشعر لان الشعر بالوزن وحده فهو الموسيقي التي تميزه من النثر . وما الحرص على بقاء القافية المشتركة في القصيدة إلا نتيجة الإلف والعادة فإذا ألفت الاسماع الشعر المرسل استهجنتم القوافي كما تستهجن الأذواق اليوم السجع في النثر .

ويرى هؤلاء أنه ليس في الاوزان القديمة كبير ضرر وهي في الأغلب أرقى من الاوزان العربية لأن أكثر البحور مركب من تفاعيل مختلفة بخلاف ما تألف من مقاطع متشابهة ؛ والتركيب دليل الرقي . نعم قد لا يوافق في رأيهم أكثر هذه الاوزان ضروب الغناء العصري والذنب في ذلك كما يقولون على العربية نفسها فهي لا تلائم الاغاني الحديثة .

وهؤلاء لا يتقيدون بأوزان الخليل المأثورة ، فعندهم الاوزان العربية ليست ستة عشروناً كما هو الشائع بل هي مع تفرعاتها قد تزيد على الخمسين ومن الميسر إكثار هذا العدد .

ويدعو بعضهم إلى التجديد في أوزان الشعر الحديث وفق ما يقتضيه الذوق وروح العصر ؛

٣ - والجمهور على جعل القافية شرطاً أساسياً في الشعر ، ولا مانع عند بعضهم من تسهيل صعوبات القافية بتعدد القوافي في القصيدة الواحدة حسب أغراضها أو على نهج الخمسات والمربعات والموشحات والاراجيز وما شاكل ذلك ؛

٤ - ولكن هل الشعر لفظ ووزن وقافية فحسب ، يرى النقاد أنه لا يكفي فيه ذلك وأنه لا بد أن يشتمل على معنى لطيف أو حكمة بارعة أو تشبيه جميل أو خيال بارع ، فالعنى عنصر من أهم عناصره

وهذا حق وصدق، فالشعر لا بد أن يحتوي مع الوزن والقافية على إلهام فني رائع وشعور بالجمال مرهف وإحساس بالسكون والطبيعة والبيئة دقيق . لا بد فيه من المعنى والخيال والعاطفة والشعور بالجمال وروعة التصوير له وعمق النفوذ إلى أصرار المشاعر الإنسانية العامة ، ليكون شعرا ويكون له أثره ومكانته في الشعر .

ولو كان الشعر هذه الأنفاظ الموزونة المقفاة فحسب لسكان لغوا من الكلام والشعور والإحساس .

يقول الإمام محمد عبده : « لو سألوا الحقيقة أن تختار لها مكانا تشرف منه على السكون لما اختارت غير بيت من الشعر ، وقد بما قال كعب الأحبار : الشعراء أنا جيلهم في صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة . »

## نشأة الشعر

-- ١ --

الشعر الجاهلي لا يعقل أن يكون قد بدأ كما وصل إلينا في هذه القصائد الطويلة المهدبة التي يظهر فيها أثر الفن والجمال، بل لا بد أن يكون قد قطع مراحل كثيرة خلال الأجيال ، حتى وصل إلينا على هذه الصورة الفنية الكاملة .

وليس من المعقول أن يكون امرؤ القيس أو مهلهل هو أول من ابتكر الشعر ونظمه وقلده فيه الشعراء ، أليس هو الذي يقول :

عوجا على الظلل المحيل لعننا نبيكي الديار كما بكى ابن خنزام

وابن خنزام هذا شاعر جاهلي قديم ، قبل امرئ القيس طبعا ، ولا نعرف عنه ولا من أحباره شيئا (١) .

ويقول زهير :

ما أرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من قولنا مكروراً

ويقول عنتره :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

إننا لانعرف شيئاً عن نشأة الشعر ، ومن غير شك أنه سار في مراحل كثيرة حتى صار فناً مستقلاً مقصوداً وانفصل عن الغناء ، ثم أولاه الشعراء عناية فنية كبيرة ، وقالوا في أغراض الحياة الجديدة التي لم يقولوا فيها من قبل . وبهمنا أن نبحث عن التدرج الفني في نشأة الشعر ، ثم نعرض للآراء في تاريخ نشأته ، ثم نعرض لذكر قدامى الشعراء الجاهليين .

-- ٢ --

ولو عصف التدرج الفني في نشأة الشعر نقول :

مر على كلام العرب ثلاثة أدوار انتقل فيها بهر الزمان من طور إلى طور : فأولها درر البساطة وهو الدور الذي كان الكلام فيه بسيطاً ساذجاً خالياً من كل تفنن في أسلوبه وتصنع في ألفاظه .

ثم ارتقى مع الزمان بالتدرج حتى وجدت فيه القافية فانتقل بها إلى دوره الثاني وهو دور السجع . والسجع هو الكلام المقفى أو موالاته الكلام على روى واحد . ولا شك أن هذا السجع إنما وجد بادية بدء في كلام بعض الأفراد وربما كان وجوده بطريق المصادفة إذ قد يتفق للمتكلم أن يأتي في كلامه بجملةتين متفقتين في الآخر في حرف ، واحد من غير قصد ، وسواء كان وجود أول سبعة في كلام العرب ناتجاً عن قصد أو غير قصد فلا بد أنها قد أعجبت السامعين ، وكان لها وقع في نفوسهم لكونها شيئاً جديداً في الكلام لم تطرق أسماعهم من قبل . ولإعجابهم بها صاروا يقلدون قائلها ويباروناه في النطق بما يماثلها حتى كثرت السجع وفشا في كلامهم .

كان السجع فاشياً في كلام العرب الأولين من أهل الجاهلية ؛ وكانوا

يلتزمون السجع في أكثر كلامهم ، لاسيما في خطبهم ومناظراتهم ومفاخراتهم سواء في ذلك رجالهم ونساؤهم حتى ولدانهم وجواريتهم الصغار؛ وكتب الأدب مشحونة بأسجاعهم فإذا رجعت إليها وتدبرتها علمت أن العرب مارسوا السجع وزاولوه في أزمنة طويلة حتى طبعوا عليه ، فأصبح لهم طبيعة تنتقل فيهم بالإرث الطبيعي من الآباء إلى الأبناء .

ثم إن الكلام بعد أن دخل في دور السجع أى القافية واستمر فيه قرناً عديدة ارتقى منه إلى دوره الثالث وهو دور الوزن . وما لا يستراب فيه أن الوزن في الكلام قد تولد من السجع .

ومن الجائز أن يكون الكلام قد أتى موزوناً من غير قصد كما نراه واقعاً في كلام الناس ومحاوراتهم كل يوم ، وقد وقع ذلك في القرآن أيضاً ، فتأتى قريبتان من الكلام المسجع متطابقتين في الحركات والسكنات ، وذلك هو الوزن .

وساعد على الوصول إلى الوزن : الغناء ، والسجع فالمسافة بين الكلام والوزن قد قصرت بالسجع وازدادت قصراً باقتران السجع بالغناء فاقتران السجع بالغناء يزيد احتمال وقوع الوزن فيه بطريق الاتفاق والمصادفة ، كما ساعد على ذلك الرقص ، واحتمال وقوع الوزن في الكلام بطريق المصادفة يختلف قوة وضعفاً باختلاف الأوزان الشعرية ببساطة وتركيبها فما كان من الأوزان أبسط كان ذلك الاحتمال فيه أكثر وأقوى والعكس بالعكس ، ونعنى ببساطة الوزن هنا سهولته على القرينة وخفته على الطبع وقرب مأخذه من الكلام المنتشر ، بحيث يكون انطلاق اللسان به سهلاً وجري الطبع عليه هيناً .

وإذا نظرنا في أوزان الشعر وجدنا أبسطها الرجز إذ هو أسهلها على القرينة وأخفها على الطبع وأقربها إلى النثر ، وما الفرق بينه وبين الكلام المسجوع سوى وزن قريب المأخذ سهل التناول ، حتى يصح أن يقال إن كل شاعر

تبدأ شاعر يته بالرجز ، وما ذلك إلا لسهولة وقرب مأخذه .

ويؤيد كون الرجز أول ما ظهر من الشعر ما ذكروه من أن الرجز أقدم الشعر .

وقد كان الشعر كله عندهم اسمان : الرجز والقصيد . فكل ما لم يكن رجراً سموه قصيدا من أي بحر كان ، ويدل على ذلك قول الأغلب الراجز العجلى لما استنشدته المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة :

أرجزا تريد أم قصيدا لقد سألت هينا موجودا

فالشعر عندهم إما رجز وإما قصيد ولا ثالث لهما . والقصيد اسم جلس جمعى واحده قصيدة . وإذا كان الرجز أقدم من القصيد لزم أن يكون هو أول وزن تولد من الكلام المسجع وذلك ما نؤيده .

والخلاصة أن السجع حلقة اتصال بين النثر والنظم وان الوزن متولد من السجع وان أول ما وجد من أوزان الشعر هو الرجز وان الشعر نشأ عن المصادفة وساعد على ظهوره الغناء والرقص .

يقول الرصافي : الرجز مأخوذ من توقيع سير الجمال في الصحراء بحجة أنه أول ما استعمله العرب لسوق الجمال في الحداء هكذا قال كثير ، ومن الغريب أن صاحب هذا الرأي قد ادعى أن تقطيع الرجز يوافق وقع خطى الجمال مع أن في تقطيعه من سرعة الانحدار والتسرد وتدارك المقاطع ملينافي كل المنافاة وقع خطى الجمال ، لما في تلك الخطى من التؤدة والرزانة بسبب انفساح مواقعها وطول القوائم المرتمية من تحت تلك الجثة العالية الضخمة . ولو سلمنا أن تقطيع الرجز يوافق وقع خطى الإبل لما سلمنا أنه يلزم من ذلك كون الرجز مأخوذا من وقع تلك الخطى إذ لو لزم منه ذلك للزم أن يكون وزن الكامل ولا سيما مجزؤه مأخوذا أيضا من وقع خطى الجمال بطريق الأولى لأنه يوافق وقع تلك الخطى أكثر من الرجز وبطابقها تمام المطابقة ، حتى إنك لو امتطيت جملا وجملت وهو سائر بك

سيرا ونيدا تنشده عليه شعرا من الكامل أو مجزؤه لرأيت عند تمام كل جزء من تمامه وقع يد من يدي جملك كما هو ظاهر المتأمل .

فألفاظ الشاعر كانت سجعاً ثم صارت رجزاً ثم صارت شعراً، والأناقص من الأشعار والأقصر هي المتقدمة في النشأة لأن الطباع أسهل وقوعاً عليها . ومن ذلك النوع القصير : الأبيات السائرة والأمثال والحكم القصيرة .

يقول الأستاذ لطفى جمعة (١) : إن العربي سمع أصوات النواخير (٢) وحنيف أوراق الأشجار وخريبر المساء وبكاء الحمام ، ولذلك صوت تلك الطبيعة المترنمة ، ولذلك أن يبكي لبيكاتها وأن يكون صداها الحاكى لنغماتها ، فإذا هو ينظم الشعر من حيث لا يفهم أنه خيال قريحته ولا يدرك من أوزانه وضروبه إلا أنها صورة من حركات ناقته .

وقال كليمان هيوار - المشرق الفرنسي ١٨٥٤ - ١٩٢٧ م - : إن الأسفار الطويلة على ظهور الإبل حبيبت إلى العربي نشيد الألحان يتلمهى بها ويشفى ما يصيبه من أوصاب ، ثم أدرك العربي المنشد أو الحادى أنه كلما سارع في الإنشاد رفعت الناقة رأسها وأوسعت خطاها كأن بين خطاها وأوزان الشعر ارتباطاً فظهرت تلك الضروب عفواً لأنها ثمرة طبيعية من ثمار العبقرية البدوية .

- ٣ -

ومن الناحية التاريخية لنشأة الشعر الجاهلى نقول :

كتب مؤرخ يونانى هو «سوزومين» ، ٢٣٥ - ٤٠٠ م قبيل مطلع القرن الخامس الميلادى يقول : إنه فى الربع الأخير من القرن الرابع للمسيح تقلبت ملكة العرب مافيا على جيوش الرومان وهزمتها فى فلسطين وفينيقيا ؛ فنظم شعراء العرب الأناشيد والأغاني وحفظوها ورددوها وغنوا بها تخليداً للانتصار .

(١) الشهاب الراصد ص ٢٧٧

(٢) هذا غريب من القول فأين النواخير وخريبر الماء فى الصحراء والبادية؟

وأثبت سانت نيلوس أحد حكام القسطنطينية وقد تهرب في آخر القرن الرابع الميلادي أنه سمع أناشيد العرب الجميلة من صحراء سيناء (١) فالشعر العربي المحكي قديم يرجع عهده إلى القرن الرابع للميلاد .

ويقول ابن سلام (٢) : « ولم يكن لأوائل العرب من الشعراء إلا الأبيات يقولها الرجل في الحاجة تعرض له كقول دويد بن زيد حين حضره الموت وهو جامعي قديم :

اليوم يبنى لدويد بنته لو كان الدهر بلى أبليته  
أو كان قرني واحداً ككفيته

ولإنما قصدت القصائد على عهد عبد المطلب أو هاشم بن عبد مناف ، ، وكان أول بادىء لهذه النهضة الشعرية وسائر في اتجاهها المهلهل بن ربيعة . ثم جاء امرؤ القيس ، فرفع اللواء . فكان أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى ووصف النساء بالطباء والمها والبيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين القصيد وما سواه من الشعر ، وقرب مأخذ الكلام وقيد أوايده وأجاد الاستعارة والتشبيه والكتابة ، ورقق الأسلوب وجعله عذبا جزلا . وأول من يروى له قصيدة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر : مهلهل (٣) . ويقال : بل ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، ثم ضمرة الكنانى ، وكان بن هؤلا . وبين

---

(١) الشهاب الراصد .

(٢) ٢٩٤ ج ٢ المزهر ، ١٧ طبقات الشعراء لابن سلام

(٣) هو مهلهل بن ربيعة ، ومهلهل لقب له سمي به لأنه أول من أرق المرأى ،

واسمه عدى ، وقيل سمي مهلهلا لقوله : دهلمت أنار جابرا أو صنبلأ ،

(راجع ١٢٩ ج ٢ الأمالى) وفيه يقول الفرزدق : ومهلهل الشعر ذك

الأول . ويقول ابن سلام في طبقات الشعراء : وأول من قصد القصائد وذكر

الوقائع : المهلهل بن ربيعة التغلبي ( ٢١ طبقات الشعراء ، ٢٩٥ ج ٢

المزهر للسيوطي )

الإسلام أربعاً مائة سنة . وجاء امرؤ القيس بعد هؤلاء بمائتين وخمسين سنة تقريباً .

-- ٤ --

وبعد فإن الباحثين يختلفون في أول من أحدث هذه النهضة الفنية في الشعر فذهبوا أطال فيه ، وأسماء مهلهل وامرؤ القيس والأفوه الأودي ولقيط بن يعمر الإيادي وعمرو بن قميثة تتردد في هذا المجال . ويقول السيوطي في مزهره نقلاً عن عمر بن شبة ٢٦٢ هـ : « ولشعرنا والشعراء أول لا يوقف عليه وقد اختلف في ذلك العلماء وادعت كل قبيلة لشاعرها أنه الأول ولم يدعوا ذلك لقائل البيتين والثلاثة لأنهم لا يسمون ذلك شعراً ، فادعت النمانية لامرؤ القيس ، وبنو أسد لعبيد بن الأبرص ، واتغلب لمهلهل ، وبكر لعمر بن قميثة والمرقش الأكبر ، وإياد لأبي دؤاد ، وزعم بعضهم أن الأفوه الأودي أقدم من هؤلاء ، وأنه أول من قصد القصيد ، وهؤلاء النفر متقاربون ، ولعل أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة أو نحوها (١) . وقد ضاع من الشعر الجاهلي الكثير ، ولم يحفظ من الموزون عشرة (٢) ، ولا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب كما يقول ابن سلام (٣) وكان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته فصار ذلك إلى بني مروان (٣) . ويروى أن الأمير الإمامي خالد بن يزيد بن معاوية هو أول من جمع شعر العرب الجاهليين . ويقول أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم بماقات العرب إلا أقله ، ولو جاكم وافرا لجاكم علم وشعر كثير (٤) .

(١) ٢٩٦ هـ ٢ المزهر طبع صبيح (٢) ٢٩٢ هـ ٢ المرجع

(٣) ٢٩٣ هـ ٢ المرجع ٢ و ص ١٦ طبقات الشعراء لابن سلام طبع

المطبعة المحمودية .

(٤) ١٦ طبقات الشعراء .

## الشعر في الجاهلية

- ١ -

تمهيد :

كان الشعر في الجاهلية ديوان العرب ، والمصور لآمالهم وآلامهم وحياتهم ومشاهد الوجود بينهم ، أودعوه وقانهم ومفاخرهم وأحسابهم وأنسابهم وأيامهم وآثارهم وذكر آياتهم وأوصاف بيوتهم .

وكان له سحره وروعة تأثيره في نفوسهم ، إذ كان صوت القبيلة ، ولسان القوم ، والذائد الحامى الذمار ، والمدافع عن الأحساب والأنساب والشرف ، والناطق بالحجة ، والداعى إلى الخير . وكان الشعراء ذوى مكانة كبيرة بينهم فهم الذين ينطقون بمجد القبيلة ، ويفخرون بجلالها وماضى أيامها ؛ وحسبك من مكانة الشعر عند العرب أنه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز نظمه المحكم تأليفه وأعجب قريشاً ما سمعوا منه قالوا : ما هذا إلا سحر ، وقالوا فى النبي : شاعر نتربص به ريب المنون . ويقول الأصمعى : « الشعر جزل من كلام العرب ، تقام به المجاس ، وتستنتج به الحوانج ، وتشفى به السخائم ، .

ونبع فى الشعر كثير من الشعراء والشاعرات ، من خلدت ذكرهم كتب الأدب والشعر ومصادرهما الأولى .

ولا تزال مصادر الأدب والشعر الجاهلى صورة ناطقة ببلاغتهم وسحرهم وشدة تأثيرهم وقوة بلاغتهم وجلال أثرهم فى حياة العرب فى جزيرتهم طول هذا العصر الجاهلى الغابر .

ومن قدر الشعر عندهم أن كانت القبيلة إذا نبغ فيها الشاعر أنت القبائل

فهنأناها بذلك ووضعنا الأظعمة واجتمع النساء يلعبن بالمازهر كما يصنعن فى الأعراس ، وكانوا لا يهنتون إلا بغلام يولد أو شاعر يلبغ أو فرس تلج . وكانت البنات ينفقن إذا شربهن الشعراء .

ولم يترك العرب شيئاً مما وقعت عليه أعينهم أو وقع إلى آذانهم أو اعتقدوه فى أنفسهم إلا نظموه فى سبط من الشعر حتى إنك ترى فى مجموع أشعارهم ديوانا فيه من عوائدهم وأخلاقهم وآدابهم وأيامهم وما يستحسنون ويستهجنون ، ولذلك قالوا : كان الشعر ديوان العرب ومعدن حكمتها وكنز أدبها .

وقال دعبيل : « كان امرؤ القيس من أدباء الملوك ؛ وكان من أهل بيته وبنى أبيه أكثر من ثلاثين مليكا فبادوا وماذ ذكرهم وبقي ذكره إلى يوم القيامة ، وإنما أمسك ذكره شعره ، ، .

### تأثير الشعر فى النفوس :

كان الشعر فى الجاهلية هو المقيد لأيامها ، والشاهد على أخبارها والناطق بمجدها والمصور لمفاخرها . وكان لكل قبيلة شاعرها الذى يزود عنها ويناضل عن شرفها ويساجل خصومها وينازلهم فى كل مجال . وكانت العرب أمة يسحرها البيان وتروعها البلاغة ويستبدد بإعجابها الشعر الجيد البليغ .

كان الشعر قوة فعالة فى الحياة الجاهلية ، وكان له تأثيره فى نفوس العرب وسلطاته فى حياتهم وقدره وخطره فيما بينهم ؛ يرفع الخامل ويضع الفذ العظيم ، وينوه بشأن القبيلة ، ويزرى بأعدائها وخصومها ، ويحفظه الناس ويروونه ويلشدونه فى كل مكان .

وقصة المخلق الكلابى مع الأعشى حيث استضافه وأكرمته وكان

فقيراً علقما وكانت له بنات عوانس ، فمدحه الأعشى بقصيدته :  
أرقت وما هذا السهاد المؤرق؟ وما بي من سقم وما بي تمشق  
يقول فيها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق  
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على الغاز الندى والمحلق  
فسارت القصيدة في كل مكان ، وخطب بنات المحلق الكثير من  
سادات العرب .

وذهب الأعشى قاصدا رسول الله ليمدحه ويعلمن إسلامه وكان قد  
نظم قصيدته :

ألم تغمض عينك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا  
فتصدت له قريش وحالت بينه وبين ذلك خوفا من تأثير شعره وأهدت  
له هدية سانية فرجع .

والذين هجوا فوضعوا من قدر من حجوه ، ومدحوا فرفعوا من قدر  
من مدحوه ، كثيرون مشهورون في الجاهلية وبعدها (١) .

### منزلة الشاعر :

كان للشاعر في الجاهلية منزلة كبيرة وشأن خطير لأنه هو الذي  
ينطق بمجد القبيلة ويشيد بمآثرها ومفاخرها وأحسابها وأبطالها ، ويرد على  
خصومها ويزود عنها أعداءها ، وكانت القبيلة في الجاهلية تفرح إذا نبغ فيها  
شاعر فرحا عظيما ؛ قال ابن رشيق :

وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك

---

(١) راجع من رفعه الشعر ووضعه المهجاء ٤١٤ ج ٣ العقد

وصنعت الأظعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأفراح  
وتتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد  
لمآثرهم وإشادة بذكورهم وكانوا يهتأون بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو  
فرس تلتج

وكان للشاعر مكانته الكبيرة في الحياة الاجتماعية في الجاهلية فهو  
لسان القبيلة وحكمها ، فلا يعارض ، ويستشفع فيشفع ، ويقول فيصغى  
لقوله ، ويشير فلا يرد له رأى .

وكان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب فلما كثر الشعراء وكثر  
الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر (١) ويقول أبو عمرو بن العلاء :  
كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي  
يقيد عليهم مآثرهم ويفخّم شأنهم فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر  
مكسبة ورحلوا إلى السوق ونسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب  
عندهم فوق الشاعر (٢) .

- ٤ -

### التكسب بالشعر :

ولمكانة الشعر في الجاهلية وعظمة شأن الشاعر كان الشعراء يأفون أن  
يمدحوا إنساناً إلا لأغراض شريفة ومقاصد نبيلة . حتى وجدت طبقة من  
الشعراء قصدت بشعرها الملوك والامراء وانتجعت الرؤساء والاشراف  
وأزرت بالشعر ومكانته والشاعر ومنزلته إزراء شديداً . . . ومن هؤلاء  
الشعراء الذين تكسبوا بالشعر :

(١) الباطنة الذبياني ، فقد قصد بشعره ملوك الحيرة وغسان يمدحهم

(١) ٣/٢٥٩ البيان والتبيين للجاحظ

(٢) ١٧٠ ج ١ المرجع

ويثني عليهم ويشيد بأعمالهم فأغدقوا عليه الممال وكانأوه على ذلك مكافأة كبيرة ، ولكنه مع ذلك كان يعتز بنفسه كثيراً ، فيقول عن ملوك بني غسان مخاطب النعمان بن المنذر ويعتذر إليه :

ملوك وإخوان لماذا ما أتيتهم أحكم في أهوالهم وأقرب  
(ب) وزهير ، فقد مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف ؛ وأشاد  
بهرم إشادة البليغ الشاعر الساجر .  
(ج) وكذلك أمية بن أبي الصلت ، وهو القائل يمدح عبدالله بن جدعان  
وكان سيداً جواداً مضيافاً :

كريم لا يغيره صباح عن الخلق الجليل ولا مساء  
يبارى الريح مكرمة ومجدا إذا ما الكلب أجحره الشتاء  
فهل تخفى السماء على بصير وهل بالشمس طالعة خفاء ؟

(د) وكذلك الأعشى فقد جاب البلاد ومدح الرؤساء وسواهم وتكسب  
بشعره تكسباً شديداً ، وقالوا إنه أول من سأل بشعره (١) .  
(هـ) ثم جاء بعد هؤلاء الخطيئة فاتخذ الشعر تجارة ومكسباً وحرقة  
بين الناس . وذلك مما غض بالشعر . وأزرى به عند الخاصة .

## شاعرية العرب

الشعر الجاهلي كثير كثيرة هائلة ، والشعراء المعروفون بالشعر في قبائلهم وعشائرهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم باحث ، أو يقف على عددهم واقف . ولو أفنى عمره في التنقيب عنهم ، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال ، ولا أحسب أحداً من علمائنا استفرق شعر قبيلة

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ، ويروى أن المرقش الأكبر هو أول  
من أطال المدح ٢١٩ ج ٢ المزهري ،

حتى لم يفته منها شاعر إلا عرفه ، ولا قصيدة إلا رواها (١) ، ويذكر ابن قتيبة أن أبا ضمضم أنشد شعرا لمائة شاعر كلهم اسمهم عمرو (١) .  
فما السر في هذه الشعارية التي لم تعرف لأمة من الأمم من قبيل ولا من بعد ؟

١ - أول أسباب شاعرية العرب هو الصحراء وجوها الذي يوحى بالشعر ويلهم الخيال ويذكي العاطفة ويثير الشعور .

٢ - وثانيها هو حياة العرب أنفسهم في الجاهلية ، هذه الحياة الحماسية التي دفعتهم إليها وظفهم الثائرة ، ووحدتهم في قلب هذه الصحراء الواسعة المترامية الأطراف ، ويضاف إلى ذلك رجوع العربي إلى عاطفته أكثر مما يرجع إلى عقله ، وتنقله في بطن الصحراء على جملة أو فرسه وسط الرمال والجبال والمانهات ، وحاجته إلى الغناء في هذه الوحدة الشاملة ليسلي هموم نفسه وأحزانها وآلامها .

٣ - هذا عدا الاستعداد الفطري للشعر في نفس كل عربي وعربية بما كان يذكيه الخيال ، ويولده التأمل وتلك الحياة الشبيهة بالحياة الصوفية المتبذلة .

٤ - ونجد كذلك ظروف الحياة الاجتماعية في الصحراء وكثرة حروبهم وغاراتهم وحاجتهم إلى الترميم بمفاخرهم ومآثرهم وأحسابهم وأنسابهم ، مما لا بد فيه من نوع جميل من الأدب يخلده ويروي به ويذيعه بين الناس ، وليس هذا النوع سوى الشعر .

٥ - قوة حافظته العرب وأنهم أمة أمية تعتمد على الذاكرة لا على التدوين ، والشعر أسهل في الحافظة رواية وأبقى تعلقا بالخطاير .

٦ - يضاف إلى ذلك اللغة العربية نفسها فإنها بإقرار الباحثين في أصول اللغات لغة شعرية برنين مفرداتها وأساليبها وروحها ومعانيها .

٧ - إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة ، التي من أهمها هذا الفراغ

الكثير الذي كان يتمتع به العربي لعدم اشتغاله بصناعة أو تدبير ملك وسياسة أو لادارة مرافق دولة .

وبعد فقد كان العرب شعراء بالفطرة ، نظم الشعر كل عربي وعربية ، كما نظمته الملوك والأمراء والسادة والحكام والفرسان والصالحين (١) والعبيد وسواهم من شتى الطبقات مما بلغ حد الكثرة الهائلة لولا أن ضاع أغلبه على مر الأجيال حتى قال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم : ما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وأفرا الجاهل علم كثير وشعر كثير (٢) » .

## لون الشعر العربي الجاهلي

ينقسم الشعر عند الإفرنج إلى : غنائي وقصصي وتمثيلي ، وقد ظهرت هذه الأنواع في الشعر اليوناني ، الذي قلده الرومانيون بالنظم في شتى هذه الألوان . كما بنى الشعر الأوربي الحديث على الأصول اليونانية اللاتينية من حيث الأقسام الثلاثة المعروفة .

أما الشعر القصصي : فهو الذي يصور الوقائع والعماد وأحوال الشعوب ويصف الاجتماع وسير الأبطال ، ويستوحى الآلهة والأساطير .

وأما الشعر التمثيلي : فيعتمد على الحوار وتمثيل الحوادث والأشخاص وإظهار حركاتهم وما في خواطرهم من مشاعر ونزعات .

وأما الشعر الوجداني أو الغنائي فيصور العواطف الإنسانية ومشاعر الشاعر وأفكاره ونزعاته ويتحدث عن الجمال والطبيعة حديث المتأمل المفكر فهو يعبر عن الشاعر وخواطره وآماله وآلامه وأحلامه وتأملاته ومشاعره تعبيرا صادقا واضحا قويا مؤثرا .

(١) منهم نأبط شرا وعروة بن الورد وسواهما .

(٢) ٢٩٤ ج ٢ المزهر .

والشعر العربي أو الجاهلي بصفة خاصة شعر غنائى لا أثر للون القصصى أو التمثيلى فيه ، فهو يمثل عواطف الشعراء وشاعره ، ويلبغ من العطرة والوجدان والحبك والحياة العامة .

لم يكن الشاعر الجاهلى قاصا ؛ فلم ينظم الشعر القصصى ، وإنما كان ينطق بما يمليه عليه شعوره ووجدانه ويتحدث عن نفسه ومجتمعه وبيئته . ذلكم أن الشعر القصصى يحتاج إلى نفس طويل وفراغ كثير ، وروح فنية متحضرة أو هو لون من ألوان الحضارة لأنه تدوين وتأريخ لقصة من قصص الأبطال أو فترة من تاريخ الأمة وحياتها ، والعربى لم يكن يعرف أسباب الحضارة ولا وسائلها من الكتابة والتدوين والتأريخ . وإن كان بعض الشعراء الجامعين قد أجاد فى القصص الشعرى الصغير ، كقول امرئ القيس :

سموت اليها بعد ما نام أهلها      سمو حباب الماء حالا على حال  
فقات سباك الله إنك فاضحى      ألسنت ترى السمار والناس أحوالى  
فقلت يمين الله أبرح قاعدا      ولو قطعوا راسى لديك وأوصالى

وقول الأسود بن يعفر :

ماذا أو مل بعد آل محرق      تركوا منازلهم وبعد إباد  
جرت الرياح على محل ديارهم      فكأنهم كانوا على ميعاد  
فأرى النعم وكل ما يلمى به      يوما يصير إلى بلى ونفاد

إلى غير ذلك من الكثير من ألوان هذا القصص الشعرى الصغير (١) ، ولكن مهما كان فلا نجد فى الشعر الجاهلى شعرا قصصيا بالمعنى المعروف . إذ

---

(١) يقول الدكتور طه حسين : لست وانقا كل الثقة من أن الأدب العربى يخلو من القصص ، فالذين يقرأون الشعر الجاهلى والشعر الأموى كشعر جرير والفرزدق والأخطل يلاحظون أن مزايا كثيرة من خصائص الشعر القصصى موجودة فى الشعر العربى (١٤: ١٥) من حديث الشعر والنثر .

لانجد قصائد تصور حياة الأبطال مثلاً في عدة آلاف من الأبيات ، ونفس العربي لايساعده على هذا الطول ، فوق قيود الوزن والقافية؛ فضلاً عن أن شدة تعلق العربي بالحرية ونزوعه اليها وإلى الاستقلال بذاته عن عداه ، دعتة إلى أن يوجه همته إلى وصف عواطفه وتحليل مشاعره وذكر ما يعيش فيه من سلام وحرب وشوق وحنين ، إلى مأسوى ذلك من شتى ألوان شعوره ، مما صبغ شعره بصبغة غذائية وجدانية خالصة ، وإن كان لاينفي ذلك أن الشعر الجاهلي أشد ما يكون تمثيلاً للبيئة الجاهلية ولحياة العربية فيها ، لأن كل ذلك كان وثيق الصلة بنفس الشاعر ووجدانه .

كذلك لم ينظم الشاعر الجاهلي شعراً تمثيلاً ، لأن هذا لون من الشعر يحتاج إلى لون من ألوان المعيشة المتحضرة وإلى قبس من روح الفلسفة والتفكير العميق والنظرات البعيدة للأشياء والحياة ، وذلك مالم يكن له وجود عند العرب في جاهليتهم .

وإن كان بعض الشعراء الجاهليين قد أكثر من الحوار العادى الساذج القصير في شعره ، مما نجد في بعض القصائد الجاهلية (١) ، فإن هذا اللون ليس هو مانعنيه بالشعر التمثيل .

وهذا لايعيب الشعر الجاهلي ولا ينقص من قيمته ، فهو وإن كان شعراً غذائياً جال في كل ميدان وتحدث في كل ناحية ، ووصف مشاهد البيئة ومناظر الطبيعة ومشاعر النفس البشرية واحساساتها ، مما لايزال شاهد صدق ومؤرخ حق للحياة في الجاهلية وما كان فيها من أحداث وما كان يختلج بنفس الشاعر فيها من عواطف وآمال .

---

(١) مثل قول الأعشى :

كن كالسموأل إذ طاف الهام به في جحفل ، كهزيم الليل ، جرار  
إذ سامه خطى خسف ، فقال له قل ماتشاء ، فاني سامع ، حار  
إلى آخر هذه الأبيات .

## تنقل الشعر في القبائل

تختلف النظريات بين القدامى والمحدثين حول هذا الموضوع اختلافا كثيرا ونحن نعرض هنا الآراء المختلفة ، وناقشها مناقشة هادئة منصفة .

١ - يقول ابن سلام :

« كان شعر الجاهلية في ربيعة ، وأولهم : المهلهل ، والمرقشان ، وسعد ابن مالك ، وطرفة . وعمرو بن قتيبة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، والأعشى ، والمسيد بن علس .

ثم تحول في قيس ، فمنهم : النابغة الذبياني ، وزهير ، وابنه كعب ، وليبد ، والجمدى ، والحطيئة ، والشماخ ومزرد ، وخداش بن زهير .

ثم آل إلى تميم . فلم يزل فيهم إلى اليوم (١) . . .

وخلاصة ذلك أن الشعر كان في اليمن ثم انتقل إلى ربيعة فظهر في قبائلها وعلى ألسنة شعرائها ، ثم انتقل إلى قيس من مضر ، ثم استقر في تميم ومنهم أوس بن حجر ، (٢) .

٢ - ويذهب طه حسين في الأدب الجاهلي كما سيأتي إلى عكس ذلك ، فيرى أن الشعر كان في مضر ثم انتقل إلى ربيعة فاليمن ثم إلى شعراء الموالي (٣) وهذا بناء على نظريته في انتقال الشعر وسيأتي تفصيل ذلك .

ورأي طه حسين لا سند له من الواقع والتاريخ ، ويرد عليه الأستاذ محمد لطفي جمعة في كتابه « الشهاب الراصد (٤) » .

---

(١) ٢٢١ و ٢٢٢ طبقات الشعراء لابن سلام طبع المطبعة المحمودية ، ٢٢٩٥ ر  
المزهر للسيوطي (٢) وكان زهير راويته (٢٩٦ ج ٢ المزهر ،  
(٣) ٢٠٦ الأدب الجاهلي (٤) راجع ٢٩٦ وما بعدها من الشهاب الراصد

٣ - والواقع أن الشعر كان في القبائل اليمنية ، ومنهم : امرؤ القيس (١) وسواه .. ثم انتقل إلى ربيعة (وهي قبائل كثيرة منها بكر وتغلب وعبد القيس والنمر بن قاسط ويشكر وشيبان وذهل وسدوس ) ، وكانوا قديما يقيمون في اليمن ثم رحلوا إلى نجد ، وهذا يفسر مر ورائتهم الشعر عن اليمن ، وظهر منهم في نجد شعراء كثيرون : ومنهم المهلهل ، والمرقشان ، وطرفة ، والمتلس ، وعمرو بن قبيصة ، وسعد بن مالك ، والمسيب ، والأعشى ، والحارث ابن حلزة ، وعمرو بن كلثوم . ثم تحول الشعر في قيس من مضر ، ( ولقيس بطون كثيرة منها : عبس وذبيان وغطفان وسليم وهو ازن وعدوان وثقيف وعامر بن صعصعة وعقيل وقشير وجعدة ونمير ) ، وكانت مساكن هذه القبائل في نجد وأعلى الحجاز ، وظهر منهم كثير من الشعراء : كالبغتين ، وزهير ، وابنه كعب ، ولبيد ، والحطيئة ، والشماخ ، ومزرد ، وعنترة . ثم استقر الشعر في تميم وهي من كبرى قبائل مضر ، ( ولها بطون كثيرة منها : مارن ودارم وربعوع ومجاشع ومالك ) ، وكانت تميم تقيم في تهامة ونزحت إلى بادية العراق وما يليها جنوبا قبل الإسلام بنحو خمسين ومائة سنة ، ومن شعرائها أوس . ثم ظهر الشعر في بطون مدركة بعد ذلك : من هذيل وأسد وكنانة وقريش والدئل .

أما المدن فشعراؤها قليل ومن أشهرهم : حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلوات الله عليه .

## شياطين الشعراء

١ - كان العقل البشري في العصر الجاهلي لم يستحكم فوضوح التفكير والاجتماعي ، وكان الناس كثير ا ما يعيشون على الأوهام . وللعرب أوهام

(١) والمهلهل خال امرئ القيس . وكان امرؤ القيس وطرفة وعبيد وعمرو ابن قبيصة والمتلس في عصر واحد ، ٢٢٠ طبقات الشعراء لابن سلام .

كثيرة نزلت عندهم منزلة الحقائق .

فقد كانوا يمتقدون بوجود الغول وأنها تتشكل وتتلون في ضروب  
التياب والصرور ، يقول تأبط شرا :

ألا من مبلغ فتیان فهم بما لا قیت عند رحي بطان

بأنی قد لقيت الغول تلوی بمرت كالصحيفة صحصحان

إلى آخر هذه الأبيات .

وكانوا ينسبون إلى الجن أساطير وخرافات (١) ، ويذكرون أن من  
مدنهم « عبقر » التي ينسبون إليها كل فائق الصفة من الأشياء وكل غريب  
الشكل من الناس بل كل ما أرادوا تمييزه عن أنواعه من المعاني ، قال أعرابي :  
« ظلمني والله ظلما عبقريا » ، والرسول (ص) في عمر : « فلم أر عبقريا يفري  
فريه » ، وأكثر شعرا اليك العرب من التحدث عن الجن : كهمر وبن براق ،  
والشغفري والسايك بن السليكة وتأبط شرا وسواهم .

ويروي أبو إسحاق النظام - كما رواه الجاحظ في الحيوان - أن أصل ذلك كله  
هو الأوهام الناشئة عن الحياة في أرض مقفرة بعيدة عن العمران قليلة المسالك  
والمعالم مما يحدث للساثر فيها ألوانا من الخوف النفسى ، ويقول عبيد بن أيوب  
وكان جواباً في مجاهل الأرض يشرح أسباب الخوف وما ينشأ من الوهم :

فله در الغول أى رفيقة لصاحب قفر خانف متنظر

وقد كثر في الشعر الجاهلى ذكر الجن والغيلان والسعالى وسوى ذلك .

٢ - وأدى ذلك إلى أن جعل العرب للشياطين شعراء ياهمونهم الشعر  
والخيال ، وسموهم بأسماء ، وافتخر كل شاعر بشيطانه ، ولاشك أن كل ذلك  
ناشئ عن تصورهم للجن ، لحين رأوا الشعراء إنساناً يختلف في أطواره عن  
مشابهيه وينزل بفكره إلى أودية لم يعتادوا الخوض فيها ؛ وحين رأوا الكلامه

(١) راجع حديث سواد بن قارب لعمر بن الخطاب حول كلام جنى لسواد

في صدق الرسول صلوات الله عليه د ٢٦٥ و٢٦٦ الجمهرة ،

فعل الخمر وتأثير السحر وأنه إذا أراد قبح الحسن وحسن القبيح فأدخل على النفوس الوهم بقبحه أو حسنه فبان رائقا ومعجبا وجميلا فاتنا ، وأنه إذا شاء أوغر الصدور ، ثم إذا شاء أطفأ هذه النار التي ألهبها ، وأتام هذه الفتنة التي أيقظها ، وأنه هو الذي جمع في قلب واحد بين الفتك والنسك والمهر والظهر ، فكان أبدا متخشعا ثم ظامعا متطلعا وقادعا متعففا ثم جبارا متصلفا ، وأنه هورب الحكمة يرسلها نورهدى ، والكلمة الفاجرة يجعلها شرك عمياء وغواية ، وأنه القادر على إتياء من برهان وبهتان . لما كان هذا شأن الشاعر وكاف فيه إنسانا كشيطان توهموا أن روح ذلك الشيطان لا يسته فنطق بهواها وأدى فخرها .  
ومن شياطين الشعراء الشيصبان ، ولافظ شيطان امرئ القيس ، وهبيد شيطان عبيد ، وهاذر صاحب النابغة ، ومسجل صاحب الأعشى ، إلى ما سوى ذلك من شياطين الشعراء .

٣ - وصور الجاهليون عقيدتهم حول شياطين الشعراء ، في شعرهم فقال شاعر :

فان شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن  
وقال حسان :

ولي صاحب من بنى الشيصبان فطورا أقول وطورا هو  
وقال الأعشى في شيطانه مسجل :

دعوت خليلي مسجلا ودعوا له جهنم ، جدعا للجهن المذم  
وجهنم : شيطان عمرو بن قطن .

ويقول أيضا : إذا مسجل يسدى لي القول أعلق . وراجع أسطورة عن هبيد صاحب عبيد في الجهرة (١) وفي الجهرة : و الشعراء العرب شياطين تنطق به على ألسنتها (٢) ، .

ومن أسماء شياطين الشعراء : هباب ، وهاذر صاحب النابغة ، ولافظ صاحب امرئ القيس (٣) ، وسوى ذلك .

٤ - ويرد ابن حزم (١) عقيدة العرب في شياطين الشعراء إلى ما ألقى في روعهم من أن الجن مظنة القوة والتفوق على الإنس فنسبوا إليهم كل عظيم يهجز عنه البشر .

## طبقات الشعراء الجاهليين

- ١ -

الطبقة كل جماعة عاشوا متقاربين في الزمان وجرت عليهم أحكام واحدة من تأثير البيئة وإن لم يتحدوا في المنزح أو يدخلوا في مناقضة أو يتزاحوا على باب ملك (٢) ومعنى الطبقة أسهم نظراء (٣) وأنهم قرييون من بعض نفي منزلتهم الأدبية العامة وإن اختلفوا في اتجاهاتهم الفنية وإنتاجهم الفني .

والشعراء أربع طبقات : جاهليون ومخضرمون وإسلاميون ومولدون وهم الذين فسدت فيهم ملكة اللسان فعاجوها بالصناعة وهم شعراء بني العباس (٤) ، ويصنيف إليهم الشهاب الخفاجي : المحدثون ثم المتأخرون والعصريون (٥) . والمخضرمون هم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام وقالوا فيه اشمر كالجمدى والحطينة وحسان ، أما لبيد فجاهلي لأنه حرم الشعر على نفسه بعد إسلامه ولم يقل إلا بيتا أو بيتين فيه (٦) .

(١) ٢٢٢هـ الملل والنحل (٢) ٤٠١هـ الأدب العباسي لمحمود مصطفي (٣) ٨٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب (٤) ٤٥ تاريخ الأدب العربي للزيات ، و ٣١٠ الريحانة للشهاب الخفاجي (٥) ٣١٠ و ٣١١ الريحانة للشهاب الخفاجي . (٦) يقول ابن سلام : كان لبيد فارسا شاعرا شجاعا وكان عذب المنطق رقيق حواشي الكلام وكتب عمر إلى عامله أن سل لبيدا والأغلب ما أحدثا من الشعر في الإسلام ، فقال الأغلب :

أرجزا سألت أم قصيدا فقد سألت هينا موجودا

وقال لبيد : قد أبدئي الله سورة البقرة وآل عمران فزاد عمر في عطائه . وكان في الجاهلية خير شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم ويعدد أيامهم ووقائعهم وفرسانهم (٨) طبقات الشعراء

أما الإسلاميون فهم الذين نشأوا في الإسلام إلى آخر عهد الدولة الأموية والمحدثون بعد ذلك وهم العباسيون ، وقال ابن رشيق : طبقات الشعراء أربع جاهلي ومخضرم وإسلامي ومحدث ، ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدرج إلى وقتنا - ٣٠٤ ج ٢ مزهر .

-- ٢ --

ويقسم ابن سلام في كتابه « طبقات الشعراء » شعراء الجاهلية إلى عشر طبقات ، وهي :

- ١ - الطبقة الأولى : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى .
- ٢ - الثانية : كعب والحطيئة .
- ٣ - الثالثة : الجعدي وأبو ذؤيب والتميم ، وليبيد .
- ٤ - الرابعة : طرفة وعبيد وعلقمة وعدى .
- ٥ - الخامسة : خداش ، والأسود بن يعفر ، والمخبل ، وتميم بن أبي بن مقبل .
- ٦ - والطبقة السادسة : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وعنترة ، وسويد بن أبي كاهل .
- ٧ - والطبقة السابعة : سلامة بن جندل ، والحصين بن الحجاج المري ، والملتس ، والمسيب .
- ٨ - والطبقة الثامنة : عمرو بن قيس ، والنمر بن تولب ، وأوس بن علفاء ، وعوف بن عطية .
- ٩ - والطبقة التاسعة : ضابي بن الحارث ، وسويد بن كراع بن الحويدرة ، وسحيم .
- ١٠ - والطبقة العاشرة : ابن الأسكر وابن مخضرم وعمرو بن شاس .
- ١١ - ويضيف إليهم أصحاب المراني وهم : متمم والخنساء وأعشى بأهله وكعب بن سعد . ثم شعراء القرى العربية وهي :

(أ) المدينة وشعراؤها حسان وكعب بن مالك وابن رواحة وقيس بن الخطييم وابن الأسلت ، ويهودها الشعراء : السموأل والربيع بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وشريح بن عمران وشعبة بن غريص وأبو قيس بن رفاعة وأبو الذيبال ودرهم بن زيد .

(ب) مكة وشعراؤها : ابن حذافة وهيبرة وابن الزبيري وأبو طالب وأبو سفيان ومسافر وضران بن الخطاب وأبو عزة الجمحي .

(ج) الطائف وشعراؤها : أبو الصلت . وأميرة بن أبي الصلت ؛ وغيلان وكنانة بن عبد ياليل ،

(د) البحرين وشعراؤها : المثقب والممزق العبدى والمفضل .

ونلاحظ أنه يضع الشعراء المخضرمين مع الجاهليين ، لأنهم أدركوا جانبا من الجاهلية .

- ٣ -

وقال أبو عبيدة :

أشعر الناس أهل الوبر خاصة وهم :

(أ) امرؤ القيس ، وزهير ، والنايعة

(ب) وفي الطبقة الثانية : الأعشى ، ولبيد ، وطرفة .

(ج) وفي الطبقة الثالثة : المرقس ، وكعب بن زهير ، والخطيئة ،

وخداش ، ودريد بن الصمة ، وعنترة ؛ وعروة بن الورد ، والنمر بن تواب والشماخ ، وعمرو بن أحرر .

قال صاحب الجهرة : والقول عندنا ما قال أبو عبيدة :

امرؤ القيس ثم زهير والنايعة والأعشى ولبيد وعمرو وطرفة (١)

---

(١) ٤٥ الجهرة . ويلاحظ أن فيمن عدم أبو عبيدة في الطبقة الثالثة شعراء

وأما أشعر الشعراء الجاهليين فقد اختلفوا فيه ، قال عمر بن شبة في  
« طبقات الشعراء » : وادعت كل قبيلة لشاعرها أنه الأول ، فادعت الجاهلية  
لامرئ القيس ، وبنو أسد لعبيد بن الأبرص ، وتغلب لمهلهم ، وبكر لعمر و  
ابن قتيبة والمرقس الأكبر ، وإباد لأبي ذؤاد (١) ،

وحكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة : كفاك من الشعراء أربعة ؛ زهير إذا  
رغب والنابعة إذا رهب والأعشى إذا طرب وعترة إذا كاب ، وقبل لكثير  
أو لنصيب : من أشعر العرب ؟ فقال امرؤ القيس إذا ركب وزدير إذا  
رغب والنابعة إذا رهب والأعشى إذا شرب (٢) .

وقال أبو عمر : أشعر الناس : امرؤ القيس والنابعة وطرفة ومهلهم .

وروى عن رسول الله (ص) في امرئ القيس : أنه أشعر الشعراء  
وقائدهم إلى النار ، وقال العباس بن عبدالمطلب عن امرئ القيس هو سابق  
الشعراء (٣) ؛ وقدمه كذلك الفرزدق (٤) وقتيبة بن مسلم (٥) ومروان بن  
أبي حفص (٣٨١ ج ٣ العقد) .

وقدم خلف الأعشى ، وكذلك سوى خلف من العلماء ( ٣٠٠ ج ٢

المزهر ) وكذلك الأخطل ( ٤٥ الجهرة )

---

مخضرمون ، والمخضرمون مشتق من الخضرمة وهي القطع يقال به -ير مخضرم  
إذا قطع طرف أذنه فسمى الشاعر مخضرمًا لانقطاعه عن الجاهلية إلى الإسلام أو  
لأن رتبة المخضرمين في الشعر قد نقصت في الإسلام ، وقيل هو من الخضرمة  
بالحاء وهي الحنطة لأنه خلط الجاهلية والإسلام ( ٣٠٤ و ٣٠٥ : المزهر )

(١) ٢٩٦ : المزهر .

(٢) ٢٩٧ : المزهر (٣) ٢٩٩ : المزهر (٤) ٢٩٧ : المزهر . وكان

الفرزدق أروى الناس لأخبار امرئ القيس وأشعاره ( ٣٥٣ : العقد ) ،  
وراجع يوم دارة جملجل فيه ( ٣٤٢ : ٤ )

(٥) ٢٩٨ : المرجع

وقدم جرير زهيراً ، وكذلك قدمه ابن أحرر (١) ، و يروى أن جريراً قدمه على الشعراء (١) .

وكان علماء البصرة يقدمون امرأ القيس وأهل الكوفة يقدمون الأعشى وأهل الحجاز والبادية يقدمون زهيراً والناطقة وكان أهل العالية لا يعدلون بالناطقة أحداً وأهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً (١)

والخلاف في تقديم شاعر من هؤلاء الشعراء على الآخرين كثير ولا داعى للإفاضة فيه (٢) .

والذين يقدمون امرأ القيس يقدمونه لكثرة ما ابتكر من معانٍ وخلق من أساليب في الغزل وسواه (٣) .

والذين يقدمون الناطقة يقولون هو أوضحهم معنى وأبعدهم غاية وأكثرهم فائدة (٤) .

والذين يقدمون الأعشى يقولون هو أمدحهم للملوك وأدصفهم للخمر وأعزهم شعراً وأحسنهم قرىضاً (٥) .

والذين قدموا لبيداً قالوا هو أفضلهم في الجاهلية والإسلام وأقلامهم لغوا في شعره (٥) .

والذين قدموا عمر بن كاثوم قالوا هو من قدماء الشعراء وأعزهم نفساً وأكبرهم امتناعاً وأجودهم واحدة (٦) .

والذين قدموا طرفة قالوا هو أشعرهم إذ بلغ بمحدثه سنه ما بلغ القوم في طول أعمارهم ، نخب وركض معهم (٧) .

---

(١) ٢: ٢٩٩ المرجع (٢) راجع في ذلك ٣١ - ٤٦ من الجهرة

(٣) راجع ٢: ٢٩٧ المزهر وراجع ٣١ الجهرة و ٣٤ الشعر والشعراء

(٤) ٢٣ الجهرة وما بعدها

(٥) ٣٨ الجهرة وكانت عائشة رضى الله عنها تروى ألف بيت للبيد

(٦) ٤٠ الجهرة (٧) ٤١ المرجع (٢: ٣٨٢ المقدم)

ويقسمون الشعراء إلى أربعة : شاعر خنذيد وهو انذى يجمع إلى جودة الشعر رواية الجيد من شعر غيره ، وشاعر مفلق وهو الذى لا رواية له إلا أنه مجيد كالخنذيد فى شعره ، وشاعر فقط وهو فوق الردى . بدرجة ؛ وشعور وهو لاشى له . قال بعض الشعراء :

يا رابع الشعراء كيف هجوتنى      وزعمت أنى مفهم لا أنطق  
وقيل هم : شاعر مفلق وشاعر مطبق وشويعر وشعور (١)

### رواية الشعر

لم تكن العرب تدون شعرها فى الجاهلية فى ديوان أو سفر وإنما كان محفوظاً فى الصدور تبعه حافظتهم وقلوبهم وأذواقهم وملكاتهم الأدبية الفطرية .

وقد تعجب مما تقرأ من رواة العرب بعد الإسلام وكثرة ما كانوا يحفظون ؛ ولكن لا عجب ؛ فملكات الذكاء والحفظ قوية عند العرب وكانت تعينهم على تخليد الشعر العربى حتى لا يضيع ؟

ولقد كان الأصمى يقول : ما بلغت الحلم حتى رويت اثنتى عشرة ألف أرجوزة ، وكان خلف أروى الناس للشعر وأعلمهم بجيده ، وكان يخاف مع روايته وحفظه ، يقول الشعر فيحسن وينحله الشعراء . ويقال إن القصيدة :

إن بالشعب الذى دون سلع      لقتيلاً دمه ما يطل

لخلف الأحمر نحلها ابن أخت تأبط شرا . وكذا كان يفعل حماد يحقق الشعر القديم ويقول : ما من شاعر إلا قد حقت فى شعره أبياتاً جازت عنه

(١) ٢:٣٠٥ المزهر ، وراجع ٢:٢٢٤ البيان والتبيين للجاحظ

إلا أعشى بكر فإنني لم أزد في شعره غير بيت (١) . ويقول المفضل : سلط على الشعر من حماد ما أفسده .

ورغم هذه الرواية والحانظة القوية فقد ضاع الكثير من الشعر العربي الجاهلي وغيره ، حتى قال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرأ اجأكم علم وشعر كثير (٢) » .

وأصيب الشعر العربي مع الضياع بالافتراء والاختلاق عليه من بعض الرواة لأسباب كثيرة منها العصبية أو الرغبة في تفادي الاحراج أو سوى ذلك .

ولكن النقاد اهتموا بتمييز الصحيح من المنحول ونهبوا على الكثير من المختلق ، وألفوا كتباً كثيرة جمعوا فيها ما صحح من الشعر الجاهلي والآثار الأدبية الأخرى .

وكان لكل شاعر رؤية يحفظ شعره ويثدده ويأخذ من الشاعر فن الشعر ومذهبه في القريض :

فكان امرؤ القيس راوية أبي داؤد الأيادي . وزهير راوية أوس بن حجر ، والأعشى راوية المسيب ؛ كما كان الخطيئة راوية زهير .

## رواة الشعر الجاهلي (٢)

١ - أبو عمرو بن العلاء البصري م ١٥٤ . له روايات ولم يترك مؤلفات (٤)

٢ - حماد الراوية (٧٥ - ١٥٦ هـ) ، كوفي وليس له مؤلفات (٥)

---

(١) راجع ٤٠٢ : ٣ العقد (٢) ٢ : ٢٩٤ المزهرة

(٣) راجع : بغية الوعاة - طبقات الأدباء لابن الأنباري - معجم الأدباء

لياقوت - رفيات الاعيان - فوات الوفيات - الأغاني - فهرست .

(٤) ٤٢ فهرست (٥) ١٣٤ فهرست . ويقول ابن سلام فيه : وكان أول

٣ - الخليل بن أحمد بصرى (١٠٠ - ١٧٤ هـ) وهو مخترع علم العروض .  
٤ - خلف الأحمر بصرى (م ٨٠ هـ) وليس له مؤلفات ، ونقل عن  
السيوطى أنه ألف كتاب ، الجبال وما فيها من شعر ، ؛ وله ديوان خاص ،  
وقيل إنه صاحب لامية العرب (١) المنسوبة للشنفرى .

٥ - يونس بن حبيب البصرى م ١٨٢ هـ .

٦ - المفضل الضبي م ١٨٩ هـ ، كوفى ، وهو أقدم من جمع المختار من شعر  
العرب فى كتاب (المفضليات) . وأول من فسر الشعر بيتا بيتا ، ويقال إنه  
أول من جمع أشعار الجاهليين .

٧ - أبو عبيدة بصرى م ٢٠٩ هـ . وله مؤلفات فى اللغة ، وبجاز  
القرآن ، والنقائض .

٨ - الأصبغى البصرى م ٢١٦ هـ ، وله مؤلفات فى اللغة ، وكتاب  
الأصمىات طبع أوربا وكتاب فى الكروم والنخيل .

٩ - محمد بن سلام الجحى م ٢٣١ هـ طبقات الشعراء ، وغريب  
القرآن (٢) .

١٠ - النضر بن شميل م ٢٠٤ هـ

١١ - مؤرج السدوسى م ١٩٥ هـ

١٢ - ابن الكلبى هشام بن محمد م ٢٠٤ هـ

١٣ - الهيثم بن عدى كوفى رواية أديب وله مؤلفات وتوفى سنة ٢٠٦ هـ

١٤ - أبو زيد الأنصارى م ٢١٦ هـ ، ثقة وله مؤلفات .

١٥ - أبو عبيد بن القاسم م ٢٢٣ هـ .

١٦ - ابن الاعرابى م ٢٣١ ؛ كوفى ثقة ، وله مؤلفات .

---

من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الرواية وكان غير موثوق به ،  
ويقال إن خالد بن يزيد بن معاوية هو أول من جمع شعر العرب  
(١) الصناعتين ١٦٥ فهرست

## الشعر الجاهلي بين التجديد والتقليد

-- ١ --

لم يعرض النقاد لبحث الشعر الجاهلي ومظاهر التجديد والتقليد فيه ، ولا يسلم القدماء منهم خاصة بحديث التقليد في الشعر الجاهلي ، لأنه كله عندهم جديد بكر ، ومظاهر التشابه الفني بين انقصائد الجاهلية لا يصح أن يعرض لها أو يتحدث عنها حتى لا نسلم بالتقليد في شعر كله جديد وكله روعة وجمال ، وإذا أخذ الشاعر الجاهلي من شاعر قبله بيتاً أو أبياتاً فلنقل إن ذلك من توارد الخواطر وانفاق الشعارية ، أولنذهب إلى ما ذهب إليه ابن رشيق في عمدته : من أن ذلك استلحاق ، والاستلحاق عنده أخذ الشاعر بيتاً من شاعر سبقه على جهة المثل ، وكان أبو عمرو بن العلاء وغيره لا يرون ذلك عيباً وقد يصنع المحدثون مثل هذا . وقد يسلم المنصفون من النقاد القدامى بأن الشاعر الجاهلي يخطئ كما يخطئ غيره ولكنهم لا يسلمون بأنه يأسج قصيدته على نهج قصيدة أخرى لشاعر سبقه ؛ ولم يبحث أحد منهم مذاهب الشعراء الفنية ، وأثر كل طبقة في شعر الطبقة التي تليها . ونحن نعلم أن ابن سلام قسم الشعراء الجاهليين عشر طبقات ، وأضاف إليهم شعراء المرثى وشعراء المدن العربية ، وجعل في الطبقة الأولى امرأ القيس وزهيرا والأعشى والنابغة ؛ وأن أبا عبيدة قسم الجاهليين ثلاث طبقات ، ووضع في الأولى امرأ القيس وزهيرا والنابغة ؛ وفي الثانية الأعشى وطرفة وليبيا . ووافق على ذلك صاحب الجمهرة أبو يزيد الأنصاري ؛ ولكنك تعلم أن شعراء كل طبقة لم يجد منهم حصراً واحداً ، مما يؤدى إلى أن يكون في كل طبقة شعراء تأثر بهم إخوانهم في الطبقة نفسها ؛ ومع ذلك كله فإن النقاد لم يبحثوا الصلات الفنية بين الشعراء الجاهليين ، ولا بين طبقاتهم المختلفة ؛ بل إن قصيدتين مثل قصيدة علقمة الفحل م ٥٦١ والتي مطلعها :  
ذهبت من الهجران في غير مذهب ، ، وقصيدة امرئ القيس :

خليل مرابي على أم جندب      لنقضى حاجات الفؤاد المذهب

رغم تشابههما في شتى مظاهر الشعارية والخيال ، ورغم أن علقمة متأثر  
بامرئ القيس في قصيدته وناسج على منوالها ؛ لا يذكر النقاد شيئاً عن مظاهر  
التشابه الفني بين القصيدتين وهناك قصيدتان أخريان هما : معلقة عمرو بن  
كثوم : « ألا هبي بصحنك فاصبحينا ، وجمهرة أمية بن أبي الصلت :  
« عرفت الدار قد أقوت سلبنا ، واتى نسج فيها أمية على منوال قصيدة عمرو  
واحتماء فيها ؛ ومع ذلك فإن النقاد لا يتحدثون عن شيء ، ولا يلبون بحديث  
هذا التقليد الفني الغريب ؛ وهناك الكثير من أبيات الشعر تجدها نفسها مكرورة  
في شعر كثير من الشعراء ، وقد لا نستطيع أن نشك في روايتها ، ومع ذلك  
فالرأى السائد عندهم أن ذلك أثر لانفلاق الشعارية .

وعلماء الأدب يعرفون أن الشعر كان في اليمن ثم انتقل إلى ربيعة ثم تحول  
في قيس من مضر ثم صار إلى تبم ، ولا يخالف في ذلك إلا الدكتور طه حسين  
الذي رأى أن الشعر كان في مضر ثم انتقل إلى ربيعة فاليمن  
فالوالي ؛ ومع ذلك فعلماء الأدب القدماء لم يبالوا ببحث آثار هذه الوراثة  
الشعرية المختلفة .

ويقولون : إنه كان لكل شاعر في الجاهلية رواية يروى له ويأخذ عنه  
نهبه في الشعر ويتلمذ عليه ويتأثر بشعره ، فكان امرؤ القيس رواية  
أبي دؤاد الأيادي ، وطرفة رواية المتلمس ، والأعشى رواية المسيب بن  
علس ، وزهير رواية أوس وطفيل الغنوي معاً ، والحطيئة رواية زهير ،  
كما كان الفرزدق وهذبة راويتان للحطيئة ، وأبو حية النميري رواية  
للفرزدق ، وجميل رواية لهذبة ، وكثير رواية لجميل ، في العصر الإسلامي .  
ومع ذلك كله فلا تزال هذه الأستاذية في الشعر في حاجة إلى بحث كثير  
للكشف عن مظاهرها وآثارها الفنية . ولا نرى لذلك أثرًا يذكر في بحوث  
النقاد القدماء .

ومدرسة « المصنعين » من الشعراء الجاهليين كزهير ونلامة ،  
وكالناغة وأوس وطويل الغنوي والذريح بن تواب ، لا تزال في حاجة ملحة  
إلى الكشف الدقيق عن خصائص مذهبهم الفني ونشأته وأثره في الشعر  
العربي ، وإن كان الدكتور طه حسين قد ألم بجوانب من هذا البحث في  
« الأدب الجاهلي » .

وإذا كان النقاد القدماء قد قسموا الشعراء الجاهليين إلى طبقات ،  
وأغفلوا أثر الوراثة الشعرية بين هذه الطبقات ، ولم يذكروا شيئا عن  
مظاهر الاستاذية والتلمذة بين هؤلاء الشعراء ، فخائق بنا أن نقسمهم من  
جديد تقسيما أدبيا إلى طبقات متفاوتة ، بحيث نستطيع أن نحكم على  
عمل كل طبقة ومدى تأثيرها بمن قبلها وأثرها في الطبقة التي تليها ، ليستطيع  
الباحث أن يفهم الشعر الجاهلي فهما جيدا على أسس جديدة ، كما يفهم  
كل ما يتصل بطبقة بشار وطبقة أبي نواس وطبقة أبي تمام والبحتري مثلا  
من الشعراء المحمدين ، وكما يفهم مذهب البارودي ومذهب شوقي ومذهب  
غيرهما في الشعر الحديث .

## - ٢ -

وبعد فنحن لانجد بدا من أن نقسم الشعراء الجاهليين إلى هذه الطبقات  
الأدبية :

١ - طبقة مهلهل م ٥٣١ ؛ ومن شعرائها : الشنفرى م ٥١٠ ، وتابط  
شرام م ٥٣ ، وأبو دؤاد الأيادي م ٥٤٠ ، وسواهم ، وزعيم هذه الطبقة  
مهلهل ، وهو أول من نقل الشعر العربي من طور الأراجيز والمقطعات الصغيرة  
إلى مرحلة القصيد فهو أول من قصد القصائد وقال فيها الغزل ، وأول من  
هلهل نسج الشعر وخاصة الرثاء أي رفقته وهذبه ، وشعره من أعلى طبقات  
شعر المتقدمين كما يقول ابن نباتة ، وهو من شعراء نجد ، وله رثاء كثير في أخيه  
كليب زعيم ربيعة والعرب بعد مقتله عام ٤٩٤ م ، وقصيدته القافية : « جارت

بنو بكر ولم يعدلوا ، إحدى القصائد السبع المنتقيات ، وكانت العرب تسميها « الداهية » .

ولا شك أن هذه الطبقة هي التي مهدت سبيل التجديد في الشعر أمام امرئ القيس ، كما أنها جددت ولا شك فيه بنقله إلى هذه النهضة الفنية الكبيرة .

٢ - والطبقة الثانية طبقة امرئ القيس م ٥٦٠ ؛ ومن شعرائها :  
علمقة م ٥٦١ ، والمرقس الأكبر م ٥٥٢ وهو أول من أطاح المدح ،  
والمرقس الأصغر م ٥٦٠ ، وعبيد م ٥٥٥ ، والأفوه الأودى م ٥٧٠ ،  
والمتلس م ٥٨٠ ، والمثقب العبدى م ٥٨٧ والحارث بن حلزة م ٥٨٠ ،  
وطرفة م ٥٦٥ .

وزعيم هذه الطبقة هو ولا شك امرؤ القيس ، وقد تلمذ في الشعر على أبي دؤاد الإيادي وعلى خاله المهمل ، وهو أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى ووصف النساء بالظباء والمها والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصى وقرب مأخذ الكلام وقيد أوابده ، وأجاد الاستعارة والتشبيه والكناية ورقق الأسلوب وجعله عذباتي جزالة وجمال ، وأول من شرع للناس مذهب هذا الغزل القصصي الحلو ، وهذا الطرد الجميل القوي ، ولا تزال كلماته « قيد الأوابد » ، و « نؤوم الضحى » وسواهما ذات رنين بعيد ، والذي في شعر امرئ القيس - كما يقول الأمدى في الموازنة - : من رقيق المعاني وبديع الوصف لطيف التشبيه ، وبديع الحكمة فوق ما استعار سائر الشعراء في الجاهلية والإسلام ؛ وهذه الطبقة على أي حال ورثت الشعر عن الطبقة التي سبقتها وأثرت في الطبقة التي تليها .

٣ والطبقة الثالثة طبقة النابغة م ٦٠٤ ، وزدير م ٦٢ ، والأدشى م ٦٢٩ وهو أول من تكسب بشعره ؛ وعنترة م ٦١٥ وحاتم م ٦٠٥ وعمر و ابن كثوم م ٦٠٠ ؛ وليبيد م ٦٦٢ ؛ وأميرة بن أبي الصلت م ٦٢٤ .

وزعيم هذه الطبقة هو النابغة ولا شك ، فهو أستاذهم وحكمهم في سوق

عناظ ، والذي تأثر به الكثير من الشعراء كحسان وسواه .

وزهير من أعلام هذه الطبقة وهو زعيم طبقة « المصنعين » وأستاذ الحطيئة وسواه من الشعراء .

٤ - والطبقة الأخيرة هي طبقة حسان وقيس بن الخطيم وسواهما من الشعراء الذين عاشوا في الجاهلية وشاهدوا زمن النبوة ، وهم الذين يسميهم النقاد « المحضرمين » .

ولا غنى لنا بعد ذلك من أن نقول إنه كان لكل طبقة من هذه الطبقات مذهب في خاص ، وكانت هذه المذاهب أثر لوراثات كثيرة وعوامل سياسية واجتماعية أخرى ، كما يبدو فيها أثر التقليد والتجديد جميعاً .

ولا شك أن قيام الأسواق الأدبية ، وحكومة النقاد بين الشعراء ، وتقرب الشعراء بشعرهم إلى الملوك والأمراء واتخاذهم وسيلة للأثراء ، وأداف للقناء ولساناً لإذاعة مفاخر القبيلة ومحامداً وهجاء خصومها ، وهذه النهضة الفنية الكبيرة التي بلغها الشعر في نجد حيث المهجرات العربية والحروب المستمرة ؛ كل هذه الأمور وسواها كانت تدفع بالشعر الجاهلي دائماً إلى الأمام ، وتدعو إلى تجديده وتهذيبه والتجديد فيه .

وقد تباح لنا فرصة أخرى للحدث عن هذه المذاهب الفنية المختلفة ، وأثرها في الشعر الجاهلي خاصة والعربي عامة .

## الشعر الجاهلي بين الطبع والصنعة

١ - المطبوع من الشعراء كما يقول ابن قتيبة من سمح بالشعر واقتدر على القوافي وأراك في صدر البيت مجزوه وفي فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ورشى الغزيرة (١) . والمصنوع هو المنتقح المنقف من الشعر الذي قومه

صاحبه بالثقاف ونقحه بطول التفطيش ولم يذهب فيه مذهب المطبوعين (١) ، بما يظهر للتقاد مهمما كان محكما (٢) وتجد البيت فيه مقر ونا بغير جاره ومضموما إلى غير لقفه (٣) ، على أن أئمة الصنعة فى الشعر العربى كانوا يجعلون قصائدهم نمطا واحدا بما يجعلها مستوية الشاعرية كالخطيئة وسواه ، ولذلك قال الأصمى : الخطيئة عبد لشعره . قال الجاحظ : عاب شعره حين وجده كله متخيرا مستويا لمكان الصنعة والتسكف والقيام عليه (٤) ، وقال الأصمى أيضا : زهير والخطيئة وأشباهاهما عبيد الشعر وكذلك كل من يوجد فى جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى تخرج أبيات القصيدة كلها مستوية فى الجودة (٥) ، قال ابن زشيق : يريد الأصمى أنهما يتكلمان إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرهما (٦) ، وكان الأصمى يقول : وإنما الشعر المحمود ك شعر الجمدى ورؤية ولذلك قالوا فى شعره : مطرف بألاف وخمار بواف (٧) ، وكان الأصمى يفضله من أجل ذلك (٨) ، قال الجاحظ : وكان يخالف فى ذلك جميع الرواة والشعراء (٩) ؛ وأرى أنه مسبوق بذلك الرأى ،

(١) ١٦ المرجع (٢) ٢٢ المرجع

(٣) ٢٣ المرجع ولذلك أخذ النقاد القدماء كالأصاحب والثعالبي والبديعى على

المتنى كثرة التفاوت فى شعره .

(٤) ٤٥ ج ١ البيان والتبيين .

(٥) ٢٥ ج ٢ المرجع وتروى كلمة الأصمى برواية أخرى هى : زهير والنايفة

وكان النداء يعدون النايفة من المصنمين ويروى عن أبى عبيدة قال سمعت أبا عمرو يقول : زهير والخطيئة عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب

المطبويعين ( ١٠٥ إعجاز القرآن )

(٦) ١١٢ ج ١ البيان والتبيين .

(٧) ٢٥ : ٢ البيان .

(٨) ١٥٠ ج ١ البيان

(٩) ٢٦ ج ٢ البيان . وكان الأصمى مع كراهته للصنعة يستحسن التفاوت

فى الشاعرية لأنه مظهر الطبع وخلو الشعر من آثار الصناعة .

فقد روى أنه قيل للمراح : لو أصححت شعرك لذكرت به ، فقال : إنما الشعر كنبيل في جفريك ترمى به الغرض فظالم وواقع وقاصد (١) ، ورد بشار على من عابه بالتفاوت في شعره بأن الشاعر المطبوع كالبحر يقذف مرة صدفة ويقذف طوراً اخرزة (٢) . وعلى هذا الرأي يسير بعض المحدثين ممن يرى أن التفاوت في شعر الشاعر دليل على عبقريته وطبعه وهو الآية الناطقة على شاعرية المتنبي عنده (٣) . وإذا كان الشاعر مصنوعاً بان جيده من سائر شعره كأبي تمام وإذا كان الطبع غالباً عليه لم يبن جيده كل البيئونة وكان قريباً من قريب كالبحترى ومن شا كله (٤) .

ويرى بعض المحدثين أن الشعر إذا كان صادراً عن ذات نفس الشاعر كان هو شعر الطبع أو شعر الفطرة (٥) فأينما وجدت النفس المتأثرة بما يزحمها من بواعث الشعور فقد وجدت هنالك شعر الفطرة (٦) ، ويذهب إلى ذلك العقاد حيث يرى أن شعور الشاعر بنفسه حد بين الطبع والتمكف فإذا كان الشعر صادقاً مؤثراً فهو من شعر الطبع وإلا فهو متمكف (٧) ، ويرى أن الأديب المطبوع من كان غير مقلد في معناه أو في لفظه وأن يكون صاحب هبة في نفسه وعقله لاني لسانه فقط (٨) وكذلك ذهب صاحب تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، الذي ذكر رأى ابن قتيبة وحلله بأنه يريد من الطبع في الشعر معنى الارتجال لا الطبع والشعور والملذبة الشعرية الموهوبة ثم بنى على ذلك نقده لابن قتيبة ورأيه (٩) .

ورأى المحدثين إصلاح جديد في الطبع والصنعة ومعناهما ، وهو لا ينقض الرأي الأول الذي ذهب إليه القدماء . بل لعل القدماء قد لاحظوه واكتفوا

- |                     |  |
|---------------------|--|
| (١) ٢٨٨ ج ٢ الأغانى | (٢) ٢٧٥ ج ١ زهر (٣) ٢٧٦ مطالعات العقاد |
| (٤) ١١١ ج ١ العمدة  | (٥) ص ٧ الطبع والصنعة في الشعر         |
| (٦) ١٦ المراجع      | (٧) ٢٧٧ مطالعات                        |
| (٨) ٢٢٦ مطالعات     | (٩) ١٣١ تاريخ النقد الأدبي عند العرب   |

في تعريفهم للطبع والصنعة بآثارهما الفنية في الأدب والشعر .

ونحن نرى أن الأولى في تحديد معنى الطبع والصنعة أن نجتمع بين الرأيين، فالطبع هو الملمكة القادرة في نفس الشاعر والأديب التي توحى إليه بفنّه وأدبه وحي الفطرة والطبيعة واستجابة لعواطفه ومشاعره دون تكلف ودون تب في الصوغ أو استجداء لترف الأسلوب والصناعة ، فإذا جاء شيء من آثار هذا التكلف الفني في شعر المطبوعين من الشعراء فأنما يجيء عفواً وعن غير قصد إليه وتعمد له وإنما طلبه الذوق واستدعاء المعنى ، ونطقت به الشاعرية دون قصد ودون عناية ودون أن يظن شيء على نفس الشاعر وشعوره وخلجات قلبه ونزعات عقله وإحساسه . والصنعة هي : إحساس الشاعر أو الأديب بآثار الجمال الفني وترف الأداء ، وزخرف الأسلوب ، وحبه لهذا الجمال والترف والزخرف ، وهيامه الفني بها وقصده إليها وتعمده لها في شعره وأدبه ، حتى ليطلب الفن للفن ، ويستلهم الجمال للجمال ، ويستوحى الشعر من مله كأنه الفنية التي غلبت عليها هذه النزعة واستبد بها هذا الأسلوب ، وكادت تكون فناً خالصاً يظن على نفس الشاعر وشعوره وعواطفه وإحساسه بالحياة ، ويستمد بالظهور والغلبة عليها في الفن ، أو يشاركها في تراث الشاعر والأديب الفني فيقلد من ظهور نزعاته ووجداناته فيه ، ولذلك عاب القدماء من النقاد الصنعة والتصنيع ، وكرهوا الصانعين والمصنعين ، ورأوا مذهبهم يخالف مذهب القدماء من الشعراء في الجاهلية والإسلام .

٢ - ولقد كان الشعر العربي أثراً للفطرة والقرينة ، واستجابة لمشاعر الغاعر وشعوره بالحياة في الجاهلية ، وكان أكثره ارتجالاً أو ما يشبه الارتجال ، ينظمه الشاعر على البديهية ويأتي به عفواً الخاطر ، ترد إلى ذهنه المعاني وتتابع فتتوالى عليه الألفاظ انثيالاً ، وتأتيه الأساليب شعراً وشعوراً وسجراً وجمالاً ، كل ذلك في سهولة وتدفق وفطرة ودون تثقيب وتهذيب وتنقيح ، وقد يتفق للشاعر منهم في شعره من آثار الصنعة التي لم يقصدها البيت

والبيتان في القصيدة ، « وربما قرئت ، من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع ، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً . ويزداد حظوة بين الكلام المرسل (١) ، وليس متكافئاً لتكليف أشعار المولدين ، وإنما وقع لهم عن غير قصد ولا تعمل لكن بطباع القوم عفوا . فلم تكن العرب تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة لللفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه ، وإتقان بنية الشعر وإحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام ببعضه ببعض (٢) ، فكل شئ للعرب وإنما هو بديهية وارتجال وكأنه الهام ، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجمالة فـكرة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام ، وإلى جملة المذهب والعمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني إرسالا وتثقال عليه الألفاظ انثيالاً (٣) .

وفي العصر الجاهلي بدأ لون جديد من ألوان التثقيب والصنعة في الشعر على يد أوس وزهير وتلاميذهما ، كان أوس من أصحاب التنقيح ، وكان يسمى محباً لحسن شعره (٤) وتتلذذ عليه زهير (٥) وكان طفيل كذلك وقد قيل إن زهير روى له (٦) وتتلذذ عليه ، وكذلك كان النمر بن تواب من أصحاب التثقيب والتهديب وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس (٧) ، ومن أبرز رجال هذه المدرسة زهير ، وكان زهير يصنع الحواريات على وجه التثقيب والتنقيح ، يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب ، بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ، وربما رصد أوقات نشاطه فنباطاً عمله لذلك (٨) ، وكان يعمل القصيدة في ستة أشهر ويهذبها في ستة أشهر ثم يظهرها فتسمى الحواريات (٩) ، وعمل سبع قصائد في سبع سنين

(١) البديع (٢) ١٠٨ ج ١ العمدة (٣) ١٥ ج ٣ البيان

(٤) ١١٢ ج ١ العمدة (٥) ١٧٢ ج ١ المرجع

(٦) ١١٢ و ١٧٤ و ١٧٥ ج ١ العمدة (٧) ١١٢ ج ١ العمدة

(٨) ١٠٨ ج ١ العمدة (٩) ١٣٤ صناعتين

وكان يسميها الحوليات (١) ، وقيل كان ينظمها في شهر ثم لا يزال يهذبها حتى يمر عليها الحول (٢) . قال الجاحظ : ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمسك عنده حولاً كريماً (٣) ، وزمناطويلا يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه اتها ما لعقله وتبعاً على نفسه وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمنقحات والمحجكات والمقلدات (٤) ، وقال : وكان زهير وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمى كبار قصائده الحوليات (٥) ، ولعل رأى النقاد في أنه كان يدع القصيدة عنده حولاً يهذبها ويقوم ثقاتها ويصبغها بصبغة من الصنعة والتنقيح بالغة في إطالة نظره فيها وصنعتة لها . وقد احتج أصحاب مذهب الصنعة بأن امرأ القيس كان يشقف شعره ويعيد فيه نظره ويسقط رديته ويثبت جيده (٦) وكان امرؤ القيس راوية أبي داؤاد الأيادي مع قوة غريزة . وكان يلوذ به في شعره ويتوكأ عليه كثيراً (٧) ، وقد سار تلامذة زهير على نهج أستاذهم فكان الخطيئة صانعاً حاذقاً يقوم على شعره وينقحه (٨) ، وكان يعمل القصيدة في شهر وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزها (٩) ، وكان يقول خير الشعر الحولى المنقح (١٠) أو المحكك (١١) ، ويشبهون طريقة الخطيئة في الشعر بطريقة زهير (١٢) وكان الأصمعي يعبه من أجل (١٢) صنعتة ، وكان الخطيئة رواية زهير (١٤) ، وكان الفرزدق يروى للخطيئة كثيراً وكان أبو حمية النخري وهو من أحسن

- 
- (١) ٢٦٦ سر الفصاحة  
(٢) ٣٨ ج ٣ الرافعي  
(٣) أى كاملاً  
(٤) ٢١ ج ٢ البيان والنبين  
(٥) ١٤٩ ج ١ و ٢٤٩ ج ٢ البيان و ١٠٥ إعجاز القرآن  
(٦) ١٨٤ ج ١ العمدة (٧) ١١٢ ج ١ العمدة  
(٨) ٦٠ من التصحيف والتحريف للمسكري  
(٩) ١٣٥ صناعتين (١٠) ١٤٩ ج ١ البيان  
(١١) ٢٥ ج ٢ ، ١٧٥ ج ١ العمدة ، ويروى ذلك عن زهير (٦٦ سر الفصاحة)  
(١٢) ٢٦٧ سر الفصاحة  
(١٣) ١٥٠ ج ١ و ٢٥٠ ج ٢ البيان (١٤) ٧٨ ج ٧ الأغاني

الناس شعراً أو لظنهم كلاماً مؤتماً بالفرزدق أخذاً عنه كثير التعصب له والرواية عنه (١) ، كما كان هديبة بن الحشرم رواية الخطيئة وجميل رواية هديبة وكثير رواية جميل (٢) .

وهكذا استمر هذا المذهب مذهب التثقيف وطول التهذيب منهجاً فنياً يسير عليه بمض الشعراء حتى بعد العصر الجاهلي . وكان أساساً للمذهب البديع الذي نشأ على يد مسلم وأبي تمام من المحدثين .

بين الغدامي والمحدثين من النقاد خلاف كبير في تحديد معنى الطبع ولمصنعة : يرى الأولون أن التهذيب الفني للأسلوب هو الصنعة ، فالمصنوع هو المثقف المهذب من الشعر ؛ أما الطبع فهو خلو الأثر الأدبي من آثار التجويد والتنقيح ، ويرى الآخرون أن شعور الشاعر بنفسه حد بين الطابع والصنعة ، فإذا كان الشعر صادقاً مؤثراً فهو من شعر الطبع ، وإلا فهو مصنوع متكلف ، والأديب المطبوع عندهم من كان غير مقلد في معناه أو في لفظه ، وكان صاحب موهبة في نفسه وعقله لا في لسانه فقط .

ورأي المحدثين المماصرين من النقاد اصطلاح جديد في معنى الطبع والصنعة . وأرى أن الأولى في تحديد معناها أن نجتمع بين الرأيين اللذين يتلاقيان ولا يتناقضان ، فالطبع هو الملكة القادرة في نفس الشاعر والأديب التي توحى إليه بفننه وأدبه وحي الفطرة والطبيعة واستجابة له واطفه ومشاعره

(١) ١٧٢ و ١٧٣ ج ١ العمدة ، ٢٩٩ الشعر والشعر

(٢) ٤٨ ج ٣ الرافعي ، ٣٠٠ الأدب الجاهلي ، ١٧٢ ج ١ العمدة وكان

كثير رواية جميل ومفضلاً له (١٦ ج ٤ العقد)

دون تكلف وتعب في الصوغ أو استجداء لترف الأسلوب والصناعة، أما  
الصنعة فهي إحساس الشاعر أو الأديب بآثار الجمال الفني وترف الأداء  
وزخرف الأسلوب وحببه لهذا الجمال والترف والزخرف، وهياكله الفني بها،  
وقصده إليها، وتممه لها في شعره، حتى يطلب الفن للفن ويستلم الجمال  
للجمال، ويستوحى الشعر من ملكاته الفنية التي استبدت بها هذه النزعة،  
كما يطفى على نفس الشاعر وشعوره وعواطفه وإحساسه بالحياة.

ويجمع جمهور النقاد في القديم والحديث على عيب الصنعة والتدليس،  
وسمو المصنعين من الشعراء في العصر الجاهلي: عبيد الشعر، وعابوا شعرهم،  
قال الأصمعي الأديب الراوية الناقد ٢١٦ هـ: زهير والناطقة وأشباهم ما  
عبيد الشعر، وقال الخطيب - وهو شاعر إسلامي مشهور - عبد لشعره،  
قال الجاحظ إمام الأدباء والنقاد ٢٥٥ هـ: عاب الأصمعي شعره حين وجده  
كله متخيراً مستويًا لما كان الصنعة والتكلف والقيام عليه، وكان الأصمعي  
يستحسن التفاوت في الشاعرية لأنه مظهر الطبع وخلو الشعر من آثار  
الصناعة، وعلى هذا الرأي يسير بعض المحدثين ممن يرى أن التفاوت في  
شعر الشاعر دليل على عبقريته وطبعه، ويعد النقاد الآية الناطقة على  
شاعرية المنبئ وعظيم مكانته في الشعر.

ولقد كان للشعر العربي أثرًا للفطرة والبديهة واستجابة لمشاعر الشاعر  
وشعوره بالحياة في الجاهلية وكان أكثره ارتجالاً أو ما يشبه الارتجال،  
ينظمه الشاعر على البديهة، ويأتي به عفواً الخاطر، ترد إلى ذهنه المعاني  
وتتنابع، فتتناحل عليه الألفاظ وتأتيه الأساليب شعراً وشعوراً وسحراً  
وجمالاً، كل ذلك في سهولة وتدفق وفطرة دون تثقيف وتهذيب وتقيح،  
حتى قال الجاحظ: وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام،

وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجابة فكرة وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى جملة المذاهب والعمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني برسالة ، وتثال عليه الألفاظ انثيالاً .

وفي العصر الجاهلي بدأ لون جديد من ألوان التهذيب والصنعة في الشعر على يد أوس وزهير وتلاميذهما .

كان أوس بن حجر من أصحاب التثقيب ، وكان يسمى محبباً لحسن شعره ، وتتلذذ عليه زهير ، وكان طفيل النخوى كذلك ، وكان النمر بن تواب أصحاب التثقيب والتهذيب ، وكان أبو عمرو بن العلاء الناقد الراوية م ١٥٤ هـ يسميه الكيس لحذقه بالشعر ، والنقاد يعدون النابغة الذبياني أيضاً من المصنعين ، ويقول أنصار الصنعة إن امرأ القيس أيضاً كان يشقف شعره ويعيد النظر فيه فيسقط رديته ويثبت جيده ، وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الأيادي ؛ وكان يلذبه في شعره ويتوكأ على معانيه كثيراً ، ولكن امرئ القيس بنى عنه الصنعة والتصنيع ؛ وفرق بين أن يجيء عفواً في شعره بعض آثار الصناعة الفنية وأن يكون مصنعاً ينحت فنه كما ينحت الفنانون تماثيلهم .

وأبرز رجال هذه المدرسة على أي حال هو زهير ، قال بعض النقاد : عمل سبع قصائد في سبع سنين كان يسميها الحوليات . وكان زهير يصنع الحوليات على وجه التثقيب والتهذيب ، يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها - خوفاً من النقد والنقاد - بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أوليلة ، وقيل كان ينظم القصيدة في شهر ثم لا يزال يهذبها حتى يمر عليها الحول ، وقيل : بل كان يعمل القصيدة في ستة أشهر ويهذبها في ستة أشهر ، وقال الجاحظ : كان زهير يسمى كبار قصائده الحوليات . وقد سارت تلامذة زهير على نهج أستاذهم كالحطينة الشاعر الإسلامي وسواه .

وكان هذا المذهب الفني في الشعر الجاهلي - مذهب الصنعة والتصنيع -

أثراً للتنافس بين الشعراء وقيام الأسواق الأدبية كهكاظ وسواه بالحكومة الأدبية بينهم وكان النابغة تقام له قبة في عكاظ ويتمحكم إليه الشعراء ، كما كان أثراً للتكسب بالشعر واتخاذها وسيلة للثراء وعكوف الشعراء المصنعين على تجويد مدائحهم ليستخرجوا بها سني الهدايا والأطراف من مدوحهم ، وكان ارتباط الشعر الجاهلي بالغناء ورغبة بعض الشعراء في التجويد والتجديد في المعاني من أسباب نشأة هذا المذهب الفني أيضاً .

وإذا نظرنا إلى الشعر الجاهلي نفسه وجدنا الفرق كبيراً بين آثار أصحاب الطبع والبديهة كطرفه وامرى القيس ومهلل وآثار الشعراء المصنعين .

والمعلقات السبع وهي من أشهر القصائد الجاهلية في البلاغة الأدبية وأحفلها بمواهب الشاعرية والفن والخيال وخصب الملمات ، كلها من آثار الطبع الأدبي الموهوب ، وليس فيها شيء من مظاهر الصناعة الفنية : فمعلقة امرى القيس أروع صورة لحياة الشاعر وترفه وهواه ، ومعلقة عمرو بن كاثوم ملحمة تاريخية تصور التاريخ القومي والحرفي والسيامي لقبيلة الشاعر تغلب ، ، ومعلقة عنتره حديث عذب جميل بين الحب والحرب والبطولة ؛ ومعلقة زهير دعوة للسلام ووصف لأهوال الحرب وقسوتها على الناس والبشرية ، ويكاد يكون زهير فيها أشبه شيء بالمطبوع ، ويكاد أسلوبه فيها يبعد عن الصناعة وآثارها الفنية .

وستان بين معلقة زهير هذه وبين قصيدة النابغة :

كليني لهم يا أمية ناصب وإيل أقاسيه بطيء الكواكب

أو قصيدة أخرى لزهير نفسه هي :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله

لبعد ما بين الأثر المطبوع والأثر المصنوع .

## دفاع عن الشعر الجاهلي

- ١ -

كثرت في العصر الحديث مقالات الأدباء والنقاد في الزرابة بالشعر الجاهلي ، وتنقصه ، ورميه بالقدم والجمود ، والدعوة إلى تركه والانصراف عنه ، وعيبه حينما يخلوه من الشعر التمثيلي والقصصي ، وحينما يتفكك به وعدم وجود وحدة للقصيدة في آثاره الفنية الباقية ، وباضطراب معانيه وعدم تمثيلها إلا للبيئة البدوية الجاهلية وحدها ، وحينما آخر برهونه من ناحية الصياغة واللفظ والنظم بأكثر مما يعاب به شعر قديم أو حديث .

وقد حمل لواء هذه الدعوات أدباء كان نصيبهم من دراسة الأدب العربي أو الأدب الجاهلي وحده محدوداً ضئيلاً ، وآخرون قرأوا الأدب الجاهلي فلم يظربوا له ولم يرتاحوا إليه ، ولم يفهموه حق الفهم ، وفريق آخر تدفعه إلى ذلك الشعورية الحديثة التي ترى مظهرها بادياً في تنقص كل ما هو عربي أو قديم والتعصب لسكل ما هو غربي أو حديث .

ولاشك أن في أكثر آرائهم جوراً في الحكومة الأدبية وإسرافاً ومغالاة كثيرين ، فلكل شعر جيد - كما يقول الدكتور طه حسين في الأدب الجاهلي - ناحيتان مختلفتان ، فهو من ناحية مظهر من مظاهر الجمال الفني المطلق ، وهو من هذه الناحية موجه إلى الناس جميعاً مؤثر فيهم ، واسكن بشرط أن يعدوا لفهمه وتذوقه ، وهو من ناحية أخرى مرآة يمثل في قوة أو ضعف شخصية الشاعر وبيئته وعصره ، وهو من هذه الناحية متصل بزمانه ومكانه ، فازدراء الشعر الجاهلي غلو ليس أقل إمعاناً في الخطأ من ازدراء الشعر الأجنبي ،

إننا لا ننكر أنه تحول دون فهم الشعر الجاهلي وتذوقه صعوبات كثيرة

أهمها : ضعوبة لغته وأسلوبه ، وبعد الأمد بصور البيئة العربية القديمة وألوان الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي ، ومشاعد الطبيعة والوجود إبان ذلك العهد البعيد ، ولكن ذلك لا يمكن ألا يصبح أن يصرفنا عن هذا الجمال الفني الرائع الذي نجد في الشعر الجاهلي ، فضلاً عما فيه من تحميد لأثار الحياة العربية الأولى وأحداثها ومظاهر التفكير فيها . ومع ذلك كله فإن الشعر الجاهلي أقوى دعامة للعربية وحفظها وخلودها بعد القرآن الكريم .

فهو من حيث إنه صورة من صور الفن والخيال والجمال ، ومن حيث إنه أساس الثقافة الأدبية والعربية ؛ لا يمكن لذلك ولغيره أيضاً الاستغناء عن هذا الشعر القديم ونبذه ورامنا ظهرياً .

في الشعر الجاهلي جمال ، وهو أيضاً لا يخلو من هنات ؛ وفيه روعة ، وإن كنا لا نبرئه من العيب ، ومع ذلك فإننا نستطيع أن ندرس المذهب الفني الذي يمثل الشعر الجاهلي ، وأن نتعرف خصائصه وعناصره لنرى إلى أي حد يصح أن نجاري هؤلاء وهؤلاء من النقاد والمتعصبين على الشعر الجاهلي القديم ، وإلى أي مدى يصح أن نسير في الدفاع عنه ؛ فذلك أقرب إلى العدالة الأدبية في البحث والمناقشة .

-- ٢ --

١ - أول ما نعرفه من خصائص الشعر الجاهلي : البساطة والصدق والوضوح وعدم التكلف أو الإغراق في الأداء . وهذا شيء يسلمه النقاد للشعر الجاهلي تسليماً ، ويجزمون به ؛ وهو ما يدفعنا إلى الإعجاب به واللذة الفنية حين نقرؤه ونستمع إليه ، ولا يمكن أن يكون في ذلك ما يدعو إلى التهورين من شأنه ، فالجمال أو أحد أسبابه لا يدعو إلا إلى الإعجاب والحب والمتعة . بل إن هذه الميزة الواضحة في الشعر الجاهلي هي نفس ما يدعو إليه نقادنا المحدثون ودعاة التجديد في الأدب العربي الحديث : بعد أن أبعده المحدثون الشعر عن البساطة والإخلاص ، وهما الصفتان اللتان كانتا حسناً

له ، كما يقول الدكتور ضيف (١) .

٢ - ويمتاز الشعر الجاهلي أيضا بالزهد في المحسنات و ألوان التزيين الفني ؛ وهذه سمة غالبية عليه . وأدباؤنا المحدثون لا يزالون يدعون إلى هذا المذهب . ولقد كان الشعر المصري الحديث في أول نهضته مثملا بقيود الزخرف البديعي الذي ورثه عن العصر التركي والعثماني وأواخر العصر العباسي إلى أن ثار النقاد على ذلك النهج ودعوا إلى الخلاص من آثاره ، حتى برىء الشعر الحديث من عاهته وسار طليقاً إلى غياته . وقد ظهرت في الآداب الأوربية أيضاً صبغة الزخرف الفني في العصور الوسطى ؛ كما حدث في الأدب الإنجليزى بعد عصر اليصابات ، وفي فرنسا بعد عهد لويس الرابع عشر ؛ أفنقول بعد ذلك إن الشعر الجاهلي يعاب لهذه الحسنة الظاهرة ؟ ويزدرى لذلك الفضل الظاهر ؟ .

٣ - ومن خصائص الشعر الجاهلي : متانة الأسلوب وقوته وجزالته وأمره ، وللبنية البدوية أثر بعيد في ذلك ؛ وقد سار المحدثون في العصر العباسي على هذا النهج حيناً ، وحيناً آخر أغرقوا في العذوبة والسلاسة والسهولة التي ورثوا بعضها عن العصر الأموي ومدرسة المذريين التي شاعت فيه . وقد دافع بعض النقاد عن الجزالة والقوة ، كما دافع آخرون عن العذوبة والرفة ، ووقف آخرون يمددون مواقف هذه ومواقف تلك كابن الأثير في المثل السائر وسواه ، ولكن العصور الأخيرة كانت تعد العذوبة ضعفاً في الشاعر وميلامته إلى العامية ، وهذه النظرة كانوا يمكنوا على شعر الجاهل زهير الشاعر المصري المشهور .. ولكننا نقول للناشئين : ربوا ذوقكم الأدبي ، وأرهفوا مشاعركم الفنية ، وتأثروا في حياتكم ومذاهبكم الأدبية بالحياة والحضارة التي تعيشون فيها ، وستدركون بأنفسكم الحقيقة الأدبية في هذه المسألة الفنية ، ولا شك أن عذوبة الأسلوب وسلامته يجب أن تبرز في إنتاج الشاعر وفنه ، لأثر

الحياة والحضارة في نفسه ؛ ومع ذلك فهذه العذوبة والروقة يجب ألا تنقلها ضعفا وعامية ، وأن توشى بألوان من الجزالة في مواقف خاصة تستدعيها حياة الشاعر ونفسيته قبل كل شيء ؛ كما يجب ألا تنقلب الجزالة حوشية وإغرابا وتمقيداً عند الشعراء الذين يمانظون على الجزالة . وأحسب أن شعراءنا المعاصرين الذين يتكلمون الألفاظ اللغوية الكثيرة البعيدة في قصائدهم إنما يفعلون ذلك تقليداً . فحسب وفي مطلع حياتهم الفنية التي يكثر فيها الناشئون من التقليد ؛ ونحن على أى حال لا يمكن أن نعيب الشعر الجاهلي لجزالته ، فقد رأيت موقف النقاد من الجزالة وإعجاب الكثير منهم بها ودفاعهم عنها ؛ فوق أنها أثر من آثار البيئة في الشعر الجاهلي .

٤ - ومن خصائص الشعر الجاهلي أيضا القصد إلى المعنى في إيجاز ويسر وقلة إطئاب . ولاشك أن العصور الأدبية التي تلت العصر الجاهلي وتعددت فيها ألوان الثقافات ومظاهر الحضارات قد أبدت الشعر عن هذا الاتجاه ، ودفعته إلى الأطئاب وشتى ألوان التصوير ؛ ووقف النقاد حيال ذلك طوائف : طائفة تدعو إلى الإيجاز وتراه البلاغة والبيان ، وطائفة تشيد بالأطئاب وترى فيه جمال الفصاحة وروعة التصوير ، وأخرى تحدد للأطئاب مواضع والإيجاز مواضع : كقدامة في نقد النثر وابن سنان في مرالفصاحة . ونحن لا نقول للشاعر المعاصر : آثر الإيجاز أو اعمد إلى الأطئاب ، وإنما نقول له : إن أساس الجودة الفنية أن تزدى معانيك في رفق ويسر وقلة فضول . وفي الآداب الغربية الآن مذاهب تدعو إلى القصد في التصوير والبيان والاكتفاء . بشرح الأفسكار الجديدة وترك ما عداها .

٥ - ولاشك أن أهم طابع للشعر الجاهلي بعد الذي ذكرناه سابقا هو هذا الطابع البدوي الواضح الذي يفجؤك في شتى القصائد الجاهلية ، مما هو أثر للبيئة والحياة الجاهلية . ونحن ندعو كما يدعوا كل منصف إلى ترك هذا الاتجاه في الأداء والتصوير فقد أصبح لا يلائم منهج الحياة في القرن العشرين كما أن إبراز هذا الطابع البدوي في شعر الشاعر المعاصر يكون تقليداً سخيفا

لامبرر له ، وبحول دون ظهور نزاعه الفنية ومواجهه الخاصة المستقلة في شعره ، وهذا ضرر بعيد .

ومن آثار هذا الطابع في الشعر الجاهلي :

١ - شدة تمثيلية للبيئة البدوية ، وقد سار بعض الشعراء المحدثين على هذا النهج ، فملأوا شعرهم بصور الحياة البدوية ، من وصف الناقة والجمال والظلم والمدن والديار القديمة ، مما سخر به بعض التقاد والشعراء ودعوا إلى التحرر منه فقال مطيع بن إياس :

أحس من يبد تحاربها القطا ومن جبلى طى ووصف- كما سلما  
تلاحظ عبي عاشقين كلاهما له مقله في وجه صاحبه ترعى

وهذه دعوة جديرة بالعناية ، خليفة بالإيثار وقد دعا المجددون في الأدب الحديث . وأكثروا من الدعوة إلى أن يكون الشعر صورة الحياة الشاعر ونفسه وبيئته وعصره ، وإلى أن يخلو من آثار التقليد للقادمي في أغراض الشعر وفنونه وموضوعاته ، وهذا اتجاه جليل قد سار بالشعر العربي الحديث خطوات واسعة نحو التجديد والجمال والروعة ، فالشاعر هو الذي يكون خير مقلد في معناه أو في لفظه . ويكون صاحب هبة فنية في نفسه وعقله ، ويتأثر ببيئته ويؤثر فيها . ويمثلها في جدها ولهوها وفرحها وحزنها وسلامها وحررها وألمها وأملها أتم تمثيل .

ب - ومن آثار هذا الطابع البدوي في الشعر الجاهلي أيضا بدء أغلب القصائد الجاهلية بذكر الأطلال ، ووصف الديار . وهذا مذهب أغلبية الجاهليين ، لا يشذ عن ذلك إلا القليل ، كعمرو بن كلثوم في معلقته التي بدأها بذكر الراح ، وكتأبط شرا في قصيدته اللامية المشهورة :

إن بالشعب الذي دون سلع لقتيلا دمسه ما يظل

والتي يسميها بعض المستشرقين نشيد الانتقام . . ويدافع ابن فنيمة في أوائل كتابه الشعر والشعراء ، عن نهج الجاهليين دفاعا حارا ، فقد صور

نهج العرب في وحدة القصيدة وما كانوا يبدأونها به من ذكر الديار والأنار  
ووصلهم ذلك بالنسيب والشكوى وألم الوجد وفرط الصباية ثم ذكر الرحلة  
إلى الممدوح تخلصا إلى مدحه واستجلابا لرضائه وسنى أطفائه ، وقال :  
والشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام (١) .  
وقد سار الكثير من المخضرمين والإسلاميين على هذا النهج أيضا ، فأكثروا  
من بدء قصائدهم بوصف الأطلال والديار ؛ كما أكثر الكثير منهم من  
بديها بالغزل ولم يشذ عن ذلك إلا أبو نواس الذي دعا إلى بدء القصيدة  
بذكر الراح . قال :

وصف الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم  
وتبعه ابن المعتز فقال :

أف من وصف منزل بعكاظ الخومل  
غير الريح رسمه بجنوب وشمال

وكان أبو نواس شعوبيا في مذهبه ، أليس هو الذي يقول :

تبكى على طلل الماضين من أسد ثمكلت أمك قل لي من بنو أسد  
ومن تميم ومن قيس ومن يمن ؟ ليس الأعراب عند الله من أحد

ولكن ابن المعتز كان ناقدا يبحث عن الصلة بين الأدب والحياة  
ويحاول أن يلائم بينهما وينادى بتحضّر الشعر وترك البداوة فيه وتمثله  
الحياة الشاعر وآرائه في الحياة . . وقد ثار ابن رشيق على منهج الجاهليين في  
القصيد، ورأى - مع من رأوا - أنه لا معنى لذكر الحضرى الديار (٢) وأنه ليس  
بالمحدث من الحاجة إلى وصف الإبل والقفار لرغبة الناس في عصره عن تلك  
الصفات وعلمهم بأن الشاعر إنما يتكلمها، وأن الأولى وصف الخمر والغيان (٣) . .

(١) ١٤ و ١٥ من الشعر والشعراء .

(٢) ١٩٩ : ١ : العمدة

(٣) ١٧٩ : ٢ : المرجع

وقد تكفلت الحياة نفسها بصرف الشعراء المعاصرين عن هذا المنهج  
الغنى في القصيدة ، فليس منهم والحمد لله من يبدأ قصيدته بذكر الإبل  
والقفار والديار والآثار ، بل إن ذلك لو فعله أحد الآن لرمى بالجنون ؛ ولكن  
ليس معنى ذلك ألا يصف الشاعر المعاصر معاهد أهله وأحبابه في شعره أبداً ،  
أو ألا يبدأ قصيدة من قصائده بذكرها ، ولكننا نقول إن المعبى هو التزام  
بدء القصيدة بوصف الاطلال القديمة تقليداً للجاهليين ، وإذا التزم شاعر  
معاصر بدء قصائده بذكر معاهد حياته وأحبابه ولم يتخل عن هذا المنهج ، لم  
نحاسبه على ذلك ، إلا إذا قيد هذا من حريته الفنية أو حبس مواهبه وملكانته  
الأدبية ، فإنه يجب بحق ألا يقيد الشاعر نفسه بأى قيد لا يلزمه به نفسه ومواهبه  
وملكانه الفنية وحدها ، وإلا كان مقلداً لا نصيب له من الشعور بالحياة  
والإحساس بها والتمتع النفسى العميق بمشاهدها وصورها وألوانها .

ج - وهناك فى الشعر الجاهلى ظاهرة أخرى نشأت عن الطابع البدوى  
المبروث ، وهى كثرة الغريب والوحشى ، ولاشك أن ذلك مذهب العرب  
القدامى وحدهم لأثر البيئة البدوية الجافة الخشنة فى عقولهم ونفوسهم .  
وما أروع ما يقول صفى الدين الحلى الشاعر المتوفى عام ٥٧٥ :

إنما الحيزبون والدرديس والطخا والنقاخ والعطليبس  
لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئز النفوس  
وقبيح أن يذكر النافر الوح شى منها ويترك المأنوس  
أين قولى : هذا كئيب قديم ومقالى : عثقل قدموس  
إنما هذه القلوب حديد ولذيد الألفاظ مغناطيس

وليس هناك الآن والحمد لله أحد يدعو إلى استعمال هذه الألفاظ ، أو  
رتاح قلبه حين سماعها ، فهى ألفاظ تاريخية يجب أن نفهمها بحسب .

بقيت بعد ذلك صور البيان الأدبى نفسه . أنصوغ أسلوبنا على الصور

القديمة التي يمثلها الشعر الجاهلي ؛ أم نستمد صوره من ألوان حياتنا وبيئتنا وثقافتنا . ولنضرب مثالا واحداً لذلك : لا شك أن الجمل كان عماد الحياة في العصر الجاهلي ، وفي أساليب البيان صور كثيرة استمدت منه ، فقد قالت العرب : ألقى الجبل على الغارب ، واقتعد غارب المجد وسنامه ، ووظفه بمسمة وضرسه بأنياه ، وألقى عليه جرانه ، وناه وأماخ عليه بكلـكاه ، وقالوا لا ناقة لي فيها ولا جمل ، وأخذ بزمام الأمر .

وقد حاول النقاد والبلاغيون في العصور القديمة أن يدعوا إلى توليد صور البيان وتنميتها من مشاهد الحياة والبيئة التي تتجدد دائماً .

فهل نأخذ صور البيان القديمة في أساليبنا لنرضى العرب القدامى . أو نولد فيها لنرضى عبدالقاهر والقاضي الجرجاني وسواهما ؟

لست أدعو إلى الأول ولا أحبه ، وإن كنت لا أرى في الرأي الثاني ضيراً أو ضرراً ، وأوثر أن يضيف الأديب إلى الصور التي يولدها صوراً جديدة يستمدّها خياله من حياتنا وبيئتنا وألوان الحضارة التي نعيش فيها ، والاختراعات التي نجد دائماً بيننا والتي نبعث اللغة عنها ونحاول ألا نستمدّ بها صورنا الأدبية .

وبعد فهذه سمات الشعر الجاهلي والصلة الفنية بين حياتنا الفنية الحاضرة وما يصح وما لا يصح أن نقلده فيه .

## صلة الشعر العربي بالتاريخ

تمديد :

الشعر العربي الجاهلي كما يقول ابن فارس : « ديوان العرب وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر ، ومنه تملت اللغة ، وهو حجة فيها أشكال من غريب كتاب الله وغريب حديث رسوله صلوات الله عليه (١) ، وهو

كما يقول ابن سلام : « ديوان علمهم ومنتهى حكمتهم به يأخذون وإليه يصيرون (١) » .

وبحق ان الشعر الجاهلي وثيق الصلة بحياة الجاهليين وعاداتهم وأخلاقهم ومعارفهم لأنه يمثلها أصدق تمثيل ، مما يجعله سجلا لتاريخ العرب قبل الإسلام . وإذا كان العرب في الجاهلية لم يستطيعوا تحليد حياتهم وتاريخهم في كتاب أو على الآثار ، فقد خلدها على صفحات شعرهم الذي ضمنوه أخبارهم وحياتهم وأسماء بلادهم وحيواناتهم ونباتهم ، وأودعوه عاداتهم وتقاليدهم ومعارفهم وحروبهم وتجمعاتهم ، حتى كان الشعر الجاهلي أكبر مصدر تاريخي لحياة العرب في الجاهلية ؛ وفيه أسماء محبوباتهم وأبطالهم وشعوبهم وقبائلهم وأيامهم ووقائعهم وأسماء منازلهم ومياهمم وعناق خيولهم وأوصاف سيوفهم وملاعب ولدانهم إلى ماسوى مما سبق الإلمام به .

### الشعر الجاهلي صورة لأخلاق العرب في الجاهلية :

وأم أخلاق العربي قبل الإسلام : الشجاعة والكرم والوفاء والأمانة والإباء والحمية والعفة وحب الاستقامة والأخذ بالثأر

يمثل شجاعتهم قول عمرو بن معد يكرب :

هم يبنذرن دمي وأنذر إن لقيت بأن أشدا  
- كم من أخ لي صالح بوأته بيدي لحدا  
ما إن جزعت ولا هلمت ولا يرد بكاي زندا  
ألبسته أنوابه وخلقت يوم خلقت جلدا

وقول الحصين بن الحمام المرى :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد  
لنفسى حياة مثل أن أتقدا

فلستنا على الأعقاب تدمى كلو منا      ولكن على أقدامنا تقطر الدما  
وقول ودّاك :

إذا استنجدوا لم يسألوهم من دعاهم      لآية حرب أم بأى مكان  
ويمثل كرمهم قول عتبة بن بغير :

فقالوا غريب طارق طوحت به      متون الفيافي والخطوب الطوانح  
فقتت ولم أجمم مكاني ولم تقم      مع النفس علات البخيل الفواضح  
وناديت شبلا فاستجاب وربما      ضمنا قرى عشر لمن لا نصافع  
فقام أبو ضيف كريم كأنه      وقد جد من فرط الفكاهة مازح  
إلى جذم مال قد نهكنا سوامه      وأعراضنا فيه بواق صحاح  
جعلناه دون الذم حتى كأنه      إذا عد مال المكثرين المنائح (١)  
لنا حمد أرباب المثمين ولا يرى      إلى بيتنا مال مع الليل رائح  
ويمثل عفتهم قول النابغة :

رقاق النعمال طيب حجاتهم      يحميون بالريحان يوم السباب  
وقول ابن الاطنابة :

المساعين من الخنا جاراتهم      والحاشدين على طعام النازل  
وقول شقران متهكبا :

أولئك قومي بارك الله فيهم      على كل حال ما أتف وأكرما  
وقول حبر بن حية العبسى :

لا أحرم الجارة الدنيا إذا اقتربت      ولا أقوم بها فى الحى أخزيبها  
إلى غير ذلك مما يمثل شتى أخلاقهم تمام التصوير .

(١) جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تدفع إلى الجار لينتفع بائتمامادام فيها لبن

الشعر الجاهلي سجل لعقائد العرب :

ورغم ما ضاع من الشعر الوثني للعرب في جاهليتهم فقد بقي منه الكثير مما يعطيك صورة واضحة لحياة العرب الدينية .

( ١ ) يقول عبد العزى المزني يحلف بمناة :

إني حلفت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج

ويقول أوس بن حجر يحلف باللات والعزى :

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله إن الله منهن أكبر

ويقول عبيد في «اليعسوب» وهو صنم لجديلة طيء وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد فتبدلوا «اليعسوب» بعده :

فتبدلوا «اليعسوب» بعد إلههم صنما ففروا يا جديل وأعدبوا  
إلى غير ذلك مما قيل في الأصنام والأوثان .

(ب) وكان من العرب دهريون ، ويقول شاعر منهم .

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تسمى  
وظلوعها حراء صافية وغروبها صفراء كالورس  
تجرى على كبد السماء كما يجرى حمام الموت في النفس  
اليوم أعلم ما يجيء به ومضى بفصل قضائه أمس

(ح) وكان منهم الثائرون على الوثنية المتطلعون لدين من التوحيد ،

قال زيد بن عمرو بن نقيل :

أربأ واحداً أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور  
عجبت وفي الليالي معجبات وفي الأيام يعرفها البصير  
بأن الله قدد أفنى رجالا كثيراً كان شأنهم الفجور

ويقول أمية بن أبي الصلت :

الحمد لله مسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربى ومسانا  
رب الحنيفة لم تنفذ خزائنه مملوءة طبق الآفاق أسطانا  
وقال النابغة :

مجلتهم ذات الإله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب  
وقال الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعد ل ، وولى الملامة الرجلا  
وقال أبو قيس صرمة من بنى النجار :

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلال  
يا بنى الأرحام لا تقطعوها وصلوها قصيرة من طوال  
يا بنى النجوم لا تظلوها إن ظلم النجوم داء عضال

ولكثير من الشعراء الجاهليين حتى امرئ القيس أشعار تدل على  
عقيدتهم الدينية ، أليس هو الذى ينسب إليه :

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل  
ويقول : ومن الطريقة جأر وهدى قصدا السبيل ومنه ذو دخل (١)

### معارف العرب فى الشعر الجاهلى :

والشعر الجاهلى يصور لك معارف العرب فى جاهليتهم بوضوح ودقة ،  
فحول الطب ومعرفةهم به الكثير من الأبيات التى تدل بصورة واضحة  
على هذا اللون من معارفهم ، قال الشاعر :

فهل لكم فيها إلى فانى خبير بما أعيانطاسى خذيما؟  
وفى العرافة جاء قول الشاعر :

جعلت لعراف النيامة حكمة وعراف تجد إن هما شفيانى  
ويدل على معرفتهم بالكتابة قول لبيد :

---

(١) وتنسب لامرئ القيس بن عابس

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها  
وقول المرقيش : « كما رقيش في ظهر الأديم قلم ،

وفي معرفتهم بالملاحة قول عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا  
وقول طرفة :

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد  
عدولية أو من سمين ابن يامن يجور بها الملاح طور أو يهتدى  
يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد  
وفي الزجر قول الشاعر :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا مقالة لهي إذا الطير مرت  
إلى غير ذلك من شتى أشعارهم التي تدل على معارفهم .

### الشعر الجاهلي والحياة الاجتماعية عند العرب :

والشعر الجاهلي يصور لنا الحياة الاجتماعية في الجاهلية وعادات العرب  
فيها أدق تصوير .

١ - فقد كانوا يطلقون نساءهم ؛ قال الأعشى :

أيا جارتا بيتي فانك طالقة كذاك أمور الناس غاد وطارقة

وكانوا يتزوجون نساء آبائهم بعد وفاتهم ، قال عمرو بن معد يكرب :

فلولا إخوتي وبنى منها ملأت لها بذى شطب يميني

٢ - وكانوا يشربون الخمر ، قال عنبرة :

فإذا سكرت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

وقال عمرو بن كلثوم :

ألاهي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خور الأندرينسا  
وكان بعضهم يحرمها على نفسه ، قال قيس بن عاصم :

لعمرك إن الخمر مادمت شاربا لسالبة مالى ومذهبة عقلى

٣ - وكانوا يعنون بالخيل أتم عناية ، وحفظ الشعر الجاهلى أسماء الكثير  
منها ، قال الحارث بن عباد :

قربا مربوط النعمة منى لفتح حرب وائل عن حبال (١)  
ويقول بشر بن أبى خازم فى الفخر :

وبكل أجرد ساح ذى مبيعة متماحل فى آل أعوج ينتمى  
وكانوا يحضرون الحلبة (٢) ويشتركون فى السباق ، قال عنتره :

فله عينا من رأى مثل مالك عقيرة قوم إذ جرى فرسان  
فليتهما لم يجريا قيد خطوة وليتهما لم يرسلا لرهان  
وفى سباق داحس والغبراء وقعت هذه الحرب المشهورة .

٤ - وكانوا يعقرون نوقهم وأفراسهم على قبور العظام ، من ذلك  
قول الشاعر :

فإذا مررت بقبره فانضح به كوم الجلاد وكل طرف ساح  
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبانح

٥ - والميسر والقمار عندهم شائع . قال لبيد :

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغالق متشابه أجسامها  
وقال امرؤ القيس :

---

(١) أى عقم  
(٢) هى الدفعة من الخيل فى الرهان وخيل يجتمع للسباق من كل أوب ،  
وتطلق على مكان السباق تجوزا .

وما ذرفت عينك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

٦ - وكانوا يستقسمون بالأزلام ، فإذا أرادوا عمل شيء جاءوا إلى هبل وهو أعظم صنم لقريش بمكة في الكعبة وهم مائة درهم فأعطوها صاحب القداح أجراً له حتى يجبل القداح لهم ؛ وهي سبعة محنوظة عند خازن الكعبة . اثنان للمضى في الأمور المهمة أو للتريث فيها كتب على أحدهما « أمرني ربي ، وعلى الآخر « نهاني ربي » ، وثلاثة لمعرفة النسب على أحدهما « منكم » ، وعلى الثاني « من غيركم » ، وعلى الثالث « ملصق » ، واثنان لمعرفة القاتل ، على أحدهما « عقل » ، والثاني « غفل » ، وكانوا يستقسمون عند ذى الخلصة أيضاً ، واستقسم عنده امرؤ القيس حين عزم على الأخذ بثأر أبيه فناه فقال :

لو كنت ياذا الخلص الموتورا لم تنه عن قتل العداة زورا

٧ - ومن عاداتهم تعليق الحلى والخلاخل على اللديغ ليفيق ، قال النابغة :

فبت كأنني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع  
يسهد من ليل التمام سليمها لحلى النساء في يديه قعاقع

٨ - ومن عاداتهم تحريم الخمر على أنفسهم في مدة طلب الثأر ، قال تأبط شراً :

فادركنا الثأر فيهم ولما ينجم الحبين إلا الأقل  
حلت الخمر وكانت حلالا وبلاى ما ألمت تحمل

٩ - وكانوا يتدون بناتهم وكان ذلك في بعض القبائل ، خوف الفقر أو العار وذلك مشهور لاداعي للكلام فيه . ويفتخر الفرزدق بجده في الجاهلية لأنه أجاز البنات حتى لا يوأدن فيقول :

أجاز بنات الوائدين ومن يجر من الموت فاعلم أنه غير مخفر

١٠ - وكانوا إذا أوردوا البقر فلم ترد ضربوا الثور ليقنحهم البقر بعده  
قال الشاعر :

لنى وقتلى سايكا ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر  
وإذا أعاب الجرب الإبل كوا الصحيح ليبراً السقيم ، قال النابغة :  
وكلفتني ذنب امرئ وتركته كذى العريكوى غيره وهو رانع

١١ - وإذا قتل منهم قتيل لم يؤخذ بثأره قالوا : إنه يخرج من رأسه هامة  
فتنادى على قبره ، اسقونى فإنى صدىة ، ، قال ذو الإصبع العدواني :

يا عمرو وإلا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حتى تقول الهامة اسقونى

وكانوا يؤخرون البكاء على القتل ويحرمون الخمر عليهم حتى يؤخذ بثأره

١٢ - وكان الرجل البيض إذا نزل ضيفاً عندهم أكرمه . فإذا رحل  
كسروا شيئاً من الأواني وراه حتى لا يعود ، قال الشاعر :

كسرتنا القدر بعد أبى سراح فعاد وقد رنا ذهباً ضياءاً

وقال آخر :

ولانكسر الكيزان فى إثر ضيفنا ولكننا نقضيه زادا ليرجما

١٣ - وكانوا يعتقدون أن المرأة إذا شقت رداء الرجل وشق الرجل  
برقمها صلح حبهما ودام . قال سحيم :

وكم شققنا من رداء محبر ومن برقع عن طفلة غير تابس

نروم بهذا الفعل بقيا على الهوى وإفسد الهوى يغرى بهذى الوسواس

وكانت النساء إذا غاب عنهن من يحببته أخذن تراباً من موضع قدمه  
ويزعن أن ذلك أسرع فى رجوعه ، قالت امرأة :

أخذت تراباً من مواطئ رجله غداة غد ، كما يؤوب مسلماً

١٤ - وكانوا يحبون الملوك بالريحان فى الأعياد ، قال النابغة ، يحبون

بالريحان يوم السياسة .

١٥ - ومن عاداتهم النسيء وهو تأخير حرمة القتال في المحرم إلى صفر، وكانت كنانة هي التي يلجأ إليها في ذلك ، قال عمرو بن قيس السكناي الشاعر الجاهلي :

ألسنا الناسنين على معد شهور الحل نجعلها حراما

١٦ - وكان الرجل منهم إذا أراد سفرا عمدا إلى شجرة وشد غصنين منها ، فإن رجع ووجدهما على غير حالهما علم أن أهله خاتته . ويسمون ذلك عقد الرتم وهو ضرب من الشجر واحدته رتمة ، والرتمة والرتمة خيط يشد على الإصبع تستذكر به الحاجة ، قال شاعر :

خاتته لما رأته شيئا بمفرقة وغره حلفها ، والعقد للرتم

١٧ - ومنها ذهاب خدر الرجل بذكر الحبيب ، يقول الشاعر :

وأنت اعيني قرة حين نلتقي وذكرك يشفيني إذا خدرت رجلي

١٨ - وكانوا يستشفون من عضه الكلب بدم الرؤساء وشرب قطرة منه مخلوطة بالماء ، قال الشاعر :

بناة مكارم وأساءة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء

١٩ - وكانت العرب تؤرخ بالنجوم ، ثم أرخوا بالحوادث المشهورة فأرخوا بعام الغيل ، وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي لجلالته فيهم .

إلى غير ذلك من شتى عاداتهم التي يمثلها الشعر الجاهلي أدق تمثيل .

ويقول نيكلسون : « إن الشعر الجاهلي وصف نقدي لحياة الجاهلية وأفكارها ، ومعظم الشعر الذي قيده أبو تمام خاص بشجاعة العرب في الحروب وصبرهم على الشدائد ، ورأى نيكلسون أن شعر الحماسة يعد صورة لحياة الجاهلية ووصفا لأحلاقهم .

## المعلقات ومنزلتها من الشعر الجاهلي

سبب تسميتها بالمعلقات :

-- ١ --

١ - قال المفضل - في امرىء القيس م سنة ٥٦٠ ، وزهير م سنة ٦٣٥ ،  
والنابغة سنة ٦٠٤ ، والأعشى سنة ٦١٢ ، وليبيد م سنة ٦٤٥ ، وعمرو بن كلثوم ،  
وطرفة م سنة ٥٦٥ م ، - : هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب  
« السموط » ، وقد أدركنا أكثر أهل العلم يقولون إن بعدهن سبعا ما هن  
بدونهن ولقد تلا أصحابنا أصحاب الأوائل فاقصروا ، وهن « المجمهرات » ،  
لعبيد وعنترة م سنة ٦٠٠ وعدي م سنة ٥٨٠ ، وبشر بن أبي خازم وأمية بن أبي  
الصلت وخداش بن زهير والنمر بن توبل ، وأما منتقيات العرب فمن للمسيب  
والمرقش والتملس وعروة بن الورد ومهلل ودريد بن الصمة والمنتخل ،  
وأما المذهبات فلأوس والخزرج خاصة ، وهن لحسان وابن رواحة ومالك  
ابن العجلان وقيس بن الخطيم وأحيحة بن الجلاح وأبي قيس بن الأسلت  
وعمر بن امرىء القيس ، « وعيون المراني سبع » ، لأبي ذؤيب وعلقمة بن  
ذى جندن ( م ٥٤٠ م ) وكعب بن سعد الغنوي والأعشى الباهلي وأبي زيد الطائي  
ومالك بن الربيع وتمتم بن نويرة ، وأما « مشوبات العرب » ، وهن اللاتي  
شابهن الكفر والإسلام فللعدي وكعب بن زهير والقطامي والحطيئة  
والشماخ وعمرو بن أحمر وابن مقبل ، وأما الملاحمات السبع ، فمن للفرزدق  
وجرير والأخطل والراعي وذو الرمة والكميت والطرماح . قال المفضل :  
فهذه التسع والأربعون قصيدة عيون أشعار العرب في الجاهلية والإسلام (١) .  
ونحن في هذا النص نجد تقسيما جديدا لا إلف لنا به للقصائد الشعرية  
في الجاهلية والإسلام ، حيث يقسمها المفضل م ١٨٩ هـ إلى سبعة أنواع ويمدها .

(ب) والظاهر أن صاحب الجمهرة وهو أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي كان يقتله على المعضل وتأثر به وبرأيه هذا فرتب الجمهرة وقصائدها وفق هذا التقسيم . كما نلاحظ أنه بدلا من أن يقول « السموط » سماها « المعلقات » وعرضها واحدة بعد واحدة بعد أن قدمها بوصف المعلقات ولكنه زاد عليها واحدة هي قصيدة عنتره ، فهي عند أبي زيد ثمان ، وهي :

١ - معلقة امرئ القيس : قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

٢ - زهير : أمن أم أو في دمنة لم تكلم

٣ - النابغة ومطلعا :

عوجوا فحجوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نوى وأحجار ؟  
٤ - معلقة الأعشى ومطلعا :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالى وما ترد سؤالى

٥ - معلقة لبيد : عفت الديار محلها فقامها

٦ - معلقة عمرو بن كلثوم : ألا هي بصحنك فاصبحينا

٧ - طرفة : لخولة أطلال ببرة ثمهد

٨ - عنتره : هل غادر الشعراء من مردم ؟

وبذلك نجد أنفسنا أمام اسم « المعلقات » ، وهي قصائد سبع أو ثمان

لأشهر شعراء الجاهلية (١) .

---

(١) قال حماد طروراية : كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوا منه

كان مقبولا وماردوا منه كان مردودا فقدم عليهم علقمة الفحل فأشدهم قصيدته التي أولها :

هل ماعلت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأنتك اليوم مصروم

فقالوا : هذه سمط الدهر ثم عاد إليهم العام المقبل فأشدهم قصيدته التي أولها :

طحا بك قلب ، ، فقالوا : هانان سمط الدهر

كما يروى أن حمادا لما رأى زهد الناس في الشعر جمع لهم هذه القصائد السبع

(ح) ويروى أن زهيراً كان يسمى كبار قصائده الحوايات (١).  
ويقول الجاحظ : « ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة عنده  
حولاً كريماً (٢) وزمناً طويلاً يردد فيها نظره ، وكانوا يسمون تلك القصائد  
« الحوايات ، و « المقلدات ، و « المنقحات ، و « المحكمات ، ليصير قائلها ،  
فخلاً خنذيذاً وشاعراً مقلماً ، (٣) .

ونجد في هذه النصوص أسماء جديدة للقصائد الجاهلية ، ولكن الذي  
يهمنا من كل هذه الأسماء هو « المعلقات ،

(د) ويقول ابن قتيبة في قصيدة عبيد بن الأبرص « أقفر من أهله  
مذحوب ، : « وهذه القصيدة أجود شعره وهي « إحدى السبع (٤) ،  
فكأنه يعلها من السبع الطوال أو السبع المعلقات . ويقول في قصيدة  
عنترة : « هل غادر الشعراء من متردم ؟ : وكانت العرب تسميها

---

وقال : هذه هي المشهورات ، فسميت « القصائد المشهورة ، وعلى هامش شرح  
الزوزني للمعلقات ما نصه : « إنما سميت المعلقات لأن العرب في الجاهلية كان الرجل  
منهم يقول الشعر في أقصى الأرض فلا يعبا به ولا ينشده أحد حتى يأتي مكة  
فيمرضه على أندية قريش فان استحسونه روى وكان نغراً لقائله وإن لم يستحسنوه  
طرح ولم يعبا به ، قال أبو عمرو بن العلاء : وكانت العرب تجتمع في كل عام بمكة  
وكانت تعرض أشعارها على هذا الحمى من قريش ، قال ابن السكلي : فأول شعر  
امرئ القيس علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر إليه فعلق  
الشعراء بعده وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية وعدد من علق شعره سبعة إلا  
أن عبد الملك طرح شعر أربعة منهم وأثبت مسكانهم أربعة ، وروى آخرون إن  
بعض أمراء بني أمية أمر من اختار له سبعة أشعار فسيماها المعلقات الثواني ، وبذلك  
نجد أول تفسير لتسمية القصائد بالمعلقات وهي تعليقها على الكعبة وأول من  
قال بذلك ابن السكلي .

(١) الشعر والشعراء ، ١٤٩ ج ١ البيان والتبيين

(٢) أي كاملاً (٣) ٢١ ج ٢ البيان والتبيين (٤) ص ٨٥ الشعر والشعراء

الذهبية ، (١) . ويقول في قصيدة عمرو بن كاثوم : « الألهي بصحنك الخ » .  
« وهي من جيد شعر العرب وإحدى السبع المعلقة » ، (٢) .

( هـ ) ويقول ابن عبد ربه في العقد :

وقد بلغ من كلف العرب وتفصيلها للشعر أن عمدت إلى سبع قصائد من  
الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطى المدرجة وعلقتها في أستار  
الكعبة ، فنه يقال مذهبة امرئ القيس ، ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع  
وقد يقال لها المعلقة (٣) .

ونجد أنفسنا في هذا النص أمام تفسير المعلقة وبيان لشعر تسميه هذه  
القصائد بهذا الاسم (٤) ، وهو مقتبس من من رأى ابن السكبي .

( و ) وفي المزهري للسيوطي مأخوذ عن العمدة لابن رشيقي :  
وكانت المعلقة تسمى المذهبات وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت  
في القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، وقيل بل كان الملك إذا  
استيحت قصيدة يقول : « علّقوا لنا هذه لتكون في خزانتة » ، (٥) .

فتراه يذكر - رواية عن غيره - سبباً آخر لتسمية هذه القصائد بالمعلقة (٦)

---

(١) ٧٦ المرجع (٢) ٦٧ المرجع

(٣) ٣٧٩ ج٣ العقد ، ٣٠٩ تهذيب العقد الفريد

(٤) ويسير على ذلك الرأي البغدادي في خزائن الأدب ، وابن خلدون في المقدمة

(٥) ٢٩٨ ج٢ المزهري ، ويقول ابن رشيقي . وكانت المعلقة تسمى المذهبات

وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر القديم فكتبت في القباطى بماء الذهب  
وعلقت على الكعبة . فلذلك يقال مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره وذكر ذلك  
غير واحد من العلماء ،

(٦) وهذا الرأي هو رأى ابن جعفر النحاس م سنة ٣٣٨ م

قال أبو جعفر النحاس في شرحه للمعلقة : « وقيل إن العرب كانوا

يجمعون بمكلاظ فيتناشدون الأشمار فإذا استحسن الملك - لعله النعمان بن المنذر -  
قصيدة قال : « علّقوا لنا هذه وأبوتوها في خزانتى » . فأما قول من قال إنها علقت في

وقريب من هذا ما ذكره الاسكندري تفسيراً لتسميتها بالمعلقات ، وهو أن العرب لم تكن تكتب في دفاف وإنما كانوا يكتبون في رقاع مستطيلة من الحرير أو الجلد يوصل بعضها ببعض ثم تطوى على عود أو خشبة وتعلق في جدار الرواق أو الخيمة .

ويقول الألوسي صاحب بلوغ الأرب في الجزء الأول منه : وفيها - أي في سوق عكاظ - علق الفصائد السبع الشهيرة افتخاراً بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل .  
هذا ولكن المستشرقين ينكرون تعليق الفصائد بأى حال .

- ٢ -

وبعد فنحن أمام رأيين في سر تسمية هذه الفصائد الجاهلية المشهورة بالمعلقات ، وهما :

الرأى الأول : أنها علق على الكعبة ، ويذهب إليه ابن عبد ربه في العقد ، وابن خلدون في المقدمة والبغدادي في خزنة الأدب (١) وتبعهم كثيرون . وقيل : التعليق كان في سوق عكاظ وهو رأى الألوسي ؛ وقيل إن التعليق كان في الرواق أو الخيمة وهو رأى الاسكندري ، وقيل إن التعليق كان في خزنة الملك وهو رأى أبى جعفر النحاس العالم اللغوى الأديب م ٣٢٨ هـ ولعله يريد بالملك النعمان بن المنذر الذى كان عنده ديوان مكتوب

---

الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة ، وأصح ما قيل ان حمادا الراوية لما رأى زهد الناس في الشعر جمع هذه السبع وحضهم عليها وقال لهم هذه المشهورات فسميت الفصائد المشهورة لهذا ، وقال أبو جعفر في شرحه على تلك المعلقة : واختلّفوا في جمع الفصائد السبع ، وقيل : إن العرب كانوا يجتمعون بعكاظ فيتنشرون الأشعار فإذا استحسن الملك قصيدة قال : علقوا لنا هذه وأثبتوها في خزانتى ،

وأما قول من قال إنها علق بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة (١) وأول من قال بتعليقها على الكعبة وتسميتها بالمعلقات من أجل ذلك هو - كما في كتاب الآداب العربية للرافعى - هشام بن الكلبي الراوية م ٤٠٤ هـ

جمع فيه أشعار الفحول ، وينكر أبو جعفر تعليقها على الكعبة ذا كراً أن ذلك لا يعرفه أحد من الرواة . وبعض الباحثين كابن رشيق والسيوطي يذكرون الرأيين ، أنها عُلقت على الكعبة أو في خزانة الملك ،

أما الرأي الثاني : فينكر مسألة تعليقها بأى شكل من الأشكال ولون من الألوان ، ومن أصحاب هذا الرأي المستشرق الألماني نولدكه الذى كتب بحثاً فى هذا الموضوع ، ورجح (١) أن المعلقات معناها المنتخبات وأنها سميت بذلك تشبيهاً لها بالقلائد التى تعلق فى النحور ، واستدل على ذلك بأن من أسمائها السموط والقلائد . وقد أيد رأيه الأستاذ كليمان هيوار الفرنسى الذى ألف باللغة الفرنسية كتاباً فى الأدب العربى ، فرأى أن المعلقات جمع معلقة بمعنى القلادة بدليل أنهم يسمونها أيضاً السموط بمعنى العقود والآلىء . وأيد هذا الرأي داسكندر أغا ابيتاريوس ، فى كتابه «تزيين نهاية العرب فى أنباء العرب» ، حيث قال : إن العلماء من المتقدمين قد انتخبوا من نفائس أشعار القدماء القصائد المسببات التى هى سبعة أسابيع ورواها صاحب الجهرة وأولها المعلقات ، ويرجح نيكلسون المستشرق الإنجليزى المشهور أن كلمة معلقة قد اشتقت من قولهم «علق» ، وهو الشئ النفيس الثمين العالى المستوى ، وذلك لأن الإنسان يتعلق بها تعلقاً شديداً ثم قال : وقد ظهرت خرافة تزعم أن تسمية المعلقات بهذا الاسم راجعة لتعليقها بأستار الكعبة تقديراً لفضلها الذى قضى لها به المحكومون فى عكاظ على مقربة من مكة حيث يجتمع الشعراء متنافسين فى إنشاد أروع ما دبحته قرايحهم وأنها كانت تكتب بماء

(١) ونص كلام نولدكه - كما ورد فى الفصل الذى كتبه عن المعلقات فى دائرة المعارف البريطانية - هو : « إن قصة القول بأن هذه القصائد كتبت بالذهب ترجع إلى تسميتها بالقصائد المذهبات وهى تسمية مجازية للدلالة على عظم أمرها وكذلك يجب أن تؤول تسميتها بالمعلقات على هذا الأساس نفسه فن المحتمل جداً أن تعنى هذه التسمية أن هذه القصائد قد سمت إلى درجة خاصة ، وهناك اشتقاق آخر من المادة نفسها وهو كلمة علق بمعنى الشئ النفيس ،

(١٨)

الذهب على القباطى الواردة من مصر قبل تعليقها على الكعبة (١).  
ومن استبعد تعليقها على الكعبة الأستاذ حامد مصطفى وأيد رأيه بمدة  
أدلة (٢)، وذهب إلى أنها سميت بالمعلقات لتعلقها وحفظها فى الرأس أو فى  
الدفاتر عناية بها لنفسها.

وردا أصحاب الرأى الأول على من ينكرون تعليقها على الكعبة بأن  
تعليق الصحف الخطيرة على الكعبة كان سنة فى الجاهلية والإسلام، كتعليق  
قريش الصحيفة التى وكدوا فيها على أنفسهم مقاطعة بنى هاشم والمطلب،  
وكتعليق هرون الرشيد لعهد بالخلافة من بعده إلى ابنيه الأمين والمأمون،  
فأى مانع يمنع أن تكون هذه القصائد لخطرها وبعد أثرها قد علفت فى  
الكعبة؟ ولذلك مثيل فى الأدب الإغريقى القديم. فإن القصيدة التى نظمها  
زعيم الشعر الفنائى بندار فى المدح قد كتبها الإغريقى بالذهب على جدران  
معبد أثينا فى لمنوس. هكذا بقول التبريزى: وذهب فريق إلى أن وجه  
تسميتها بالمعلقات علوقها بأذهان صغارهم وكبارهم ومرؤوسيههم ورؤسائهم  
وذلك لشدة اعتنائهم بها.

وبعد: فالمعلقات كانت مشارع بحاب الرواة والأدباء والنقاد وتقديرهم  
وحبهم، علفت بأذهان الجميع، وحفظوها ورددوها.

فليس يبعد أن يكون رأى التبريزى هو أرجح الآراء فى هذه التسمية  
لتلك القصائد الرائعة.

---

(١) أما أن بعض هذه المعلقات قد أنشد فى عكاظ فلم وأما أنها سميت  
بالمذهبات لكتابتها فى القباطى بماء الذهب فقدير مسلم، إذ ربما كانت تسميتها  
بالمذهبات لجليل قيمتها الأدبية وعظيم خطرها الفنى.

(٢) تاريخ أدب اللغة العربية فى العصر الجاهلى ط، ١٣٦ هـ. ومن هذه  
الأدلة: ما فى بعض المعلقات من خرماء يبعد تعليقها على الكعبة، واختلاف الرواة  
فى عددها وأصحابها، وعدم ورود شئ لنا عنها فى عصر الرسول. ولأن أول  
من ذكر تعليقها على الكعبة هو ابن الكلبي م ٤ ٢ هـ وهو رواية غير موثوق به.

عدد المعلقات :

وعدد هذه القصائد وأصحابها مختلف فيه :

- ١ - فقد سبق أن ذكرنا نقلا عن المفضل وسواه أنها سبع لامرىء القيس والنابعة وزهير والاعشى وطرفة وليبيد وعمرو بن كلثوم .
- ٢ - ويجعلها صاحب الجهرة ثمانية بإضافة عنبرة ومعلقته الميمية إلى ما سبق .
- ٣ - ويجعلها الزوزنى تسعة : لامرىء القيس والنابعة والاعشى وزهير وطرفة وليبيد وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنبرة ، بزيادة الحارث ان حلزة .

٤ - ويجعلها النعماني الحلبي شارح المعلقات في كتابه نهاية الأرب من شرح معلقات العرب ، الذي ألفه سنة ١٣٢٤ هـ - عشرة وذلك بإضافة قصيدة عبيد بن الأبرص :

ليس (١) رسم على الدفين بيالى فلوى ذروة لجنبي ذبال  
ولكنه يحمل معلقة الأعشى هي :

ألم تغتمض عينك ليلة أرمدا وببت كابات السليم مسهدا (٢)  
ومعلقة النابعة هي :

يادارمبة بالعلياء فالسند أقوت وطال علمها سالف الأمد

٥ - وأكثر الرواة على أنها سبع لامرىء القيس وزهير وطرفة وليبيد

---

(١) الدفين : قرب مكة . اللوى : متقطع الرمل . ذروة : واد لبني فزارة ذبال : رملة تواجه ذروة

(٢) وذلك بدلا من قصيدته : ما بكاه الكبير بالأطلال . وبعض الرواة يذكرون أن معلقة الأعشى هي :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وعنونة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة .

### شرح المملقات :

وقد شرح هذه المملقات كثيرون منهم . أبو جعفر النحاس م ٣٣٨ هـ .  
والزوزنى م ١٧٥ هـ ، ومحمد بدر الدين أبو فراس النعماني الحلبي في القرن  
الرابع عشر الهجري ، كما شرحها كثيرون ممن عداهم .

وطبعت المملقات طبعت كثيرة باللغة العربية في الشرق والغرب وطبعها  
سير شارلز ليبل سنة ١٨٩٤ بكاكتا ، كما ترجم نولدك خمس مملقات ؛ مسقطا  
معلقة امرى . القبس وطرفة وأرفق بها شرحا بالألمانية وهي أمتع ترجمة كما  
ترجمها إلى الإنجليزية شعراً مع شىء من التصرف مستر والفرد بلنت ولادى  
آ بلنت ، ومن أشهر طبعتها طبعة ليدسيا بعناية العلامة أر نولد سنة ١٨٥٠م

### منزلة المملقات في الشعر الجاهلي :

والمملقات منزلة عظيمة في الشعر الجاهلي ، فهي أعلى قصائده طبقة في  
البلاغة وبعد الأثر وجلال التأثير والسحر ؛ وهي اشعرا . بمقازين في منزلتهم  
في هذه التجربة المقفرة البدوية ، فوق أنها هي الناطقة بمجد العرب ومحمد  
وأخبارهم ، شاعدا صدق على أخلافهم وطباؤهم وعاداتهم ولون تفكيرهم ،  
وتمتاز بطولها وزقتها وهذبتها ووروعتها وبجمال معانيها وسحر أساليبها وجزالتها  
وشدة أمرها . فوق تنوع فنونها وأغراضها ، وما فيها من تشبيه ساحر  
واستعارة نادرة وكتابة طريفة . وهي مع ذلك ثروة لغوية كبيرة لا غنى  
عنها للباحثين والمتعلمين .

واهتمام الرواة والعلماء والأدباء والنقاد والشارحين والناشرين بهادليل  
على مالها من مكانة في الأدب العربي قديم والحديث على السواء (١) .

وسنحلل هذه المملقات الآن واحدة واحدة فنقول :

(١) راجع في تفسير كلمة المملقات ٣٧٩ : ٣ العقد الفريد ، و ٥٨١ ، مقدمة ابن خلدون .

## معلقة طرفة

١ - طرفة بن العبد البكري شاعر جاهلي مشهور ، نشأ يتيمًا في كفالة أعمامه ، يؤثر اللهو والدعة والبطالة ويدهن الخمر ، ويهجو الناس حتى الملك عمرو بن هند الذي أضمر له الشر وأرسله لعامله بالبحرين فقتله ، ولم يتجاوز السادسة والعشرين ، وتقول أخته الخزقي في رثائه .

عددنا له سنا وعشرين حجة فلما توفاهما استوى سيدنا نحميا

وكان طرفة ملتهب المشاعر والمواطف ، حاد التفكير واللسان . وتأجج الشعاعية ، نظم الشعر يصور فيه حياته وآماله وبطائنه ، وكان يصف فيجيد الوصف ويأتي بالحكمة العالية والفكرة الرائعة ، وهو أجود الجاهليين طويلاً كما يقول ابن قتيبة (١) وشعره قليل بأيدي الرواة (٢) .

٢ - ومطلع هذه المعلقة الرائعة :

لخولة أطلال ببرة ثممد نلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد (٣)

وقد عد بها الشاعر من فحول الشعراء الجاهليين ومشهورهم ، واستحق من أجلها أن يضعه أبو عبيدة في الطبقة الثانية مهم وإن سلام في الطبقة الرابعة وأن يذهب بعض الشعراء والنقاد إلى أنه أشعر الجاهليين . وهي أطول المعلقات ، أبياتها خمسة ومائة بيت ، وتمتاز بكثرة معانيها وجزالة أسلوبها . نظمها طرفة بعد عودته إلى أرض قومه إثر تنقله في الأحياء حين كان مغاضباً لقومه وعشيرته ، وقبل أن يتصل بملوك الحيرة وينادهم .

ويبدو من روح المعلقة ولهجتها أن الشاعر نظمها عتاباً لابن عمه ، ويبدو أيضاً أن السبب في عتابه له أن أخاه د معبدا ، كان له لبل يرعاها هو وأخوه

(١) ٤٩ الشعر والشعراء (٢) ٤٩ الشعر والشعراء ، و٤٩ طبقات الشعراء

(٣) خولة : اسم محبوبته . ثممد : أكمة في بلاد خثعم . نلوح : تظهر

طرفة ، فأغلبها طرفة في المرعى حتى دخلت مرعى ابن عمه فوجزها الملام معبد أخاه ، وألقى عليه عبء ظلمها واستردادها من ابن عمه . فذهب طرفة بإيه ، فلم يجد كلامه معه ، فعاد ثائراً غاضباً ، ونظم قصيدته يهاتب فيها عبد عمرو عتاباً شديداً قاسياً مما تفرزه في المعلقة في قوله :

فمالي أراني وابن عمي مالكا	من أدن منه ينأ عني ويبعد
وأيأسني من كل خير طليته	كأنا وضعناه على رأس الجهد
على غير شيء قلته غير أني	نشدت فلم أغفل جمولة معبد
وإن أدع للجلى أكن من حماها	وإن تأتلك الأعداء بالجهد أجهد
فلو كان مولاي امراً هو غيره	لفرج كربى أو لأنظرتى شدى
ولكن مولاي امرؤ هو خانتي	على الشكر والتسأل أو أنا مفقد
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة	على المرء من وقع الحسام المهند
فلوشاء ربى كنت قيس بن خالد	ولوشاء ربى كنت عمرو بن مرثد (١)
فأصبحت ذا مال كثير وعادنى	بنون كرام سادة لمسود

ولما سمع عبد عمرو بن مرثد معلقة طرفة أرسل اليه ، فقال له : أما الولد فأنه يعطيك ، وأما المال فلا تبرح حتى تسكون من أوسطنا فيه ، وأمر سبعة من أبنائه وثلاثة من بنى أبنائه أن يعطوه عشرا عشرا من الإبل ففعلوا .

ويذكر بعض الباحثين من المستشرقين أن المعلقة لم توضع مرة واحدة ، كقوله :

إذا مت فإنعني بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد

وما يليه من أبيات قالها وهو في سجن البحرين قبيل موته وهذا خطأ في البحث ، فلم يقل طرفة هذه الأبيات وهو في سجن البحرين ، بل نظمها ونظم

(١) قيس بن خالد ذو الجدين من عظماء سادة الشيبانيين ، وعمرو بن مرثد ذو ابن عم الشاعر .

القصيدة كلها مرة واحدة وهو صحيح مقبم في أرض قومه ، والقصيدة قطعة واحدة من الشعر الحى والتصوير الرائع والديبااجة الساحرة ، والوصف الصادق .

٣ - وتمتاز المعلقة بوفرة معانيها وتنوع أغراضها وجمعها بين السهولة والغرابة فى اللفظ ، وبين الرقة والمتانة فى الأسلوب ، وبين الحكمة واللمو والجد والهزل فى النهج والحياة .

وتصور الشاعر وحياته وأمانيه ومطامحه ولذاته ولحموه وبينته والحياة فيها تصويراً جميلاً رائعاً بالفا حد الدقة والإحكام والجمال .

٤ - وحدة القصيدة وفنونها :

ونحن نقف أمامها معجبين بجمالها وانسجامها وقوة شاعريتها وتأجيج عواطف الشاعر فيها ، وهذه الوحدة التامة الظاهرة على أغراضها وفنون القول فيها :

١ - بدأها الشاعر بالغزل : فذكر أطلال خولة محبوبته ووقف عليها وبكاها :

لخولة أطلال بيرة همد تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد  
وقوفاً بها صحى على مطيهم يقولون لاتهلك أمدى وتجلد  
ثم يذكر قباب خولة وهى طاعنة ، ويشبهها بالسفينة تشبيهاً جميلاً  
قويماً فيقول :

كأن حدوج المالكية غدوة خلا ياسفين بالنواصف من دد  
عدوابة أو من سفين ابن يامن يجورها الملاح طوراً ويتهدى  
يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المقابل باليد (١)

(١) الحدوج : القباب . المالكية : هى خولة . الخلايا : جمع خلية وهى السفينة الكبيرة . النواصف : مجاري الماء إلى البحر . دد أرض معروفة ، وعدوابة :

وهو في هذا الوصف يرسم صورة جميلة للسفن الكبيرة التي كان يراها  
ويشاهدها تسير في الماء على شواطئ البحرين وسواها .

ثم يصف جمال محبوبته وينعتها متاجمة بلا قويا مؤثرا عذبا يدل على امتلاء  
نفسه بالحب وعلى خضوعه لأسر الجمال :

وفي الحى أحوى ينفض المرد شادن

مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد (١)

وتبسم عن المي كأن منورا تحمل حر الرمل دعص له ندى (٢)

وجوه كأن الشمس حلت رداها عليه ، نقي اللون لم يتخذ (٣)

ب - ثم يأخذ الشاعر في وصف ناقتة التي يسير عليها ليسل عن نفسه

الهموم والأحزان ، ووصفه لها طويل في خمسة وثلاثين بيتا ، ويحى به في

---

أى قديمة ، وأهى الكبيرة من السفن ، وتنسب إلى موضع يقال له عدولى . ابن  
يامن : ملاح قديم من أهل البحرين . يجور : يضل . يهتدى : أى يعرف طريق  
السير .

حجاب الماء : طرائقه وما ارتفع منه . الحيزوم : الصدر . المغايل : الذى  
يجمع ترابا ويحى . فيه شيئا مثل الحلقة ويقسم التراب نصفين ويطنبه في أحدهما فان  
أصاب ظفر وإن أخطأ قر

(١) أحوى : فى لونه حوة وهى السواد . والمرد : شجر الأراك . الشادن :

ولد الظبية إذا قوى . سمطى : خيطى . مظاهر : يضع واحدا على آخر . اللؤلؤ

والزبرجد : جوهران معروفان

(٢) تبسم : يفتر ثغرها . اللعى : سواد فى الشفة . المنور : الأفحوان . تخلله

توسطه ودخل فيه . حر الرمل : النقى منه . الدعص : الكشيب الصفير من

الرمل . الندى : من صفة الأفحوان يصفه بالندوة

(٣) حلت : ألفت . رداها : بهاها . يتخذ : يضطرب حتى تصير فيه

شقوق .

لفظ غامض غريب لا تكاد تفهمه إلا بصعوبة وعسر ودشقة ومراجعة وطول عنا .

قال طرفة فيما قال في وصف ناقته :

وإني لأمضى الهم عند احتضاره بهوجاء مرقال تروح وتفتدى (١)  
أمون كالوواح الأران نساتها على لاحب كأنه ظهر بوجد (٢)  
إلى أن يقول :

وإن شدت لم ترقل وإن شدت أرقات مخافة ملوى من القد محصد (٣)  
على مثلها أمضى إذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك منها وأفتدى (٤)  
وجاشت إليه النمس خوفاً وخاله مصابا ولو أمسى على غير مرصد (٥)

ج - ثم يفتخر الشاعر بنفسه ويفرغ لها ويصف فتوته وكرمه ولذاته  
ومجده ولهوه بشرب الرياح ، في وضوح وسهولة فيقول :

إذا القوم قالوا : من فتى ؟ خلت أنى

عنيت ، فلم أكسل ولم أتبلد (٦)

---

(١) الهوجاء : الخفيفة الفؤاد ، ويروى بهوجاء وهي المهزولة . مرقال صفة  
للناقة ، أى كثيرة الأرقال ، وهو شدة السير

(٢) الأمون : المأمونة العثار . الأران : التابوت الذى تحمل فيه الموتى .  
نساتها : زجرتها . اللاحب : الطريق الواضح . البرجد : كساء . من أكسية العرب  
شبه استقامة الطريق بخط أبيض يكون فى الكساء من قطن

(٣) الإرقال : ضرب من السير . القد : السوط . المحصد : المحكم الفتل

(٤) الضمير فى منها ، للفازة والبرية

(٥) جاشت : علت . خاله : ظن نفسه . وإن أمسى الخ : أى وإن أمسى

لا يرصد ولا يخاف

(٦) أتبلد : أتخبر . الكسل : المعجز

ولست محلال التلاع مخاة      ولكن متى يسترفد القوم أرفد (١)  
وإن تأتني في حلقة القوم تلقى      وإن تفتنصني في الحوانيت تصطد (٢)  
وإن يلتق الحى الخبيج تلاقى      إلى ذروة البيت الرفيع المصمد (٣)  
ندامى بيض كالنجوم وقينة      تروح علينا بين برد ومجد (٤)

ثم يذكر أثر طوه وشربه الخمر في حياته وبين قبيلته ، ويتحدث عن لذاته في الحياة ويصفها ، ويلوم من يعدله في اللهو والإسراف ويفند رأيهم ويقول إن الكرم المسرف والبخيل المقترم آلهما واحد إلى القبر :

وما زال تشرابى الخور ولذتى      وبيعى وإنفاقى طربى ومتلدى (٥)  
إلى أن نحامتني العشيرة كلها      وأفردت أفراد البعير المعبد (٦)  
رأيت بنى غبراء لا ينكرونى      ولا أهل هذاك الأطراف الممدد (٧)  
ألا أيها اللاتمى أحضر الوغى      وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى  
فإن كنت لا تستطيع دفع منى      فدعنى أبادرها بما ملكت يدى  
ويعتد بلذاته اعتدادا كبيرا ويذكرها :

---

(١) التلاع : الأرض المرتفعة والمنخفضة ، والمراد هنا المعنى الثانى لأن البخيل يحل في الأماكن المنخفضة ، لئلا يراه أحد ، وأرى أنه يجوز أن يحل في الأماكن المرتفعة حتى لا يصل إليه أحد

(٢) حلقة القوم : مجالس أشرافهم . الحوانيت : بيوت الخازين

(٣) الذروة : أعلى الشئ ، المصمد : الذى يصمد إليه أى يقصد

(٤) الندامى : الأصحاب على الخمر . القينة الجارية ، البرد : الثوب الأبيض .

المجد : المصبوغ بالجساد وهو الزعفران

(٥) الطريف : المكتسب . التلميد أو المثلد : الموروث

(٦) نحامتنى : اجتنبتنى . العشيرة : بنوالم ، أفردت : أبعدت ، المعبد :

المذلل المطلى بالقطران

(٧) بنو غبراء : اللصوص . الأطراف : بيت من جلد . يريد أنه لا يشكره صعلوك ولا غنى

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودى  
فمنهن سبق العاذلات بشربة كبيت متى ما تعل بالماء تزبد (١)  
وكرى إذا نادى المضاف بجنيا كسيد الغضا نيهته المتورد (٢)  
وتقصير يرم الدجن والدجن معجب بهم-كثة تحت الطراف الممدد (٣)  
أى شرب الراح وركوب الخيل ، واللهو مع امرأة جميلة :

أرى قبر نحماس بجبل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد (٤)  
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد (٥)  
أرى الدهر كثر ناقصا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينزد  
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المارخى وثيابه باليد (٦)  
د - ثم ينتقل إلى عتاب ابن عمه مالك وقد سبق أن ذكرناه فى  
أول المعلقة .

هـ - يعود إلى التحدث عن نفسه ووصفها بالذكا والشجاعة ، ويتبنا  
بموته ويطلب من ابنة أخيه معبد أن تبكيه إذ مات :

إذا مت فانهينى بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد  
ولا تجعلينى كأمرى- ليس همه كهمنى ولا يغنى غنائى ومشهدى

- 
- (١) كبيت : خمرة تضرب إلى السواد ، تعل : أى يصب الماء عليها  
(٢) كرى : عطشى ، المضاف : الذى أضافته الهموم ، المجنب : الفرس  
المعوجة الساقين ، السيد : الذئب . الغضا : شجر  
(٣) الدجن : المطر الخفيف ، معجب أى يعجب من رآه ، البهكمة : التامة  
- الخلق أو الحسناء  
(٤) النحماس : يريد البخيل ، الغوى : الذى يتبع هواه ولذته . البطالة : اتباع  
الهوى والجهل  
(٥) يعتام : يختار ، الكرام : الخيار الأماج ، بصطفى : ينتخب ، عقيلة  
كل شئ : خيرته . الفاحش : القبيح السىء الخلق : المتشدد : كثير البخل  
(٦) الطول : الحبل ، ثيابه : طرفاه

وهو في هذا البيت يعرض بان عمه .

و - ثم ينتقل إلى الحكمة ، فيأتي منها بحكم رائحة وأمنال بليغة رويت على مر الزمان :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا      ويأتيك بالأخبار من لم تزود  
لعمرك ما الأيام إلا معارة      فما استطعت من معروفها فتزود  
عن المرء لا تسأل وسأل عن قرينه      فكل قرين بالمقارن يقتدى  
لعمرك ما أدري وإني لواجل      أفى اليوم إقدام المنية أو غد  
إذا أنت لم تنفع بودك أهله      ولم تنك (١) بالبؤسى عدوك فابعد

### معلقة امرئ القيس (٢)

-- ١ --

فما نبك من ذكرى حبيب ومنزل      بسقط اللوى بين الدخول فحومل

مطلع معلقة امرئ القيس الرائعة الذائعة الشهرة ؛ التي تدل على شخصية صاحبها المرحة ، وروحه الموهوب ، ومجونه المأثور .

أسلوب الفصيحة أسلوب جزل فيه أسر وقوة في عذوبة حيناً ، مع الجمال والصدق والتنقل الخيال ، ومع سحر المطلع وفخامته .

ومعانيها قريبة ، لاتعقيد فيها ، تتكى على الحس والمشاهدات ، فموحين يتحدث عن الحب يصف جمال المرأة ومحاسنها ، وحين يصف الفرس يتحدث عن ساقه ومنتنه وشعره ، وحين يتحدث عن المطر يصف كثرتة وأنه ألقى مياهه على جبل كذا وكذا ففزع العصم وهدمت البيوت وسقطت جذوع

(١) نكبي عدوه : ألحق به العطب والضرر

(٢) درس الباقلاني في كتابه : اعجاز القرآن ، المعلقة دراسة نقد وموازنة

وهي دراسة رائعة جديدة ،

التخييل ، دون أن يتحدث الشاعر عما وراء هذه الأوصاف الحسية في الخيل والمطر أو عن عواطفه الإنسانية في حبه وغزله .

وتمتاز المعلةقة بأنها مظهر للبلاغة العربية ، بما فيها من أساليب البيان ؛ ومناهج الأداء ، وصور التعبير ، وألوان الرسم والخيال والتفكير ؛ وفيها تشبيهات جميلة كثيرة ، واستعارات بالغة حدّ الجاز وكنايات أنيقة ساحرة ، وسوى ذلك من أدوات التعبير والبيان .

-- ٢ --

ولتمصيل ذلك كله نقول :

١ - للمعلقة مطلعها الساحر القوي ، وأسلوبها الجزل ، وخيالها البدوي الموهوب ، وتشبيهاتها الحسية الساذجة المكرورة أحيانا ، وفيها فوق ذلك ورغم الكثير من العاطف البدوية الجافة رقة النسيب ودقة الوصف وتنوع الأعراض وبراعة التصوير والبيان ، وفيها جل ما ابتكره امرؤ القيس من المعاني الشعرية التي فضل بها على غيره من الشعراء وعدها أميرهم وقائدهم ، ففيها بكاء اللديار ، واستيقاف للصحب ، وتجويد في النسيب ، وتصوير لاستهتاره ومجونه ، وقص لذكرياته وأيامه ؛ وإبداع في وصف الليل وضوله ، والفرس ومحاسنه ، والبرق ، والمطر وآثاره .

٢ - وفي المعلةقة الكثير من التشبيهات الجميلة : كتشبيه موقفه حين رحيل أحبائه بموقف ناقف الخنظل في غزارة ما ينهمر منهما من دموع ، كتشبيهه عقب الرائحة من حبيبته بعقب رائحة الدميم وقد جاء برياً القرنفل ، وتشبيهه شحم ناقفه بهداب الدمقس المقتل ؛ والتغرب بالأقحوان المنور ، وتعرض الثريا في السماء بتعرض أثناء الوشاح المفصل ، وتشبيهه ترائب المرأة بالمرآة المجلوة ، وجيدها بمجيد الطبايا ، وبنانها بأساريع الظبي ، وجهالها المشرق بمنارة الراهب المتبتل ، وتشبيهه الليل بموج البحر ، واهتزام الفرس بغلي المرجل ، وأنه أخذ الحسن من جميع الحيوانات ، أخذ من الظبي خاصرته ومن النعاماة ساقها ، ومن الذئب والشعلب مشيهما ، فهو جواد ونباله من جواد ، ضاني

الذيل مستقيم العنق (١) ، لامع الظهر كما تلمع صلاية الخنظل بما يعلق بها من الدهن اللامع أو صلاية عروس تدق فيها العطر والطيب ، وكأن دماء هوادى فريساته في نحره المخضوب عصاراة حناء في شيب مسرح .

٣ - وتمتاز المعلمة بكنائياتها الساحرة ، كثرة ومة الضحى في وصف المرأة بالترف والنعمة ، وقوله « لم تلتطق عن تفضل » في وصفها بأنها عزيزة منعمة لم تعز بعد ذلك ولم تنعم بعد شقاء ، وقوله « إذا ما اسبكرت بين درع ومجول ، يريد إذا بلغت سن الشباب لأن الدرع هو قبيص المرأة والمجول ثوب تلبسه الفتاة وتجول فيه قبل أن تخدر ، وقوله « قيد الأوابد ، في وصف انفرس بسرعة العدو ، وقوله « ولم ينضح بما في غسل ، في وصفه بالنشاط . وفيها كثير من المجازات الجميلة والاستعارات المبدعة ، كقوله « فسلى ثيابي من ثيابك تنسلي ، يريد بالثياب القلب أو الصداقة ، وقوله « وبيضة خدر ، يريد امرأة كريمة محدرة ، وقوله في وصف الليل بالطول « فقلت له لما تمطى بصلجه ، . وقوله « ونتقى بناظرة من وحش وجرة ، وكذلك قوله : « له أبطالا ظبي وساقا نعامة ، من أساليب التجريد أو التشبيه .

٤ - وقد نجد في المعلمة تنقلا في الخيال وفي رسم الصور الشعرية وليكن لا ضير في ذلك : لأن الشعر فن ، والفنون تأبى أن تخضع لقيود المنطق والفلسفة ، وحريتها في التعبير والتصوير هو سر جمالها وخلودها ، وفوق ذلك فإن الشعر صورة للحياة العربية ، في سذاجتها وبساطتها فضلا عن أثر الارتجال والبديهة في نظم اشعر وإنشاده وخاصة في العصر الجاهلي .

٥ - وفي المعلمة وصف لما يحبه العربي من مظاهر الجمال في المرأة وفي الفرس ، وفيها بيان مفصل لزينة المرأة وترفها .

وفيها نواة للقصص الشعرى وخاصة في الغزل ، مما نهج نهجه عمر بن

أبي ربيعة ، ثم بشار ، وأبو نواس .

وليس فيها أثر للمدح ، لأن شخصية امرئ القيس العظيمة أرفع من المدح ، ولأن المعلقة لم تنظم إلا لوصف ذكرياته ولهوه وترفه ومجونه ، بما يرجح أنها نظمت في أيام صباه وشبابه قبل أن يحمل عبء الأخذ بنأر والده ، حيث تجدها خالصة من ذكر الأحداث التي أطافت به بعد ذلك .

وتعدد الأغراض والفنون في القصيدة يتفق ونهج العربي والشعراء الجاهليين في صياغة قصائدهم ، حيث كانوا يروحون عن أنفسهم وسامعهم بهذا الاستطراد الجميل ، وتعدد نواحي القصيدة ومرامها ، حتى تكون أشد أثراً وسحراً .

٦ - وروح الشاعرية في المعلقة متحدة متناسقة إلا في أبيات يضيفها بعض الرواة إليها وهي :

وقربة أقوام جعلت عصامها على كاعل مني ذلول مرحل

وما بعده من أبيات مما تخالف روحها روح المعلقة . والصحيح أن هذه الأبيات لتأبط شراً وأنكرها الكثير من الرواة ، وقبل هي لامرئ القيس في عصر مشيبه وكهولته وأضيفت إلى المعلقة إضافة فهي لا تمثل روحه في فترة شبابه اللاهية الماجنة التي تراها في معلقته .

٧ - وتمثل هذه المعلقة الحياة العربية في كثير من نواحيها المختلفة ، كما تصور حياة امرئ القيس وترفه وروحه اللاهية الممرقة في العبت والمجون أتم التصوير . فهي صورة جميلة واضحة لحياة الشاعر وقومه . وأثر أدبي كبير نستطيع أن نفهم منه الكثير من عادات العرب وأخلاقهم .

-- ٣ --

وقد نشأ امرؤ القيس في بيت سرود ومجد ونعمة ، نجب في سبيل الله وذاق أفوايق الجمال والحب وقضى أيام شبابه في مفازة الغيد الحسان . فكانت له معهن أيام وذكريات فص الكثير منها في هذه المعلقة ، وما برح في لهوه ومجونه حتى ضاق به والده ذرعاً فأبعده عنه ، فأقام مع أمثاله من أهل البطالة

واللهو ، حتى قتل أبوه ، فذهبت سكرته ، وطالت حسرته ، وهب للأخذ  
بشاره ، حتى قضى عليه أخيرا إسراره في الانتقام .

ذلك هو امرؤ القيس قائد الشعراء في الجاهلية ، وحامل لواء الشعر في  
ذلك العصر البعيد ، والمتميز في أبواب الشعر وأغراضه . والمجلى في بيان أسرار  
الجمال واللهو ، وفي رقة الأسلوب وسحره ، وفي جزالة اللفظ وأمره ، وفي  
روائع التشبيه وبدائع الخيال ، وفي ابتداع الكثير من المعاني الشعرية الطريفة  
التي قلده فيها سواء من الشعراء .

وتتناول المعلقة كثيرا من فنون الشعر ، وتحوى الكثير من الأفكار  
المتنوعة ، ففيها بكاء لديار أحبابه في ثلاثة أبيات وتصوير لحيرته وذووله يوم  
رحيلهن واستيقاف لأصحابه ليحملوا معه عبء الحزن والشجى في بيتين ،  
وفيها شرح للهوه وعبثه وقصر لذكرياته وأشجانه مع محبوباته ووصف للجمال  
العربي وزينة المرأة في الجاهلية ولأثر الجمال وسحره في النفوس وذلك في  
عشرين بيتا ، وفيها مناجاة لليل وذكر لطوله وآلامه فيه في خمسة أبيات ،  
ووصف دقيق لفرسه في ثمانية عشر بيتا وللبرق والمطر ونشوة الطبيعة في  
عشرة أبيات ، فأبياتها تبلغ الستين أو تزيد . وهي كلها في درجة من الإحسان  
ليس بعدها من مزيد . ويقول الزوزنى في سبب إنشاد هذه القصيدة :

« السبب في إنشادها هو قصة غدير دارة بجلجل حيث كان امرؤ القيس  
يحب ابنة عمه عنيزة فتركها تستحم في هذا الغدير مع أتراب لها وجمع ملابسهن  
ثم لم يعطها لهن إلا بعد مرورهن أمامه عاريات ، ثم ذبح لهن ناقته ، وقسم  
متاعه عليهن يحملنه ، وركب مع عنيزة في هو ودجها ، .

فما نبك من ذكر حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل (١)  
وهو مطلع جميل ساحر . ثم يستمر فى وصف الديار وآثارها حتى  
يقول :

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لاتبلك أسمى وتجمل  
وان شفأتى عبيرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول؟ (٢)

٢ - ثم يصف ذكريات لهوه وعبثه فيقول فيما يقول :

ويوم عقرت للعذارى مطيتى فيا عجباً من كورها المتحمل (٣)  
فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهذاب الدهقس المقتل (٤)  
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلى (٥)  
تقول (٦) وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيرى يا امرأ البقيس فانزل  
فقلت (٧) لها سيرى وأرنخى زمامه ولا تبعدينى من جنائك الماعل  
فمثلك (٨) حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمامم محول  
ثم يستمر فى غزله :

(١) اللوى : ما التوى من الرمل . سقط اللوى : منتهاه . الدخول وحومل  
ونوضح والمقراة : أسماء أما كن يقع بينها سقط اللوى وفيه منزل الحبيب .

(٢) مهراقة : مراقة مسكوبة . المعول . المستعان به

(٣) المطية هنا : الناقة . العذارى : الابكار . الكور الرجل . المتحمل المحمول

(٤) هداب الدمقس : أطراف الحرير . المقتل : المقتول .

(٥) الخدر : الهودج وهو فى الاصل الستر . عنيزة اسم محبوبته . مرجلى .

فاضحى بين رجلى .

(٦) الغبيط : الرجل . عقرت بعيرى : أدميت ظهره لثقله .

(٧) الجنى : الثمر . الماعل : الذى جنى مرة بعد مرة

(٨) محول : مضى عليه جول

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجمل (١)  
وأنت قسمت الفؤاد فنصفه قتيل ونصف بالحديد مكبل (٢)  
فإن تك قد ساءت مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تسلي (٣)  
وما ذرفت عينك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل (٤)  
إلى أن يقول :

تضىء الظلام بالعشاء كأنها منارة مسمى راهب متبتل  
تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادي عن هواك بمنسلي (٥)  
أغرك مني أن حبك قاتلي وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل

٣ - ثم يصف الليل وطوله فيقول :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على أنواع الهموم ليبتلى (٦)  
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكا-كل (٧)  
الأيام الليل الطويل إلا انجلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل  
فيالك من ليل كان نجومه بكل مغار القتل شدت بيذبل (٨)

٤ - ثم يصف فرسه فيقول :

(١) أزمع الأمر : ثبت عزمه على أمضائه ، الصرم : الهجر . الإجمال : الرفق  
(٢) مكبل : مقيد ، من الكبل وهو القيد  
(٣) الخليقة السجية : الثياب هنا : القلب . تسقط  
(٤) ذرف دمه : سال . السهمان هناهما العينان . الأعشار : أجزاء الجزور  
الذي ينحر في الميسر يأخذ منه السهم المعلى سبعة والرقيب ثلاثة . مقتل :  
أهلكه المشق .

(٥) تسلت : تكشف وانزاحت . عمايات : ضلالات وغوايات منسل . سال

(٦) السدول : الستور ، يبتلى ، يختبر

(٧) الصلب : الظهر ، الأعجاز : المآخير ، الكلكل : الصدر : ناء : نهض

(٨) مغار : محكم شديد . يذبل : اسم جبل ، يصف نجوم الليل بالثياب

وقد أعتدى والطير في وكناتها بمنجرد قبيد الأوابدهيكل (١)  
مكر مفر مقبل مدير معا كجلود صخر حطه السيل من عل (٢)

ثم يذكر الصيد الذي صاده وطهى الطهارة له وسط الصحراء :

فظل طهارة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أو قدیر معجل (٣)

هـ - ثم يصف البرق والمطر في عذوبة وسحر وجمال ، بما لا داعي

لذكره في هذه العجالة السريعة ، فليرجع إليه القارىء في مجموعات  
المعلقات المطبوعة .

### معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي

١ - عمرو بن كلثوم شاعر قديم ، قتل عمرو بن هند الملك . أمه ليل  
بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب أعز العرب ، ووالده كلثوم بن عتاب  
فارس العرب ، وكان عمرو سيداً في قومه من بني تغلب ، وتوفي في أواخر  
القرن السادس الميلادي .

وعمر وشاعر قوى الشاعرية مجيد ، ومعلقته « الأهي بصحنك فاصبحينا ،  
مشهورة ، « وهي من جيد شعر العرب وإحدى السبع المعلقات ، ، وكان  
قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند (٤)

يمتاز عمرو في شعره بالبديهة والارتجال ، وبأسلوبه الرائع ، وأغراضه  
العالية . وهو مقل لم ينظم في فنون الشعر جميعها . وكل ما روى عنه معلقته

---

(١) وكنات جمع وكنة وهي العش . منجرد : قضير الشعر رقيقه ، الأوابد :

الوحش النافرة

(٢) مكر مفر : سريع الكرك والفر ، غل : فوق

(٣) الطهارة : جمع طاه وهو الطباخ . لحم صفيف : صف على النار لبشوى أو

في الشمس ليقدد . قدیر : مطبوخ في القدر

(٤) ٦٧ الشعر والشعراء

وبعض مقطوعات لا تخرج عن موضوعها. وقد أجاد في الفخر إجادة منقطة النظير  
٢ - وللمعلقة مشهورة بالركة والسلاسة والسهولة وفيها تكرير في بعض  
معانيها وألفاظها ، ومبالغة واضحة شديدة في الفخر بما لم يوافق نظيرها في  
الشعر الجاهلي ، مثل :

إذا بلغ الرضيع لنا فظاما تخمر له الجبابر ساجدينا  
ومثل :

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونيطش حين نبطش قادرينا  
وفنون المعلقة كثيرة :

(١) فقد بدأها عمرو بن كلثوم بوصف الخمر ؛ وهذه المعلقة فريدة في هذه  
الناحية ، فلم تبدأ معلقة أو قصيدة بوصف الخمر في الجاهلية إلا هذه القصيدة  
ولعل من ذلك أن تغلب كانت النصرانية موجودة في بعض ربوعها وأن  
الخمر كانت شائعة في هذه الربوع ، قال :

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا (١)  
مشمشة كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا (٢)  
صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس يجراها اليمينا (٣)  
وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا (٤)  
وكأس قد شربت ببعلك وأخرى في دمشق وقاضرينا (٥)  
إذا صمدت حمياها أريباً من القتيان خلعت به جنونا (٦)

(ب) ثم يأخذ في الغزل ووصف محبوبته وجمالها .

- 
- (١) هي : استيقظي ، الصحن : القدر العريض ، اصبحينا : أسقينا الصبوح  
وهو الشرب في الغداة . الأندرينا : جمع الأندروهي قرية بالشام جمعها بماحواليها  
(٢) مشمشة : بمزوجة . الحص : الورس . سخينا : جدناو تكرر من السخاء  
(٣) صددت : أي صرفت . أم عمرو : هي والدته  
(٤) أي لست أنا شر الثلاثة فتعدلي عن الكأس (٥) بلاد معروفة  
(٦) صمدت : قصدت . الحميا : سورة الراح . الأريب : العاقل

ففي قبل التفرق يا ظمينا نخـ برك اليقين وتخبرينا  
ففي نسألك هل أحدثت صرماً لوشك البين أم خنت الأومينا؟ (١)  
أفي ليسلي يعاتبني أبوها وإخوتها وهم لي ظالمونا؟  
(ح) ثم يلتقل إلى الفخر بقومه ومجدهم وعزتهم ، ويهدد الملك عمرو بن  
هند وينذره ويتوعده في أسلوب قوى. جزل مع عذوبة وجمال ، والظاهر  
أن ذلك كان أيام التحاكم أمام عمرو بن هند والمفاخرة بين تغلب وبكر :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخـ برك اليقينا  
بأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرأ قد روينا  
وأيام لنا غر طـ وال عصينا الملك فيها أن ندينا  
ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى يدينا

والجزء الثاني من المعلمة يبدو أنه نظم بعد قتل عمرو بن هند ، وهو :

بأى مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا  
تمـ بدنا وتوعدنا رويدا متى كنا لأملك مقتوينا  
وان قناتنا يا عمر أعت على الأعداء قبلك أن تلبينا

ثم يلتقل إلى ذكر وقائع قومه مفتخراً بها على بكر ، ومنها يوم خزان ،  
ثم يختمها بفخر قوى منه :

وأنا الحماكون إذا أردنا وأنا النازلون بحيث شينا  
وأنا النازلون بكل نغر يخاف النازلون به المنونا  
إذا ما الملك سام الناس خسفا أيينا أن نغر الخسف فينا  
ألا لا يجهلن أحد علمينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا  
ملأنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا  
إذا بلغ الفطام لنا رضيع نخـ له الجبار ساجدينا  
لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

(١) الصرم : الحجر . الوشك : السرعة . البين : الفراق . الأمين : الوفي بعهده

٣ - وبعد فالمعلقة من روائع الفخر ، ويقال إنها كانت تزيد على الألف بيت وإنما وصل إلينا بعضها بما حفظه الناس منها .

والغالب - كما ذكرنا - أن الشاعر نظمها على مرتين : في مفاخرته لبكر عند عمرو بن هند ، وفي حادثة أمه ، ولذلك رأينا فيها إشارة إلى كليهما وقد وقف عمرو بن كلثوم بهذه المعلقة في عكاظ فأنشدتها في موسم مكة ، وكان بنو تغلب يعظمونها ويرونها صغارهم وكبارهم لما حوته من الفخر والحماسة مع جزالتها وسهولة حفظها .

وقد أثرت هذه القصيدة في نفوس قبيلة تغلب ونخروا بها ، واتخذوها أنشودتهم ، حتى قال فيها بعض البكرين :

ألهى بنى تغلب عن جل أمرهم قصيدة قالها عمرو بن كلثوم  
يفأخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مستوم

والميزة الواضحة فيها السهولة والقوة ؛ والاعتداد بالنفس والقبيلة ؛ والمبالغة في الفخر ، وأنها شعر صدر عن سيد قومه يعتز بسيادته وسيادة قبيلته ومجدها وأيامها وبطولة أبطالها وانتصاراتهم .

وبدؤها بالخمر يرجع إلى انتشار النصرانية في تغلب وانتشار الخمر بينهم ، وتسكاد تكون هي القصيدة الوحيدة في بدنها بالخمر على غير عادة الشعراء الجاهليين .

ويعجب النقاد بمعلقة عمرو إعجاباً شديداً ، قال ابن قتيبة : وهي من جيد شعر العرب وإحدى السبع المعلقة (١) ؛ وقدمه بها النقاد (٢) ، وقال مطرف عن عيسى بن عمر : لو وضعت أشعار العرب في كفة وقصيدة عمرو ابن كلثوم في كفة لمالت بأكثرها (٣) .

(١) ص ٦٧ الشعر والشعراء (٢) ص ٤٠ جهرة أشعار العرب

(٣) ص ٤١ المرجع

## معلقة زهير

-- ١ --

وهي أثر آخر من آثار البلاغة العربية القديمة ، تقع في تسعة وخمسين بيتا صاحبها زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ، نشأ في أقاربه بني غطفان ، وتخرج في الشعر على خال أبيه بشامة بن الغدير ، وكان يروي لأوس ابن حجر أيضاً وكان أوس زوج أمه ، فكان شاعراً فخلاً ، كما كان صائب الرأي عاقلاً حازماً حكيماً .

كان يتأله ويتعفف في شعره ؛ ويدل شعره على إيمانه بالبعث :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم (١)

وفضله عمر بن الخطاب على الشعراء لأنه كان لا يعاظر بين القول ولا يتبع حوشى الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه (٢) ،

وكان زهير أحكمهم شعراً وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق وأشدهم مبالغة في المدح (٣) .

كانت حرب داحس والغبراء بين عيس وذبيان ثورق زهيراً وتضاميه ، وتشير شاعريته ، ولما سمى هرم بن سنان والحارث بن عوف المريان في الأصاح وحقن الدماء وتحملوا ديات القتلى أنطلقت تلك المأثرة زهيراً ، فنظم معلقته هذه يمدح هذين السيدين وينوه بعملهما الجليل ويدعو إلى السلم وينفر من الحرب ويصف مآسيها وآلامها ، وهي قصة رائعة ، وتمتاز بحكمها الكثيرة وكان زهير ذا حكمة في شعره .

تحليل للقصيدة :

-- ٢ --

١ بدأ زهير معلقته بذكر الديار وزيارته لها ووقوفه فيها بعد

(١) ٤٥ الشعر والشعراء (٢) ٤٤ المرجع ، ٢٩ طبقات الشعراء ،

٣٠٥ ٢٣ المرهر ، وراجع ٣٢ الجهرة (٣) ٢٩ طبقات الشعراء لابن سلام

عشرين عاما طوالا يتذكر ذكريات حبه ووفائه ، قال :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتشم؟ (١)  
وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد توهم (٢)  
فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم  
ثم أخذ يصف النساء اللاتي ارتحلن عنها ، فيتبعهن ببصره كئيباً حزينا ،  
ويصف الطريق التي سلكها ، والهوادج التي كن فيها والمياه التي نزلن في  
عذوبة وسهولة وجمال إلى أن يقول :

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضمن عصي الحاضر المتخيم (٣)  
تذكرني الأحلام ليلي ومن تطف عليه خيالات الأحبة يحلم  
٢ - ثم ينتقل إلى مدح هرم والحارث والإشادة بمنقبتهما الكريمة في  
إنقاذ السلام وإطفاء الحرب بين عبس وذبيان وتحملهما ديات القتلى من  
مالهما وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير . قال :

سعى (٤) ساعيا غيظ بن مرة ، بعدما تبرزل ما بين العشيـرة بالدم  
فأقسمت (٥) بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قریش وجرهم  
يمينا لنعم (٦) السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

- 
- (١) أم أوفى : محبوبة الشاعر . الدمنة : آثار الديار . تكلم : تتكلم .  
حومانة الدراج والمثلثم : موضعان  
(٢) الحجة : السنة . لأيا : أي بعد لأى ومشقة . توهم : ظن  
(٣) جمام الماء : ما اجتمع منه . والجمام الزرق : المياه الصافية . وضع العصي  
كناية عن الإقامة . الحاضر : النازل على الماء . المتخيم : المقيم  
(٤) غيظ بن مرة من غطفان اسم جد القبيلة . تبرزل : تفجر . الساعيان هما  
هرم والحارث  
(٥) البيت : الكعبة  
(٦) السحيل : ضد المبرم : والمبرم ، المفتول . والسحيل كناية عن الرخاء  
والمبرم عن الشدة

تداركنا عبسا (١) ولذيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر ملشم .  
وقد قلتها (٢) إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من الأمر نسلم  
فأصبحتهما (٣) منها على خير موطن بعقود فيها من عقوق ومأثم  
٣ - ثم ندد بالحرب ووصف فظائعها ودعا إلى السلم وأكده وأوجهه  
على المتحاربين ، قال :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم (٤)  
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا حصرتوها فتضرم (٥)

ثم ينصح قومه بأن يبقوا على السلم ، ويندد بالحصين بن ضمضم وبآثار  
عمله في تهبيج الشر وإعادة نار الحرب ، وكان الحصين حين اجتمع القوم  
للصلح قد حمل على رجل له عنده نار في الحرب فقتله ، ويعيد التنويه بالرجلين  
اللذين احتملا ديات القتلى واحدا واحدا على غير جزيرة أو ذنب كان منهما  
٤ - ثم ينتقل من هذا المجال الرهيب مجال النصح والتوجيه وتأكيده  
السلام إلى مجال الحكمة الإنسانية العامة ، حكمة الرجل المحزب للحياة الذي  
ذاقها وخبرها وعاش في خضمها ثم امتد به العمر فزهدها وانصرف عنها قال :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم  
ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم  
ومن لا يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمسهم (٦)

---

(١) ملشم : امرأة من خزاعة كانت تبيع عطرا فإذا حاربوا اشترى منها  
كافورا لموتاهم .

(٢) واسعا : يمكننا أو خالصا

(٣) العقوق : فطيمة الرحم . المأثم : الأثم والعدوان

(٤) المرجم : المظنون

(٥) ضربه فضرى : أى هجته فهاج . تضرم : تشعل

(٦) المصانعة : المداراة . يضرس بالأضراس . المنسم ، الحافر

ومن يجعل المعروف من دون عرضه      يفره ،      وهن لا يتق الشتم يشتم (١)  
ومهما تكن عند امرى من خليقة      وإن خالها تخفى على الناس تعلم  
سئمت تكاليف الحياة ومن بعش      ثمانين حولا لا أبالك يسأم  
وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله      ولستكنى عن علم ما فى غد عم  
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب      تمته وهن تخطىء يعمر فيهرم

ويختنمها بتأ كيد معروف السيدين المدوحين عليه فيقول :

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم      وهن يكثر التسأل يوما سيحرم

### معلقة عنثرة

- ١ -

عنثرة بن عمرو بن شداد العبسى م ٦١٥ م أحد فرسان العرب  
وأبطالها وشعرائها ، كان عبداً أسود ، وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين أو  
الثلاثة بخاصة رجل وعيره بسواده وسواد أمه وسوى ذلك ، وأنه لا يقول  
الشعر فقال عنثرة : والله إن الناس ليطرافدون الطعام فما حضرت أنت ولا  
أبوك ولا جدك مرفد الناس قط ، وإن الناس ليدعون فى الغارات فيعرفون  
بقسويهم فما رأيتك فى خيل مغيرة فى أوائل الناس قط ، وإن اللبس  
ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطاة فصل . وإنى  
لأحضر البأس ، وأوفى المغمم ، وأعف عن المسألة ، وأجود بما ملكت  
يدى ، وأفصل الخطاة الصماء ، وأما الشعر فستعلم . فغاب حيناً وعاد إليه  
فأنشده معلقته :

هل غادر الشعر من متردم؟ أم هل عرفت الدار بعد توهم؟

وهى أجود شعره ، وكانت العرب تسميها الذهبية .

وشجاعة عنثرة وبسالته وشاعريته دفعت أباه إلى أن يستلمحه باسمه ، وإلى أن

(١) يفره أى يصونه ويقيه

بزوجه عمه ابنته عميلة، وأصبح فارس داحس والغبراء، كما كان فارس عبس،  
وأحد أغربة العرب المشهورين .

- ٢ -

تحليل ونقد للمعلقة :

١ - هي إحدى المعلقات السبع ، ومن روائع الشعر العربي القديم ، مظهرها :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

وتمتاز بالسهولة واللين ، الباديين فيها ، والذين قلما يوجدان في  
الشعر النجدى القديم ، والذين لا يخلوان من نخامة وجزالة ، فهى واضحة  
جدية ، سهلة اللفظ ، قريبة المعنى ، ليس بينها وبين النفس حجاب من هذه  
الجزالة التى تكاد تبلغ الغرابة ، وإنما تسير فى سهولة ويسر ، وترتفع عن  
الإسفاف والابتدال دون تورط فى الغلظة والاعراب .

وعنتره فيها رقيق فى غزله والإشادة ببطولته ، بل هو رقيق فى حديثه  
عن أعدائه ، أليس هو الذى يقول :

فشككت بالرح الأصم ثيابه ليس السكريم على القناب محرم

بل هو رقيق على فرسه ، بألم لآلمه ، ويشقى لشقائه ، ويرى بكاؤه ،  
ويسمع توجعه حين تعبت به رماح الأعداء :

فأزور من وقع القناب بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى وسكان لو علم الكلام مكلمي

وعنتره لا تنتهى به الرقة إلى الضعف ، كما لا تنتهى به الشدة إلى العنف ،  
وكما لا ينتهى به السكر إلى ما يفسد الأخلاق والمروءة ، أو الصحو إلى  
التقصير والعيب والبخل . وهو مقدم إذا كانت الحرب ، عفيف إذا قسمت  
الغنائم ، يحاول أن يصف من أخلاقه ما يشرف به الرجل العربى مما يستغنى  
عن الإبانة عنه ، فيقول هذه الحكامة الرائعة « وكأ علمت شمائلى وتكرمى ،

والمعلقة تصوير واضح لنفسية الشاعر ومشاعره وحياته وعواطفه وبطولته وقوته وبأسه ونضاله الأعداء ، ولا عجب فهي تلبس من نفسه وحياته وتصورها تمام التصوير .

ولو لم نعرف عنتره أو نسمع بأخباره وحياته ، لمر فناء من معلقته بطلا مقداما ، وشجاعا فارسا ، وعرييا كريم الخلق ، رقيق العاطفة ، حار الشعور ، يضع روحه في كفه ، ويبذلها مضحيا في سبيل كرامته وشرفه وبطولته .

٢ - وقد سار الشاعر فيها على نهج غيره من الشعراء ، فذكر الديار كما ذكروها ، ووصف الناقة كما وصفوها ، وافتخر بالكرم والنجدة والبطولة . وفيها كما يقول الدكتور طه حسين معان قلما انتهى إلى مثلها غير عنتره من الشعراء ، ولم يخطيء ابن سلام حين قال : إن هذه القصيدة نادرة ، فهي نادرة حقا ، وكأنها طائفة من الأنعام الموسيقية الكثيرة المختلفة فيما بينها أشد الاختلاف ، وفيها نغمة واحدة متصلة منذ بدء القصيدة إلى نهايتها ، تظهر واضحة حيناً وتحسبها النفس وإن لم تسمها الأذن حيناً آخر ؛ وهذه النغمة التي تكون وحدة هذه القصيدة كما كونت الوحدة في معلقة لبيد ، هي حديث الشاعر إلى صاحبه واستحضار صورتها في نفسه منذ بدء القصيدة ؛ ولكن بين هذه النغمة في قصيدة عنتره وقصيدة لبيد فرقا واضحا جداً ، فهي في قصيدة عنتره حلوة رقيقة تمازج النفس فتمتزج بها لأن عنتره فيما يظهر كان حلو النفس رقيق القلب ، قوى العاطفة ، جاءه ذلك من أنه عز بعد ذلة ، وتحرب بعد رق ، فهو قد شق في صباه وطفولته ، واحتمل الأذى في شبابه ، والذل الذي يمتزج بالنفس فيصنع عواطفها ، ويلطف حديثها ، على حين تجدد هذه النغمة عند لبيد غليظة خشنة ، لبيد يتحدث عن صاحبه في أول القصيدة ويذكرها أثناءها ولكنه ليس متهاكاً عليها ولا متحرجاً من الصد عنها ، فهو يبادل القطيعة بالقطيعة والهجر بالهجر ، أما عنتره فيقول :

واقدر نرات فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

٣ - وفيها عدة تشبيهات رائقة ، كتشبيهه الظلم وقد تبعته النعام بالعبد الأسود وقد ثابت إليه الإبل :

تأوى له قلمص النعام كما أوت حرق بجانبه لأعجم طمطم

ومثل هذا التشبيه الرائع الذي يعجب به النقاد من القدماء ، ويجبونه ، في الأبيات التي وصف فيها نعر صاحبه بالجمال وطيب النشر ، فذكر فأرة المسك وذكر الروضة الأنف التي ألح عليها الغيث حتى زكا نبتها وكثر فيها الذباب مبهتجا نشوان مترنما :

وكان فأرة تاجر بقسيمة      سبقت عوارضها إليك من الفم  
أو روضة أنفا تضمن نبتها      غيث قليل الدمن ليس بمعلم  
جادت عليه كل بكر حرة      فتركن كل قرارة كالدرهم  
سحا وتسكابا فكل عشية      يجرى عليها الماء لم يتصرم  
وخلا الذباب بها فليس بيارح      غردا كفعل الشارب المترنم  
هزجا يحك ذراعاه بذراعاه      قدح المكب على الزناد الأجزم

٤ - وكثير جداً من أبيات هذه المعلقة قد ظاهراً بحظ كبير من الإيجاز والامتلاء والبراعة من اللغو والفضول حتى جرى مجرى الأمثال . وأى الناس لا يتمثل قوله :

وإذا شربت فاني مستهلك      مالي وعرضي وأمر لم يكام  
وإذا صحت فما أقصر عن ندى      وكما علمت شمائل وآكرمي  
أو قوله :

ينبئك من شهد الواقعة أنى      أغشى الوغى وأعف عند المغنم  
أو قوله :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر      للحرب دائرة على ابني ضضم  
الشامى عرضي ولم أشتمهما      والناذرين إذا لقيتهما دمي

بما احتذاه جميل فقال :

وليت رجالاتك قد نذروا دمي وهما يقتلي بابئين لقونى  
أو قوله :

إن يفعلوا فقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم

وجل هذه القصيدة بحرى بحرى المثل ، وينشد على اختلاف العصور  
والبيئات والظروف ، فلا يمل إنشاده . ولا تحس النفس نبوعه ، أو نفورا  
منه ؛ وإنما تحس كأنها تجرى فيه أو كأن هذا الشعور مرآة صافية صادقة  
اسكل نفس كريمة واسكل قلب ذكى واسكل خلق نقي .

ذلك لأن عنتره بحياته وشخصيته ومشاعره وعواطفه وآماله وآلامه  
كان كأنما يتحدث عن النفوس ، ويصف حياة الناس ، يأخذ من تجاربه  
وخبيرته ومن فراسته وذكائه أساليبه وصوره ، ويستمدد من إلمامه بالحياة  
ومعرفته ببيئته مادة يبانه وشعوره وشعره .

فعنتره فى معلقته شاعر يتحدث عن البطولة فى البادية وعن المجتمع الذى  
كان يعيش فيه وعن الحياة التى كان يتأثر بها وعن عواطف الشاعر وعن دخائل  
نفسه حديث المصور الماهر والشاعر العبقرى .

وبعد فكل ما فى المعلقة جيد ، وكل آياتها خلائق أن نطيل الوقوف عنده  
والتفكير فيه والإعجاب به كما يقول الدكتور طه حسين .

- ٣ -

وفنون المعلقة كثيرة :

١ - بدأها عنتره بالانزال فى ابنة عمه عبلة ومخاطبة دارها ذات الذكريات  
الجميلة ، قال :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم (١) ؟

(١) غادر : ترك . متردم : شئ . يصلح لم يكونوا أصلحوه التوهم : الوهم

يا دار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحا دار عبلة واسلمى (١)  
وتجل عبلة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصمان فالمتعلم  
حييت من طلال تقادم عمده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

٢ - واستطرد إلى وصف الروضة :

أو روضة أنفاً تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس تعلم (٢)  
جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كلدرهم (٣)  
وخلا الذباب بها فليس ببارح غردا كععل الشارب المترنم (٤)  
هزجاً يحك ذراعاه بذراعاه قدح المكب على الزناد الأجدم (٥)

٣ - ثم يصف ناقته في أبيات كأبيات طرفة تمتاز بالقرابة :

هل تبلغنى دارها شذنية لعنت بمحروم الشراب مصرم (٦)

٤ - ثم يفتخر بنفسه وشجاعته :

أني على بما علمت فاني سهل مخائفتي إذا لم أظلم  
فاذا ظلمت فان ظلمي باسل مر مذاقته كطعم الملقم  
وإذا شربت فاني مستهلك مالي ، وعرضي وافر لم يكام

(١) الجواء : بلد في نجد من أماكن عيس ، عمى : أى انعمى

(٢) الأنف . التام فى كل شيء ، الدمن : المطر الخفيف ، الغيث : المطر ،

المعلم : ذر العلامة

(٣) جادت : من الجود وهو المطر الكثير : البكر ، السحابة فى أول الربيع

والحرة : البيضاء ، القرارة : القاع كالدرهم . يعنى فى البياض والاستدارة

(٤) خلا : انفرد ، بارح : تارك ، غردا : مترنما

(٥) الهزج : السريع الصوت ، قدح المكب : أى الذى أكد على الزناديقده ،

الاجدم : مقطوع اليد

(٦) تبلغنى : توصلنى ، دارها : منزلها . شذنية : ناقة ، لعنت : جف ضرعها

محروم الشراب : أى ضرخ لالين فيه ، مصرم : جاف

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى  
ويستمر فى التنويه بشجاعته إلى أن يقول :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى  
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق نغرك المتبسم  
لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمهم  
يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بتر فى لبان الأدهم (١)  
مازلت أرميهم بشفرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم (٢)  
فأزور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم  
لو كان يدرى ما المحاررة اشتكى ولسكان لو علم الكلام مكلمى  
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس : ويك عنتر أقدم

٥ — ثم يختمها بتهديد ابنى ضمضم وكانا قد نذراده وتربصا له لأمه  
قتل أباهما فى الحرب ، قال :

ولقد خشيت أن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابنى ضمضم  
الشامى عرضى ولم أشتهمها والناذرين إذا لم أقمهما دمى  
إن يفعلوا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم (٣)

### معلقة لبيد

١ — لبيد بن ربيعة العامرى من سادة العامريين القيسيين وأشرفهم  
وكان يقال لأبيه ربيعة المعترين ، وعمه ملاعب الأسنة عامر بن مالك أخذ  
أربعين مرباعا فى الجاهلية .

- 
- (١) أشطان . حبال ، لبان : صدر ، الأدهم : الفرس الأسود  
(٢) الشفرة : الهزمة التى فى الحلق ، اللبان : الصدر ، تسربل : لبس السربال  
(٣) جزر السباع . أى طعمة لها ، القشعم . الكبير من النور

كان لبيد من شعراء الجاهلية وفرسانهم ، وقال الشعر في الجاهلية في كل غرض ، وأدرك الإسلام وأسلم وهجر الشعر ، وأقام بالكوفة إلى أن مات عام ٤١ هـ عن مائة وسبع وخمسين سنة .

« وسئل لبيد من أشعر الناس ؟ فقال : الملك الضليل ، ثم الشاب القليل ثم الشيخ أبو عقيل يعني نفسه (١) » . وهو من أصحاب المعلقات ، وكان نظم لبيد في الجاهلية نغم العبارة منضد اللفظ قليل الحشو مزادنا بالحكمة العالية والكلم الرائعات ، وهو أحسن الجاهليين تصرفا في الرثاء ، وأكثرهم قدرة على تصوير عواطف المنجوع الحزين ، بلفظ رائق وأسلوب مؤثر ، وقدمه بعض النقاد ، لأنه أفضل الشعراء في الجاهلية والإسلام وأقلمهم لغواً في شعره (٢) . »

٢ - ومعلقة لبيد تمتاز بقوة اللفظ ومتانة الأسلوب ، وبما فيها من تصوير للبادية والحياة والأخلاق فيها .

١ - بدأها لبيد بذكر الديار وخلوها من أصحابها وتعرضها للرباح والأمطار تعبت بها وتمحو معالمها ، قال :

عفت الديار محلها فقامها      بمنى تأبد غولها فرجامها (٣)  
وجلا السيول عن الطلول كأنها      زبر تجدد متونها أفلامها (٤)  
فوقفت أسألها ، وكيف سألنا      صما خوالد ما يبين كلامها (٥)

(١) ٢٩٧ ج ٢ المزهرة . وراجع ٨٨ الشعر والشعراء .

(٢) ٣٨ الجهرة ، وراجع ص ٣٩ من الجهرة أيضا .

(٣) عفت : درست . المحل والمقام : موضع الحلول والاقامة . منى : موضع

فريب من طائفة . تأبد : توحش . الغول : ماء معروف للضباب بجوف طخفة به

نخل . الرجام : جبال بقلوعة الحمى حمى ، ضرية .

(٤) يريد أن السيول كشفت عن الطاول فظهرت كالإكشب تجدد ظهورها .

والزبر جمع زبور وهو المكتاب

(٥) صم : جمع صماء . خوالد : بواق جمع خالدة . والصم البواقى هي الأثافي

ثم يصف رحيل أحبابه عنها حتى يقول :

بل ما تذكر من دنوار، وقد نأت وتقطعت أسبابها ورمامها (١)  
مرية ، حلت بفيد ، وجاورت أهل الحجاز ، فأين منك مرامها (٢)  
وأخيراً يرى لا أن يقسلي ويتعزى حتى يصل إلى رجائه وأمله ، ولكن  
أن يقطع أمله منها ويترك رجاءه فيها ويقطع صلته بها مادامت نوار قد  
تغير وصلها :

فاقطع لبانة من تعرض وصله ولشر واصل خلة صرامها (٣)

ب - ثم يأخذ في وصف ناقته في لفظ غريب وتعبير بدوي متين ؛  
ويطيل في هذا الوصف ، ويشبهها بالأتان الوحشية وبالظبية الرؤوم المنجودة  
إلى أن يقول :

فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحي واجتأب أردية السراب أكامها (٤)  
أفضى اللبانة لأفرط ريبه أو أن يلوم بحاجة لوامها (٥)  
أولم تكن تدرى نوار بأنى وصال عقد حباثل جذامها (٦)  
تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حماءها

ج - ثم يتحدث عن نفسه وعزتها ، ولذات الراح التي شارك فيها ،

(١) نوار : اسم حبيته . الرمام : جمع رمة وهي القطعة من الحبل البالي ، يريد  
أن الوصل تقطعت به الأسباب

(٢) مرية : تنسب إلى مرة بن عوف . فيد : موضع في طريق مكة . مرامها : منالها

(٣) اللبانة : الحاجة . تعرض : تغير . الخلة : الصداقة .

(٤) رقص : ارتفع . اللوامع بالضحي : بمعنى الآل . اجتأب : لبس . أردية :

جمع رداء . السراب : ما يترامى للساثر في الصحراء من شبه الماء مما يكون لازقا  
بالقيعان . أكامها : جمع أكنة

(٥) اللبانة : الحاجة . لا أفرط أى لا أترك . الريبة : الشك والخفاقة . أن

يلوم : أى أن لا يلوم . (٦) أى أصل وأقطع . وهذا مذهب لا يرتضيه  
المنيمون في الحب .

وشجاعته وبطولته في مواقف النزال والنضال، وكرمه وسخائه ونواله للجار  
الفقير والضييف النازل والجار الغريب وللبنائين والمساكين :

وجزور أيسار دعوت لحنفها بمغالق متشابه أعلامها (١)  
فالضييف والجار الغريب كأما هبطا تبالة مخصبا أهضامها (٢)  
تأوى إلى الأطناب كل رزية مثل البلية قاص أهدامها (٣)  
د - ثم يفتخر بقومه ومآثرهم وشرفهم ومجدهم فيقول :

من معشر سلت لهم آباؤهم ونسكل قوم سنة وإمامها  
فبينوا لنا بيتا رفيعاً سمكه فسما إليه كهلها وغلامها  
فانقع بما قسم المليك فإنما قسم الخلائق بيننا علامها  
وإذا الأمانة قسمت في معشر أوفى بأعظم حظنا قسامها  
فهم السعاة إذا العشيرة أفضعت وهم فوارسها وهم حكامها  
وهم ربيع للمجاور فيهم والمرمات إذا تناول عامها

## معلقة الحارث بن حلزة

الحارث بن حلزة اليشكري من بكر، كان سيداً في قومه، وشاعراً  
مجيداً، ارتجمل معلقته ارتجالاً في مجلس عمرو بن هند يستدني بها عطفه ويستجلب  
رضاه ويذرد بها عن قومه، وكان هوى عمرو بن هند مع تغلب، فتحول إلى

(١) الأيسار : اللذين يحضرون القسمة ويضربون بالقداح . المغالق : جمع  
مغلاق وهو السابع من سهام الميسر . متشابه : أى يشبه بعضه بعضاً  
(٢) تبالة : قرية في نجد مشهورة بالخصب . أهضام : جمع هضم وهي بطون  
الأرض المطمئنة .

(٣) الرزية : المرأة التي قد أرزها أهلها أى أهزلها : البلية ناقة الرجل تعقل  
عند قبره حتى تموت . الأطناب : حبال الفساطيط . الأهدام : الخلقان . قاص :  
قصير مرتفع .

العطف على البكرين بسبب هذه التصيدة الرائعة . وليس للحارث إلا آثار قليلة من الشعر مع مملقته هذه

وتمتاز مملقة الحارث بإحكام نسجها وتنوع أعراضها وبأها أثر من آثار البديهة والارتجال :

١ - بدأها بالفرز في محبوبته أسماء :

أذنتنا ببينهما أسماء رب ثاو يحمل منه الثواء (١)

بعد عهد لنا ببرقة شما ، فأدنى ديارها الخلصاء (٢)

لا أرى من عهدت فيها فأبكي اليوم دلها وما يحير البكاء (٣)

ب - ثم انتقل إلى وصف ناقته وكما يقول :

أنلهى بها الهواجر إذ كل ابن هم بلية عمياء (٤)

ج - ثم يعاتب إخوانه من بني تغلب لصلفهم على قومه :

إن إخواننا الأراقم يغلون علينا في قيلمهم إحفاؤا (٥)

يخلطون البرى منابذي الذنب ولا ينفع الخلى الخلاء (٦)

أجمعوا أمرهم عشاء ، فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

من مناد ومن يحيب ، ومن تصهال خيل خلال ذلك رغاء

أيها الناطق المرقش عننا عند عمرو ، وهل لذلك بقاؤا (٧) :

---

(١) الإيدان : الاعلام البين : الفراق . الثواء : الإقامة .

(٢) العهد : اللقاء . وبرقة شما . والخلصاء : موضعان قريبان من دياره

(٣) يحير : يرد ، الدله : الحزن والتحير وذهاب العقل

(٤) الهواجر جمع هاجرة وهي لفتح الجر وقت الظهيرة . عمياء : شديدة

(٥) الأراقم : بطون من تغلب . الغلو . مجاوزة الحد الإحفاؤا : الإلحاح

القييل : القول

(١) الخلى البرى الخالى من الذنب

(٢) الناطق المرقش : أى الواشى المنمق أكاذيبه ووشائياته وأباطيله .

فبقينا على غرائك إنا قبل ما قد وشى بنا الأعداء. (١)  
فبقينا على الشناة تنميئنا حصون وعزة قعسا. (٢)  
ثم يمدح الملك عمرو بن هند حيناً ويستمر في عتاب إخوانه من تغلب  
حيناً آخر :

ملك مقسط ، وأفضل من يمشى ، ومن دون ما لديه الشناء. (٣)  
أبما خطة أردتم فأدو ها إلينا تمشى بها الأملاء. (٤)  
ويسير على هذا النهج من المدح والعتاب .

ج - ثم يفتخر بقومه ومجدهم وأيامهم في صدق وجمال وقوة عاطفة :  
هل علمتم أيام يذهب النساء غوارا لكل حى عوا. (٥)  
إلى آخر هذه القصيدة الرائعة التي يصنع لنا أن نهدا ملحمة شعرية مصفحة  
تنطق بمجد بكر ومفاخرها في الحرب والسلام في الجاهلية .

## أبواب الشعر الجاهلي

### ١ - المدح

١ - من أهم أبواب الشعر العربي ، وكان للمدح ، مكانة كبيرة في العصر  
الجاهلي ، وخاصة بعد أن تكسب الشعراء بالشعر ، واتخذوه صناعة ومدحوا  
به الملوك والرؤساء كالأعشى والتابفة وزهير وغيرهم .

(١) الغرأة : اسم بمعنى الاغراء .

(٢) الشناة : البغضاء . تنميئنا : ترفعنا

(٣) مقسط : عادل

(٤) الخطة : الأمر العظيم الذي يحتاج إلى المخلص منه . أدوها أى فوضوها .

(٥) الغوار : الجماعات من الاشراف .

(٥) الغوار المغاورة العوا : صوت الذئب وهو مستعار للضجيج والصياح

كان الشعراء في الجاهلية يمدحون أبطال القبيلة وساداتها ، ويشيدون  
بمكانتهم بين القبائل ، ويصفون أخلاقهم ومآثرهم ومحامدهم وشجاعتهم  
ويتغننون ببطولتهم .

ثم قصد المتكسبون بالشعر منهم رؤساء القبائل والأمراء والملوك  
فدحوم وأشادوا بمفاخرهم ومكارمهم وأخلاقهم وخلفهم ، وقصة النابغة مع  
النعمان وزهير مع هرم مشهورة .

وتمتاز المدائح الجاهلية ببساطتها وصدقها وبعدها عن الغلو والمبالغة ،  
وهي أثر جميل لشاعريتهم القوية .

ب - صور للمدح الجاهلي :

قال الأعشى الشاعر الجاهلي الفحل يمدح الأسود بن المنذر وهو أخو  
النعمان لأمه ، وكان النعمان ولاء على بنى سعد وغيرهم ، وكان عنده أسرى  
من بنى سعد بن ضبيعة فأتاه الأعشى فدحه وسأله أن يطلقهم ففعل ، ويعد  
صاحب الجمرة هذه المدحة من المعلقات ، ومطلع هذه القصيدة :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

ومنها يخاطب الناقة :

لا تشكى لى وانتجعى الأسود أهل الندى وأهل الفعال  
فرع نبع يهتز فى غصن المجدد ، غزير الندى شديد المحال  
عنده البر والتقى وأمى الشق (١) وحل البعضلات الثقال  
وصلات الأرحام قد علم الناس وفك الأمرى من الأغلال  
وهو ان النفس الكريمة للذكر إذا ما التقت صدور العوالى  
أنت خير من ألف من ألف من القوم إذا ما كبت وجوه الرجال  
وفاء إذا ما أجرت فاغر ت (٢) حبال وصلتها بحبال

(١) الشق : الصدع والكسر . وأسى الشق . رأبه وإصلاحه

(٢) أى نقضت

وعطاء إذا سئمت إذ العذرة (١) فبئس عطية البخال  
أريحي صلت (٢) يبطل له القوم م وقوفا قيامهم للهلال  
وأرى من عصاك أصبح محزواً ناكعب الذي يطعمك على  
جندك الطارف التلميد من الغا رات أهل الهبات والآكال (٣)  
للعدا عندك البوار ومن وا ليت لم يعر عقده باغتيال  
لن يزالوا كذالكم ، ثم لازلت لهم خالداً خلود الجبال

وقال زهير يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف المرى سيدى بنى  
غطفان لسميهما فى الصلح بين عبس وذبيان ، وهى قصيدة من النمط العالى ،  
ولها مكانتها فى البلاغة العربية قال :

تداركتما الأحلاف قد نل عرشها وذبيان قد زلت بأقدامها النعل  
فأصبحتما منها على خير موطن سبيلكما فيه وإن أحزنوا سهل  
رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطينا بها حتى إذا نبت البقل  
وفيهم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل  
على مكثريهم رزق من يعترهم وعند المقلين السباحة والبذل  
وإن جنتهم ألفت حول بيوتهم مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل  
سعى بدمهم قوم لبيكى يدر كوم فلم يفعلوا ولم يليموا (٤) ولم يألوا  
فما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباءهم قبيل  
وهل يثبت الخطى إلا وشيجه وتفرس إلا فى منابتها النخل؟

وقال أبو البرج القاسم بن حنبل المرى فى زفر بن أبى هاشم بن مسعود  
ابن سنان :

(١) العذرة : المعذرة

(٢) الأريحي : من الأريحية وهى الأرياح للندى . الصلت : الماضى فى الحوائج

(٣) أى الاطعام

(٤) يليموا : أى لم يأتوا ما يلامون عليه . وبألوا : يقصروا

من البيض الوجوه بنى سنان لو أنك تستضيء بهم أضواء  
هم حلوا من الشرف المعلى ومن حسب العشيرة حيث شاءوا  
بنات مكام وأساة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء  
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لكم السماء

وقصائد النابغة في مدح ملوك الحيرة وغسان مشهورة معروفة ولاداعي  
لذكرها في هذا المجال الضيق الموجز .

## ٢ - الهجاء

١ - كان الهجاء في الجاهلية يقصد به الخط من شأن قبيلة أو عشيرة ،  
أو فرد من أعداء قبيلة الشاعر وخصومها ، وكان الهجاء سوطاً يصبه الشاعر  
على خصومه وخصوم قبيلته . فيثلمهم ويتنقص من مقامهم ، ويذري بهم ،  
ويضع من مكانتهم ، وينسب اليهم البخل والجبن والذلة والهوان ، وكانت  
الخصومات الكثيرة بين القبائل ، والحروب المشتعلة في الجزيرة العربية في  
العصر الجاهلي ، سببا في الاكثار من شعر الهجاء ، ولكن المأثور من هذا  
الباب لا يضارع المأثور من باب المديح .

ويمتاز فن الهجاء في الجاهلية بالقصد في السب والشتم وتعمد الأوصاف  
الاجتماعية المزرية بالفرد والقبيلة من الهوان والبخل والجبن وسواها .

ب - صور فن الهجاء :

قال عارق الطائي وهو شاعر جاهلي يهجو المناذرة :

والله لو كان ابن جفنة (١) جاركم لكسا الوجوه غضاضة وهوانا  
وسلا سلا يثنين في أعناقكم وإذا لقطع تلسم الأقرانا (٢)

---

(١) يريد به ملك غسان

(٢) الأقران جمع قرن بفتح الراء وهو الجبل . وتقطع الأقران كناية عن

وقال مساور بن هند بن قيس بن زهير يهجو بني أسد :

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف  
أولئك أو منوا جوعاً وخوفاً وقد جاءت بنو أسد وخافوا  
وقال قريظ بن أبيف أحد بني العنبر :

لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا  
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل سوء إحساناً  
كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنساناً  
فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شدوا الإغارة فرساناً وركباناً  
وقال مدرك الفقهسي يهجو عبسا :

وأعرضت عن سلمى وقلت لصاحبي سواء علينا بخل سلمى وجودها  
فلا تحسدن عبسا على ما أصابها وذم حياة قد تولى زهيدها  
تشبه عبس هاشمياً إن تسربلت سراييل خز أنكرتها جلودها

### ٣ - الفخر

وهو تباهى الرجل بنفسه أو قبيلته أو قومه أو أمته . والفخر باب كبير في الشعر الجاهلي ، أكثر الشعراء فيه من الفخر بأحسابهم وأنسابهم وأيامهم وأبطالهم ومآثرهم .

وصوره كثيرة في الشعر الجاهلي ، قال عمرو بن كلثوم يفتخر بقومه أمام الملك عمرو بن هند ملك الحيرة :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقيناً  
بأننا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حراً قد روينا  
وأيام لنا فر طوال عصينا الملك فيما أن نديننا  
ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى يبيننا  
وقد علم القبائل غير فخر إذا قبب بأبطالها بديننا

بأنا العاصمِين إذا أطعنا وأنا الغارمون إذا عصينا  
وأنا المنعمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا أتينا  
وأنا الحاكمون بما أردنا وأنا النازلون بحيث شينا  
ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا  
إذا ما الملك سام الناس خسفا أبيتنا أن نقر الخسف فينا  
إذا بلع القطام لنا رضيع نخز له الجبار ساجديننا  
لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

وعلى نمطها يقول أمية بن أبي الصلت :

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا ما أثرنا البئينا  
وكنا حينما علمت معد أقنا حيث ساورا هاريدنا  
وأنا النازلون بكل نعر وأنا الضاربون إذا التقينا  
وأنا المانعون إذا أردنا وأنا المقبلون إذا دعينا  
وأنا الرافعون على معد أكفا في المكارم ما بقينا  
فمرد بالخفاة من أمانا ويعطينا المفادة من يلينا (١)

وقال الخصفي من محارب واسمه عامر المحاربي :

وأبقيت لنا آباؤنا من تراثهم دعائم مجد كان في الناس معلما  
ونرسى إلى جرثومة أدركت لنا حديثا وعاديا من المجد خضرما (٢)  
بني من بني منهم بناء فمكثوا مكانا لنا منه رفيعا وسلاما  
أوائك قومي إن يلد ببيوتهم أخو حدث يوما فلن يتمضيا  
وكم فيهم من سيد ذي مهابة يهاب إذا ما راند الحرب أضرمنا  
لنا العزة القعساء تحتطم العدى بها ، ثم نستعصم بها أن نخطما

(١) راجع القصيدة في الجهرة ١٨٦ - ١٩٠ ، وقصيدة عمرو بن كلثوم في

الجرهرة أيضا ١١٧ - ١٢٩

(٢) الجرثومة : الاصل . العادي ؛ القديم . الخضرم : الكشير أو الواسع

وهم يدعمون القوم في كل موطن بكل خطيب يترك القوم كظما  
وكنا نجوما كلما انقض كوكب بدا زاهر منهم ليس بأقنما  
فما يستطيع الناس عقدا نشده وتنقضه منهم وإن كان مبرما  
وقال حجر بن خالد الثعلبي وهو شاعر جاهلي :

وجدنا أبانا حل في المجد بيته وأعبا رجالا آخرين مطالعه  
فمن يسع منا لا ينل مثل سعيه ولكن متى ما يرتحل فهو تابعه  
وقال عوف بن عطية النيمي (١) :

أمرك إنني لأخو حفاظ وفي يوم الكربة غير غمر (٢)  
أجود على الأباعد باجتماع ولم أحرم ذوى قرني وإصر (٣)  
ومازى ، فاعلموه ، من خشوع إلى أحد ، وما أزهى بكبر  
ألم تر أننا مردى حروب نسيل كأننا دفاع بجر (٤)  
ونلبس للعدو جلود أسد إذا تلقاهم وجلود نمر  
وزعى ما رعيننا بين عبس وطينها وبين الحى بكر  
وكلمهم عدو غير مبق حديث قرحة يسمى بوت

#### ٤ - الرثاء .

١ - هو ذكر مناقب ابيات ومآثره ومفاخره ، ووصف الحزن عليه  
والجزع لفقده ، وبيان مكانته في قومه وأثره في مجتمعه الذي كان يعيش فيه .  
والرثاء كثير في الشعر الجاهلي ، ومن أمثلته عينية لبيد في رثاء أخيه أربد ،  
ورائية المهلهل في رثاء أخيه كليب ، والرثاء هو الذي هيج شاعرية المهلهل  
فأطال القصيد في رثاء كليب سيد بني ربيعة ، ولامية نابط شرا في رثاء ابن  
أخته ، وسوى ذلك من عيون الرثاء في الشعر الجاهلي .

(١) شاعر جاهلي مفلح ومن فرسان العرب .

(٢) الغمر : الذي لم يجرب الامور . (٣) الإصر : العهد

(٤) مردى حروب : أي تقوم بها ، وأصل المردى الحجر يرى به .

ب - صور لفن الرناء :

قال المهلهل يرثي أخاه كليباً :

أهـاج قـذاة عـيني الـادكار  
وصار اللـيل مشتمـلاً علـينا  
وبت أراقـب الجـوزاء حتـى  
أصـرف مـقلتي فـى إر قوم  
دعوتـك يا كـليب فـم تجـبني  
أجـبني يا كـليب خـلاك ذم  
أجـبني يا كـليب خـلاك ذم  
سقاك الغـيث إنك كـمت غـيـثا  
أبت عـيناي بـعدك أن تـكفـا  
وإنك كـنت تحـلم عـن رجاـل  
وتـمنع أن يـسهم لـسان  
وكنت أـعد قـربى مـنك رجا  
فلا تـبعد فـكل سـوف يـلـقى  
يـعيش المـرء عـند بنـى أبـيه  
أرى طـول الحـياة وقـد تولى  
كأنى إذ نـعى النـاعى كـليباً  
فـدرت وقـد عـشى بـصرى عـليه  
سألـت الحـى أين دفـنتـمـوه ؟  
فـمرت إلـيه مـن بـلدى حـثـينا  
وحـادت ناقتى عـن ظـل قـبر  
أنـغدو يا كـليب مـعـى إذا ما  
أنـغدو يا كـليب مـعـى إذا ما  
أقول لتـغلب والعـز فـيها

هدوا فالدموع لها انحدار  
كأن الليل ليس له نهار  
تقارب من أوائلها انحدار  
تباينت البلاد بهم فغاروا  
وكيف يجبني البلد القفار؟  
ضئبات النفوس لها مزار  
لقد فجعت بفارسها مزار  
ويسرا حين يلتبس اليسار  
كأن غضا القتاد لها شفار  
وتعفو عنهم ولك اقتدار  
مخافة من يجير ولا يحار  
إذا ما عدت الريح التجار  
شعوباً يستدير بها المدار  
ويوشك أن يصير بحيث صاروا  
كما قد يسلب الشيء المعار  
تطائر بين جنبي الشرار  
كما دارت بشاربها العقار  
فقالوا لى بسفح الحى دار  
وطار النوم وامتنع القرار  
ثوى فيه المكارم والفخار  
جبان القوم أنجاه الفرار؟  
حلوق القوم يشحذها الشفار؟  
أثيروها لذلك انتصار

تتابع إخوتى ومضوا لأمر عليه تتابع القوم الحسار (١)  
ولست بمخالع درعى وسيفى إلى أن يخلمع الليل النهار  
وإلا أن تبديد مرارة بكر فلا يسقى لها أبدا آثار  
وقال تأبط شرا فى الرثاء :

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمه ما يطل (٢)

(١) جمع حاسر وهو : من لا مغفرة له ولا درع ولا جنة ، وپروى : الخيار  
(٢) الشعب : طريق فى الجبل . سلع : موضع وهو أرض قوم تأبط شرا .  
طل دمه : ذهب هدرا لا يتأثر به . المعنى : أن القتل الذى بالشعب دون سلع لن  
ينذهب دمه هدرا .  
ترجمة الشاعر :

هو ثابت بن جابر بن سفيان شاعر جاهلى مجيد . سعى تأبط شرا لأنه تأبط  
سيفا وخرج فقيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : تأبطشرا وخرج وكان أحدهم  
العرب المغيرين ، وكان هو والشنفرى الأزدي وحمرو بن براق من أعدى العدائين  
فى العرب . والشنفرى هو ابن أخت تأبط شرا ، ويصف الشنفرى حاله تأبط  
شرا فى قصيدة نائية له فى المفضليات فى الآيات ١٩ - ٢٧ من القصيدة العشرين  
( ص ١٠٦ : ١ المفضليات طبعة المعارف ١٣٦١ ) . والشنفرى شاعر جاهلى لحل  
وتجد ترجمه لتأبط شرا فى الشعر والشعراء . ( ص ٩٢ ط الخانجي ١٣٢٢ هـ )  
القصيدة :

القصيدة عالية الطبقة فى الفصاحة وهى من عيون الشعر الجاهلى ورواها  
صاحب الحماسة ( ٣٤٨ : ١ ديوان الحماسة طبعة محمود توفيق ) وقد ترجمها جوته  
إلى الألمانية ونشرها فى الديوان الشرقى .

وكانت هذيل قد قتلت ابن تأبط شرا ورمت به فى غار فرثاه والده وذكى  
أخذه بثأره فى هذه القصيدة أو هى له فى رثاء ابن أخت له . وقيل إن القصيدة  
للشنفرى يرثى بها خاله تأبط شرا ، وقيل إن القصيدة منحولة نقلها بعض الرواة  
لتأبط شرا وليست له وأنها مولدة ، بدليل قوله « جل حتى دق فيه الاجل » ، فإن  
ذهن الجاهلى لا يكاد يصل إلى مثل هذه الدقة فى الأسلوب والتفكير ، وبدليل ذكره

- خلف العبد على وولى أنا بالعبد له مستقل (١)  
ووراء الثأر منى ابن أخت مصع عقدهته ما تحمل (٢)  
مطرفي يرشح سما كما أطرق . أفعى ينفث السم صل (٣)  
خبير ما ، نابنا ، مصمئل جل حتى دق فيه الأجل (٤)  
بزنى الدهر وكان غشوما بأبي جاره ما يذل (٥)  
شامس فى القر حتى إذا ما زكت الشعرى فبرد وظل (٦)

لسلع وسلع بالمدينة وأين تأبط شرا من سلع ولكنه قتل فى بلاد هذيل ، ويمكننا أن نقول : إنهم رموا بحشته بعيدا عن بلادهم أو أن قومه نقلوه من هذيل إلى ساح أرض قومه .

(١) العبد : الثقل . مستقل : محتمل يقال استقل كذا حمله ورفعته . والمعنى أنه ترك ثقل الثأر على وذهب وأنا قادر على حمل ثقله غير عاجز عن طلبه  
(٢) المصع : الشديد الثابت الشجاع . العقدة : العزيمة . والمعنى : أن هذا الثأر الذى أطلبه إن لم أقدر على أخذه يخلق ابن أخت ثابت الجنان قوى العزيمة لا تنتقض عزمته .

(٣) أطرق : أرخى عينيه ينظر إلى الأرض . الرشح كالعرق . ينفث . يقذف  
الصل : الحبيث من الأفاعى . السم ما يقتل وهو مثلث السين .  
المعنى : إن ابن أختى بطارق إلى الأرض إطراق الحية الرقطاء . شجاع فى الحرب ، مقدم فى النزال لا يسلم أعداؤه من شره .

(٤) المصمئل : الشديد . جل : عظيم . دق : صغر . الأجل : الجليل  
والمعنى أن الذى نزل بنا وأصابنا بخبر موته أمر كبير يصغر عنده ما هو عظيم  
جليل من الحوادث

(٥) بزى الشيء : سلبه إياه والمراد : فجنى به . الغشوم : الظلوم . الأبى :  
الذى لا يحمى الضم .

والمعنى أن الدهر بتجبره وظلمه لجنى وسلبنى رجلا عزيزا ذا أنفة لا يحمى  
الذل يحمى جاره فيعز ولا يضم .

(٦) الشامس : الكائن فى الشمس . القر : البرد ذكت . استعملت  
والمعنى أن هذا الرجل ذر كرم وسخا . فمن لجأ إليه فى الشتاء وجد عنده

يا بس الجبين من غير بؤس وندى الكفين شهم مدل (١)  
 ظاعن بالحزم حتى إذا ما حل حل الحزم حيث يحل (٢)  
 غيث مزن غامر حيث يجدى وإذا يسطو فليث أبل (٣)  
 مسبل فى الحى أحوى رفل وإذا يغزو فسمع أزل (٤)  
 وله طعمان أرى وشرى وكلا الطعمين قد ذاق كل (٥)

ما يدفته من الطعام واللباس كالشمس تدفى المقرور ومن وفد عليه فى الصيف حين يطلع نجم الشعرى وجد عنده ظلا ظليلا وماء باردا يطفى به حرارة جوفه (١) يابس الجبين أى هزيل وذلك دليل الشجاعة والقوة . البؤس : الفقر :

الشهم : الذكى القلب . المدل : الواثق بنفسه وبعده

والمعنى أنه قليل الأكل هزيل لاعتن فقر بل لأنه سخى يؤثر أضيافه بالزاد على نفسه ، وهو ذكى القلب يقظان واثق بنفسه وبما أعده لحوادث الدهر

(٢) انظرن : ضد الإقامة . والمعنى أنه متصرف بالحزم فى جميع شئونه وأحواله والحزم ملازم له حيث كان .

(٣) المزن جمع مزنة وهى السحابة البيضاء والمراد السحابة التى فيها الماء لأن السحاب الأبيض لاماء فيه . غمره الماء : علاه . يجدى : يعطى الجدوى وهى العطية . يسطو : يقهر ويصول . الليث الأبل : المصمم الماضى على وجهه لا يبالى ما تاق والمعنى : أنه جواد كريم شجاع إذا أعطى أجزل العطاء كالسحاب الذى يغمر الناس بكثرة أمطاره وإذا صال فكالأسد المحصور لا يبالى بالعدو

(٤) مسبل فى الحى مفعوله محذوف أى مسبل إزاره فى الحى وهم يمدحون ذا النعمة بذلك وقت السلم فاما فى الشدائد فانهم يمدحون الرجل بالتشمير وعدم اللين . الأحوى : من فى شفتيه سواد وهو محمود فيهما . الرفل : السكثير اللحم . والسمع : ولد الذئب . الأزل : السريع المشى الممسوح العجز

والمعنى أنه يتنعم فى حاله السلم ويسبل رداءه وياكل ما يشتهى وإذا نزل فى الحرب كان كالسمع الضارى

(٥) الأرى : العسل . الشرى : الحنظل ، وكلا مفعول ذاق . والمعنى أنه

رجل سهل الجانب حلو المذاق لمحبه ، مر الطعم لعدوه ، وكل من المحب والعدو قد ذاق كلا الطعمين

- يركب الهول وحيدا ولا يصحبه إلا اليماني الأفل (١)  
وفتو هجروا ثم أسروا ليلهم حتى إذا ما انجباب حلوا (٢)  
كل ماض قد تردى بماض كسنا البرق إذا ما يسل (٣)  
فادر كنا الثار منهم ولما ينج م الحيمين إلا الأفل (٤)  
فاحتسوا أنفاس نوم فلما هو موار رعتم فاشمحلوا (٥)  
فلئن فلت هذيل شباه لهما كان هذيل يفل (٦)  
صليت منى هذيل بمخرق لا يمل الشر حتى يملوا (٧)

(١) وحيدا حال ، اليماني : السيف الأفل : المنظم ، المعنى انه شجاع لا يخاف الأهوال لكثرة ممارسته لها يقتحمها بنفسه ولا يستصحب معينا إلا السيف اليماني المنظم من كثرة الضرب به

(٢) فتو : جمع فتى ، هجر : سار وقت الهاجرة وهي اشتداد الحر في نصف النهار . أسروا : لفسة في سروا ، والسرى : السير في الليل خاصة ، انجباب : انكشف ، حلوا : أقاموا ، والمعنى ورب فتيسان واصوا مسيرهم من وقت الهاجرة إلى آخر الليل فاذا انكشف الضوء أقاموا

(٣) تردى بسيفه مثل ارتدى به إذا تقلده ويسمى السيف رداء ، سنا البرق : ضوءه ، والمعنى ان كل رجس ماض منهم قد تقلد بالسيف الماضى الذى يحكى سنا البرق عند إخراجه من الغمد

(٤) ادر كنا : أخذنا ، والمعنى أخذنا ثارنا منهم ولم ينج منهم إلا اليسير (٥) احتسبى الشراب : تناوله شيئا فشيئا ، الأنفاس : الجرع ، هو م الرجل : إذا هز الرأس من النعاس ، اشمعوا : أسرعوا في السير ، رعتم : أفرعتم ، يقول : كانوا فى النعاس فلما أفرعتم جدوا فى السير

(٦) الفل : كسر حد السيف . الشبا : الحد . وقوله لهما كان ، معناه كثيرا ما كان

(٧) صليت بكذا : قامت شدته . الخرق : الشجاع الكريم والمعنى أن هذيل قامت الشداهد من شجاع ذى صبر وثبات على القتال فلا يسأمه حتى يجد السامة من أعدائه فيراف بهم

- ينهل الصعدة حتى إذا ما نهلت كان لها منه عل (١)  
 حملت الخمر وكانت حراما وبلاى ما أملت تحمل (٢)  
 فاستقنهما ياسواد بن عمرو إن جسمى بعد خالى لخل (٣)  
 تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب لها يستهل (٤)  
 وعناق الطير تغدو بطائبا تمنخطاهم فما تستقل (٥)

ولديـد بن الصمة قصيدة فى الرثاء يرى بها أخاه عبد الله بن الصمة لما قتل ، ومن الغريب أنه بدأها بالغزل ، ومطلماها :

أرث جديد الحبل من أم معبد لعاقبة أم أخلفت كل موعد  
 ومنها :

تنادوا فقالوا: أردت الخيل فارسا فقلت أعبد الله ذلكم الردى  
 فإن يك عبد الله خلى مكانه فما كان وقافا ولا طائش اليد  
 صبا ما صبا حتى علا الشيب وأسه فلما علاه قال للباطل ابعد

- (١) أنهله الشراب : سقاه إياه أول مرة . وعله : سقاه الثانية . الصعدة : القناة  
 نذبت مستوية . المعنى أنه لا يمكننى بطعن أعدائه بقناته مرة بل يكرره مرة بعد  
 أخرى كالشارب الذى لا يكفيه النهل فيشتاق إلى العمل  
 (٢) أملت من الامام وهى الزيارة الخفيفة . اللأى : البطء . والمعنى أنه فاز  
 بأخذ الثأر بعد بطء . ومضى مدة فصارت الخمر حللا له بعد أن حرمها على نفسه  
 جريا على عادتهم من تحريم الخمر وغسل الرأس قبل أخذ الثأر  
 (٣) سواد : مرخم سواده . الخل : المهزول . والمعنى : استقنى الخمر الآن فان  
 جسمى قد هزل بعد خالى

- (٤) تضحك الضبع استعارة عن سرورها ومثله الاستهلال للذئب . والمعنى  
 أن الضبع والذئب فى سرور يقتل هذيل لحبوهما على كثرة الغذاء من لحومهم  
 (٥) عناق الطير : جوارحها . تستقل : تطير . والمعنى أن جوارح الطير تنزل  
 على القتلى من هذيل فتملا بطونها حتى لا تكاد تطيق الطيران لكثرة أكلها من قتلام  
 (٢١)

والقصيدة رواها صاحب الجمهرة (١) وصاحب الحماسة (٢).  
وقد عبدة جديلة - في رثاء كليب ورثاء حياتها الزوجية بعد أن ارتكب  
أخوها جساس جرما فظيما بقتله كليبيا - مشهورة ذاتمة ، وقد سبق بعضها .  
وقال امرؤ القيس لما بلغه مقتل أبيه حجر :

أرقت لبرق بلبيل أهل يضى . سناه بأعلى الجبل  
أتانى حديث فكذبته بأمر تزعزع منه القمل  
بقتل بنى أسد زبهم ألا كل شىء سواه جمل  
فأين ربيعة عن ربها وأين تميم وأين الخول ؟  
ألا يحضرون لدى بابي كما يحضرون إذا ما استهل

وقال لبيد في رثاء النعمان :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل ؟  
ألا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعم لا محالة زائل  
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبية تصفر منها الأنامل  
فإن أنت لم ينفك عليك فانتسب لملك تهديك القرون الأوائل  
وإن لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتزتك العواذل

وقال عبدة بن الطبيب :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ماشاء أن يترحما  
فما كان قيس هلكه ملك واحد ولاكنه بذيان قوم تهدما

ولام السليك ترثيه :

طاف يبغي نجوة من هلاك فهلك  
ليت شعري ضلة أى شىء قتلك

(١) راجعها في ٢٢٤ - ٢٢٧ الجمهرة  
(٢) ٣٤٠ - ٣٢٦ : ١ ديوان الحماسة لابن تمام

أمرريض لم تعد أم عدو ختلك  
أم تولى بك ما غاك في الدهر السلك  
والمتايا رصد للفتى حيث سلك  
أى شيء حسن لفتى لم يك بك ؟  
كل شيء قاتل حين تلقى أجلك  
طالما قد نلت في غير كد أملك  
إن أمراً فادحا عن جوابى شغلك  
سأعزى النفس إذ لم تجب من سألك  
ليت قلبى ساعة صبره عنك ملك  
ليت نفسى قدمت للمتايا بذلك

وقصيدة أوس في رثاء فضالة بن كعدة والتي مطلعها :

أيتها النفس أجلى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا  
مشهورة معروفة .

### ه - الحماسة

وهى ما أثر عن العرب في جاهليتهم من شعر قالوه في وصف شجاعتهم  
ونضالهم وحرورهم وواقعهم ؛ وفي الدعوة إلى الأخذ بالنار والانتقام من  
العدو ، وفي التحريض على القتال ، وبعث عزائم الأبطال في الحروب ،  
وفي ما سوى ذلك من شتى أغراض شعر الحماسة ومناحيه .

وهو باب كبير في الشعر الجاهلى ، وصدر به أبوتام حماسته ، ونماذجه  
كثيرة ، ولنعرض هنا شواهد لهذا الفن من فنون الشعر .

قال الفند الزمانى في حرب البسوس :

صفحننا عن بنى ذهل وقلنا القوم إخوان (١)

(١) صفحننا: أعرضنا .

- عسى الأيام أن يرجعن قسوما كالذي كانوا (١)  
فلما صرح الشر فأسمى وهو عريان (٢)  
ولم يبق سوى العدوان ن دناهم كما دانوا (٣)  
مشينا مشية الليث غدا واليـث غضبان (٤)  
بضرب فيه توهين وتخضيع وإقران (٥)  
وطعن كقم الزق غذا والزق مـلان (٦)  
وبعض الحلم عند الجهل للذلة إذعان (٧)  
وفي الشر نـجاة حين لا ينـجيك إحسان (٨)

والفـنـد الزماني شاعر جاهلي كان أحد فرسان ربيعة المشهورين  
المدودين شهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة سنة واسمه أشهل بن شيدان  
ابن ربيعة بن زمان ،

وهذه القصيدة من عيون الشعر الجاهلي رواها صاحب الحماسة (١٥ ج ١  
ديوان الحماسة طبعية محمود توفيق) . وقد نظمها الشاعر في حرب البسوس

---

(١) كالذي كانوا : أى مثل ما كانوا ودا واخلاصا

(٢) صرح : انكشف : قوله د عريان ، ضربه مثلا لظهور الشر ووضوحه  
وبروى د فأضحى ، وهو أحسن لان الشيء في الضحى أظهر وأبين .

(٣) العدوان : الظلم الضريح . دناهم : جزيناهم والدين الجزاء يقول : جزيناهم  
بفعلهم القبيح كما ابتدأونا به .

(٤) غدا : ابتكر . والمعنى مشينا إليهم مشية الأسد ابتكر وهو جاثع غضبان

(٥) التوهين : التضميف . والتخضيع : التذليل ، الأقران : الاسترخاء أو التتابع

(٦) غذا : سال : شبه الطعنة إذا سال منها الدم بفم الزق - وعاء الخبز - إذا

سال منه الخبز .

(٧) الإذعان : الانقياد : اعتذر في هذا البيت عن تركهم التحلم مع الاقرباء

لأنه يفضى إلى الذل

(٨) الشر : الانتقام . الإحسان : العفو

التي كانت بين بكر وتغلب وذلك أن بكر بن وائل قوم الفند بعثوا إلى بني حنيقة في حرب البسوس يستنصرونهم فأمدوهم به وبقومه بني زمان .

وقال ودك بن ثميل المازني وهو شاعر جاهلي :

رويد بني شديان بعض وعيدكم تلاقوا غدا خيلى على سفوان  
تلاقوا جيادا لا تحميد عن الوغى إذا ما غدت في المازق المتداني  
عليها الحكمة الغر من آل مازن ليوث طعان عند كل طعان  
مقاديم وصالون في الروع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يمانى  
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لاية حرب أم بأى مكان

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي :

ليس الجمال بمنزور فاعلم وإن رديت بردا  
إن الجمال معادن ومناقب أورثن بجدا  
أعددت للحدثان ساء بعة وعداء علمتدى (١)  
وعلمت أنى يوم ذا ك منازل كعبا ونهدا  
قوم إذا لبسوا الحديد تنمروا حلما وقدأ (٢)  
كل امرئ يجرى إلى يوم الهياج بما استعدا  
لما رأيت نساءنا يفحصن بالمعزاز شدا (٣)  
وبدت لميس كأنها بدر السماء إذا تبدى  
وبدت محاسنها التي تخفى ، وكان الأمر جدا  
نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكبش بدا  
هم يندرون دهمي وأذذر إن لقيت بأن أشدا  
كم من أخ لى صالح بوأته يبيدى لحدا

(١) السابقة : الدرع الواسعة . العداء : الفرس كثير العدو . العلمتدى : الشديد

(٢) الحلاق : الدرع . القد : شبه درع كان يتخذ من الجلد

(٣) المعزاز : الأرض الصلبة . ويفحصن أى يؤثرن فيها من شدة الجهرى

ما إن جزعت ولا هلمت ولا يرد بكأى زندا  
ألبسته أثوابه وخلقت يوم خلقت جلدا  
أغنى غنا. الذاهبين أعد للاعداء عدا  
ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا

وقال الحسين بن الحام المرى :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أقدمها  
فلسنا على الأعتاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما  
نفلق هاما من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعز وأكرما

وقال الحارث بن وائلة الجرمى وهو شاعر جاهلي من فرسان قضاة

وأعلامها :

قومي هم قتلوا - أميم - أخى فإذا رميت يصيبني سهمى  
ولئن عفوت لأعفون جمللا ولئن سطوت لأوهين عظمى  
لا تأمنن قوما ظلمتهم - و وبدأتهم بالشتم والرغم  
وزعمتم ألا - - - لوم لنا إن العصا قرعت لدى الحلم

وقال عبد الشارق بن عبد العزى :

ألا حبيت عنا يا ردينا نحيها وإن كرمت علينا  
ردينة لو رأيت غداة جئنا على أضمامنا وقد اختويتنا (١)  
فأرسلنا أبا عمرو ربيشاً فقال ألا انعموا بالقوم عينا  
ودسوا فارساً منهم عشا. فلم تقدر بفارسهم لدينا  
جأوا عارضا بردا وجئنا كمثل السيل نركب وازعينا (٢)  
تنادوا يا لهيئة إذ رأونا فقلنا : أحسنى ضرباً جهينا  
سمعنا دعوة عن ظهر غيب جئنا جولة ثم ارعويتنا

(١) الأضم : شده الحقد. اختويتنا : أى لم نطعم شيئا .

(٢) الوازع : الذى يرتب الجيش ويصلحه ، أى جئنا خلفه مباشرة

فلما أن تواقنا قليلاً أنخنا للكلاكل فارتبينا  
فلما لم ندع قوساً وسهما مشينا نحوهم ومشوا إلينا  
تلاؤم مزنة برقت لأخرى إذا جعلوا بأسياف ردينا  
شدنا شدة فقتلت منهم ثلاثة فتية وقتلت قينا (١)  
وشدوا شدة أخرى فجروا بأرجل مثلهم ورهوا جويننا (١)  
وكان أخى جوين ذا حفاظ وكان القتل للفتيان زيننا  
فأبوا بالرماح مكسرات وأبنا بالرماح قد انحنينا

### ٦ - العتاب

العتاب فن ليس بذائع في الشعر الجاهلي . وشواهد عديدة ومن مثله :

قول أمية بن أبي الصلت يعاتب ابنه :

غدوتك مولودا وعلتك يادعا تعمل بما أدنى إليك وتنهل  
إذا ليلة نابتك بالشكولم أبت لشكواك إلا ساهدا أتمل  
كأني أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني وعيني تهمل  
تحاف الردى نفسى عليك وإنها لتعلم أن الموت حتم مؤجل  
فلما بلغت السن والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أو مل  
جعلت جزائى منك جها وغلظة كأنك أنت المنعم المتفضل  
فليتك إذ لم ترع حق أبوتى فعلت كما الجار المجاور يفعل  
وسميتنى باسم المنعد رأيه وفى رأيك التفنيد لو كنت تعقل  
تراه معدا للخلاف كأنه برد على أهل الصواب وكل

وقال حكيم بن أقيصة الضبي يعاتب ابنه بشرا :

لعمري أبى بشر لقد خانته بشر على ساعة فيها إلى صاحب فقر  
فاجنة الفردوس هاجرت تبتغى ولكن دعاك الخبز - أحسب - والتمر

وقال ذو الأصابع العدواني :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب  
ولا تقوت عيالي يوم مسغبة  
فان ترد عرض الدنيا بمنقصتي  
إن الذي يقبض الدنيا ويبسطها  
الله يعلمكم والله يعلمنا  
ماذا على وإن كنتم ذوى رحمة  
لو تشربون دمي لم يرو شاربكم  
يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى  
كل امرئ صائر يوماً لشيمته  
يا عمرو لو ننت لى ألقىتى بشرا  
والله لو كرهت كفى مصاحبتى

عنى ولا أنت ديبانى فتخزونى (١)  
ولا بنفسك فى العزاء تكفينى  
فان ذلك مما ليس يشجيني  
إن كان أغناك عنى سوف يغنينى  
والله يحزبكم عنى ويجزىنى  
أن لا أحبكم إذ لم تحبونى  
ولا دماؤكم جميعا تروبنى  
أضربك حتى تقول الهامة اسقونى  
وإن تخلق أخلاقا إلى حين  
سمحا كريما أجازى من يجازينى  
لقلت إذا كرهت قربى لها ببنى

#### ٧ - الاعتذار

وأول من أجاد فيه واشتهر به هو النابغة الذبياني ، واعتذارياته إلى  
النعمان بن المنذر ملك الحيرة من عيون الشعر الجاهلى .

وقصيدة النابغة :

أتانى - أبيت اللعن - أنك لمتنى  
ومنها : فانك شمس والملك كواكب  
ونلك التى أهتم منها وأنصب  
إذا طاهت لم يبد منهن كوكب  
وقصيدته :

أتانى - أبيت اللعن - أنك لمتنى  
والى منها : فانك كالليل الذى مدركى  
ونلك التى تستك منها المسامع  
وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قصيدتان مشهورتان فى الاعتذار .

(١) أى الله ابن عمك . الديان : القائم بالأمر القاهر . خزاه : ساسه ودبره

وقال النابغة يعتذر إلى النعمان :

فلا لعمر و الذي قد ذرته حججا  
والمومن العانذات الطير يمسخها  
ما إن نديت بشيء أنت تكرهه  
إذا فعاقبي ربي معاقبة  
إلا مقالة أقوام شقيت بهم  
هذا التبرؤ من قول قذفت به  
مهلا فداء لك الأاقوام كاهم  
أبنت أن أبا قابوس أوعدني  
وما هربق على الأنصاب من جسد  
ركبان مكة بين الغيل والسند  
إذا فلا رفعت سوطى إلى يدى  
قوت بها عين من يأتيك بالحسد  
كانت مقالتهم قرعا على السكبد  
كانت نوافذه حرا على السكبد  
وما أؤمل من مال ومن ولد  
ولا قرار على زار من الأسد

## ٨ - الحكمة والأخلاق

وهى كثيرة فى الشعر الجاهلى .

تجدها فى معلقة زهير حيث يقول :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله  
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه  
ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه  
ومن لم يصانع فى أمور كثيرة  
ومن يجعل المعروف من دون عرضه  
ومهما تكن عند امرى من خليقة  
سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش  
وأعلم ما فى اليوم والامس قبله  
رأيت المنايا خبط عشواء من نصب

على قومه يستغن عنه ويذمم  
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم  
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم  
يضرس بأنياب وبوطأ بمنسم  
يفره ومن لا يتقى الشتم يشتم  
وإن خالها تخفى على الناس تعلم  
ثمانين حولا لا أبالك يسأم  
ولكننى عن علم ما فى غد عمى  
تمته ومن تخطى بهمر فيهرم

كما تجدها فى معلقة طرفة حيث يقول :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى  
عقيلة مال الناحش المتشدد

أرى الدهر كثرأ ناقصاً كل أيلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد  
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لسكاطول المرخي وثلباه باليسد  
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند  
ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً وبأنيك بالأخبار من لم تزود  
لعمرك ما الأيام إلا معارة فما استطعت من معروفها فتزود  
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى  
وفي قصيدة عبيد بن الأبرص البائية حكمة كثيرة وقد رواها صاحب  
الجمهرة . ويقول منها :

وكل ذى غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب  
من يسأل الناس بحرموه وسائل الله لا يخيب  
والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب  
والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

وكذلك في دالية عدى بن زيد التي رواها صاحب الجمهرة ويقول منها :  
أعاذل ما يدريك أن منيتي إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد  
أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى وأبعده منه إذا لم يسدد  
أعاذل إن الجهل من لذة الفتى وإن المنايا الرجال بمرصده  
ذريني فإني إنما لي ما مضى أمامي من مالي إذا خف عودي  
وللوارث الباقي من المال فاتركي عتابي فإني مصلح غير مفسد  
كني زاجراً للبره أيام دهره تروح له بالواعظات وتقتدى  
فنفسك فاحفظها عن الغي والردى متى تهوا يغو الذي بك يقتدى  
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى  
وبالعدل فانطق إن نطقت ولا تلم وذا الذم فاذمه وذا الحمد فاحمد  
عمي سائل ذو حاجة إن منعمته اليوم سؤلاً أن ييسر في غد

إلى آخره ، إن هذه القصيدة الطويلة من حكم وتجارب وآراء (١) . ويقول  
الأفوه الأودى :

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهاهم سادوا  
تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالأشرار تنفاد  
إلى ما سوى ذلك من ألوان الحكمة الكثيرة في الشعر الجاهلي ، ما  
لاداعى إلى الإطالة في نشر صحائفه ، ويمكنك أن تقرأ قصيدة عبدة بن الطبيب  
في المفضليات (٢) التي مطلعها :

أبني لاني قد كبرت وراني بصري ، وفي المصلح مستمتع  
ويقول منها :

ونصيحة في الصدر صادرة لكم مادمت أبصر في الرجال وأسمع  
أوصيكم بتقى الإله فإنه يعطى الرغائب من يشاء ويمنع  
وبير والدمك وطاعة أمره إن الأبر من البنين الأطوع  
إن الكبير إذا عصاه أهله ضاقت يداه بأمره ما يصنع  
لأن الذين تروهم إخوانكم يشفي غليل صدورهم أن تهرعوا  
فستجد حكمة وجمالاً ونصائح خلقية كريمة .

#### ٩ - الوصف

وهو باب واسع في الشعر الجاهلي سعة مناظر الحياة ومشاهد الوجود  
نفسها . ولقد صور الشاعر الجاهلي بيئته وحياته وألوان معيشته في شعره  
تصويراً رائعاً بديعاً ، بما لا يمكن إحصاؤه وتعداد القول فيه .

فقد وصف الجبال والرمال والوديان والمياه والأقطار والسيول والبرق

(١) راجعها في الجهرة ١٧٤ - ١٨٠

(٢) ١٤٣ ج ١ وما بعدها المفضليات طبع مطبعة المعارف سنة ١٣٦١

والرياح واختلافها . كما وصف الإبل والغنم والخيل والوحش والصيد  
وما في بلاده من حيوان ونبات وجماد ، ووصف دياره وأماكن نزوله  
ومواضع لهُوه وكره ، ووصف معارك الحرب والأسلحة التي يستعملها فيها ،  
ووصف ملبسه وكل ما يتصل به أو بيئته ، بما نكتفي بالإشارة إلى شواهد  
قليلة له .

قال امرؤ القيس في وصف الليل :

وليل كهوج البحر أرخى سدوله      على بأواع الهموم ليلتلي  
فقلت له لما تمطى بصلبه      وأردف أعجازاً ونا . بكامل  
الأبها الليل الطويل ألا انجلي      بصبح وما الإصباح منك بأمثل  
فيا لك من ليل كأن نجومه      بكل مغار القتل شدت بيذبل

وقال طرفة يصف السفينة :

كأن حدود المالكية غدوة      خلايا سفين بالنواصف من دد .  
عدوية ، أو من سفين ابن يامن      يجور بها الملاح طوراً ويهتدى  
يشق حباب الماء حيزوما بها      كما قسم التراب المقاييل باليد  
وقال عنتره يصف روضة :

واقدم مررت بدار عبلة بعدما      لعب الربيع بربعها المتوسم  
جادت عليه كل عين ثرة      فتركن كل قرارة كالدرهم  
سحا وتسكابا فيكل عشية      يجرى عليها الماء لم يتصرم  
وخلا الذباب بها فليس يبارح      غردا كفعل الشارب المترنم  
هزجاً يحك ذراعاه بذراعاه      قدح الملك على الزناد الأجدم

ولحسان السعدي يصف القمر :

مهما يكن ريب المنون فاني      أرى قر الليل المعذب كالفتى  
يهل صغيراً ثم يعظم ضوءه      وصورته حتى إذا ما هو استوى

تقارب يخبو ضوءه وشمائه ويمصح (١) حتى يستسر (٢) فأيرى  
ويصف عنزة الغراب فيقول :

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الأبقع  
خرق الجناح كأن لحي رأسه جلدان ، بالأخبار دش مولع  
ويصف فرسه الذي حاضر به المعركة فيقول :

مازلت أرميهم بثفرة نحره ولبانه ، حتى تمريل بالدم  
فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بهيرة وتمحوم  
لو كان بدرى ما المحاورة اشتكى ولنا كان لو علم الكلام مكلمى  
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس وبك عنتر أقدام  
والخيل تفتحم الخبار عوابسا ما بين شيطرة وأجرد شيطم  
ويصف طرفة ناقته فيقول :

وإني لأمضى اللهم عند احتضاره بهوجاء مرقال تروح وتغدى  
أمون كألواح الأران نسانها على لاحب كأنه ظهر بوجد  
لها فخذان أكمل النخض فيهما كأنهما بابا منيف بمرد  
فإن شئت لم تترقل وإن شئت أرفقت مخافة ملوى من القد محمد

إلى آخر هذا الوصف الغريب . وحسبنا في باب الوصف ذلك فهو  
يذى . عن شاعرية موهوبة وملكمة مطبوعة .

### ١٠ - اللسيب

وهو من أكثر أبواب الشعر العربي ، وأغزرها ، وقد أكثر الشعراء  
الجاهليون منه ، وابتدأوا به قصائدهم (٣) .

(١) يذهب (٢) يخفى

(٣) لا تنكأ نخلو قصيدة منه اللهم إلا قصيدة عمرو بن كلثوم :

ألا هي بصحك فاصبحينا ولا تبقى نخور الاندرينا

والنسيب هو ذكر جمال المرأة ووصف محاسنها وأثر تبرج الشوق  
بالشاعر وحنينه اليها وقص ذكرياته مع محبوبته وساعات لقائها ، والديار  
التي كانت تنزل بها ، ومسارح اللهو واللعب التي كانت تلعب وتلهو فيها ، إلى غير  
ذلك من حديث الجمال والظما إليه وذكريات الحب والحنين والشوق إلى  
المرأة . والغزل والنسيب متقاربان في المعنى وإن كان بعض الباحثين يعرف  
الغزل بأنه « الاشتهار بموادت النساء وتبهمن والحديث إليهن » ، والتشبيب  
قاصر على ما يأتي به الشاعر في مطلعته كلامه من ذكر الدرأة والأطلال والديار  
وذكريات اللقاء والحب ، وإن كان بعض الباحثين يرى أن الجميع بمعنى  
واحد لا اختلاف في مدلولهما .

وامرؤ القيس هو أول من رقق الغزل وأطاله وشبهه المرأة بالمها والظلي  
والظلم ووصف ديبه اليها وفجوره في حبه وهو مع محبوباته . وهامى ذى  
أمثلة للنسيب من الشعر الجاهلي .

قال امرؤ القيس إمام الشعراء ، وشيخ النسيب والغزل ومبتدئه ، من  
لايته الطويلة المشهورة :

بلى رب يوم قد هوت وليلة	بأنسة كأنها خط تمثال
بضىء الفراش وجهها لضجيعها	كصباح زيت في قناديل ذبال
كأن على لبانها جمر مصطل	أصاب غضى جزلا وكف بأجدال
ومثلك بيضاء العوارض طفلة	لعوب تنسبني إذا قت سر بالى
تنورتها من أذرعها وأهلها	يبترب أدنى دارها نظر عال
نظرت اليها والنجوم كأنها	مصاييح رهبان تشب لقفال
سموت اليها بعد ما نام أهلها	سمو حباب الماء حالا على حال
فقلت سباك الله إنك فاضحى	ألسنت ترى السهار والناس أحوالى
فقلت يمين الله أبحر قاعدا	ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
فلما تنازعنا الحديث وأسححت	هصرت بفصن ذى شماريخ ميال

فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا  
 حلفت لها بالله حلافة فاجر  
 وأصبحت معشوقاً وأصبح بعلمها  
 يغط غطيط الهمس شد خناقها  
 أيقنتلى والمشرقى مضجعى  
 ورضت فذلت صعبة أى اذلال  
 لنا موافقاً إن من حديث ولاصال  
 عليه القتام كاسف الظن والبال  
 ليقتلنى والمرء ليس بقتال  
 ومسنونة زرق كأنياب أغوال

### وقال الأعشى :

ودع هريرة إن الركب مرتحل  
 غراء فرعاء مصقول عوارضها  
 كأن مشيتها من بيت جارنها  
 ليست كمن يكره الجيران طلعتها  
 يكاد يهرعها لولا تشدها  
 إذا تقوم بوضوع المسك أصورة  
 ماروضة من رباغ الحزن معشبة  
 يضاحك الشمس منها كوكب شرق  
 يوماً بأطيب منها نشر رائحة  
 قالت هريرة لما جئت زائرها  
 أما ترانا حفاة لا نعال لنا  
 وقد أحالس رب البيت غفلته  
 وقد أقود الصبي يوماً فيقبعنى

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟  
 تمشى الهوينى كما يمشى الوجى الوحل  
 من السحابة لا ريث ولا تجل  
 ولا تراها لسر الجار تحتل  
 إذا تقوم إلى جارنها المكسل  
 والزنبق الورد من أردانها شمل  
 خضراء جاد عليها مسبل هطل  
 مؤزر بعميم النبات مكتمل  
 ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل  
 وبلى عليك ووبلى منك يا رجل  
 إنا كذلك ما نحفى ونقتل  
 وقد يجاذر منى ثم ما يشل  
 وقد يصاحبنى ذو الشرة الغزل

### وقال النابغة :

عوجوا فخيوا لنعم دمنة الدار  
 أقوى وأقفر من نعم وغيره  
 وقتت فيها سراً اليوم أسألها  
 ماذا تحبون من نوى وأحجار؟  
 هوج الرياح بهابى الترب موار  
 عن آل نعم أموناً عبر أسفار

فاستعجمت دار نعم ما تكلمنا  
 فما وجدت بها شيئاً ألوذ به  
 وقد أراني ونعماً لا هيبين بها  
 أيام تخبرني نعم وأخبرها  
 لولا حياض من نعم علمت بها  
 نبئت نعماً على المهجران عاتبة  
 رأيت نعماً وأصحابي على عجل  
 فربيع قلبي وكانت نظرة عرضت  
 بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدنا  
 والطيب يزداد طيباً أن يكون بها  
 أقول والنجم قد مالت أواخره  
 ألحمة من سنا برق رأى بصرى  
 بل وجه نعم بدا والليل معتكر  
 وقال المخيل السعدى :

ذكر (الرباب) ، وذكرها سقم فصبا وليس ان صبا حلم (١)  
 وإذا ألم خيالهما طرفت عيني ، فمأ شؤونها سجم (٢)  
 كاللؤلؤ المسجور أغفل في سلك النظام مخانه النظم (٣)  
 وأرى لها داراً بأغدره السيدان لم يدرس لها رسم (٤)

(١) الرباب : اسم محبوبته - الصبوة : العشق ، الحلم : العقل  
 (٢) الشؤون : مجازى الدمع واحداً شأن ، سجم مصدر من سجم الدمع :  
 سال والمراد بالمصدر اسم الفاعل  
 (٣) المسجور ، المنظوم المسترسل ، أغفل ، أهمل ، والمعنى أنه حين يرى  
 خيال حبيبته تسيل دموعه كأن قطراتها در منظوم في سلك انقطع فتجد منه الدر  
 (٤) الأغدره جمع غدير ، السيدان : أرض لبني سعد قوم المخيل ، الرسم :  
 الأثر بلا شخص ، درس : عفا وذهب ، يريد أن دار حبيبته لم تذهب آثارها

- إلا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحج (١)  
فكأن ما أبقى البوارح وال أمطار من عرصاتها الوشم (٢)  
وكان أطلاء الجآزر وال غزلان حول رسومها البهم (٣)

والمخيل أبو يزيد التميمي السعدي ، شاعر مشهور ، واسمه ربيعة بن مالك  
عمر في الجاهلية والإسلام طويلاً ، ومات في خلافة عمر أو عثمان وهو  
شيخ كبير ( راجع ترجمته في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٩٦ ط الخالجي  
٣٢٢ ، ٥ ، و ١٧٧ المؤلف للأمدى )

والقصيدة عالية الطبقة في البلاغة ، رواها صاحب المنظومات وذكر منها  
أربعين بيتاً .

---

بل بقيت بعض رسومها ، فهو حين يراها ، يذكر صاحبته ويحزن كثيراً  
لفراقها وبدنها

(١) هامد : خامد ، وإنما همد أطول مكشه . الخوالد : البواقى قصد بها الأثافي  
وهي الحجارة التي تنصب عليها القدور . سحج من السحمة وهو لون يضرب إلى  
السواد . يريد أن الأثافي حفظت الرماد من أن تذرره الرياح .

وقوله «إلا رماداً» ، إلا ، هنا بمعنى الواو كما يقول أبو عبيدة ، يقول : وأرى  
لها رماداً .

(٢) د ما ، اسم موصول . البوارح الرياح الشديدة من الشمال خاصة وهي  
من رياح الصيف . العرصات : جمع عرصة وهي ساحة الدار . الوشم : النقش  
في اليد .

والمعنى : أن الآثار الباقية من دار حبيبته التي كادت تعفوها الرياح والأمطار  
تبدو كأنها الرسم المنقوش في اليد .

(٣) الأطلاء : جمع طلا وهو الصغير من ذوات الظلف . الجآزر : جمع  
جؤذر وهو الصغير من ولد البقر ، البهم . صغار أولاد المعزى الواحدة بهمة

وقد بدأها الشاعر بالذكرى والطفيف ، ووصف دار صاحبه الدارسة ثم وصف جمالها وبياض وجهها وكثافة فرعها ، ثم أنحى على لائمه التي لائمه على كرمه وإنفاقه ، واحتج بأن الخلود في البذل والجلود لا في الثراء والشح ، وبأن المنية غاية الاحياء ومنها :

- ولقد تحمل بها الرباب لها سلف يفل عدوها نخم (١)  
بردية سبق النعيم بها أقرانها وعـ لابلها عظم (٢)  
وتريك وجهها كالصحيفة لا ظمآن محتلج ولا جهم (٣)  
كعقيلة للدر استضاء بها محراب عرش عزيزها المعجم (٤)  
وتفضل مدرها المواشط في جعد أغم كأنه كرم (٥)

- وتقول عاذلتى وليس لها بفسد ولا ما بعده علم (٦)  
إن الثراء هو الخلود وإن المرء يكرب يومه العدم (٧)

- 
- (١) السلف : الخليل المتقدمة . يفل ، يهزم ، يراد أن قومها ذوو شجاعة واستعداد ضخم في الحرب
- (٢) بردية أى كبردية ، يشبهها بالبردى في صفائها وبياضها واستوائها ، علا : ارتفع ، المعنى أنها بيضاء زاء النعيم والترف في شبابها حتى اتراها كبيرة السن عن أقرانها وهى صغيرة ، كبيرة الجسم والعظم .
- (٣) يشبه وجهها بالصحيفة للاستهة ولينهة ، المحتلج : القليل اللحم الضامر . الجهم : الكثير اللحم البشع .
- (٤) العقيلة : الكريمة . وعقيلة كل شىء خيرته . العجم فاعل استضاء وهو لازم ، ومحراب منصوب على نزع الخافض ، والمحراب صدر المجلس
- (٥) المدرى : المشط . الجعد : الشعر المتقصب ليس بالسبط . الأغم : الشعر الكثير . الكرم . شجر العنب شبهه به لكثرة
- (٦) العاذلة : اللائمة
- (٧) يكرب : يدنى . العدم : الفقر

إني وجدك ما تخلدني مائة يطير عفاؤها ؛ آدم (١)  
ولئن بنيت لي المشقر في هضب تقصر دونه العصم (٢)  
لتنقب عن المنية إن الله ليس كحكمه حكم (٣)  
إني وجدت الأمر أرشده تقوى الآله وشره الأثم (٤)  
وقال المنخل اليشكري وهو شاعر جاهلي كان يعاصر النابغة ونادم  
النعمان بن المنذر :

ولقد دخلت على القناة الخدر في اليوم المطير  
الكعب الحسنا تر فل في الدمقس وفي الحرير  
فدفعتها فتدافعت مشى القطة إلى الغدير  
ولثمتها فتتفتت كتنفس الظبي القرير  
فدنت وقالت يا منخل ما بجسمك من حرور  
ما شف جسمي غير حبك فاهدني عنى أو سيرى  
وأحبها وتحبني ويجب ناقةما بهيرى

وقال ورد الجمدي :

خليلي عوجا بارك الله فيكما وإن لم تكن عند لأرضكما قصدا  
وقولا لها ليس الضلال أجازنا وليكننا جرننا لنلقاكمو عمدا  
وقال المرقش الأكبر :

- 
- (١) يطير عفاؤها : يذهب وبرها من سمن . الأدم : الإبل الخالصة البيضاء  
(٢) المشقر : حصن بالبحرين ، وكان الخبل وأولاده قد هاجروا إلى البصرة وأقام  
بعض أبنائه بالأحساء والبحرين ، وهم شعراء . العصم : الوعول واحدا أعصم  
ريد أن الهضبة عالية لا ترقاها الوعول  
(٣) تنقب : تبحث : المنية : الموت  
(٤) أرشده من الرشد وهو الهدى والاستقامة . الأثم : الذنب

وهي قصيدته المفردة في الغزل (١) :

سرى لي بلا خيال من سليمى فأرقى وأصحابي هجود  
فبت أدير أمرى كل حال وأرغب أهلها وهمو بعيد  
على أن قد سما طرفي لدار يشب لها بذى الأرتطى وقود ٢  
حواليها مهاجم التراقي وأرآم وغزلان رقدود  
نواعم لا تعالج بؤس عيش أوانس لا تراح ولا ترود  
سكن ببلدة وسكنت أخرى وقطعت المواتق والعهدود  
فما بالى أفى ويحان عهدى وما بالى أصاد ولا أصيد  
ورب أسيلة الخدين بكر ومنعمة لها فرع وجيد  
وذو أشر شتيت الغبت عذب نقي اللون براق برود  
لهوت بها زماناً من شباني وزارتها النجائب والقصيد  
أناس كلياً أخلقت وصلوا عنانى منهم وصل جديد

وقال طرفة : ( وهي قصيدته المفردة في الغزل ) ، ومطلعها :

أعرف رسم الدار قترا منازل كجفن اليمان زخرف الوشى مائله  
ومنها :

ديار سليمى إذ تصيدك بالمنى وإذ حبل سلمى منك دان تواصله  
وإذ هي مثل الرنم صيد غزالها لها نظر ساج إليك تواصله  
غنيما وما نحشى التفرق حقبته كلانا غير ناسم العيش باجله  
ليالى أقتاد الصبا ويقودنى يحول بنا ريعانه ونجاوله

ثم يصف خيالها ، ويتمعجب لاهتدائه إليه ثم يقول :

وقد ذهبت سلمى بعقلك كله فهل غير صيد أحرزته حباته؟

(١) راجعها في المفضليات ٢٣ ج ٢ طبع دار المعارف ١٣٦١ هـ

(٢) سما : ارتفع . يشب : يرفع الخطب حواليها وهو الوتود . الأرتطى

بسكون الراء : شجر يثبت في الرمل : وذو الأرتطى : موضع

كما أحرزت أسماء قلب مرقش بحب كلمع البرق لاحت مخابله  
ثم يذكر قصة المرقش مع محبوبته أسماء ، ويختمها بقوله :  
فوجدى بسلمى مثل وجد مرقش بأسماء إذ لا تستفيق عواذله  
قضى نعيمه وجدا عليها مرقش وعلمت من سلمى خيالاً أاطله

## النقد الأدبي في الجاهلية

- ١ -

النقد الأدبي هو الحكم الذي تصدره على الشعر والنثر ؛ وهو عند  
المحدثين تقدير النص الأدبي تقديراً صحيحاً وبيان قيمته ودرجته الأدبية (١)  
وهو كما أقول : تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها وبيان قيمتها الأدبية  
والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار ، وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير  
وحكم ، والغرض منه دراسة الأساليب أو الكتاب أو الآراء والأفكار (٢)  
لم يكن النقد الأدبي عند العرب في أول نشأته بهذا اللون من الدراسة  
والموازنة ، إنما كان تعبيراً خاطفاً ينم عن رأى في الإجابة أو الاستهجان  
للنصوص الأدبية العامة ، ثم تدرج في الدقة في أحكامه الأدبية عسراً بعد  
عصر حتى وصل إلى ما هو عليه وعلى ما نفهمه الآن .

نشأ النقد في الجاهلية مرتجلاً : وكان هينا يسيراً ملائماً لروح العصر  
وللشعر العربي نفسه (٣) ، عربى النشأة كالشعر لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ولم  
يقم إلا على الذوق العربي السليم (٤) .

وجد في أطوار تهذيب الشعر وفي اختيار المعلمات وتعليقها على الكعبة (٥)

---

(١) أصول النقد الأدبي للشايب (٢) ٩٠ وما بعدها مقدمة لدراسة بلاغة  
العرب (٣) ٢٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب (٤) ٢٥ تاريخ النقد الأدبي  
عند العرب (٥) ٣:٣٧٩ المعقد

وفى حكومة أم جندب بين امرىء القيس وعلقمة (١) . وحكومة النابغة  
بين الشعراء وكان تضرب له قبة حمراء فى عكاظ ويأتيه الشعراء وينشدونه  
أشعارهم (٢) ، ومن حكم ربيعة بن حذار الأسدى على الزرقان بن بدر والمخبل  
السعدى وعبد بن الطيب وعمرو بن الأهم (٣) ، ووجد فى نقد الشعراء  
للشعر : فامرؤ القيس يمر بكعب وأخويه : الغضبان والقعقاع فأشده  
فقال : إني لأعجب كيف لا تمتلىء عليكم نارا جودة شعركم فسماوى النار (٤)  
ويقول النابغة : أشعر الشعراء من استجيد كذبه وأضحك رديته (٥) ، وسمى  
كعب الغنوى كعب الأمثال لكثرة ما فى شعره (٦) منها ، وسمى طفيل الغنوى  
طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها ، والنمر بن تولى المحبر لحسن شعره (٧) ،  
وسموا قصيدة سويد بن أبى كاهل : بسطت رابعة الحبل لنا ، اليتيمة كما سماها بعد  
ذلك خطبة لسحبان الشوهاة لحسنها (٨) ، ويقول زهير ويروى لحسان :

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ورأى لبديد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفة ثم  
نفسه (٩) إلى غير ذلك من مظاهر النقد فى الجاهلية .

---

(١) ١٢٨ : ٨ الأغاني ، ونقد الرافعى هذه الحكومة (٢٢٥ - ٢٣٤ : ٣ آداب  
العرب للرافعى) وتابعه فى ذلك محمد هاشم (١٨٤ الأدب العربى فى العصر الجاهلى)  
ويرتاب باحث فى صحة هذه الحكومة ويرى جورها ويقول : ولعل ذلك مما حمل  
ابن المعز على أن ينكر هذه القصيدة فيما أنكره من شعر امرىء القيس (٢١١ و٢٢)  
تاريخ النقد الادبى عند العرب

(٢) ١٢٣ الشعر والشعراء

(٣) ١٤ تاريخ النقد الادبى عند العرب و٧٥ موشح (٤) ٧٠ من المؤلف

للأمدى

(٥) ٢٥٦ سر الفصاحة لابن سنان ، ٥٠ و ٥٨ : ٢ العمدة

(٦) ٣٤١ معجم الشعراء

(٧) ١٨٤ المؤلف ، ١١٢ : ٢ العمدة (٨) ١٠٢٢٥ : ١ البيان والتبيين

(٩) ٢٠ المجهرة ، ٣٨٠ : ٣ . ويقول ابن عبد ربه :

صورة من النقد الأدبي في الجاهلية :

١ - كان النابغة تضرب له قبة حمرأ في سوق عكاظ فتأثبه الشعراء وتشدده أشعارها ، فأناه الأعمشى فأشده ، ثم أتاه حسان فأشده ، فقال لولا أن أبا بصير أنشدني أنفا لقلت أنك أشعر الجن والإنس ، قال حسان والله لأنا أشعر منك ومن أبيك وجدك ، فقبض النابغة على يده ثم قال يا ابن أخي أنت لا نحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع  
ثم قال للخنساء وقد أنشدته :

قذى بعينك أم بالعين عوار أم أفقرت إذ دخلت من أهلها الدار؟  
فلما بلغت قولها ،

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار  
قال : ما رأيت ذا مئانة أشعر منك قالت ولا ذا خصيتين (١) وتزاد في  
هذه الرواية زيادات فيها مبالغة كثيرة تنصل بنقد قول حسان :

لنا الجففات الغريلمن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما  
ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق فأكرم بنا خلاوا كرم بنا ابنها  
وهي مشهورة ولا داعى لذكرها .

٢ - وسمع طرفة وهو صغير بيت خاله المسيب بن علس :

وقد أتنامى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

وهذا - أى تفضيل شاعر وأنه أشعر الشعراء - مما لا يدرك غايته ولا يوقف على حد منه والشعر لا يفوت به أحد ولا يأتي منه بديع إلا أتى ما هو أبداع منه ،  
ولله در القائل : أشعر الناس من أنت في شعره (٣:٣٨١ العقد)

(١) راجع ١٢٣ الشعر والشعراء

فقدته وأزرى بقوله : « استنوق الجبل ، لأنه وصف الفحل بالصعيرية  
وهي عندهم من صفات إناث الإبل .

٣ - وتنازع امرؤ القيس وعلقمة بن عبدة حول قصيدتين لهما وأيهما  
أشهر من الآخر ، والقصيدتان في وصف الفرس والصيد ، ومطلع قصيدة  
امرؤ القيس :

خليلي مرا بني علي أم جنذب لنقضى حاجات العواد المعذب  
ومطلع قصيدة علقمة :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب  
فتحاكيا إلى أم جنذب الطائفة زوج امرؤ القيس ، فضلت علقمة  
عليه ، قالت وقد سمعت قول امرؤ القيس :

فللسوط الهوب وللحاق درة وللزجر منه وقع أهوج منعب (١)  
وقول علقمة :

فأدرك لم يجهد ولم يئن شأوه يمر كمر الراح المتحلب  
فقالت له : فرس علقمة أجود من فرسك لأنك حركته بساقتك  
وامتريته بسوطك وزجرته بصوتك ، وأدرك فرس علقمة نانيا من عنانه  
٤ - وقال الأعشى يمدح قيس بن معد يكرب :

ونبتت قيساً ولم أبله وقد زعموا ساد أهل اليمن  
فعاثوا عليه قوله « زعموا » .

٥ - وتحاكم الزبيرقان بن بدر وعمرو بن الأهم وعبد بن الطبيب والمخيل السعدي  
إلى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر أيهم أشعر فقال الزبيرقان : أما أنت  
فشعرك كحجم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا ترك نبتاً فينتفع به . وأما أنت

---

(١) الالهوب : شدة الجرى . الدرة : الجرى اللين . الأهوج : الأحمق .

المنعب : الذي يستعين بصوته .

يا عمر فإن شعرك كبرود حـ بر يتلألاً فيها البصر فكلمها أعيد فيها النظر  
نقص البصر . وأما أنت يا مخبل فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن  
شعر غيرهم ، وأما ما أنت يا عبدة فإن شعرك كزيادة أحكم خرزها فليس  
تقطر ولا تظطر (١)

وتروى برواية أخرى في المرجع نفسه وهو الموشح ، قال المرزباني :  
اجتمع الزبرقان وعمرو بن الاثم وعبدة بن الطبيب والمخبل التميميون في  
موضع فتناشدوا أشعارهم فقال لهم عبدة : والله لو أن قومًا طاروا من جودة  
الشعر لطرتهم فيما أن تخبروني عن أشعاركم وإما أن أخبركم قالوا : أخبرنا .  
قال : فإني أبدأ بنفسى ، أما شعري فمثل سقاء وكيع (٢) وغيره من الأسقية  
أوسع منه .

وأما أنت يا زبرقان فإنك مرتت بمزور منحورة فأخذت من  
أطايها وأخابها (٣) .

إلى غير ذلك من مظاهر النقد في الجاهلية

## فنون الشعر الجاهلي أو اغراضه

### - ١ -

أغراض الشعر هي فنونه وموضوعاته التي يقول فيها الشعراء من مدح  
وهجاء وغفرورنائه وغزل وحكمة وما شا كل هذه الموضوعات التي عرفها  
الشعر والشعراء من قديم .

وأغراض الشعر طرقها الشعراء فنا ولكن لم يصطلحوا عليها اصطلاحاً ،  
وكانت أقسام الشعر في الجاهلية كما يقول أبو هلال خمسة : المديح والهجاء  
والوصف والتشبيب والمرأى حتى زاد فيها التابعة سادساً هو الاعتذار  
فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين بلغ مبلغه فيه إلا البحترى (٣) ،

وليس للعرب شئ ينسب إلى التهانى وما جاء عنهم من شكها فهو من جملة المدح (١)  
وقالوا : بنى الشعر على المدح والهجاء والنسيب والرثاء ، وقالوا : قواعد  
الشعر : الرغبة ومنها يكون المدح والشكر ، والرغبة ومعها يكون الاعتذار  
والاستعطاف ، والطرب ومعها يكون الشوق ورقة النسيب ، والغضب ومعها  
يكون الهجاء والعتاب . وقال الرماني : أكثر أغراض الشعر خمسة : النسيب  
والمدح والهجاء والفخر والوصف (٢)

وقالوا : للشعراء فنون كثيرة تجمعها أربعة : المديح والهجاء والحكمة  
واللهو ، ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون : فن المديح المرأى  
والافتخار والشكر واللفظ في المسألة وغير ذلك مما أشبهه وقارب معناه ،  
ومن الهجاء الذم والعتب والاستبطاء والتأنيب وما أشبه ذلك وجانسه ،  
ومن الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ وما شا كل ذلك ، ومن اللهو الغزل  
والطرد وصفة الخمر وما أشبه ذلك وقاربه (٣) . وأول من عد فنون الشعر  
وميز بينها تمييزاً هو أبو تمام فإنه رتب كتابه الحماسة في عشرة أبواب :  
الحماسة ، والمرأى ، والأدب ، والتشبيب ، والهجاء ، والأضياف والمديح ،  
والصفات ، والسير ، والملح ومذمة النساء .

أما البحتري فقد خالف أبا تمام في ذلك وجعل حماسته التي عارض بها  
حماسة أستاذه أبي تمام ١٧٤ باباً وأهداها للفتح بن خاقان . ونجد الحماسة  
البصرية (٤) لأبي الحسن البصري اثني عشر باباً : الحماسة والمديح . الرثاء .  
الأدب . الغزل . الأضياف . الهجاء . مذمة النساء . الصفات . النعوت .  
السير . الأكاذيب والخرافات . الزهد .

ويجعل عبد العزيز بن أبي الأصمبغ أغراض الشعر ثمانية عشر (٥) .

---

(١) ٩٢ : ١ المرجع السابق (٢) ١٠٠ : ١ العمدة  
(٣) ٨١ نقد النثر (٤) ٥٢٠ أدب مخطوط بدار الكتب الملكية  
(٥) ٧١ : ٣ تاريخ آداب العرب للرافعي .

ورواة الشعر العربي في العصور الأولى كان لهم أثر كبير في تقسيم الشعر إلى فنون وأبواب :

فجامع ديوان أبي نواس (١) يقسمه إلى فنون ثمان : المديح - المرثى . العتاب . الهجاء . الزهد . الطرد . الخريجات . الغزل والمجون . وديوان أبي تمام (٢) مقسم إلى أبواب : المديح . المرثى . المعانيات . الأوصاف . الغزل . الفخر . الهجاء .

و ديوان ابن المعتز و آية الصولي مقسم إلى عشرة أبواب : الفخر . الغزل . المديح . الهجاء . الخريجات . المعانيات . الطرد . الأوصاف . الرثاء . الزهد .

وكان كثير من دواوين الشعر ترتب بحسب الحروف الهجائية للقوافي لا بحسب الأغراض ، ومنها ديوان البيهتري (٣) ، أما ديوان ابن الرومي فلم يطبع إلا مختارات منه ولا نعلم على أي نهج سار جامعه في ترتيب شعره (٤) على أنه ليس من السهل تقسيم الشعر العربي إلى أبواب شاملة تستوعب جميع ما جادت به قرائح الشعراء فالأبواب التي يطردها الشعراء تختلف باختلاف العصور وباختلاف شخصيات الشعراء .

وبعض العلماء والنقاد يدخل بعض هذه الفنون في بعض . فقدمة يرجع في نقد الشعر الرثاء إلى المدح ويرى أن لا فرق بينهما إلا في اللفظ دون

---

(١) اعتنى بجمع شعره جماعة منهم الصولي وعلي بن حمزة الأصفهاني وإبراهيم ابن أحمد الطبري .

(٢) جمعه الصولي ورتبه على الحروف وجمعه علي بن حمزة الأصفهاني ورتبه على الأنواع ( ٢٨٣ : ١ كشف الظنون )

(٣) جمعه الصولي ورتبه على الحروف وجمعه علي بن حمزة الأصفهاني ورتبه على الأنواع ( ٣٧٨ : ١ كشف الظنون )

(٤) عمل شعره ورتبه على الحروف الصولي وجمعه أبو الطيب وراق بن عبدوس من جميع النسخ فزاد فيه نحو ألف بيت وابن سينا انتخبه وشرح مشكلات شعره ( ٢٨٢ : ١ كشف )

المعنى (١) ، وإن كان هذا لم يحل بينه وبين أن يجعل أغراض الشعر ستة :  
المديح والهجاء والرثاء والتشبيه والوصف والسيب .

وأغراض الشعر عند ابن رشيق كما عدّها في عمدته : السيب والمديح  
والافتخار والرثاء والاستنجاز والعتاب والوعيد والاذار والهجاء والاعتذار  
ثم جاء البارودي في العصر الحديث فسار قريباً من نهج أبي تمام في تقسيم  
الشعر إلى فنونه المختلفة وهي عنده سبعة : الأدب والمديح والرثاء والصفات  
والسيب والهجاء والزهد .

هذا وأدباء الغرب يجعلون أبواب الشعر عامة ثلاثة : الشعر القصصي أو  
شعر الملاحم ، والشعر الغنائي أو الانشادي والشعر التمثيلي أو المسرحي ،  
وهذه الأقسام الثلاثة قد ظهرت للمرة الأولى في الأدب اليوناني ثم أخذ  
الرومان يقلدون اليونان في فنونهم وسار الأدب اللاتيني في الطريق التي سار  
فيها الأدب اليوناني ، وفي عهد النهضة أخذ الأوروبيون يدرسون الأصول  
اليونانية فتأثرت بها آدابهم تأثراً مباشراً ، وبني الشعر الأوربي الحديث على  
الأصول اليونانية اللاتينية من حيث الأقسام الثلاثة المعروفة (٢) ، والغرب  
مع اطلاعهم على علوم اليونان وفلسفتهم لم يهتموا بالإنتاج الأدبي اليوناني فلم  
يصل فن التمثيل إلى البلاد العربية إلا في العصر الحديث عن طريق الغربيين ،  
كذلك لم ينشئ شعراء العربية قصصاً منظومة على طريقة الإلياذة (٣)  
والشعر العربي الذي بأيدينا اليوم كله من الشعر الغنائي (٤) .

-- ٢ --

وبعد فإني أرى أن يقسم الشعر إلى أقسام يكون من أهمها :

١ - الشعر الوجداني ، وهو الذي يصف عواطف النفس ومشاعرها  
وآمالها وآلامها وأحزانها ومسراتها وحبها ولهاها

(١) ٦١ نقد الشعر

(٢) ٢٥٨ التوجيه الأدبي (٣) ٢٢٠ المرجع . ويمكننا اعتبار أرجوزة

ابن المعتز في المعتضد وتاريخه من شعر الملاحم والقصص (٤) ٢٢١ التوجيه

٢ - الشعر الاجتماعي ، وهو الذي يحدثك عن المجتمع وحالته والبيئة والمؤثرات فيها والشخصيات وأثرها الاجتماعي في حياة المجموعة العامة

٣ - الشعر السياسي ، ويتناول وصف الحياة السياسية وأحداثها والرجل الذين بيدهم زمام الأمور في الدولة ممن تربطهم بالشاعر صلات خاصة أو عامة

٤ - شعر الآداب والحكم والأخلاق

٥ - الشعر الفنى ، وهو الذى يصور الحياة ويصف مظاهر الطبيعة والأحياء ويرسم لك صوراً حية لكل ما فى الوجود من كائنات .

٦ - الشعر الإنسانى الذى يتناول وصف أحداث الحياة والكون والوجود وقضايا البشرية العامة ، وحقائق الحياة الخالدة ؛ بالعرض والتفصيل .

ولكن لا ضير علينا فى أن نقول إن الشعر الجاهلى ينقسم الى فنون كثيرة منها : المدح . الهجاء . الرثاء . الفخر . الوصف . الغزل . الاعتذار . الحماسة . الحكمة . العتاب

وسياىء الكثير من مثل كل فن من هذه الفنون والشواهد له من صميم الشعر الجاهلى وعبونه

### معانى الشعر الجاهلى

١ - يقول الأمدى فى الموازنة : « وهذا مذهب من مذاهب العرب عام فى أن يصفوا الشيء على ما هو وعلى ما شوهده من غير اعتماد لإغراب ولا إبداع (١) ، ويقول فى امرئ القيس :

« وبهذه الخلة - لطف المعانى - دون مساواها ، فضل امرؤ القيس ، لأن الذى فى شعره من دقبق المعانى وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة . فوق ما استعار سائر الشعراء ، من الجاهلية والإسلام . حتى إنه لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع وأنواع ،

ولولا لطيف المعاني ، واجتهاد امرىء القيس فيها ، وإقباله عليها ، لما تقدم على غيره ، وإن كان كسائر شعراء أهل زمانه ، إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ، ولا لألماظه من الجزالة والقوة ما ليس لألماظهم ، ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجوا في تقديمه بأن قالوا هو أول من شبه الخيل بالعصى وذكر الوحش والطير ، وأول من قال « قيد الأوابد ، وأول من قال كذا وكذا . فهل هذا التقديم إلا لأجل معانيه (١) » .

وهكذا نجد بعض التصوير لمعاني الشعر الجاهلي في كتب الأدب والنقد كالوساطة والصناعتين وسر الفصاحة وسواها .

ب - وبعد فعانى الشعر الجاهلي تمتاز بما يأتي :

١ - البساطة والوضوح والصدق وعدم التكلف أو الإغراق ، وقلة المبالغة ، وإنما يعبر الشاعر الجاهلي عن المعاني التي تدور بخله في سداجة وصدق ويسر لا مثيل لهما .

وما في الشعر الجاهلي من بعض المبالغات ، مثل قول النابغة في السيوف :

تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الجباحب

وقول امرىء القيس :

من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الإتب مها لأثرا

وقوله :

تنورتها من أذرعات وأهلها ييثرب أدنى دارها نظر تالى

وقول المتلبس :

أحار إننا لو تساط (١) دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

---

(١) ١٨٠ و ١٨١ المرجع . وقد ذكر ابن رشيق بعض ما اخترعه امرؤ

القيس من معاني الشعر (٢٣٢ : ٢٠٤ العمدة) : وكذلك ابن سلام في طبقات الشعراء

(٢٦ طبقات الشعراء) ، و ٢٩٧ : ٢ المزهرة للسيوطي . (٢) أى تخلط

يقول إن دماهم تمتاز من دماء غيرهم ، وهذا ما لا يكون كما يقول  
ابن قتيبة (١) :

وقول المهلهل :

ولولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تفرع بالذكور (٢)  
وقول عنبرة :

وأنا المنية في المواطن كلها والطعن مني سابق الآجال

وقول النمر بن تولب في السيف :

تظل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي

فإنما كل هذه المبالغات مثل مفردة في الشعر الجاهلي الذي يمتاز في عمومه  
بقلة المبالغة والتكلف والتهويل في الوصف لأن الشعراء الجاهلين كانوا  
يسلكون دائماً في معانيهم التعبير الصادق الواضح الساذج البريء من  
الغلو والإسراف .

٢ - - عدم تركيب المعاني أو تعقيدها ، وقلما تجد معاني مركبة في الشعر  
الجاهلي ، وإنما قد توجد معاني حسية متعددة تلاحظ أشكائها وألوانها  
كأنها متصلة بعضها عن البعض الآخر ، كقول النابغة :

فأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كواكب  
وقول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي  
وقول زهير يشبه امرأة بثلاث أشياء في بيت واحد :

نازعت المهسا شبيها ، ودر البحور ، وشا كمت فيها الظباء  
فأما ما فويق العقيد منها فن أدماء مرتعها الخلاء  
وأما المقلتان فن مهاة ولدر الملاحاة والصفاء

(٢) هي أصلب الحديد وأشدّه بيسا

(١) ٥٢ الشعر والشعراء

وقول امرئ القيس :

كان المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر  
يعمل به يرد أنيابها إذا طرب الطائر المستحجر

٣ - المعاني في الشعر الجاهلي مستمدة من أوصاف حسية ولا أثر للمعاني العقلية فيها ، فتجد امرأ القيس حين يصف الليل يقول :

وليل كوج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى  
فقلت له لما تمطى بصلابه وأردف أعجازا وناه بكلكل  
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الأصباح منك بأمثل  
ويقول النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع  
إلى غير ذلك من المناظر الحسية المشاهدة .

٤ - ومعاني الشعر الجاهلي مستمدة من البيئة العربية في العصر الجاهلي ، وهي تصورها تمام التصوير لأنها تعبير دقيق عن الحياة الجاهلية :  
سلاما وحراباً ، وجداء وهوا ، وفرحاً وحزناً ، وألماً وأملاً . كما تتكرر في الشعر الجاهلي أوصاف جبال الجزيرة وصحراواتها وقفارها ووديانها ومياهها وأوصاف أعشابها وحيواناتها وخيامها ومنازلها إلى غير ذلك مما يتصل بالبيئة الجاهلية ويصورها تمام التصوير ، ألا ترى إلى قول امرئ القيس :

قفأ نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول بخومل

كيف ذكر الأماكن وحددها هذا التحديد الجميل الدقيق ؟

٥ - قلة ترتيبهم للمعاني أو تأنيهم في نظمها ، إنما كانوا يرسلون الكلام على ما خيلت نفوسهم واستدعته فطرتهم وسجيتهم وبديهم ، فيدخلون معنى في معنى ويلتقلون من غرض إلى غرض في اقتضاب واضح دون عنفاية بالتلطف وحسن التخيل في الانتقال ، وأحياناً يقولون : دع ذا وعد عن ذا

ويكتفون بها في الانتقال من معنى إلى معنى ومن غرض إلى غرض ، كما قال  
زهير في هرم بن سنان يمدحه :

دع ذا وعد القول في هرم خير البداية وسيد الحضرة  
وسبب ذلك أمية العرب وبدواتهم وقلة حظهم من الثقافة والتفكير  
الحضري العميق .

ج ويمتاز امرؤ القيس كما سبق بابتكاره المعاني الجديدة الكثيرة بما  
اتبعت الشعراء فيها . وكان أوس بن حجر عاقلاً في شعره كثير الوصف  
لمسكارم الأخلاق ، وهو من أوصفهم للخمر والسلاح ولا سيما القوس ،  
وسبق إلى دقيق المعاني وإلى أمثال كثيرة (١) ، وكان أبو دؤاد الإيادي  
أحد نعمات الخيل المجيدين (٢) ، وكان الأعشى أوصفهم للخمر والحمر  
وأمدح وأهجمي (٣) ، إلى آخر هذه النواحي التي امتاز بها الشعراء الجاهليون  
في المعاني وفنون الشعر .

## أخيلة الشعر الجاهلي

الخيال في الشعر العربي :

الخيال ملكة خصبة تقدر على تخيل الأشياء وتصوير العواطف والآراء  
تخيلاً وتصوراً يوضح لنا نواحيها الغامضة ويعرض علينا ما فيها من أسباب  
الروعة والجمال عرضاً مؤثراً نحسبه حقيقة أو كالحقيقة المدبوسة ، يأخذ الشاعر  
الأشياء المألوفة التي يراها الناس جميعاً ، ثم يعمل فيها خياله فيخرجها  
في صورة جديدة لم تكن تتوهمها ، فليس الخيال دائماً مجافاة للحقائق وبعداً  
عن المألوف وقدرة على الاغراب والاتبان بما لا يكون ، بل المهم أنه مرآة

(١) ٤٧ الشعر والشراء (٢) ٦٩ المرجع (٣) ٨٢ المرجع

تنطبع فيها الصور فيعكسها وقد صفاها من كل شائبة وأخرجها إخراجاً جديداً والخيال خادم للحقيقة وغايته تصوير ما حجب عنا من حقائق الوجود، وهو في حسن اختيار التفاصيل المميزة وحركة الذهن في انتقاء هذه التفاصيل وضمها بعضها إلى بعض وترتيبها، فالشاعر يشعر بما حوله ويعتاد الملاحظة الدقيقة في الحياة المحيطة به بما يتصل بالإحساس والشعور والعاطفة والتفكير ويلاحظ ذلك جملة وتفصيلاً فتسجله ذاكرة ثم يركز ذلك في ذهنه وأعمق شعوره تركيزاً تاماً، ويأخذ في الغوص في أغوار الذهن على التفاصيل ودلالاتها، مستغرقاً في نشوته الروحية وفي تأملاته، وتصوره وتخيله استغراقاً تاماً يساعده على نشر المطوى من الملاحظات وإظهارها في فن جميل وآية من شعر القرىض وهذا الاستغراق وتلك النشوة والغبطة بالتعبير عن النفس يفران ينبوعاً من القوة الباطنة يلهم الشاعر روائع الشعاعية وآثاراً من الفن والجمال، فإدانة الشعر الأولى في العواطف الإنسانية من حب وحنن وأمل وبأس وغير ذلك مما يشعر به الشاعر ويحس به الإنسان، وهذه العواطف هي ينبوع الصادقة للشعر (١)، وهي التي يعمل الخيال عمله لتصويرها ويسعى ليركب الصور المودعة في العقل الباطن ومشاهده ليصوغها فناً شعرياً يعبر عنها ويوضح ما خفي منها، فليس الشعر صوراً وألفاظاً وعبارات إنما هو عواطف الشاعر وشعوره يركبها خيال صناع وملكات قادرة ومقدرة فنية موهوبة في صور من الألفاظ والأساليب، وجمال الشعر وروعته موقوفان على مدى إحساس العاطفة وقدرة الخيال على تصويرها، فإذا كانت صور الخيال

---

(١) القدماء من النقاد يختلفون في مادة الشعر اختلافاً كبيراً، فالجاحظ يراها في الأسلوب والنظم كما يدلنا على ذلك قوله: والمعاني مطروحة في الطريق وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخثير اللفظ وجودة السبك فإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير (٤٠: ٣ الحيوان)، وعلى رأي الجاحظ يسير عبد القاهر في الدلائل، أما قدماء فيرى أن مادة الشعر هي المعاني (١٤ نقد الشعر) والآدي وابن خلدون يريانها في الألفاظ (١٨٣ الموازنة، ٥٧٧ مقدمة ابن خلدون)

ناشئة عن عاطفة سقيمة أو سطحية ، كان الأثر الأدبي متكلفا مصنوعا لاحظ له من التقدير ، وإذا كان عمل الخيال محكما وإحساس العاطفة قويا نال الشعر حظه من الجودة والإعجاب ، والخيال إذا كان عمله وتأليفه لصور جديدة اختيرت عناصرها من بين الحقائق والمشاهدات المبعثرة المخزونة في الذاكرة وألفت تأييفا جديدا سمي خيالا مبتدعا ، ونهاية هذا الحديث أن هناك صلوات وثيقة بين الخيال والعاطفة فهو الذي يصورها ويهبها قوة مؤثرة ، وقوة الخيال مرتبطة بقوة العاطفة ، فإذا كانت صادقة قوية خلقت خيالا رائعا ، وإذا أردنا للأدب قوة وخلودا فعلينا أن نعني بهذيب الشعور ليكون إدراك الشاعر للحياة صادقا عميقا وآثاره الأدبية جميلة رائعة ، وخياله الأدبي موهوبا ملمها ، فالخيال أنفع المواهب والمليكات في فن الشعر لأنه المعبر عن العاطفة واللغة الطبيعية لأداء الانفعالات والعواطف الإنسانية .

### الشعر الجاهلي وحظه من الخيال :

١ - في الشعر الجاهلي الكثير من التشبيهات والاستعارات والأمثال والسكنايات ، وهذه هي أجنحة الخيال في التعبير والتصوير ، فنجد امرأ القيس كثير التشبيهات في معلقته ، وكنائته البليغة :

وتضحى فتات المسك فوق فراشها      فتووم الضحى لم تتنطق عن تفضل  
لا يعادها جمال ، وقوله :

وما ذرفت عينك إلا لتضربي      بسهميك في أعشار قلب مقتل  
من أسلوب التمثيل البارع .  
وكذلك قول النابغة :

نبئت أن أبا قابوس أوعدني      ولا قرار على زأر من الأسد  
وقول النمر بن تولب :

فُصِدَتْ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتِ قَنَاعِهَا    بَدَأَ حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِ  
تَشْبِيهِهِ جَمِيلٌ جَمِيدٌ .

وَيَقُولُ زَهِيرٌ : دَلَى أَسْدِشَاكِي السَّلَاحِ مَقْدَفٌ ، وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ وَاضِحَةٌ :  
وَيَقُولُ تَأْبِطُ شَرَا :

إِذَا حَاصَ عَيْنِيهِ كَرَى النُّومِ لَمْ يَزَلْ  
لَهُ كَالِيءٍ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانٍ فَانَكَ  
وَهِيَ كَذَلِكَ اسْتِعَارَةٌ قَرِيبَةٌ : وَيَقُولُ النَّابِغَةُ :

رَفَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حِجْزَاتِهِمْ    يَجْمُونَ بِالرِّيحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ  
فَتَجِدُ كِنَايَةَ جَمِيلَةً عَنِ الْعَفَّةِ وَالطَّهْرِ  
وَيَقُولُ الْأَعَشَى :

أَشْبُ لِمَقْرورِينَ بِصُطْلِيَانِهَا    وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدى وَالْمَحَاقِ  
وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْمَكْرَمِ وَالْجُودِ فِي غِنَى عَنِ الْإِشَادَةِ وَأَوْصَافِ الْبَلَاغَةِ  
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَخِيْلَةِ الْقَرِيبَةِ الْوَاضِحَةِ الْجَمِيلَةِ .

٢ - وَالْخِيَالُ فِي الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ خِيَالٌ وَاضِحٌ مَأْلُوفٌ يَحْلِقُ قَرِيبًا مِنْ هَذِهِ  
الْبَيْئَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنَاطِرُهَا وَأَلْوَانُهَا وَمَا تَحْفَلُ بِهِ مِنْ شَتَّى الْمَشَاهِدَاتِ  
وَالْأَوْصَافِ (١) ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ قَدْ طَافَ فِي الْبِلَادِ الْقَرِيبَةِ مِنْ  
الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَاسْتَمَدَّ بَعْضُ صُورِ خِيَالِهِ وَتَصَوُّرِهِ مِنْهَا ، كَمَا يَقُولُ النَّابِغَةُ  
يَزْرَى بِالْفِرَاتِ لِأَنَّ نَدْوَحَهُ النَّعْمَانَ أَكْثَرُ مِنْهُ جُودًا وَسَخَاءً :

فَمَا الْفِرَاتُ إِذَا هَبَّ الرِّيحُ لَهُ    تَرْمِي أَوْ ذَايَهُ الْعَبْرِينَ بِالزَّبَدِ  
بِظُلٍّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَصِمًا    بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الْآيْنِ وَالنَّجْدِ  
يَوْمًا بِأَجُودٍ مِنْهُ سَيْبٌ نَاقِلَةٌ    وَلَا يَحْمُولُ عَطَاءَ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ

(١) انظر قول الأعشى :

كِنَاطِحُ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوْهِنَهَا    فَلَمْ يَضُرَّهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلَ

وكالأعشى وعدى بن زيد الذين طافا بكثير من البلاد.

٣ - الأخيالة البعيدة البديعة قليلة جدا في الشعر الجاهلي لبدوية الأمة العربية وحياتها وبعدها عن آثار الثقافة والحضارة والرفاهية وبعد فما أكثر الخيالات الساذجة في شعر الجاهليين، فتجدون الأعشى يسدو في قوله :

وقد أراها وسط أترابها في الحى ذى الهجة والسامر  
كدمية صُور محرابها بُذُهب في مرمر مالم  
يشقى غليل النفس لاه بها حوراء تسي مقلّة الناظر  
ثم يقول في سذاجة الشاعر وخيال البدوى  
عدى بها في الحى قدسُ ربّلت هيفاءً مثلُ المهرة الضامر

## ألفاظ الشعر الجاهلي وأسلوبه

ألفاظ الشعر الجاهلي تمتاز بما يأتي :

١ - كراهة استعمال الألفاظ الأعجمية إلا ما جاء قليلا فيه على سبيل الفكاهة والظرف والتلميح كما في شعر الأعشى وعدى بن زيد وأبي ذؤاد الأيادي . وكان عدى يسكن بالحيرة ويدخل الأرياف فتقل لسانه واحتمل عنه شيء كثير جدا وعلماؤنا لا يرون شعره حجة (١) والعرب لا تروى شعر أبي داؤد وعدى بن زيد وذلك أن ألفاظهما ليست بنجدية (٢) .

(١) ٦٣ الشعر والشعراء .

(٢) ٦٩ المرجع . ويقول أبو الفرج : كان عدى بن زيد شاعرا فصيحاً من شعراء الجاهلية وهو نصراني وليس ممن يعد من في الفحول . وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان : عدى في الشعر بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجرى معها ، وكذلك كان عندهم أمية بن أبي الصلت (ص ١٧ : ٢ الأغاني) وكان امرؤ القيس يتوكأ على أبي ذؤاد ويروى شعره (٢٩٨ : ٢ المزهر)

ويقول الأعشى :

وشاهدنا الجبل والياسمين والمسمعات بأقصائها

وبربطها دائم معمّل فأى الثلاثة أزرى بها

فتجد أسماء فارسية بعيدة عن إلف العربي وسمعه ، وذلك أن الأعشى

دخل بلاد الفرس وجالسهم وصدروا عن ملوكهم وعلق بسمعه بعض ألفاظهم .

ويقول الأعشى أيضاً :

لها جُلُسانٌ عندها وبنفسج وسيسنبر والمرزجوش متمنا

٢ - كثرة استعمال الألفاظ في معانيها الحقيقية الموضوعية لها ففى بعيدة

غالباً عن أسلوب المجاز والسكناية والتشبيهات وما شابهها .

٣ - كثرة الغريب والحوشى ولا سيما عند وصف منظر أو حيوان أو

غيرهما من مشاهد البيئة العربية فى جاهليتها .

٤ - استعمال الألفاظ الجزلة غالباً . والجزل من الكلام هو الذى

تعرفه العامة إذا سمعته ولا تستعمله فى محاوراتها (١) ، وأجود الكلام ما يكون

جزلاً سهلاً لا ينفلتق معناه (٢) . ويقول ابن الأثير : الألفاظ تنقسم فى

الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ،

فالجزل منها يستعمل فى وصف مواقف الحروب وفى قوارع التهديد

والتخويف وأشباه ذلك . وأما الرقيق منها فإنه يستعمل فى وصف الأشواق

وذكر أيام البعاد وفى استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه

ذلك . ولست أعنى بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشياً متوعراً عليه

عنجهية البداوة ، بل أعنى به أن يكون متيناً على عدوئته فى الفم والذاتة فى

السمع . وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكاً سفسفاً وإنما هو اللطيف

الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبى تمام :

ناعمت الأطراف لو أنها تلبس أغنت عن الملاء الرقاق (١)،

ويقول: وأما البداوة في الألفاظ فتلك أمة قد دخلت وقد عيبت على مستعملها في ذلك الوقت فكيف الآن (٢) وقد عرف النقاد أمر الجزالة والرقعة وشأنهما في الكلام، وبمخما منهم كثيرون في تقديم ودراساتهم، فالفرزدق يقول في جرير: ما أحوجني مع فسوقى إلى رقة شعره، وأحوجه مع عفافه إلى خشونة شعرى (٣)، فهو يرى أن الجزالة والرقعة بحسب الشاعر والموضوع الذى ينظم فيه. ويقول عبد الملك في الأعشى: قاتله الله ما كان أعذب بحره وأصلب صخره (٤)، ويقول الأصمعى في شعر النابغة: إن قلت ألين من الحرير صدقت، وإن قلت أشد من الحديد صدقت (٥)، وقال أبو عبيدة في شعره: له ديباجة إن شئت قلت شهداً إن مسسته ذاب، وإن شئت قلت صخر لو رديت به الجبال لأزالها (٦).

ويبحث الجرجاني في وساطته الجزالة والرقعة بتفصيل (٧) وذكر أثر نفس الشاعر وحياته وبيئته وعصره ولون معيشته فيهما ورأى أن الرقعة إنما تأتيك من قبل العاشق المقيم والغزل المتهاك ودعا إلى تنزيل الجزالة والرقعة منازلهما بحسب المعانى والأغراض والموضوعات (٨). وقد ذكر الجاحظ في البيان الجزالة والرقعة غرضاً قتراه يقول: ومن الكلام الجزل والسخيف والخفيف والثقيل وكل عربى وبكل قد تكلموا (٩) وذكر أن سخييف الألفاظ شاكل لسخييف المعانى وأنه قد يحتاج إليه في بعض المواضع وربما أمتع كثيراً.

ويقول: وحاجة الكلام إلى الخلاوة كحاجته إلى الجزالة (١٠) ويدعو إلى ترك الوحشى والسوقى في مواضع كثيرة من بيانه (١١) وعرض لهما ابن المدبر

(١) ٦٥ المثل السائر (٢) ٩٨ المثل السائر

(٣) ١٢٧ الشعر والشعراء. (٤) ٣٨ الجمهرة (٥) ٣٨٠ : ٣ العقد

(٦) ٢٢ جمهرة أشعار العرب (٧) ٢٢ وما بعدها من الوساطة

(٨) ٢٩ المرجع (٩) ١١٠ ج ١ البيان والتبيين (١٠) ١٣٠ البيان

(١١) ١٠٥ و ١١٠ و ١٧٦ ج ١ المرجع

عرضاً فقال: لا يعتمد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظاً جزلاً (١) وعرض لهما  
أرسطو في كتابه الخطابة فذكر أنه لا ينبغي أن تكون الألفاظ سفسافة  
ولا مجاوزة في المثانة مبلغ الأمر الذي يدل عليه فلا تبلغ درجة العامية ولا  
تحوج إلى الكلفة المشنونة ، وذكر أنه ينبغي أن يلام بين اللفظ والمعنى  
فالمعنى الجزل يعبر عنه بالألفاظ جزلة والمعنى الرقيق يعبر عنه بلفظ رقيق (٨) .  
وبعد فالشعر الجاهلي فريد في جزالته ونخامته وجلالته وشدة تركيبه  
وقوة أمره ، وإن شئت فقرأ قول زهير :

قد جعل المبتغون الخير في هرم      والسائلون إلى أبوابه طرقا  
إن تلقى يوماً على علانه هرما      تلق السباحة منه والندى خلقا  
لوناك حتى من الدنيا بمكرمة      أفق السماء لتالت كفه الأفقا  
أو قول أمية بن أبي الصلت :

أذكر حاجتي أم قد كفاني      حياؤك؟ ، إن شيمتك الحياء  
وعليك بالحقوق وأنت فرع      لك الحسب المهذب والسناء  
خليـل لا يغيره صباح      عن الخلق الجميل ولا مساء  
وأرضك كل مكرمة بذتها      بنو تيم وأنت لها سماء  
إذا أتى عليك المرء يوماً      كفاه من تعرضه الثناء  
تبارى الريح مكرمة ومجداً      إذا ما الكلب أجزره الشتاء  
وقول امرئ القيس في عذوبة وخفة :

وما ذرفت عينك إلا لتضرنى      بسهميك في أعشار قلب مقتل  
أعرك مني أن حبك قاتلي      وأنتك مهما تأمرى القلب بفعل  
إلى غير ذلك من الشواهد والمثل

أما أسلوب الشعر الجاهلي فتتحدث عنه بإفاضة فنقول :

---

(١) الرسالة العذراء

(٢) راجع الفن الثامن من الخطابة في الشفاء لابن سينا خطوط

## ماهو الأسلوب :

الأسلوب في اللغة الطريق وعنق الأسد والوجه والمذهب

والأسلوب الأدبي يعرفه ابن خلدون في حديث طويل بأنه « المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه (١) » ، فهو يراه في الصورة الأدبية الممتازة التي يتميز بها الأدباء والشعراء وينسجون في أدبهم وشعرهم على منوالها . ويعرفه بعض المحققين بأنه طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الاقتناع والتأثير ، أو هو طريقة التفكير والتصوير والتعبير (٢) .

ويعرفه آخر بأنه المعنى المصوغ من ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفعال في نفوس سامعيه ، ويعرفه آخرون بأنه طريقة اختيار الكلمات ونظمها لتؤثر في نفس القارىء أو السامع . ويذكرون أنه غرضين : نقل الحقائق أو المعاني إلى ذهن السامع أو القارىء ونقل شعور الكاتب أو المتكلم إلى نفسيهما للتأثير

ويعرفه محن بأنه نهج الكاتب والشاعر في صوغ أدبه وشعره وأداء أفكاره ومعانيه والطريقة التي يسير عليها في اختيار كلماته وتراكيبه وما يؤثر في لغة تعبيره وتصويره من سهولة أو غرابة ومن عذوبة أو جزالة ومن وضوح أو خفاء وطبع أو صنعة ، وألوان الصنعة في شعره وأدبه من تشبيه واستعارة وكناية وطباق ومقابلة وتعليل ومبالغة وتورية وتدريج وعكس ومشاكله ؛ وطرق الأداء التي يسير عليها في صياغته من تقديم وتأخير وذكر أو حذف وفصل أو وصل وإيجاز أو إطباب إلى غير ذلك من شتى أوصاف الأسلوب ، وما يراعيه الكاتب والشاعر من أوصاف في بدو كلامه وفي فصوله وخاتمته : والأسلوب هو الوسيلة التي ينقل بها الأديب فكرته

(١) ٥٧٠ مقدمة ابن خلدون (٢) راجع ٢٣ - ٣٩ الأسلوب للشباب

وعاطفته وأرامه ومعانيه إلى الناس . ومقياس جودة الأسلوب هو القدرة على نقل ذلك والتعبير عنه بدقة وقوة تأثير

ويمتاز أسلوب الشعر بما فيه من عاطفة ، وما يشيع في نظمه من خيال وسحر صنعة وعذبة موسيقى وحرية في الأداء والتصوير ، وبشدة تأثيره في النفوس وأثره في العاطفة والشعور والوجدان . أنشد أبو العتاهية قصيدته :

أنته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها  
فلم تك تصلح لإله ولم يك يصلح لإلهها  
ولورامها أحد غيره لزلات الأرض زلزالها

وكان بشار حاضراً ، فلما سمع الأبيات اضطرب وسحر وقال : انظروا إلى أمير المؤمنين هل طار عن أعواده (١) وسمع الجاحظ رجلاً يشهد أرجوزة أبي العتاهية التي سماها ذوات الأمثال ، فبلغ قوله :

بالشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

فقال للمنشد : قف ثم قال : أنظروا إلى قوله : دروائح الجنة في الشباب ، فإن له معنى كعنى الطرب لا يقدر على معرفته إلا القلوب وتمجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير .

نعم إن الشعر ينبعث غالباً عن إحساس قوى ، ويلبس حلة جميلة من النظم تصور المعاني تصويراً قوياً رائعاً فكل ذلك يجعله ذا أثر شديد في نفوس سامعيه وقارئيه على السواء .

وأهم خصائص أسلوب الشعر الجاهلي هي :

١ - القصد إلى المعنى في إيجاز وعدم إطباب أو تطويل ، وتلك ميزة شعراء الجاهلية عامة ، وإن كان زهير كما يقول ابن سلام « أججمعهم لكثير

من المعنى فى قليل من المنطق كما كان أشدهم مبالغة فى المدح (١) .

٢ - الزهد فى المحسنات البديعية وعدم الإلمام بها إلا لما وعى غير قصد وكان العرب لا يعرفون ألوان البديع والبيان علما وإنما يعرفونها فنا وذوقا وملكا . وما جاء من المحسنات البديعية - من سجع وجناس وطباق ومقابلة وغيرها - فى شعرهم قليل نادر وعن غير قصد ولا التفتت .

٣ - الابتداء فى قصائدهم بذكر الأطلال والديار ، والترويع عن النفس بالالمام بالتشبيهات القوية البديعية .

٤ - متانة الأسلوب وقوته ودويبه فى الأذن والذوق ، كما يقول النابغة :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار      ماذا تحيون من نوى وأحجار ؟  
وقول امرئ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه      وأيقن أنا لاحقان بقيصرا  
ففلت له لاتبك عينك إنما      نحارل ملكا أو نموت فنعذرا  
وقول الأعشى فى ناقته :

فآليت لأرئى لها من كلاله      ولا من حفى حتى تلاقى محمدا

٥ - هذا الطابع البدوى الذى يمتاز به أسلوب الشعراء الجاهلى الذى نما وعاش فى هذه البيئة البدوية الغريبة وكثرة ما فيه من مخاطبة الأطلال وتذكر الناقة والفرس وسواهما .

٦ - كما يمتاز بحذف الفضول والسلامة من الالحن والتقصيد إلى المعنى ، فى بلاغة وسحر ودقة تصوير

## الرجز في العصر الجاهلي

كان الشعر الجاهلي قبل أن ينتقل إلى النهضة الفنية الواسعة على يد مهلهل وامرئ القيس ، كان كله رجزا ، ينطق الشاعر بالبيت أو البيتين فيما يعرض له من شئون الحياة ، كالأبيات التي تورعن دريد بن زيد والعنبر ابن عمرو بن تميم وأعصر بن ساعد والمنوغر بن ربيعة وسواهم (١) .

ولكن هذا الرجز كان خاليا من آثار التهذيب ، وخمل شأنه ببدء النهضة الفنية في الشعر على يد امرئ القيس وسواه .

ثم جاء الأغلب العجلى ، فاتخذ الرجز صناعة فنية ونظمه وأجاد فيه فكان الأغلب أول من طوّل شعر الرجز ، ويرى بعض النقاد كالجمحي وغيره أنه أول من رجز ، وينفي ذلك ابن رشيق لأن الأغلب أدرك عصر الرسول وليس بقديم جدا مع أن الرجز كان قبله . ويذكر أبو عبيدة أن العجاج هو أول من أطال الرجز وقصده وشبب فيه وذكر الديار واستوقف الصحاب عليها واستوصف ما فيها وبكى على الشباب ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيدة فكان في الرجاز كما مرى القيس في الشعراء وأرجوزته «قد جبر الدين الاله فجبر ، نحو من مائة بيت وهي موقوفة مقيدة (٢) ، ويؤيدان قتيبة أن الأغلب هو أول من أطال الرجز (٣) وهو الصحيح ؛ وأما العجاج فقد انتقل بالرجز خطوة جديدة فسار فيه على نهج الشعراء في القصيدة .

واشتهر بعد ذلك من الرجاز : العجاج وابنه روبة ، وأبو نخلة ، وأبو النجم ، ودكين ، والأغلب .

(١) ٢٩٤ و ٢٩٥ : ٢ المزهر ، ١٨ - ٢١ طبقات الشعراء .

(٢) راجع في ذلك كله ص ٣٠١ : ٢ المزهر ، ٢٤١ وما بعدها طبقات الشعراء .

(٣) ٢٣٥ الشعر والشعراء .

## الشعر الجاهلي بين الرجز والقصد

١ - علمت أن الجاهليين سبقوا فقالوا النثر في جمل صغيرة ، كما ترى في الأمثال العربية . ثم صاروا يوازنون كل جملة من النثر بالأخرى حتى توصلوا رويدا رويدا إلى نظم البيت أو البيتين . وكان الشاعر في تلك الأبيات يعبر عن الاحساسات التي كان يشعر بها كالحب والغضب والحماة وغير ذلك وكانوا يستعملون في ذلك الشعر بحر الرجز لسهولته وخفته ، ويسمون القطعة منها أرجوزة والجمع أراجيز ؛ وبعد ذلك صاروا يرتجلون منه أكثر من بيتين ، ويعبرون بها عن إحساساتهم النفسية ويصفون الوقائع الحربية والحيل والإبل والصحراء وغير ذلك مما يقع تحت نظرهم ، وصاروا يستعملون عدا الرجز أوزاناً أخرى منها الطويل والكامل والوافر وغيرها من البحور ويصف الأغلب العجلى (١) الذي عاش قبل الرسول في أراجيزه محبوبته ويذكر آثار حباها ويتأسف على ماضى من شبابه . ونرى في آخر الجليل الخامس أشعاراً في أرق نظم وأدق لفظ وأوسع معنى وأبداع صورة تدعى قصائد والواحدة قصيدة ، ويقال كما علمت إن أول من قال قصيدة هو المهمل ابن ربعة من بني تغلب قالها في قتل أخيه ، وذهبوا إلى أن الفرق بين الأشعار المترجلة والقصائد هو أن الشعر المترجل يعبر الشاعر فيه عن إحساساته النفسانية حالما ينفلج من شيء ويقول الشعر بدون تحضير وأكثر ما يكون الشعر المترجل من بحر الرجز ولا تتجاوز القطعة منه العشرة الابيات وقيل

(١) بعد المعراج أول من أطال الرجز وكان الشاعر قبل ذلك يقول البيتين والثلاثة ، فهو في الرجاز كما مرى القيس في الشعراء ، وهذا قول أبي عبيدة ، وقال غيره : أول من طول شعر الرجز الأغلب وهو قديم وزعم آخرون أنه أول من رجز وكان على عهد رسول الله (ص ٣٠١ المزهري ج ٢) ، وراجع ٢٣٥ الشعر والشعراء .

بل السبعة ، والقصائد ترد من جميع الابحر ولا تسمى قصيدة إلا إذا زادت عن السبعة الأبيات وكان نظمها مقصودا وقلبا تقال مرتجلة بل إن أكثر الشعراء كانوا ينقحونها قبل إنشادها .

٢ - وكانت القصائد تبتدىء بالغزل ويلم الشاعر فيها بأغراض كثيرة ، قال ابن قتيبة : سمعت بعض أهل العلم يقول إن مقصد القصائد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فشكا وبكى ، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظالمين عنها . إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر ، لانتجاعهم السكلا ؛ وانتقالهم من ماء إلى ماء ، وتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصباة ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ، ويستدعى به إصغاء الأسماع إليه ، لأن النسيب قريب من النفوس ، لائظ بالقلوب ، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف الدماء . فليس يسكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقا منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم ؛ فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه . والاستماع له ، عقب بإيجاب الحفوق ، فرحل في شعره ، وشكا التعب والسهر وسرى الليل وإنضاء الراحلة والبعير ، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وزمام التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدأ في المديح ، فبعثه على المسكافات ، وهزه على السماح . فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام (١) . وهكذا يفهم النقاد القدامى النهج الفني للقصيدة أو وحدة القصيدة عند الشعراء الجاهلين .

ومن غير شك أن النهج الذي ذكره ابن قتيبة هو نهج أغاب القصائد الجاهلية ، وقلبا تجد قصيدة في موضوع واحد ، وبما شذ عن ذلك قصيدة تأبط شرا :

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمه ما يطل (١)  
وبعض قصائد أخرى نادرة

هذا والقصائد الجاهلية كثيرة بكثرة الشعراء أنفسهم ، وبعد الباحثون أكثر من مائتى شاعر عاشوا فى الجاهلية عدا من ضاع ذكرهم ونسيت أشعارهم ، ولكن لم يصل إلينا من أشعار هؤلاء إلا القليل ، لأن جمع الشعر الجاهلى وتدوينه لم يبدأ إلا بعد سنة ١٥٠ هـ وأول بجموعة من مجموعات الشعر الجاهلى وعملت إلينا هى المفضليات .

٣ - ومن الشعراء الذين جمعوا بين الرجز والقصيد : امرؤ القيس ،

وطرفة ، وليبيد ، أما زهير والناخبة والأعشى فليس لهم من الرجز شئ . (٢)  
ويقول الأغلب الراجز :

أرجزا سألت أم قصدا . لقد سألت هينا موجودا

## العربيات الشاعرات فى العصر الجاهلى

نسمع من أسماء الشاعرات فى العصر الجاهلى ، العدد العديد ، ولا ترى لواحدة منهن ديوانا مجموعا . أو شعرا مشروحا . كما نرى لأكثر شعراء الجاهلية .

فمن شاعرات العرب : جمل الضبابية من بنى كلاب ، وأم موسى الكلابية وزهراء الكلابية ، وريطة بنت العباس السلمى ولها أبيات تروى أحاها وقد قتله بنو خثعم ، وأم الفضل بنت الحارث الهلالية ، وضباعة بنت عامر من بنى عامر من صعصة وكانت زوجا لعبد الله بن جدعان التيمى ؛ وأم

---

(١) ويسمىها بعضهم « نشيد الانتقام » ، ونقلها إلى الألمانية جوته الشاعر

ونقلت إلى الفرنسية والانجليزية والإيطالية مرارا

(٢) ٢٥٩ ج ٣ البيان والتبيين

الأسود الكلابية ، وجمل السلمية ، وضاحية الهلالية - ، والخنساء بنت التيمحان  
وليلي العفيفة زوج البراق ، وكانت من أجمل نساء زمانها ؛ ومن شعرها وهي  
في بلاد فارس :

ليت للبراق عينا فترى ما الأقي من بلاء وعنا  
عذبت أختكم يا ويلكم لعذاب النكر صبحا ومسا  
يكذب الأعجم ما يقربني ومعى بعض حشاشات الحيا  
فامطبار أو عزاء حسن كل نصر بعد حين يرتجى

وكثيرات سوى هؤلاء. وقد ذكرت غيرهن في كتاب «شاعرات  
العرب» .

ولقد معنى الرواة بدواوين الشعراء من الرجال عناية شديدة ، وبدلوا  
وسمهم في الحديث عنهم وعن شعرهم .

ولم يكن لعلماء اللغة ورواتها مثل هذه العناية بشاعرة من شعراء  
الجاهلية فيما أعلم حتى إن الذين تخبروا الشعر الجيد منهم وجمعوه في ديوان  
يحفظ كأنهم لم يريدوا أن يختاروا قصيدة لامرأة لتكون بجانب  
قصائد الرجال .

فهذا أبو زيد القرشي قد اختار تسعاً وأربعين قصيدة من القصائد الهوال  
ولم يحى فيها بواحدة لامرأة لا من الجاهلية ولا من الإسلام ، مع أن في  
كلام ليلى العفيفة ، وجليلة بنت مرة . وأخرنق والخنساء ، وليلى الأخيلية ،  
ملا يذكر بجانبه شعر كثير للشعراء من أصحاب المذاهب والمشوبات والمملحات  
والمنتقيات . فإن كنت في ريب من ذلك ، فإني ذاكر لك منتقاة انتقيتها  
للخنساء ، ومنتقاة انتقاها أبو زيد للمتلئس ، ثم وازن أنت بينهما واحكم بما  
تشاء . فأما التي للخنساء فهي قولها في رثاء أبيها وأخويها :

كأن لم يكونوا حمى يتقى إذ الناس إذ ذاك من عز بز (١)

هم ممنوعوا جارم والنسا . يحفز أحشاءها الموت حفزا  
ببيض الصقاح وسمر الرماح فبا لبيض ضربا وبالسمر وخزا  
وخيل تكدس بالدارعين وتحمت اللجاجة يجمزن جزا (١)  
جززنا نواصي فرسانها وكانوا يظنون أن لن نجزا  
وكانت العرب إذا أمرت أسيرا جزت ناصيته ، وألقتهما في الكفانة  
وأطلته تفتخر بذلك .

فمن ظن بمن يلقى الحروب بأن لن يصاب فقد ظن عجزا  
تعمف ونعرف حق القرى وتتخذ الحديد مجدا وكنزا  
ونلبس في الحرب نسج الحديد وفي السلم نلبس خزا وقزا  
وهذه منتقاة المتلبس التي قالها حين هرب من عمرو بن هند هو وطرفة  
وألقى الصحيفة فنجعا ولم ينج طرفه :

كم دون مية من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستودع اللبس  
ومن ذرى علم طام مناهله كأنه في حباب الماء مغموس  
القذف والقذف : البعيدة أى كان الجبل مغمورا في الماء من الآل . .  
جاوزته بأمون ذات معجمة (٢) تهوى بكلكلها (٣) والرأس معكوس  
يا آل بكر ألا لله دركم طال الشواء وثوب العجز ملبوس  
أغذيت فاغثوا اليوم شانكم وشمروا في مراس الحرب أو كيسوا (٤)  
حنت قلوصى بها والليل مطرق بعد الهدوء وشاقتها النواقيس  
معقولة ينظر الاشراق (٥) را كها كأنه من هوى الرمل ملبوس

---

(١) التكدس : اجتماع الخيل ووثنها معا ، والدارع لابس الدرع .  
(٢) ذات معجمة أى قوة وبقية على السير وأصلها التي ربت وتنت في سنة  
واحدة (٣) الكلكل الصدر والمعكوس المطوى  
(٤) أى كونوا ناطقين إما برأيكم وأما بسيوفكم  
(٥) الاشراق سوق بالطائف وجبل لهندل أو إشراف الشمس ، والاشراق  
الذئباب إلى الشرق (٢٤)

وقد أضاء سهيل بعد ما هجموا كأنه ضرم في السكف مقبوس  
 حنت إلى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام إلا تلك الدهازيس  
 آليت حب العراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس  
 فليس في منتقانه أكثر من استبعاده ديار صاحبه ثم ركوب ناقته فراراً  
 من الظلم قاصداً الشام بدل العراق وتحريمه العراق على نفسه وليس فيها كلها  
 شيء يروع أو يزن قول الخنساء :

كأن لم يكونوا حمى يتقى إذا الناس إذ ذاك من عززا  
 أو مثل قولها :

ومن ظن بمن يلاقى الحروب بأن ان يصاب فقد ظن عجزا  
 فكم ترى في الأول من تفخيم شأن قومها ، وفي الثاني من تهوين المصيبة  
 على الشجاع ، وما أحسن ما وصفت الخيل في نشاطها ، وهي تمشى مؤتلفات ،  
 وتثب مجتمعات تحت العجاج برسائها الدارعين الواثقين بالظفر بقولها :

وخيل تكس بالدارعين وتحت العجاجة يجمون جزوا  
 وما أبدع كتابتها عن غلبة قومها لهؤلاء الشجعان في قولها :

جزونا واصى فرسانها وكانوا يظنون أن لن نجزا  
 وناميك باعتذارها عنهم وتسليتهم عن مصابهم والإشارة من طرف تخفي  
 إلى لومهم لظنهم في أنفسهم أكثر مما تستحق وذلك قولها :

فمن ظن بمن يلاقى الحروب بأن ان يصاب فقد ظن عجزا

أفترك مثل هذا الكلام النقي الهزاز الآخذ ويجعل كاشيء الملقى ، ولا  
 عيب فيه فيما أظن إلا أنه كلام امرأة ، ولا حسن في كلام المتلبس إلا أنه  
 كلام رجل .

فإن لم يكن هذا كما أظن فلم لم يجمع الرواة دواوين فضليات النساء ؟ فأين  
 ديوان جليلة وأمينة بنت عيينة . وأمامة بنت ذى الأصبع العدواني .  
 وأم بسطام ، وأم التسليك ، وأم الصريح الكندي ، وأم كاشوم بنت عبدود ،

وجنوب أخت عمرو ذى النكب ، وبنات عبدالمطلب : صفية ، وبرة ، وعانكة ،  
وأم حكيم ، وأميمة ، وأروي ، وريطة بنت العجلان بن عامر الهذلي ، وسارة  
القرظية ، وعميرة الخثعمية ، والفارعة بنت شداد ، وخاصة الخزاعية ،  
وأضراب دؤلا . من شواعر البراهمية ، ولا يزال ديوان الخرنق مخطوطا ،  
وقدر أيته فوجدت جميع ما في الديوان من شعرها خمسة وخمسين بيتاً جمعه  
أبو عمرو بن العلاء ، وما وصل إليه متفرقا ، وكتبه المرحوم الشيخ الشنقيطي  
بخطه ، وهو في دار الكتب المصرية ، ولم يسنده إلى راو ؛ ولو لم يكن  
للخنساء الثابتة في الجاهلية والإسلام ، الممكانة العالية في سوق عكاظ ،  
والبلاد في الجهاد ، هي وأولادها في حرب القادسية ، لما كان حظنا من كلامها  
اليوم إلا كحظنا من كلام ليل العفيفة .

وهذه المفضليات مائة وعشرون قصيدة وقطعة ليس فيها إلا خمسة  
أبيات لامرأة مجهولة من بني حنيفة ، والمفضليات هي أجود كلام العرب  
الذي اختاره المفضل الضبي بأمر أبي جعفر المنصور للمهدي العباسي  
ليتأدب بها .

فهذه مكانة شعر النساء في نظر المؤدبين والرواة والعلماء في ذلك الزمن ،  
وكان الذين جاؤا بعدهم احتذوهم حذو النعل بالنعل فما رأيتهم دونوا شعر ليلي  
الأخيلية في ديوان كما دونوا شعر المجنون .

وقس على هذا سائر المفضليات من الشاعرات ، خصوصاً بعد سقوط  
بغداد ، ثم أفول قرظية ، فإن شعر المرأة في هذا الزمان قد اختبأ تحت  
جبال الرجال ولم يظهر منه إلا القليل .

ولعل ظهور عائشة التيمورية وطبع شعرها كان فلتة نادرة .

والمرزباني جمع أشعار النساء في كتاب يوجد بدار الكتب المصرية  
بخط أندلسي قديم مضى عليه نحو ثمانمائة سنة ، والظاهر أنه أحفل كتاب  
يروي الشعر الصحيح ، ولولا مثله لبقى تاريخ أدب المرأة مطموسا .

ومن شعر النساء قالت أم نذبة تعرض زوجها حذيفة بن بدر على أخذ  
نار ابنها نذبة ، وكان قيس بن زهير العبسي قتله في حرب داحس والغبراء  
فرضى زوجها حذيفة بأخذ ديته فعاظها ذلك :

أبقتل نذبة قيس وترضى	بأنعام منوق سارحات
أما تخشى إذا قال الأعدى	حذيفة قلبه قلب البنات
نخذ ناراً بأطراف العوالى	وبالبيض الحداد المرهفات
وإلا خلنى أبكى نهارى	وليلى بالدموع الجاريات
لعل منى تانى سريعاً	وترمى سهام الحاديات
أحب إلى من بهل جبان	تكون حياته أردا الحياه
فيا أسفى على المقتول ظلماً	وقد أمسى قتيلاً فى العلاء
ترى طير الحمام ينوح مثلى	على أعلى الغصون المائلات
وهل تجمد الحمام مثل وحدى	إذا رميت بسهم من شتات
فيا يوم الرهان فجعت فيه	بشخص جازع من حد الصفات
ولا زال الصباح عليك ليلاً	ووجه البدر مسود الجمات
ويا خيل السباق سقيت سما	مذاباً فى المياه الجاريات
ولا زالت ظهورك مثقلات	باحمال الجبال الراسيات
لأن سباقكم ألقى علينا	هموما لا تزال إلى المهات

ولهذا الشعر نظائر من شعر النساء يؤخذ منها أن المرأة لضعةها لا تضبط  
نفسها عند شدتها حتى إنها لتدعو على أقرب المقربين إليها وقد تدعو على  
نفسها وعلى من لا يتصور منه الجناية عليها الذهاب رشدها عند التواب ولا  
كذلك الرجل فإنه أقدر على ربط جأشه وحفظ بوادره وكظم غيظه ومن  
هنا علم أن شعر المرأة يظهر من أخلاقها أكثر مما يظهر شعر الرجل من  
أخلاقه فإن شعر المرأة مرآة مصقولة تشف عما فى نفسها .

وقالت جلييلة زوج كليب ، وأخت جساس بن مرة حينما ضعتها أخت  
كليب من الدخول فى مأتم أخيها ، وقد كان قتله جساس فى حديث

مشهور ، وقد نقلت هذه القصيدة على أصح رواية من كتابه أشعار النساء للمرزبانى :

يا ابنة الأرقام إن لمت فلا      تعجلى باللوم حتى تسألى  
فإذا أنت تبيئت التى      عندها اللوم فلومى واعدلى  
إن تكن أخت امرى وليت على      جزع منها عليه فافعلى  
فعل حساس على وجدى به      قاطع ظهرى ومفن أجلى  
لو بعين غير عيني انفقات      عيني اليتى إذا لم أحفلى  
أتم المجد كليب وحده      واستوى العالى معا بالأسفلى  
من لحكم الناس فى حيرتهم      وقرى الأضياف كوم البزلى  
ولإصلاح وإفساد معاً      فى صدى الرمح ودك المنفصل  
جل عندى فعل حساس فىا      حسرتى عما انجملت أو تنجلى  
يا قتيلا خرب الدهر به      سقف بيتى جميعا من عل  
هدم البيت الذى استحدثته      وبدا فى هدم بيتى الأول  
ورمانى قتله عن كسب      رمية المصمى به المستأصل  
يا نسانى دونك اليوم قد      خصنى الدهر بأمر معضلى  
خصنى قتل كليب بلظى      من ورانى ولظى مستقبلى  
ليتة كان دمى فاحتلبوا      بدلا منه دما من أكحلى  
إنى قاتلة مقتولة      ولعل الله أن يرتاح لى

ومن كلام أم السليك بن السليكة ، وقد انقطعت عنها أخباره ، وغلب على ظنها أنه قتل ، وكان عداها مشهوراً :

طاف يبقى نجوة      من هلاك فم-لك  
ليت شعرى ضلة      أى شىء قتلك  
أمريض لم تعد      أم عدو ختلك؟  
أم تولى بك ما      غال فى الدهر السلك؟  
والمنيا رصد      للفتى حيث سلك

أى شىء حسن لفتى لم يكت لك  
كل شىء قاتل حين تلقى أجلك  
طالما قد نلت فى غير كد أملك  
إن أمراً فادحا عن جوابى شغلك  
سأعزى النفس إذ لم تجب من سألك

وفيه من السهولة والنقاء والتأثير والوقوف به عند حد الشعور مافيه ،  
ونجده بمكانة لا تحتملها إلا عواطف النساء .

ومن ذلك قول الخزق بنت بدر أخت طرفة بن العبد لأمه ، وزوج  
بشر بن عمرو بن هرمد ، ولها فى رثاء أخيها وزوجها ، ومدح قومها  
أشعار جيدة :

ألا أقسمت آسى بعد بشر على حى يموت ولا صديق  
وبعد الخير علقمة بن بشر إذا نزت النفوس إلى الخلو (١)  
ومال بنو ضبيعة حول بشر كما مال الجدوع من الحريق  
وقالت فى قومها :

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر  
النازلون بكل معترك والطيبون معاهد الأزر  
الضاربون بحومة نزلت والطاعنون بأذرع شعر (٢)  
والخالطون نحيبتهم بنضارهم وذوى الغنى منهم بذى الفقر

وقالت لعبد عمرو ، حين وشى بأخيها طرفة إلى عمرو بن هرمد  
وقتلته عامله :

أرى عبد عمرو قد أساط ابن عمه وأنضجه فى غلى قدر وما يدرى  
فملا ابن جساس قتلت ومعبداهما تركاك لا تريش ولا تبرى  
وقالت فى رثاء طرفة :

---

(١) أى علت (٢) الأشعر الذى فيه شعر وهو أقوى

عددنا له خمسا وعشرين حجة فلما توافها استوى سيدا نفيها  
لجمعنا به . لما انتظرنا إياه على خير حين لا وليدا ولا قهما

قالت ذلك حينما بلغها قتل طرفة ، وكان قد ذهب هو وعبد عمرو بن  
الشريد وعم طرفة ، وعمرو بن مرثد بن عمه ، إلى عمرو بن هند ، ونادموه مدة  
فوشى بطرفة عبد عمرو ، وكان طرفة قد هجاه ، فكتب إليه عمرو بن هند  
كتابا وأرسله إلى عامله بالبحرين ، وأوممه أن فيه إنفاذ جائزته ، وكذلك  
أعطى المتلمس ولكنه ألقى كتابه في النهر ونجا إلى الشام ، وأما طرفة فذهب  
بكتابه إلى المكبر عامل عمرو على البحرين ففرض الكتاب ، وقتله بعد أن قطع  
يديه ورجليه ، ودفنه حيا .

والذي يهونا من سرد شعرها هو الاستماناة على إثبات ما الشعر النساء من  
الخصائص ، وقد أوردنا فيما سبق أبيات لبلى العفيفة وذكرنا قصتها وهي  
في طبقة جليلة ، وإن كانت أقدم منها ، وخصائص أشعارهما واحدة ، بيد أن  
في شعر الخرنق شيئا كثيرا من متانة شعر طرفة أخيهما .

هذا ولم يمر بنا في كل ما روينا شيء من الغزل والتشبيب والوقوف على  
الديار وترسم الأمار مع أننا لا نكاد نجد قصيدة جاهلية الرجال خالية  
من مثل هذا .

وسبب ذلك أن النساء لغلبة الحياء عليهن تركن باب الغزل ، وأبقينه  
مفتوحا للرجال ، وقد تصفحت أشعار أكثر من ستين من شاعرات الجاهلية  
فلم أر لواحدة منهن غزلا فعرفت صحة السبب الذي أوردته ، وعددت هذا فارقا  
بين شعرهن وشعرهم .

ثم نظرت كذلك فلم أجد لهن في الجريبات شيئا ، وما سمعت واحدة  
تمدحت بشربها ، ولا نعتت غيرها من النساء بهذا النعت . فدل ذلك على أن  
الشرب لم يكن من خلق النساء ولا كان محمودا عند الرجال ، ولذلك لم يقلن فيه  
وتركنه كما تركن فن الغزل .

## آراء علماء الأدب في الشعر الجاهلي

- ١ -

الشعر الجاهلي ، الذي اتخذ الشعراء في مختلف العصور ، أصلاً محتذون  
حذوه ، وينهجون منهجه ، ويبنون عليه ، ويقلدونه في مناحيه الفنية والأدبية  
تقليداً كبيراً ؛ هذا الشعر هو الذي نريد أن نتحدث عن موقف النقاد منه ،  
وآرائهم فيه ، ومذاهبهم حياله ، حديثاً يجمع مع الإيجاز أطراف هذا الموضوع  
المتشعب الدقيق .

- ٢ -

وأول ما نذكره في هذا البحث . آراء أنفسهم في الشعر  
الجاهلي ونقده ؛ وهذه الآراء كثيرة متعددة ؛ طائفة منها نتحدث عن  
منزلة بعض الشعراء الأدبية في الشعر ، وطائفة أخرى فيما نقد لبعض الشعراء .  
فأنت تعلم أن كل قبيلة في الجاهلية ، كانت ترفع منزلة شاعرها على  
الشعراء ، وتذهب إلى أنه إمامهم وأولهم في دولة الشعر . فكانت بنيون  
يذهبون إلى أن امرأ القيس هو إمام الشعراء ، وكان بنو أسد يذهبون إلى  
تقديم عبيد ، وتغلب تقدم مهلهلا ، وبكر تقدم المرقش الأكبر ، وإياد  
ترفع من شأن أبي دؤاد ، وهكذا . وكان أهل الحجاز والبادية يقدمون  
زهيراً والناطقة ، وأهل العالية لا يعدلون بالناطقة أحداً ، وأهل الحجاز  
لا يعدلون بزهير أحداً . وكان العباس بن عبد المطلب يقول عن امرئ  
القيس : هو سابق الشعراء ؛ ورأى ليبيد أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفه  
ثم نفسه .

كما تعلم أن الجاهليين أنفسهم كانت لهم آراء كثيرة في نقد الشعراء ؛  
فكانت الناطقة تضرب له قبة حراء في سوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء وتشدده  
أشعارها ؛ أتاه الأعشى يوماً فأنشده ، ثم أتاه حسان فأنشده ، فقال : لولا

أن أبا بصير - الأعشى - أنشدني آنفاً لقلت إنك أشعر البجن والإانس ؛  
فقال حسان : والله لأنا أشعر منك ومن أبيك وجدك ، فقبض النابغة على  
يده وقال : يا ابن أخى أنت لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المتأى عنك واسع  
ثم أنشدت الحنساء :

قذى بعينك أم بالعين عوار أم أقرت إذ خلت من أهلها الدار  
فلما بلغت قولها :

وإن صخرأ لتأتى الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

قال : مارأيت امرأة أشعر منك ؛ قالت : ولا رجلا .

وحكومة أم جندب الطائية بين امرى القيس وعلقمة بن عبدة  
الشاعرين ، وتفضيلها علقمة على زوجها امرى القيس مشهورة ؛ ولاداعى  
لذكراها ، فلما حديث آخره إن شاء الله .

ومر امرؤ القيس بكعب وأخويه : الغضبان والقعقاع ، فأنشدهم ؛ فقال :

إنى لأعجب كيف لا تمتلى . عليكم ناراً جودة شعركم ، فسموا بنى النار .

وروى المرزبانى فى كتابه « الموشح » ، أن الزبرقان وعمرو بن الأهم  
وعبدة بن العائيب والمخبل السعدى ، تحاكموا إلى ربيعة بن حذار الأسدى  
الشاعر ، فى الشعر وأيهم أشعر ؛ فقال الزبرقان : أما أنت فشعرك كالحم  
أسخن ، لاهو أنضج فأكل ، ولا ترك ندياً فينتفع به ؛ وأما أنت يا عمرو فإن  
شعرك كبرود حبر ، يتلألاً فيها البصر ، فكأها أعيد فيها النظر نقص البصر ؛  
وأما أنت يا مخبل فإن شعرك قصر عن شعرهم ، وارتفع عن شعر غيرهم ؛  
وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر .

كما روى أيضاً أن هؤلاء الشعراء اجتمعوا فى موضع فتناشدوا أشعارهم  
فقال لهم عبدة : والله لو أن قوما طاروا من جودة الشعر لطرتم ، فيما أن  
تخبرونى عن أشعاركم وإما أن أخبركم ، قالوا : أخبرنا ، قال : فإنى أبدأ بنفسى ،

أما شعرى فمثل سقاء شديد ، وغير من الأسقية أوسع منه ، وأما أنت يا زبرقان فإنك مررت بجزور منحورة ، فأخذت من أطايبها وأخابها . إلى غير ذلك من مواقف النقد والتفاد للشعر في العصر الجاهلي ، والتي لا تخرج عن الاستحسان أو الاستهجان للشعر والشعراء .

-- ٣ --

وجاء الإسلام ، فكان له ولرسوله الكريم ، موقف جليل من الشعر الجاهلي . أنكر بعضاً وعرف بعضاً . أنكر هذا الشعر الذى ينافى الأخلاق الكريمة ، والمثل العليا : من الغزل الفاحش ، والمجون الخليع ، والهجاء الكاذب ، والمدح المغرق ، والمبالغة ؛ وعرف هذا الشعر الذى يدعو إلى الفضائل والأخلاق والدين ، ويحث على الأدب والطموح وأداء الواجب وحب الجماعة والتضحية فى سبيل الأمة والإنسانية . فكان هذا الموقف الخالد للإسلام ونبيه العظيم ، توجيهاً جليلاً لرسالة الشعر ، وتهذیباً نبيلاً للشعراء ليسموا بفنهم الرفيع إلى مجال الطهر والخير ، وآفاق الحق والعدل والحرية والنور ؛ بل كان نقداً عميقاً للشعر ومنهج الشعراء فى الجاهلية ، وإنكاراً لاتخاذ الشعر وسيلة للنكسب والثراء .

وظهر أثر الإسلام والقرآن فى تهذيب أسلوب الشعر وألفاظه وفى البعد به عن الحوشية والغرابية ، وطبعه بطابع انقوة والجلالة والروعة مع الحلاوة والبلاغة والسلاسة . كما ظهر أثر القرآن والحياة الجديدة فى عقابية الشعراء وتفكيرهم ومعانيهم وأخيلتهم .

-- ٤ --

وفى عصر دولة بنى أمية ، انتشرت العصبيات ، وكثرت الخلافات السياسية والدينية وتغير نهج حياة العرب وتفكيرهم ؛ فعادوا إلى مذاهب الجاهليين فى الشعر ، واتخذوه أداة للدفاع عن الرأى والعقيدة ، واساناً لإذاعة محامدهم ومفاخرهم . وشجعوا الرواة على رواية الشعر الجاهلي ،

والشباب على درسه وتعلمه والتأدب بأدبه ، ووضعت في هذا العصر أصول النحو العربي ، فأخذ العلماء يتقنون الشعر الجاهلي والشعراء نقداً يتصل بالإعراب ، وكان ابن إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان عليهم . وكان عيسى يقول : أساء النابغة في قوله :

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها المم ناقع  
وبقول موضعه : ناقماً (١) .

- ٥ -

ومن أشهر رواة الشعر الجاهلي ونقاده في القرن الثاني الهجري : أبو عمرو بن العلاء البصري المتوفى عام أربعة وخمسين ومائة بعد الهجرة ؛ وحماد الراوية الكوفي ( ٧٥ - ١٥٦ هـ ) ، وخلف البصري م ١٨٠ هـ ، والمفضل الضبي م ١٨٩ هـ ، وهو أقدم من جمع المختار من شعر العرب في كتاب ، وأول من فسر الشعر بيتاً بيتاً ، ويقال إنه أول من جمع أشعار الجاهليين .

ومنهم ابن الكلبي م ٢٠٤ هـ ، وأبو زيد الأنصاري صاحب كتاب الجهرة المتوفى عام خمسة عشر ومائتين ، وأبو عبيدة البصري م ٢٠٩ هـ صاحب النقائض ، ودمج القرآن ، والأصمعي البصري م ٢١٦ هـ ؛ وقد أدرك بعض هؤلاء جزءاً من أوائل القرن الثالث . وكان هؤلاء الرواة أثر كبير على الشعر الجاهلي ، فقد اهتموا بجمعه وروايته وتدوينه ، ووضعوا الجاهليين في طبقات ، ولم يتركوا شاعراً مشهوراً من الجاهليين إلا رأوا فيه رأياً .

وكان أبو عمرو بن العلاء أشد الناس إكباراً للجاهليين ، وتعظيماً لشأنهم ، جلس إليه الأصمعي عشر سنين فما سمعه يمتج بيت إسلامي ؛ ويروي عنه : لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه

(١) ٤١ الموشج ، ١١ و ١٢ طبقات الشعراء لابن سلام .

أحدا ، وكان لا يعد الشعر إلا للجاهليين ، وكان كما يقول ابن سلام في « طبقات الشعراء » : أشد الناس تسليها لهم . وكان المأمون رغم ثقافته الواسعة يتعصب للأوائل من الشعراء ، ويقول : انقضى الشعر مع ملك بني أمية .

وكان الأصمى - مع تحامله على المحدثين وشعرهم - معتدلا في عصبيته للشعر الجاهلي ، كان يحب الجيد منه ، وينقد الردي . عاب امرأ القيس في قوله في وصف الفرس .

وأركب في الروع خيفانة كسا وجهها سنف منتشر

والخيفانة في الأصل هي الجرادة ، وتشبه بها الفرس في الخفة ؛ قال الأصمى : شبه شعر الناصية بسنف النخلة ، والشعر إذا غطى العين لم يكن الفرس كريما كما عاب غير امرئ القيس من الشعراء ؛ وكان يقول : ختم الشعر بالرماح ، وهو شاعر أموي مشهور .

- ٦ -

وفي القرن الثالث الهجري نجد النفاذ في موقفهم من الشعر الجاهلي طائفتين :

فطائفة تعجب بالجاهليين وشعرهم إعجاباً شديداً ، ولا ترى الشعر إلا لهم . ومن هؤلاء ابن الأعرابي م ٢٣١ هـ ، وكان يزري بأشعار المحدثين ، ويشيد بشعر القدماء ؛ وكان يعيب شعر أبي نواس وأبي تمام ، ويقول : ختم الشعر بابن هرمة ؛ وقال في بشار : والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير من الشعراء .

ومنهم أيضا : إسحاق الموصلي م ٢٤٠ هـ ، وكان في كل أحواله ينصر الأوائل ، وكان شديد العصية لهم ، وكان لا يعتد ببشار ، ولم يكن موقفه قاصراً على الشعر وحده ، بل كان كذلك في الغناء ؛ كان يتعصب للقناء القديم ، وينكر تغييره ويعظم الإقدام عليه . ومثل ذلك التعصب للقديم موجود في

الآداب الأوربية ، فقد كان د هوراس ، الشاعر الروماني يرى أن شعراء اليونان هم النماذج التي يجب أن تدرس ليلا ونهاراً ، وأن الشعر ينبغي أن ينظم كما كانوا ينظمونه ، وكان في فرنسا خلال القرن السابع عشر مذهب أدبي يرى إلى إكبار البلاغة القديمة وتقليدها ، لأنها تمثل صور البيان خير تمثيل ، وكان يتزعمه جماعة من النقاد أشهرهم د بولو ، حتى ألف شارل بيرو كتابه الموازنة بين القدماء والمحدثين ، يدعو فيه إلى التحرر من التقليد . ويشيد بالمحدثين ، ويقول : إنهم فاقوا القدماء في البلاغة

وقد اعتذر الباقلاني عن هؤلاء النقاد العرب المحافظين ، بأنهم إنما كانوا يميلون إلى الذي يجمع الغريب والمعاني ؛ واعتذر ابن رشيق عنهم بحاجتهم إلى المثل والشاهد وقلة نقتهم بما يأتي به المولدون ؛ ولكن الجرجاني في الوساطة يذكر أن ذلك أثر لتعصب علماء اللغة ووراثتها للشعر القديم ، ولانكارهم لفضل المحدثين وشعرهم (١) .

وطائفة أخرى من النقاد في القرن الثالث ، حكّموا الذوق الأدبي والطبع وحدهما في الشعر ، وحكّموا بالفضل لمن يستحقه ، جاهلياً كان أو إسلامياً أو محدثاً ، فلم يفضلوا الجاهليين لسبقهم في الزمن ، ولم يغضوا من شأن المحدثين لتأخر عصرهم ، ومن هؤلاء : الجاحظ م ٢٥٥ هـ . وابن قتيبة م ٢٧٦ هـ ، والمبرد م ٢٨٥ هـ ، وابن المعتز م ٢٩٦ هـ .

يقول ابن قتيبة في أول كتابه د الشعر والشعراء (٢) : ولا نظرت إلى المتقدم بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين ، وأعطيت كلا حقه ، ووفرت عليه حظه ؛ فأبى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه موضع متخير ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب عنده إلا أنه قيل في زمانه ،

(١) ٤٩ و ٥٠ الوساطة ط بيروت .

(٢) ٧ و ٨ الشعر والشعراء .

ورأى قائله ؛ ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده ، وجعل كل قديم منهم حديثا في عصره ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو يقول : لقد نبغ هذا المحدث حتى هممت بروايته .

وقال المررد : ليس لقدم العهد بفضل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، وليكن يعطى كل ما يستحقه (١) . وأنكر ابن المعتز عصبية هؤلاء . النقاد للشعر القديم ، وذمهم لشعر المحدثين ، وقال : إنها عيب قبيح ، ومن فعل ذلك فإنما غرض من نفسه ، وجعل هذا ناشئا عن جهل بنقد الشعر وتمييزه (٢) . وكان الجاحظ ذو السابق إلى إقامة نقد الشعر على أسس نثية خالصة ، وحارب هذا التعصب الممقوت للقديم لقدمه ، وآراؤه في ذلك في كتابه : الحيوان والبيان والتبيين كثيرة ؛ ففي الحيوان ينكر الجاحظ على المتعصبين للقديم فعلهم ، ويقول : ولو كان لهم بصر . لعرفوا موضع الجيد ممن كان وفي أي زمان كان ، (٣) .

وفي القرن الثالث أيضا كثرت مؤلفات النقاد في الشعر والشعراء الجاهليين ، وكتاب ابن سلام «طبقات شعراء» مشهور ، وهو أبرز عمل أدبي منظم في النقد ، وقد قسم الجاهليين عشر طبقات ، وأضاف إليهم شعراء الأثراني وشعراء المدن العربية ، ووضع في الطبقة الأولى أسرا القيس وزهيرا والأعشى والنابغة ، ولم يسبقه إلى هذا التقسيم الفني للشعراء الجاهليين وطبقاتهم الأدبية إلا أبو عبيدة الذي قسم الجاهليين ثلاث طبقات ، ووضع في الأولى أسرا القيس والنابغة وزهيرا . وفي الثانية الأعشى وطرفة وليبيدا ؛ ويذكر ابن سلام في «طبقات الشعراء» ، الإسلاميين أيضا ويقسمهم طبقات عشرة ، ولا يذكر أحدا من المحدثين . بعكس ابن قتيبة ، الذي ألف

(١) ١٨ : ١ الكامل للمررد .

(٢) ١٣ و ١٤ : رسائل ابن المعتز ، لمحمد عبد المنعم خلفا جى .

(٣) ٤٠ : ٣ الحيوان .

كتابه : الشعر والشعراء ، وذكر فيه الكثير من المحدثين الذين عاشوا قبيل منتصف القرن الثالث الهجري ؛ وهذا يدلنا على أن ابن قتيبة كان أكثر تقديرًا للشعر الجيد وحده ، بصرف النظر عن قائله وعصره . وذلك يذكرنا بجمع المفضل وأبي زيد الأنصاري للشعر العربي ، فقد جمع المفضل في مفضلياته مختارات للشعراء الجاهليين ، وللقليل جدا من المخضرمين ؛ أما أبو زيد الأنصاري ففي كتابه « الجهرة » مختارات للجاهليين والمخضرمين والإسلاميين ، فكأنه لا يقف إعجاباه على الشعر الجاهلي وحده ، بخلاف المفضل

وألف ابن المعتز أيضا كتابا في طبقات الشعراء المحدثين ، طبع في أوروبا ومصر ، ويسير فيه على نهج ابن قتيبة من حيث ذكر اشاعر وحياته ومذهبه الفني في شعر ، ونماذج من مختارات شعره ، ولكن الكتاب وقف على المحدثين وحدهم من بشار إلى عصر ابن المعتز ، وهو أوفى كتاب في دراسة طبقة بشار ، وطبقة أبي نواس ، وطبقة أبي تمام ، والبحتري . وهذا يدلنا على إعجاب ابن المعتز بالمحدثين ، وتقديره لبلاغتهم وشغفه بهم عن الجاهليين والإسلاميين إلى حد ما .

- ٧ -

أما القرن الرابع فقد كان أحفل قرن بالنقد والنفاد ؛ وظهرت فيه أصول كتب النقد الأدبي مثل : نقد الشعر لقدامة م ٣٢٧ هـ ؛ ونقد الأثر المنسوب إليه أيضا ؛ ومثل أخبار أبي تمام للصولي م ٣٣٦ هـ ، والموازنة للأمدى م ٣٧١ هـ ، والوساطة للجرجاني م ٣٩٢ هـ . وإعجاز القرآن للباقلاني م ٤٠٣ هـ .

كما ظهر في القرن الخامس : ابن رشيق م ٤٦٣ هـ ، صاحب « العمدة » وابن سنان الخفاجي م ٤٦٦ هـ صاحب « مر الفصاحة » ، وعبد القاهر الجرجاني صاحب « الأمل » والدلائل م ٤٧١ هـ .

وكان النقد في هذين القرنين يسير على نهج الجاهل . فلم يتعصبوا

للشعر الجاهلي لتقدم زمنه ، أو يميلوا على المحدثين لتأخر عصرهم ؛ بل حكموا الذوق وحده في كل شيء ، حتى لقد وقفوا معديدين لأخطاء الجاهليين ، كما فعل الأمدى في الموازنة ، والجرجاني في الوساطة ، وابن رشيق في العمدة ، وسواهم ؛ قال الأمدى في كتابه « الموازنة » : وما رأينا أحداً من شعراء الجاهلية سلم من الطعن ، ولا من أخذ الرواة عليه الغلط والعيب ، وقال صاحب « الوساطة » ، في أول كتابه : « ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية ، فانظره هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أبيات ، لا يمكن لعائب القدح فيه ، إما في لفظه ونظمه ، أو ترتيبه وتقسيمه ، أو معناه ، أو إعرابه ؛ ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم ، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام والحجة ، لوجدت كثيراً من أشعارهم معيبة مسترذلة ، ومردودة منفية ، لكن هذا الظن الجميل ، والاعتقاد الحسن ، ستر عليهم ، ونفى الظنة عنهم ، فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب . وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام (١) ؛ ولو تصفحت ما تكلفه النحويون لهم من الاحتجاج ، وتبيلت ماراموه في ذلك من المرامى البعيدة ، وارتكبوا لأجله من المراكب الصعبة ، التي يشهد القلب أن المحرك لها ، والباعث عليها ، شدة إعظام المتقدم ، والكاف بنصرة ما سبق إليه الاعتقاد ، وأفته النفس لا يقنت بما ذكرت .

كما أزرى الأمدى والجرجاني بموقف بعض النقاد المتعصبين على المحدثين (٢) ؛ كالاصمعي الذي أنشده إسحاق الموصلي :

هل إلى نظرة إليك سبيل      فيروى الصد ويشفي الغليل  
إن ما قل منك يكثر عندي      وكثير من تحب القليل

فقال : لمن تأنسني ؟ قال : لبعض الأعراب ، قال : هذا واقفه هو

(١) ص ٣ و ٤ الوساطة .

(٢) ١٠ الموازنة طبع صبيح ، و ٥٠ الوساطة طبع بيروت .

الديباج الخمر واني ، قال إسحاق : إنهما لليلتهما ، فقال الأصمعي : لا جرم والله ، إن أثر الصنعة والتكلف بين عليهما ؛ وكان الأعرابي الذي أنشده بعض الناس شعراً وهو لا يعرف قائله فأعجب به إعجاباً شديداً وكتبه ، فلما علم أنه لأبي نواس أنكروه . . ونقد الباقلاني في إعجاز القرآن معلقة امرئ القيس :

قفنا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فوهمل

نقداً طويلاً ، وهو أول نقد أدبي مفصل تفصيلاً كاملة من الشعر العربي ،

- ٨ -

وفي العصور الوسطى ضعفت الملتكات ، وعقدت الأوزان ، وتضاءلت الفطر الأدبية السليمة وتعصب العلماء والأدباء للشعر القديم لقدمه ، فأحاطوا الشعر الجاهلي بهالة من التقديس والجلالة ، لا يرون أحداً أحسن مثل إحسان الجاهليين أو أجاد إجادتهم ، بل رأوهم معصومين من الخطأ والعيب والنقد ، واستمر هذا المذهب سائداً حتى العصر الحديث .

- ٩ -

وفي العصر الحديث تفاوتت ثقافات الأدباء والنقاد ، فوقف أولو الثقافات العربية الخالصة موقف الإعجاب والتقدير للشعر الجاهلي . وهب جماعة من أولى الثقافات الحديثة يطعنون على الشعر الجاهلي ، ويرمونه حيناً بالضعف والتفكك ، وحيناً بأنه كله أو جله متعطل مختلق .

عاب العقاد الشعر الجاهلي بأنه لا يصلح أن يكون نموذجاً يقتدى به في النظم ، لأنه في الغالب أبيات مبثورة ، تجمعها قافية واحدة ، يخرج فيها الشاعر من المعنى ثم يعود إليه ، ثم يخرج منه على غير وتيرة معروفة ، ولا ترتيب مقبول ، وأن فيه غير التفكك ، وضعف الصياغة ، كثيراً من العيوب

العروضية ، والتكرير الساذج ، والاقتسار المكره ، والتجاوز المغيب ،  
الذي يؤخذ من روايته أن الشعر لم يكن فنا يستقل به صناعه الخبيرون به ،  
وإنما كان ضربا من الكلام يقوله كل قائل ، ويروى المحكم منه وغير المحكم  
على السواء (١) . . فنرى العقاد يأخذ على الشعر الجاهلي مأخذ أهمها :

أولا - ضعف وحدة القصيدة . وفي مناقشة هذه الفكرة نكتفي  
بها تين الكلمتين :

قال نولدك المستشرق الهولندي المشهور : « في أحوال كثيرة يحتفظ  
الشاعر الجاهلي بوحدة الفكرة في قصيدته ، بأن يجعل كل قسم من أقسامها  
خاصا بوصف مناظر وحوادث من حياة الشاعر نفسه ، أو الحياة العامة التي  
يحياها البدو في الصحراء . . وقال جميل صدقي الزهاوي الشاعر المجدد  
المشهور (٢) : « وهناك شئ يستحبه الذين تشبعت أدمغتهم بالآداب الغرى ، هو أن  
تكون القصيدة الواحدة خاصة بفكرة واحدة ، أووصفا لشئ واحد ، من  
غير خروج إلى غير الموضوع ، ولو كان في فصل منزلة عن الأول ؛ وهذا  
ليس من الشعر في أصله ، بل هو تابع للأذواق ، ولطريقة الشاعر في شعره ؛  
ولا ينوع الشاعر المبرز في العربية الموضوع في كل قصيدة ، فكثيرا ما يهصر  
شعره في القصيدة الواحدة في موضوع واحد ؛ وإذا نوع الموضوع فهو  
يخرج إلى الثاني بمناسبة وبعد فصله عن الأول ، مريدا بذلك أن تكون  
قصيدته كالروضة الغناء . محتوية على مختلف الأزهار ، وهذا أقرب إلى الطبيعة  
وليس فيه ما يؤخذ عليه غير كونه يناهى ما يفعله شعراء الغرب ، ولـكل أمة  
سياق ونزعة ليست لاختها ؛ وأعتقد أن الكتاب الذين يزرون بشعر شعرائنا  
على الإطلاق ، لو أتيح لهم أن يكونوا شعراء ، لما خرجوا كثيرا عن النهج  
الذي يمشى عليه المبرزون من هؤلاء ؛ والسبب هو ما قدمته من اختلاف  
ألوان الشعور عندنا عن ألوانه عند الغربيين من جهة . وقيد القافية وإعرابها

عندنا وفقدانه عندهم من جهة أخرى ، وقد هم كثير من الشعراء المتضلمين من العلوم العصرية ، بتقليد الغرب في شعره ، فلم يكن ما أتوا به غريبا ولا شرقيا ، ولم يوفقوا إلا في ألوان من من الشعور ، هي مشتركة بين الأمم جميعها ؛ ومهما تمرد الشاعر الكبير على الأساليب والتصورات في أمته ، فهو لا يستطيع أن يظفر مرة واحدة إلى تصورات وأساليب تخالف ما ألفه شعبه . فيقطع الوشائج القوية التي تربط الحاضر بالماضي ... ويعيب العقاد الشعر الجاهلي نائيا بأنه لم يكن فنا مستقل به صناعه الخيرون به ؛ وذلك لايسير مع الحقيقة الأدبية أو الواقع الماثور ، فشعراء المملقات ونداههم الفنية في الشعر معروفة ؛ يقول الدكتور طه حسين في كتابه « الأدب الجاهلي » : « أما مضر فكان لها في الجاهلية شعراء ، يتخذون الشعر فنا ، يمثلون به نهضة فنية عقلية ، في هذا الإقليم من جزيرة العرب » . ويعيبه ثالثا بهلولة صياغته ، وما فيه من عيوب عروضية ، وتكرار ساذج ، وتجاوز معيب ، وفي هذا ولا ريب مغالاة لا يكاد يسلم بها دارس للأدب الجاهلي شعره ونثره .

أما أن الشعر الجاهلي كثير العيوب العروضية ، فلا أدري ما هو دليل الناقد عليه ؟ أهو قصيدة عبيد أم بعض هذا الشواهد المروية لعبوب الشعر من الاكفاء والايطاء والتضمين والسناد الخ ؟ وأين تكون هذه كلها في الشعر الجاهلي ؟ ثم ما هذا التكرار الساذج ؟ أهو مثل قول مالك بن الرب :

لقد كان في أهل الغضا لودنا الغضا مزار ، ولكن الغضا ليس دانيا  
أو في مثل قول الخطيئة :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد  
أو في قول النابغة :

عوجوا فحبوا لنعم دمة الدار ماذا تحبون من نوى وأحجار  
أقوى وأقفر من من نعم وغيره هوج الرياح بها في الترب موار  
وقفت فيها سراة اليوم أسألها عن آل نعم أمونا عبر أسفار

وقد أراى ونعما لاهيين بها والدار لو كلبتنا ذات أخبار  
أيام تخبرنى نعم وأخبرها ما أكرم الناس من حاجى وأمرارى  
واین هو هذا الاقتسار المزعوم . ثم هل مافى الشعر الجاهلى من مجازات  
وكنایات وتشبیهات وأخيلة - رغم قلتها وقربها من حقائقها - يدعو إلى  
أن نهجر الشعر الجاهلى ونطرحه ظهريا ؟ .

وأما أن الشعر الجاهلى لم يكن فنا (١) يستقل به الخبيريون به ، فهذا خطأ  
بعيد . وهل ندسى رجال المعلقات ، والناطقة وحكومته بين الشعراء فى سوق  
سوق عكاظ ، وهؤلاء الشعراء الذين خلد ذكرهم على مر العصور ؟  
واقدم كان الناشئ فى الجاهلية يقتل على شاعر مشهور يروى شعره ويأخذ  
عنه فنه الأدبى ، وكان الشعراء يعرضون قصائدهم على غيرهم من الخبيريين  
بفن الشعر وصناعته ، واستمر هذا إلى ما بعد الإسلام . ثم إن هذه المجازات  
والأخيلة هى من خصائص البيان العربى وميزاته التى تنكسبه روعة وجمالا .

إن من العقوق للعربية أن نذهب مذهب العقاد فى الغلو فيما  
رمى به الشعر الجاهلى من التفكك وعدم اتساق الفكرة وارتباطها واتصال  
معانيها ، وما أظن أن ذلك وإن كان موجودا فيه بما يؤخذ عليه الشعر  
الجاهلى إلى هذا الحد البعيد ، وفيه الفرق إذاً بين الأسلوب الفنى الجميل وبين  
الأسلوب العلمى وحقائقه المنطقية المرتبة ، إن الشعر فن قبل أن  
يكون فلسفة .

وأخيراً فللعقاد رأيه فى عدم اتخاذ الشعر الجاهلى مثالا يحتذى ، ولقد  
أخذ هو نفسه بذلك ، فلم يكن له حظ من الخلود فى الشعراء . أما نحن فنقول :

---

(١) إذا أردنا أن نسكت مزاعم العقاد المجدد برأى مجدد مثله هو طه حسين ،  
فلا أكثر من أن نسوق إليه قول طه حسين فى الأدب الجاهلى : وأما مضر فكان  
لها فى الجاهلية شعراء يتخذون الشعر فنا يتلون به نهضة فنية عقلية فى هذا الاقام  
من جزيرة العرب ( راجع ١٩٧ وما بعدها من الأدب الجاهلى .

إنه لا داعي لأن يمتلا شعر أو نا المعاصرون شعرهم بألفاظ العقنقل والسجندل والجنندل والحنظل كما فعل امرؤ القيس مثلا ، ولا بالإتمد والبرجد والمسرهه كما فعل طرفه ، وليس من المناسب أن نترسم خطايم في بكا الأذلال ووصف الدمن وذكرحاسن الخليل وكلاب الصيد، فلننا بدلا من ذلك كاه - مجال فسيح لقول الشعر في عصر الكهرياء والذرة والأثير والطائرات . أما فيما عدا ذلك من الألفاظ والأغراض فالشعر الجاهلي أروع ما يتحدث في مذاهب النظم وجمال الصياغة وحسن الأداة .

ونشر أحمد أمين عدة مقالات في الثقافة بعنوان « جنابة الشعر الجاهلي على الأدب العربي » ، تحامل فيها عليه ما شاء له الهوى . وقد رد عليه النجدي ناصف في مقال عنوانه « هل جنى الشعر الجاهلي على الأدب العربي (١) » .

- ١٠ -

ويشك أنصار الجديد في الأدب الجاهلي (٢) بدعوى أن الكثرة المطلقة بما يسمى أدبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء . إنما هي منتحلة بعد ظهور الإسلام ، فهي تمثل حياة المسلمين أكثر مما تمثل حياة الجاهلية ، وما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدا لا يمثل شيئا ولا يدل على شيء ، والعصر الجاهلي القريب من الإسلام يمثله القرآن والأساطير (٣) . وعلى هذا لا يصح الاستشهاد بهذا الشعر المنحول في تفسير القرآن بل يجب العكس (٤) والشعر الذي يضاف إلى الجاهليين يمثل حياة غامضة جافة بعيدة عن الدين ، القرآن يمثل لنا حياة دينية وعقلية قوية بما كان عليه المستنيرون عليه من العرب ويمثل

(١) مجلة دار العلوم (ص ٢١ - ٤٠ - عدد اكتوبر ١٩٣٩ )

(٢) ٥٩ - ٦٤ الأدب للجاهلي لطفه حشدين

(٣) ٦٤ و ٦٥ المرجع و ٧٠ وما بعدها .

(٤) ٦٦ المرجع

لنا القرآن الكريم أيضا اتصال العرب بغيرهم من الأمم المجاورة كما يصور حياة العرب الاقتصادية (١) ، والأدب الجاهلي أيضا عندهم لا يمثل اللغة الجاهلية لاختلاف اللغة المحيرية عن اللغة العدنانية جد الاختلاف ، والمأثور من شعر الشعراء القحطانية مروى باللغة العدنانية الفصحى مع أنهم لم يكونوا يتكلمون بها ولم يتخذوها لغة أدبية لهم قبل الإسلام كما حدث بعد الإسلام ، مما يدل على انتقال هذا الشعر وسواه من فنون الأدب على هؤلاء القحطانيين ؛ فهؤلاء المجددون ينكرون ما يضاف إلى أهل الجنوب من شعر ونثر قيل بلغة أهل الشمال قبل الإسلام (٢) كما أن اختلاف اللهجات العدنانية أمر ثابت لا شك فيه ولا نجد أثر لهذا الاختلاف في الشعر الجاهلي المأثور مما يدل على انتقال هذا الشعر وأنه قد حمل حملا على هذه القبائل بعد الإسلام (٣) . ثم يجمل الدكتور طه في الأدب الجاهلي أسباب انتقال الشعر كما يزعم ويروى ، فيذكر البواعث السياسية والدينية وأثر القصاص في الانتقال وأثر الشعوبية والرواية فيه (٤) . ثم يذكر الشعر والشعراء ، ذاهبا إلى أن كثرة ما يضاف إلى الشعراء الجاهليين منحول ، وإلى رفض الشعر المنسوب إلى شعراء اليمن ، لأن لليمن لغة تخالف لغة قريش ، وهجرة اليمنيين إلى الشمال مشكوك فيها أولا وليس كل الشعراء هاجروا من اليمن ثانيا فالشعر الذي أضيف إلى جرهم وسواهم من الذين عاصروا اسماعيل منحول ، وليس لليمن في الجاهلية شعراء ، أما ربيعة - من عدنان وكانت تسكن في الشمال ف شعرها دون شعر المضربين أما مضر فكان لها شعراء يتخذون الشعر فنا ، فالشعر أصل في مضر دون اليمن أو ربيعة ؛ فنظرية تنقل الشعر في القبائل غير صحيحة ، فالشعر إنما كان في مضر ؛ ثم انتقل إلى أقرب القبائل العربية إليها وهم ربيعة ثم إلى القبائل البعيدة كاليمن ثم إلى الموالي وليس كما يقولون من أنه كان في اليمن ثم انتقل إلى ربيعة ثم إلى قيس من مضر ثم إلى تميم ، وشعراء المدينة لبسوا

(٢) راجع ٨١ - ٩٥ من المرجع

(٤) ١٢٢ - ١٨٦ المرجع

(١) ٧٠ - ٨١ المرجع

(٣) ٩٦ وما بعدها من المرجع

يمنيين بل هم مضربون (١) ، ثم درس الدكتور من الشعراء : امرأ القيس  
فعميد فعلممة . ثم عمرو بن قميئة فهلهل فجذيلة . ثم عمرو بن كلثوم فالخارث  
ابن حلزة . ثم طرفة فالمتلبس . ثم الأعشى . . . وذلك على ضوء نظريته  
في انتقال الشعر (٢) . ثم علق على الشعر المضربى على ضوء هذه النظريات (٣)  
ووضع مقاييس لتمييز المنحول من الشعر الجاهلى (٤) ثم درس أوسا وزهيرا  
والخطيبة وكعب بن زهير والنابغة (٥) وبذلك ينتهى نقده للشعر الجاهلى .  
وترتكز آراء الدكتور فى الشعر الجاهلى على أساس واحد هو انتقال  
الشعر الجاهلى مؤكدا هذا الانتقال بأدلة كثيرة : منها أن المأثور منه لا يمثل  
حياة الجاهليين الدينية أو العقلية ، ولا يصور اتصال العرب السياسى بغيرهم  
من الأمم المجاورة لهم ؛ فوق أنه لا يمثل اللغة الجاهلية نفسها لاختلاف اللغة  
الحيرية عن اللغة العدنانية جد الاختلاف ، فالمأثور من شعر الشعراء  
القحطانيين مروى باللغة العدنانية الفصحى ، مع أنهم لم يكونوا يتكلمون بها  
ولم يتخذوها لغة أدبية لهم قبل الإسلام ، مما يدل على انتقال هذا الشعر  
على القحطانيين ، فوق أن الشعر الجاهلى لا يصور اختلاف اللجات العدنانية  
المتعددة ، التى لا شك فى اختلافها ، ويشرح الدكتور أثر البواعث السياسية  
والدينية فى الانتقال ، وعمل القصاص والرواة ، وبنى على ذلك كله رفضه  
الشعر المنسوب إلى شعراء اليمن ، لأن لليمنيين لغة تخالف قريش ، ولأن  
حجرة اليمنيين إلى الشمال مشكوك فيها أولا ، وليس كل الشعراء هاجروا من  
اليمن نائيا ، وشعراء المدينة لبسوا عنده يمنيين بل مضربين . ويرى أنه ليس  
لليمن فى الجاهلية شعراء . أما ربيعة من عدنان ، وكانت تسكن فى الشمال ،  
فيرى الدكتور أن شعرها دون شعر المضربين ، لأنها لم تكن تتكلم لغة  
قريش ، ويتردد فى قبول الكثير منه ، وأما مضرب فكان لها شعراء ، يتخذون

(١) راجع من ١٩٣ - ٢٠٨ من المرجع

(٢) ، ، ، ٢٠٩ - ٢٩٦ ، ، (٣) راجع من ٢٦٧ - ٢٨١

(٤) ، ، ، ٢٨٢ - ٢٩٥ ، ، (٥) ، ، ، ٢٩٦ - ٣٤٢

الشعر فنا ، وقد درس شعراء مضر دراسة نقد وتحليل ، كما درس غيرهم ، على ضوء نظريته في انتقال الشعر الجاهلي ، ووضع مقاييس لتمييز المنحول منه ، وجعل الشعر أصلاً في مضر ، ثم انتقل منها إلى ربيعة فاليمين فالموالي . وبذلك يعكس نظرية القدماء في انتقال الشعر الجاهلي بين القبائل .

ولمناقشة هذه الآراء ، نعود إلى تلخيصها والرد على كل رأى منها ، إن الدكتور يذهب في الشعر الجاهلي إلى :

١ - أن هذا الشعر الجاهلي أو أكثره منحول بدليل .

(أ) أنه لا يمثل الحياة الجاهلية .

(ب) و د د اللغة د

(ج) د د اللهجات العربية

٢ - وأنه لم يكن لليمن شعراء وما يروى من شعر للقحطانيين فأنما هو منحول عليهم

٣ - وأن أكثر شعر الشعراء الذين ينتسبون إلى ربيعة منحول لأنه لا يمثل طجاتهم التي كانوا يتكلمون بها ،

٤ - وأنه ليس صحيحاً أن الشعر كان في اليمن ثم انتقل إلى ربيعة ثم إلى قيس من مضر ثم إلى تميم بل إنما كان في مضر ثم امتد إلى ربيعة فاليمين ثم إلى الموالي (١) .

٥ - وأنه كان للرواة (٢) والقصاص وللعوامل السياسية والدينية للعصبيات أثر في الانتقال .

ولما صودر كتاب الشعر الجاهلي ، أعاد الدكتور نشره باسم الأدب الجاهلي بعد أن حذف منه بعض فقرات كانت موضع النقد ، وقد ألف في نقد هذا الكتاب عدة مؤلفات أهمها :

---

(١) راجع ٢٠٦ المرجع (٢) وراجع أصول نظرية طه حسين عن الشعر الجاهلي وروايته في كتاب مقدمة لدراسة بلاغة العرب لصنيف (ص ٥٠-٦٢)

(١) الشهاب الراصد للأستاذ محمد لطفي جمعة المحامي وقد طبعه عام ١٩٢٦

(ب) النقد التحليلي لكتاب الأدب الجاهلي للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

(ج) نقض كتاب الأدب الجاهلي للشيخ الخضر حسين

(د) نقد الأدب الجاهلي للخضري

(هـ) نقض مطاعن في القرآن الكريم للشيخ محمد عرفة

ولا نجد بدا من التنويه بعناصر الرد على آراء الدكتور في كتابه في إيجاز

بالغ فنقول :

أولا : أما قصة انتحال الشعر لجاهلي ونفي وجود شعراء يمنيين والذهاب إلى عكس ما يراه الباحثون حول نظرية تنقل الشعر في القبائل فذلك لا يعتمد على أكثر من الحدس ، ولا داعي للافاضة في نقده وتحليله (١) فقد سبق الكلام فيه .

ثانيا : الشعر الجاهلي يمثل حياة الجاهليين ، ويرسم ألوان معيشتهم ، ويروي عاداتهم ويتحدث عن أديانهم ويصف بيثتهم ولون ثقافتهم . وهل هناك ريب في أن الشعر الجاهلي يصف البيئة الجاهلية وصفا دقيقا : من حيوان ونبات وأرض وجبال ووديان وقرى ومن جو ورياح وأمطار الخ ؟ . وهل هناك شك في أنه سجل لتاريخهم وأخبارهم وأيامهم ، يقول : نيكلسون في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » : « إن الأدب الجاهلي المنظوم منه والمنثور يمكننا من تصوير حياة تلك الأيام الجاهلية تصويرا أقرب ما يكون من الدقة في مظاهره الكبرى ، ويقول ثوريبيك الألماني في كتابه « عنتره » أحد شعراء الجاهلية : « لا نملك مصادر موثوقة منها لتدوين تاريخ تلك الغارات البدوية سوى القصائد والمقطوعات المحفوظة عن شعراء الجاهلية ، وقال أيضا : يمكن تعريف الشعر الجاهلي بأنه وصف مزين بالشواهد لحياة الجاهلية وأفكارها فقد صور العرب أنفسهم في الشعر صورة منطقية على الحقيقة بدون تزويق

---

(١) راجع في ذلك ١٥٨ - ٢٧٣ من الشباب الراصد ، وراجع آراء المستشرقين

الذين يؤيدون صحة الشعر الجاهلي في الشهاب الراصد ( ٢٩٩ - ٣٠٤ )

ولا تشويهه، وقال نولدكيه المستشرق الهولندي في كتابه عن الشعر العربي القديم : إن عادات عرب الجاهلية وأحوالهم معلومة لنا بالدقة نقلا عن أشعارهم وفي الشعر الجاهلي ما يفتن القارئ من أوصاف الحياة والعادات في البادية ،

ويقول لطفي جمعه في كتابه الشهاب الراصد : يدل الشعر الجاهلي في جملته على نفوس ناظمية وحياتية ، ثم قال : والشعر الجاهلي أشد ما يكون اتصالا بحياة القوم وتاريخهم وأكثر ما يكون تمثيلا ووصفاً لبيئتهم بل أنه أصدق مثال لحياة العرب أنفسهم ، فأثر تلك البيئة الطبيعية والمحيط الاجتماعي ظاهر في شعورهم بجانب بلاغتهم النادرة ، وهل هناك أكثر من الدلالة على الحياة الجاهلية أكثر من الشعر الجاهلي نفسه الذي هو ديوان العرب ومستودع تاريخهم ومرآة حياتهم وصناعاتهم وعاداتهم

والشعر الديني الذي يمثل الحياة الدينية عند الجاهليين كثير مبثوث في شتى الكتب ، وقد جمع منه الأستاذ لطفي جمعه الكثير (١) ، والذين يذهبون إلى ما يذهب إليه الدكتور طه حسين من أن الشعر الجاهلي خال من تصوير حياة الجاهليين الدينية كثيرون منهم مرجليوث (٢) . ويرى جورجى زيدان أن منظومات العرب الجاهليين في الناحية الدينية قد ضاعت في أثناء الأجيال لعدم تدوينها لاشتغالهم عنها بالحماسة والفخر بسبب الحروب التي كانت بينهم قبل الإسلام ، فلما جاء الإسلام أغضى الرواة عنها لأنها وثنية والإسلام يمحو ما قبله ، ويقول الأستاذ ادوار براونلش في رده على مرجليوث في مجلة الأدبيات الشرقية عام ١٩٢٦ : لاحظ العلماء أن الشعر الجاهلي قلما دل على شيء من دين العرب قبل الإسلام وقد ذكر بعضهم في سبب ذلك أن

---

(١) راجع ص ٨٥ - ٩٢ من كتاب الشهاب الراصد .

(٢) يقول مرجليوث : قلما نعثر في الأشعار الجاهلية على شيء يتصلق بالدين

علماء المسلمين يرفضون من الشعر ما خالف دين الإسلام ، وهذا بما يتفق  
الإنسان بوقوعه ؛

وأما أن الشعر الجاهلي لا يدل على اتصال العرب بغيرهم من الأمم  
كما يزعم الدكتور طه حسين فهذا خطأ في الرأي، ألا تسمع لعمر بن كاثوم  
يقول : « وكأس قد شربت ببعليك ، : أو لامرئ القيس وهو يصف  
رحلته إلى القسطنطينية حيث يقول :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لا حقان بقيصرا

وهل شعر النابتة لا يمثل اتصاله بملوك الحيرة وغسان أتم تمثيل؟ وعدي  
ابن زيد واتصاله بديوان كسرى معروف ورحلات بني عبد مناف في البلاد  
لتأمين طرق التجارة مشهورة ويقول الشاعر الجاهلي :

يأبها الرجل المحول رحله هلا نزلت بأرض عبد مناف؟  
الآخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الإيلاف  
ويقول الأعشى :

قد جبت ما بين بانقيا إلى عدن وطال في المعجم تردادي وتسياري  
ويقول :

وطوفت للمال آفاقه عمان نخمص فأورشلم  
أتيت النجاشي في داره وأرض النبيط وأرض المعجم

ثالثا : الشعر الجاهلي ولهجات العرب (١) :

(١) يستدل الدكتور طه علي اتصال الشعر الجاهلي بأنه لا يمثل اللغة  
العربية ولهجاتها (٢) .

---

(١) راجع ص ١٠٠ - ١٥٩ من الشهاب الرائد

(٢) راجع رد الاستاذ لطفى جمعه على رأى الدكتور طه وهو أن الشعر الجاهلي

لا يمثل لهجات القبائل حيث أثبت الاستاذ لطفى عكس هذه النظرية بأدلة من الشعر  
الجاهلي الذى يمثل لهجات القبائل المختلفة ( ١٥٤ - ١٥٧ الشهاب الرائد )

ويبدو من افراد الدكتور كلمة اللهجات مرة وعطفها على اللغة أخرى أنه لا يفرق بين اللغة واللهجة والفرق بينهما عظيم، فاللهجة طريق أداء الكلام إلى السامع ويتمثل ذلك في التفتيح والترقيق والامالة وعدمها بما لا يؤثر في ذات الحرف ولا يقتضى العدول عنه أو عن الكامة إلى غيرها فالجمله الواحدة نستطيع النطق بها مختلفة الهيئة مع بقاء حروفها وكلماتها في كل صورة من صور النطق كما في تلاوة القرآن بالقراءات المتنوعة التي لم تختلف فيها الكلمات إلا بما قدمنا . وبعد ذكرنا لهذا الفرق نقول : إن اختلاف اللهجة لا يؤثر في وزن الشعر ولا في قوافيه ، فمثلا « قفا ربك الح » لا يحدث تفتيح الألف في قفا ولا إمالتها في ذكرى شيئا في وزنه ، ونحن لانخالف الدكتور في أن العرب كانوا في الجاهلية مختلفي اللغات واللهجات ، ولما كنا لا نسلم بما استنبطه الدكتور من ذلك وهو أنه كان يجب أن نرى في الشعر اختلافا بين المروى عن القحطانيين والعدنانيين ، ذلك لأننا نؤمن مع إيماننا بهذا الاختلاف أنه كان بتقادم العهد واتصال العرب ورحلة أهل الجنوب إلى الشمال وقيام قريش بالسيادة على العرب ، قبل ظهور الإسلام ، والاشتغال بالتجارة بين الجنوب والشمال وقيام عكاظ ، كل ذلك قرب من هذه اللغات واستطاعت قريش أن توجد لها لغة مختارة من شتى لغات العرب وقد ارتضاها الخطباء والشعراء لغة لهم في المحافل العامة ، لأنها مختارة من شتى لغات القبائل فهي حبيبة لهم مفهومة عندهم وهي لغة قريش ذات السيادة ، أما اتصال القبائل الذي حاول الدكتور أن ينفيه بقوله « وثبت أن العرب كانوا متباذنين ليس بينهم من أسباب المواصلات المادية والمعنوية ما يمكن من توحيد اللغات ، ، هذا الاتصال ثابت بالتاريخ ، فصلة المصاهرة كانت شائعة بين شتى القبائل يصهر القيسى إلى القرشى ، والرعي والتميمي والعدناني إلى القحطاني ، فزهير بن خزيمه العبسي سيد بنى عبس أصهر إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، فقد زوجه ابنته المتجرده ، وكانت صلوات الحلف تجمع بين القبائل العربية ، كما كان بين أسد وعظمان وبين قريش وثقيف .

(ب) وما يذهب إليه الدكتور من اختلاف لغة حمير عن اللغة العدنانية  
جد الاختلاف مبالغ فيه وردنا عليه هو أن :

١ - ما ذكره الدكتور من الأمثلة للغة الحميرية يدل على علاقة العدنانية  
بالقحطانية وأن الأولى وايدة الثانية ، وأوجه الخلاف التي يمكن استنباطها  
من هذه الآثار هجائية ، ونحوية واغوية ، وهذه الأنواع من الخلاف لا تجعل  
اللغتين متمايزتين كما استنبط الدكتور فإنه حاصل في اللغة الواحدة ، كما أنه  
يسلم معنا بأن في اللغتين ألفاظا متحدة في الصيغة والمعنى مثل أخ وأخت ونعمة  
وحلف ووثن وغير ذلك ، ثم إن هذه الآثار لا يعلم تاريخ كتابتها ، وبعض  
المؤرخين على أنها كتبت قبل الميلاد بخمسة عشر قرنا .

٢ - لو سلمنا بوجود الخلاف الكبير بين اللغتين العدنانية والقحطانية  
فلا يترتب على ذلك وجوب تمثيل القحطانية في شعر الشعراء القحطانيين  
المروى شعرهم ، لأن القحطانيين قسمان : سبثيون وحميريون ، فالسبثيون  
نزحوا من الجنوب إلى الشمال قبل الإسلام بعد سيل العرم ومنهم الابخميون  
ملوك الحيرة والفساسنة ملوك الشام والأوس والخزرج سكان المدينة وسواهم  
أما حمير فهي التي كانت بأرضها في ظفار وصنعاء وما جاورها ، وهي التي قال  
فيها أبو عمرو بن العلاء : « ما لسان حمير وأقاصى اليمن أسانا ولا عربيتهم  
عربيتنا » .

٣ - لا ننكر أن هناك اختلافا بين لغات العرب إلى جانب اختلاف  
لهجاتها ، ولكنه اختلاف لا يستوجب التباين الذي تصوره الدكتور ، وقد  
عرف العلماء هذا الاختلاف ودونوه ، فمن ذلك الترادف مثلا . وقد ذكرنا  
سابقا بعض وجوه الاختلاف بين اللهجات واللغات العربية فلادعى لذكرها  
هنا الآن .

ويقول المرحوم الأستاذ محمد عبد المطلب في مقالة له نشرها في البلاغ  
يرد فيها على الدكتور زكي مبارك في ذهابه إلى هذه النظرية الجديدة ، نظرية

اختلاف لغة أهل الجنوب عن لغة أهل الشمال : يعتمد الدكتور في تأييد رأيه على الأدلة الآتية :

أولا - كان القدماء من مؤرخي اللغة العربية يفهمون حق الفهم أن اللغة العدنانية تختلف عن اللغة القحطانية في كثير من الألفاظ والتعابير وشواهد ذلك كثيرة . . ومن القدماء من صرح بأن لغة أهل اليمن غير لغة أهل الحجاز ومن هؤلاء أبو عمرو بن العلاء . ولبت شعري أراجع الدكتور عن شيء من دعواه ؟ فشتان ما بين ، اختلاف اللغتين اختلافا جوهريا ، وبين أن ، اللغة العدنانية تختلف عن اللغة القحطانية في كثير من الألفاظ والتعابير ، . ساق الدكتور هذه العبارة دليلا أولا على مدعاه فهي فاتحة الكتاب في الاستدلال وأنا أقول معه ومع المتقدمين نعم إن اللغة العدنانية تختلف عن اللغة القحطانية مع بقاء الوحدة بينهما لأن هذا هو اختلاف الحروف واللهجات الذي أثبتته في أصل دعواه وهل هذا يسمى بالاختلاف الجوهري ؟ . وإذا يخرج البرهان العقلي الذي استأثرت به المدرسة الجديدة في صورة القياس الآتي : بين لغة اليمن ولغة العدنانيين خلاف جوهري - وأي في جوهر اللغة لاني اغراضها ، - وأول دليل لذلك أن المتقدمين كانوا يفهمون حق الفهم أن اللغتين تختلفان في كثير من الألفاظ والتعابير . فأى اللغتين يقصد المؤرخون بما قالوا ؟ أم هي اللغة التي كانت قبل هذا ولم يصلنا من أدبها شيء ؟ فان كان الثاني فهو ممنوع . لأن لغتين لم يصلنا شيء منهما لا يمكن لباحث ولا مؤرخ أن يدعى الخلف بينهما ، لأن وجود هذا الخلف فرع عن وجود اللغتين . والعقل يقول باتحاد اللغتين في هذه الأزمان لا باختلافهما . وإذا كان الأول فإنه لا يجوز لعقل أن يحمل ما قالوه على ظاهره كما حملته المدرسة الجديدة أيحكم أبو عمرو وأمثاله بالتعابير بين اللغتين على المعنى الذي فهمه الدكتور واضرا به ، وهو يسمع شعراء مذحج وكندة وطبي . والأزد حوله يقولون ما يقولون . فهذا عبد يفتو المذحجي يقول :

الا لا تلوماني كفي اللوم ما بيا فما لكما في اللوم خير ولا ليا  
وهذا الأفوه الأودي المذحجي يقول أيضاً :

لا يصلح الناس فوضى لا سراهم ولا سراة إذا جهلم سادوا  
ويقول الكندي :

وقد أغتدى والظير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل  
ويقول عنه شرحبيل :

تعلم أن خير الناس طرا قتيل بين أحجار الكلاب  
ويقول حاتم الطائي :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللثيم تكريما

وكذلك يسمع حسانا وابن الخطيم وابن رفاعة يقولون ما يقولون بما هو  
معروف من شعرهم وهم أزديون . وإذا فكلام أبي عمرو ومن قال به لا ينصرف  
إلا إلى اختلاف اللهجات لا إلى اختلاف اللغتين . وكأني بالدكتور ينكر  
أن ما قدمت من الشعر لهؤلاء اليمانيين عدناني الديباجة . إن اختلاف اللهجات  
أمر طبيعي لا في لغة العرب وحدها بل في جميع اللغات حتى لقد يصل الخلاف  
فيها إلى حد أن أحدهما لا يفهم الآخر .

ثانياً - يقول الدكتور زكي في دليله الثاني ما نصه : إن النقوش التي  
اكتشفت في اليمن ودرسها المستشرقون تبين في وضوح تام أن اللغة الحميرية  
لغة مستقلة لا تشابه مع اللغة العدنانية إلا في طائفة من الألفاظ ، أما أصولها  
من حيث النحو والتصريف وطرائق التعبير فتختلف عن اللغة المدنانية أشد  
الاختلاف . إلى أن قال : « وتلك النقوش أوثق من الروايات الشفوية التي  
يعتمد عليها بعض الناس . والاستهانة بهذه النقوش تعد جرأة عجيبة لأن  
الأثر المنقوش أوثق من الأثر المكتوب في عرف أهل التاريخ وما يلجأون  
إليه من التشكيك في قيمة النقوش لا يفهمون فتبلاً لأن تلك النقوش إليهما  
المرجع حتماً في درس أصول اللغات ، . إن النقش أثر على الأحجار إن صح

كان أوثق الأدلة كما يقول، وإنما يجب علينا الإيمان بالنقوش الحيرية إذا اجتمعت فيها الشروط الآتية :

- (١) أن يثبت باليقين أنها نقشت في الزمن الذي نتكلم ببلغته ولم تصطنع اصطناعاً لأغراض سياسية أو اجتماعية أو نحو ذلك من الأغراض .
- (٢) أن تكون بأيدي أهل تلك اللغة صنعت وبلغتهم نقشت .
- (٣) أن تكون من السكثرة بحيث لا يحتمل الشك فيها .
- (٤) أي يعرض لها من الشبه ما يوجب الشك فيها على فرض توفر الشروط السابقة .

إذا ثبت هذه الاعتبارات للآثار النقشية ثبوت اليقين وجب المصير إلى ماتحكم به إذا ، لأنه يقين ، وإذا لم تثبت هذا الثبوت كان الحكم المبني عليها ظنياً أو مشكوكاً فيه فليست أولى من الرواية بشئ . في إفادة العلم وكان بناء اليقين عليها بناء متصدعاً أحشى أن ينهار على المدرسة الجديدة فيتصدع به بنيانها .

فأما الشرط الأول فإن أحداً من الناس لا يستطيع الجزم به في تلك الآثار وفوق هذا فإن بين أيدينا ونحن بلاد الآثار ما يؤيد بقوة ، احتمال الصنعة في تلك النقوش .

ونحن نرى بأعيننا إلى أي حد وصلت صناعة التقليد في آثار المصريين من الاجمال و الجمارين ، والدمى وغيرهما ثم لينظر كيف أحكم عليها نقش الهيروغليفية . فهل لدى الدكتور دليل واحد ينعني أن أجوز هذا التقليد فيما ذكر هو من الآثار . ولعل الدكتور يعلم ولا ينسركر هذا العلم إن بعض أهل العلم بالآثار يصطنعون بعض هذه الأحجار لبعض الأسباب ، كما افترض حضرته أن بعض الرواة قد اصطنعوا بعض الأخبار لبعض الأسباب ، أتحدك يادكتور .

وأما عن الشرط الثاني فهل يستطيع الدكتور أن يدلنا على من كتب

النقوش التي يستند اليها ويعتمد حتما عليها؟ أكان من الحيريين أهل اللغة الحيرية أم هو من غيرهم من الأمم المجاورة لهم من أمم الأناضول كالمصريين . مثلاً أو الكلدانيين . وهل يمكنه أن يثبت لي من طريق آخر ايزيل هذا الشك من نفسى أن لغة هذا النقش حيرية ، أو لا بد لي أن أو من بأنها حيرية ولو لم يدل عليها دليل . إن أمرنى الدكتور بهذا الإيمان فعلت حتى أخرج في نظره من هذه الجرأة العجيبة ، ولكن هل يقبل العقل وهو الذى يحكمه ، هذا الإيمان ؟

وأما عن الشرط الثالث فهل يدانى أخى الدكتور على عدد من أحجار هذه النقوش بمنى بكثرة واختلاف صانعيه وأمكنته عن الشك فيه ؟ فيكون ذلك عند المدرسة القديمة بمثابة الخبر الذى تعدد فيه الروايات ؟ إ قال لي إن بضعه الأحجار التي في طلل من الأطلال بعد ما قدمت له تفيد القطع باليقين ، فأنا السميع بذاتى دون عقلى لأن حكمه يقضى على بالأوقن وقد أمرنى أخى باليقين وهو الذى يعرف وحده كيف يحكم العقول .

وأما عن الشرط الرابع فإني أسأله - وعمدى به ألا يغالط أو ينكر العلم - ألم يسمع بأن بعض المشتغلين بالأناضول من المستشرقين اصطنع بعض هذه الأحجار لبعض الأسباب كما سمع أن بعض الشعراء من الرواة كان يصنع بعض الشعر ويدسه على المتقدمين لسبب من الأسباب أيضاً ؟ وهل هو لم يسمع أن بعض الملوك في أكبر أمة أثرية د مصر القديمة ، محمداً وأثبت في الأناضول ؟ وهل يجمل الدكتور أن من هؤلاء الملوك رمسيس ؟

أما ما أورده الدكتور من الدلائل اثالث الذى يقول فيه : « طبيعة الحياة تأبى أن يكون للعرب لغة واحدة في جميع أرجاء الجزيرة قبل الإسلام ، . فإني أناقض دليله هذا على الخط المستقيم فأقول إن طبيعة الحياة تأبى أن يكون للعرب لغات مختلفة ذلك الاختلاف الجوهري الذى يشير إليه .

طبيعة الأرض واحدة وبيئتها متشابهة تشابه كلياً ومؤثرات الاجتماع والطبيعة واحدة والحكومة في أكثر الأحيان واحدة واللغة الأصلية واحدة والأمة في عزلة تامة عن سواها، فمن أين يجيء الاختلاف في غير اللهجات ؟

١١ -

ويقول الدكتور طه حسين في كتابه «الشعر الجاهلي» : «يقول القدماء : إن أبناء إسماعيل تعلموا العربية من القحطانيين فسموا المستعربة كما سمي الأولون «العاربة». ثم تسأل كيف يحصل هذا التمايز العظيم بين اللغتين الذي أثبتته الآثار المكشوفة بأيدي المستشرقين ؟ ثم قال : فواضح جداً لمن له إلمام بالبحث التاريخي عامة وبدرس الأساطير والأقاصيص خاصة أن هذه النظرية متكافئة ومصطنعة في عصور متأخرة دعت إليها حاجة دينية أو اقتصادية أو سياسية .. ثم رأى أن قصة إسماعيل وورودها في الكتب الدينية لا يكفي لإثبات صحتها التاريخية ، قال : نحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية من جهة والقرآن والتوراة من جهة أخرى وأقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو هذا العصر الذي أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ويبنون فيه المستعمرات فنحن نعلم أن حروباً عنيفة نشبت بين هؤلاء اليهود المستعمرين وبين العرب الذين كانوا يقيمون في هذه البلاد ، فليس يبعد أن يكون هذا الصلح الذي تم بين المستعمرين وبين العرب أصحاب البلاد منشأ هذه القصة التي تجعل العرب واليهود أبناء عم لاسيما وقد رأوا أولئك وهؤلاء أن بين الفريقين شيئاً من التشابه غير قليل فأولئك وهؤلاء ساميون ، ولكن الشيء الذي لا شك فيه هو أن ظهور الإسلام وما كان من الخصومة بينه وبين وثنية العرب من غير أهل الكتاب قد اقتضى أن تثبت الصلة بين الدين الجديد والديانتين القديمتين ديانة النصارى واليهود ، .

و أما الصلة الدينية فثابتة واضحة بين القرآن والتوراة والإنجيل ، اشتراك في الموضوع والصورة والغرض ، كلها ترمي إلى التوحيد ، ولكن هذه الصلة الدينية معنوية عقلية يحسن أن تؤيدها صلة أخرى مادية مدووسة ، فما الذي يمنع أن تستغل هذه القصة قصة القرابة المادية بين العرب العدنانية واليهود وقد كانت قريش مستعدة لكل الاستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة في القرن السابع فقد كانت في أول هذا القرن قد انتهت إلى حظ من النهضة السياسية والاقتصادية ضمن لها السيادة في مكة وما حولها وبسط سلطانها المعنوي على جزء غير قليل من البلاد العربية الوثنية وكان مصدر هذه النهضة أسواق التجارة والدين : فأما التجارة فنحن نعلم أن قريشا كانت تسافر إلى الشام و مصر وبلاد الفرس واليمن والحبشة ، وأما الدين فهذه الكعبة التي كانت تجتمع قريش حولها ويحج العرب إليها كل عام والتي أخذت تبسط سلطانها على نفوس هؤلاء العرب نوعا من السلطان قويا والتي أخذ هؤلاء العرب المشتركون يحملونها رمزاً لدين قوي كأنه كان يريد أن يقف في سبيل انتشار اليهودية والمسيحية من ناحية أخرى ، .

وهذا الرأي لا يدعمه الدليل اللهم إلا دليس ما يمنع ، و دليس بعيد ، و دأمر هذه القصة واضح ، . على أن هذه الآراء هي من صنع المستشرقين ووليدة شكوكهم ، وهي تدم من حيث لا مبرر للهدم ولا نجد ما نقوله له إلا أن نقول إن الدين في هذا الموضوع لم يهدم بالعلم وإنما اصطدم بالهوى والهوى لا يثبت أن ينكسر عند أول صدمة على أن السبب الذي ذكره الدكتور لوضع اليهود الحديث واه لا يصلح أساساً لأنه إذا صح إنما يثبت القرابة بين الاسماعيلية وبينهم من العدنانيين وبين اليهود ، وأما العرب الذين أغار عليهم اليهود ثم صالحوهم فهم عرب يثرب وهم من القحطانيين لأنهم من غسان إحدى قبائل الأزدي فالحديث لا يؤدي إلى المطلوب الذي يريده الدكتور والدكتور يتبع في ذلك رأى الدكتور مرجليوث فقد قال في مقاله د ذيل مقالة الإسلام ، : و حقيقة الأمر في قصة إسماعيل أنها

دسيسته لفقها قداماء اليهود تزلقا إلى العرب وتذرا عنهم إلى دفع الروم عن بيت المقدس أو إلى تأسيس مملكة جديدة في بلاد العرب ، . ونقول كان يكفى وجود القصة في القرآن ليؤمن بها الباحث والناقد جميعاً .

## الحكومة الأدبية

بين قصيدتي علقمة وامرى القيس

- ١ -

علقمة بن عبدة التميمي شاعر جاهلي مشهور ، عاصر امرأ القيس زعيم الشعراء الجاهليين ، وتوفي عام ٥٦١ م ، بعد وفاة امرى القيس بسنة واحدة ، ومطلع قصيدة علقمة :

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حتماً كل هذا التجنب  
ومطلع قصيدة امرى القيس :

خابلي مرا بنى على أم جندب لنقضى حاجات الفؤاد المعب

والموازونات الأدبية بين القصيدتين بمعناها الصحيح معدومة في القديم والحديث . قالوا : إن علقمة ضاف امرأ القيس وكان صديقا له ، فتذاكرا القريض ، وادعاه كل منهما على صاحبه ، ولجا في ذلك ؛ فقالت لهما : أم جندب ، زوج امرى القيس : قولوا شعراً تصفان فيه الخيل ، وتذكران الصيد ، وعلى قافية واحدة وروي واحد (١) ، ، لأنظر أيكما أشعر ، فرضيا بحكمها ، وأنشدها على البديهة قصيدتين كبيرتين بانيتين ، سبق ذكر مطلعهما ولما فرغا من إنشادهما قالت أم جندب لبعابها : علقمة

---

(١) هذا كلام صاحب الشعر والشعراء . (ص ٥٨) ، وقد يكون ذلك من

أشعر منك ، فقال وهو يكاد يتميز من الغيظ : وكيف ذلك ؟ قالت :  
لأنك قلت :

وللسوط الهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أهوج منهب

فزجرت فرسك ، وجهدهته بسوطك ، ومريته بسافك . وقال علقمة :

فأدر كمن ثانيا من عنانه يمر كمر الريح المنحلب

فأدرك الطريدة وهو ثان من عنان فرسه ، لم يضربه بسوط ، ولا مره  
بساق ، ولا زجره . فتربده وجهه ، وقال لها : ما هو بأشعر مني ولسكنك له  
وامق ، وطلقتها خلفه عليها علقمة .

وقد ذكر هذه الرواية ابن قتيبة (١) ، وأبو الفرج (٢) ، وصاحب  
الموشح (٣) ، مع بعض تغيير فيها ؛ ويزيد المرزباني على هذه القصة رواية  
أخرى عن أبي عمرو الشيباني يقول فيها (٤) . تزوج امرؤ القيس امرأة من  
طىء ، وكان مفركا ، فلما كان ليلة ابنتى بها أبغضته ، فجعلت تقول :  
« أصبح ليل ، ياخير الفتيان أصبحت أصبحت ، فينظر فيرى الليل  
كهيئته ، فلم يزل كذلك حتى أصبح ، فنزل به علقمة ، وكان من لحول  
شعراء الجاهلية وكان صديقاله ، فقال أحدهما لصاحبه أينما أشعر ؟ فقال  
هذا : أنا ، وقال هذا : أنا ، فتلاحيا ، حتى قال امرؤ القيس : انمت ناقتك  
وفرسك وانمت ناقتى وفرسى ، قال : فافعل ، والحكم بينى وبينك  
هذه المرأة من ورائك ، فقال امرؤ القيس : « خليلي مرأبى على أم جندب ،  
وقال علقمة : « ذهبت من الهجران فى غير مذهب ، ؛ فلما فرغا من  
قصيدتيهما عرضاها على الطائفة امرأة امرؤ القيس ، فقالت . فرس ابن  
عبدة أجود من فرسك ؛ قال لها : وكيف ؟ ، قالت : إنك زجرت  
فرسك وحركت ساقيك وضربت بسوطك . تعنى قوله :

(١) ٥٨ الشعر والشعراء

(٢) الأغاني ج ٨ ص ١٢٨ .

(٤) ٢٩ المرجع .

(٣) ٢٨ الموشح للمرزباني

فللزجر ألحوب وللساق درة وللسوط منه .وقع أخرج مذهب (١)

وإن علقمة جاهر الصيد فقال :

إذا ما اقتصنا لم نقده بجنة ولكن ننادى من بعيد أأراكبي

هذه هي حكومة أم جندب الأدبية بين الشعاعين ، في كثير من رواياتها التي تختلف قليلا وتتفق كثيرا ، والتي لا تخرج عن أن أم جندب فضلت قصيدة علقمة على قصيدة امرئ القيس .

ويرتاب بعض الباحثين في صحة هذه الحكومة ويرى جورها ويقول : ولعل ذلك بما حمل ابن المعتز على أن ينكر هذه القصيدة فيما أنكره من شعر امرئ القيس (٢) .

وذلك هو رأى الدكتور طه حسين في الأدب الجاهلي الذي رأى أن هذه القصة منتحلة (٣) . وقد وقف الباحثون حيال هذه الحكومة الأدبية

---

(١) ألحوب : ألحب جريه حين زجره .درة: أى إذاغمز در بالجري .الأخرج : الظلم وهو ذكر النمام والأثني خرجاء في حال لونه وهو سواد وبياض لون الرماد والأخرج الرماد . مذهب : مسرع في عدوه .

(٢) ٢١ و ٢٢ تاريخ النقد الأدبي عند العرب للرحوم الأستاذ طه إبراهيم وقد أخطأ هذا الباحث فيما زعمه من أن ابن المعتز أنكر قصيدة امرئ القيس ، ذلك أنه يعتمد في ذلك على المرزباني في الموشح : ونص كلام المرزباني هو : قال المرزباني بعد ذكره لحكومة أم جندب : وقد روى هذا الحديث أيضا هشام بن الكلبي ورواه أيضا ابن المعتز وذكره فيما أنكره من شعر امرئ القيس ، ( ص ٣٠ الموشح) وكلية أنكره هنا بمعنى نقده وغابه لا بمعنى إنكار القصيدة ودعى أنها منتحلة ذلك اصطلاح عند صاحب الموشح يفهم من قراءة الكتاب ، وهب أن الأمر كما يقول هذا الباحث فكلام المرزباني يجوز أن يحمل على إنكار أبيات من القصيدة لاعلى إنكارها كلها .

(٣) راجع الأدب الجاهلي ٢٢٠ - ٢٢٥ .

موقنين متعارضين : ففريق يؤيد أم جندب في رأيها ، وفريق آخر يرى جور  
حكومتها الأدبية ؛ ومن الفريق الأخير الرافعى الذى عرض لحكومة  
أم جندب وبين حينها ، وفضل قصيدة امرىء القيس على قصيدة علقمة ،  
وأيد ذلك ببعض الآراء والحجج الأدبية (١) .

يقول الرافعى : وقصيدة علقمة بجملتها ليست بشىء ؛ لأن كل ما فيها من  
الألفاظ البارعة ، والمعاني الحسنة ، مأخوذ من قصيدة امرىء القيس ، حتى  
ليأخذ البيت برمته ، والشطر بحاله ، ومع ذلك فقد أبر عليه امرؤ القيس  
في الصنعة وما أدرى كيف هذا ، فلولا أن الزواة مجمعون على أن قصيدة  
علقمة مماصح لقلت إنها مصنوعة ، وإن صح خبر هذه المنازعة فيكون ذلك  
هو السبب في تعفف امرىء القيس على الشعراء وإدلاله بشعره (٢) .  
وقال : وما أرى أم جندب إلا أرادت ما تريد الفساركة من بعابها ،  
فقرعت أنفه على حمية ونخوة ، وهى تعلم أنها لا بد مسرححة في زمام هذه  
الكلمة ؛ وإلا فالبيت الذى توافيا على معناه ليس بموضع تفضيل ، لأن  
في قصيدة امرىء القيس ما هو أبلغ في هذه الصنعة من بيت علقمة ،  
وهو قوله :

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه      تقول هزير الرياح موت بأناب (٣)  
ومن تدبر صنعة امرىء القيس للتخيل فى شعره وجد السوط لا يفارقه  
فلعلها كانت عادته (٤)      ويقول : وما رأيت أحداً من أهل النقد وازن

(١) ٢٢٥ - ٢٣٤ : ٣ آداب العرب الرافعى طبعة ، ١٩٤٠ .

(٢) ص ٢٢٧ : ٣ تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعى طبعة ، ١٩٤٠ .

(٣) يقول الرافعى : ليس بين الناس اختلاف فى أن امرأ القيس أول من  
ابتكر هذا المعنى : فبالغ فى صفة الفرس وجعله على هذه الصفة ، بعد أن يجرى  
شأرين ، ويبتل عطفه بالعرق ، ثم زاد إبعالاً فى صفة بذكر الأتاب وهو شجر  
للرياح فى أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت ( ٢٢١ : ٣ المرجع ) .

(٤) ص ٢٢٧ : ٢ المرجع

بين القصيدتين ، بل كلهم متبعون كلمة هذه المرأة ؛ وبعضهم لا يعرف ما كان بينها وبين امرى القيس ، وامرى القيس يقول في قصيدته :

وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب (١)

والطريف أن الرافعى لم يوازن بين القصيدتين موازنة أدبية ، وإنما اكتفى بعد ذلك بأن ذكر القصيدتين كاملتين دون تعليق . وعلى رأى الرافعى سار الأستاذ هاشم عطية فى كتاب « الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى (٢) » ، قال بعد أن عرض أبحاثا كثيرة من القصيدتين : « والذين يعرفون أن امرأ القيس كان مفركا تسكره النساء ، وأن هذه المرأة كانت تسكره ، وكانت ضلعا معها مع علقمة (٣) : يدركون فى سهولة أنها جارت فى حكمها على امرى القيس ، لأن الذى قصد من ذكر السوط والساق والزجر - وإن كان فيه شىء من الهجنة - إنما هو التلبيه على مبلغ عنايته برياضة فرسه وتأديبه ، وأن عنده أفانين من الجرى ، فيعطى راكمه من كل حالة ما يشبهها من العدو (٤) » ، على أنه مع ذلك قال : « فأدرك لم يجهد ، وهو يدل على ما يدل عليه بيت علقمة من أنه أدرك طرفه ، وهو لا يزال كما هو لم يتعب ولم يئن شأوه ، أى لم يعد الشوط بل أدرك من أول حضر (٥) » .

## - ٢ -

ونحن هنا فى أول موازنتنا الأدبية بين القصيدتين لا يصح أن نحكم فى هذه الموازنة أى باعث غير البواعث الأدبية فى الحكومة بين

(١) ٢٢٦ : ٣ المرجع (٢) س ١٨٤ .

(٣) هذه الأسباب الأولى فى تعليق جور حكومة أم جندب الأدبية . مضحكة

لغاية (٤) وهذه أيضا حجة أدبية رائعة مثل ما سبقها .

(٥) ص ١٨٤ الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى .

القصيدتين نفسيهما ، فلا يصح أن نفضل امرأ القيس لأنه زعيم الشعراء  
الجاهليين ، فنحن نعلم أن علقمة أيضاً شاعر فحل وإن كان لا يصل إلى منزلة  
امرئ القيس في زعامة الشعر الجاهلي ؛ قال له ربيعة بن حذار الأسدي  
الشاعر الجاهلي : « شعرك كزادة قد أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء » ،  
يريد أن شعره يثبت على النقد ولا يطرح منه شيء ، وقال ابن سلام :  
علقمة ثلاث روائع جياذ لا يفوقهن شعر :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب  
والثانية : طحا بك قلب في الحسان طروب .

والثالثة : هل ما علمت وما استودعت مكتوم (١) .

ولعلقمة معان جيدة ، واشتهر بوصف النعامه بما أشاد به ابن الأعرابي ،  
ولكنه على أي حال لا يصل إلى منزلة امرئ القيس ، فقد وضعه ابن سلام  
الناقد الكبير في الطبقة الرابعة مع عدى وعبيد وطرفة (٢) ، ووضع امرأ  
القيس في الطبقة الأولى . فاختلاف منزلة الشعارين الأدبية وما تلقاه في  
روعننا زعامة امرئ القيس للشعر الجاهلي من أثر عميق باطى ، كل ذلك لا يصح  
تحكيمه في الموازنة بأى حال ، إنما يجب أن نهج منهجاً عادلاً فيما نتناول به  
القصيدتين من أحكام .

أما قصيدة امرئ القيس فقد بدأها بالغزل العذب الجميل ، وفن امرئ  
القيس في الغزل محبب إلى النفوس مستوفى البلاغة ، قريب من القلب والروح ،  
يقول فيما يقول :

خليلي مرا بى على أم جندب لتقصى لبيانات الفؤاد المعذب  
ألم تريانى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب  
فإن تنأ عنها حقبة لاتلاقها فإنك بما أحدثت بالجرىب

(١) ص ٥٠ طبقات الشعراء لابن سلام .

(٢) ص ٤٩ المرجع .

فلا عيناً من رأى من تفرق أشت وأنأى من فراق المحصب (١)  
فربقان : منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد ككبكب (٢)  
فهيئك غرباً جدل في مفاضة كمر الخليج في صفيح المصوب (٣)  
فتجد عذوبة في جزالة ، وقوة عاطفة في أسلوب عال من الشعر .

ثم انتقل إلى وصف الدوية التي جابها على ناقته في أسلوب رائع ممتع  
بليغ فقال :

ودوية لا يهتدى لفلاتها يعرفان أنلام ولاضوء كوكب (٤)  
تلافيتها والبوم يدعوبها الصدى وقد ألبست أطرافها ثني غيب (٥)  
ثم ألم بنافته وشبهها بالحمار الوحشى ووصفه فقال فيما قال من وصفه :  
يفرد بالأسحار في كل سدفة تغرد مياح الندامى المطرب (٦)  
ثم انتقل إلى وصف فرسه ، فأجاد الوصف ؛ وأمتع في الأسلوب ؛  
وامرؤ القيس أوصف الناس للخيل ، فلا غرو أن يجيء هذا الوصف جميلاً  
ممتعاً قوياً على غرابة فيه ، ومن قوله فيه :

له أبطلا ظي وساقا نعامة وصهوة عير قائم فوق مرقب (٧)

- 
- (١) أشت : أكثر تفرقا أنأى : أبعد . المحصب : المكان الذي ترمى فيه الحجارة  
(٢) جازع : قاطع بطن نخلة : موضع نجد ككبكب : جبل يستديره الواقفون  
بعرفات (٣) الغرب : الداو العظيم . الجدل : الهر . المفاضة : الأرض الواسعة  
الخليج : الماء المتخاج وهو الذى تعترضه العقبات فى سيره فيتماسر مرة ويتيامن  
أخرى الصفيح : العريض من الحجارة . المصوب : المنحدر .  
(٤) الدوية : الفلاة التي لا يهتدى فيها بعلامة أو ضوء كوكب .  
(٥) تلافيتها : قطعها . الغيب : الليل الخالك .  
(٦) يفرد : يطرب بصوته السدفة : القطعة من الليل . المياح : المياس .  
(٧) الايطل : الحاصرة الصهوة : الظهر . العير : حمار الوحش قائم : منتصب  
المرقب : المكان المرتفع .

كثير سواد اللحم مادام بادنا وفي الضمر: شوق القوائم شوذب (١)  
وصف امرؤ القيس خلقه وصفاً دقيقاً ، ثم وصف قوته وسرعة عدوه ،  
فقال فيما قال :

إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه نقول : هزير الريح مرت بأثاب (٢)  
إذا ماركبنا قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أن يأتي الصيد نحطب (٣)  
ثم انتقل إلى وصف الصيد ، وهو فن من فنون شعر امرئ القيس  
الجيدة العالية ، فذكر خروجه للصيد حول نعاله ، ورؤيته لقطيع كبير من  
الصيد ، وامتطاه متن فرسه ، وحمله غلامه خلفه ، وعدوه الشديد بهما على  
آثاره ، وذكر أنه لم يمهل مع ذلك هذا الفرس ، بل ألح عليه يجهد ،  
ويستحثه بساقه وسوطه وبزجره له ، حتى أدرك القطيع ، قال فيما قال :

فللساق أهوب وللسوط درة وللزجر منه وقع أهوج منعب (٤)  
فأدرك لم يجهد ولم يتن شأوه يمر كخذوف الوليد المثنب (٥)  
وذكر معركة الصيد وفيه إلى بيت مشيد ، وجلوسه فيه هو وأصحابه  
في يوم جميل تمتع :

فظل لنا يوم لذيد بنعمة فقل في مقيل نحسه متغيب (٦)

- 
- (١) البادن : السمين . المشوق : حسن القوام . الشوذب : الطويل الجسم  
للمخلوق المنسجم (٢) شأوين : شوطين . ابتل عطفه : سال عرقه على جانبيه .  
هزير الريح : صوتها . أثاب : اسم شجر .  
(٣) نحطب : نجتمع الحطب للطبخ والشواء .  
(٤) الأهوب : الجري الشديد ، الدرة الدفعة . الزجر : النهر . الأهوج : الاحق  
المنعب : الذي يصاح عليه . . . . . وبهذا البيت حكمت أم جندب على امرئ .  
القيس بالتقصير وفضات علقمة عليه .  
(٥) الخذروف : لعبة للأطفال .  
(٦) يريد أنه كان ذلك اليوم من أيام السعادة التي غاب عنها النحس

يتمتعون فيه بأكل الشواء المضمب (١) .

ثم ذكر رجوعه على فرسه إلى منزله ، وفرسه محبب إلى الأصحاب  
غير ملقن :

حبيب إلى الأصحاب غير ملقن يفدونه بالأمهات وبالآب

كأن دماء الهاديات بنجره عصاره حناء بشيب مخضب (٢)

وتدنى هذه القصيدة الرائعة القوية الخصبية الخيال ، البليغة الأسلوب ،  
الكثيرة الممانى ، المشبوبة العاطفة والشعور ، الطويلة حتى لتبلغ أبياتها  
خمسة وستين بيتا .

أما قصيدة علقمة فعدد أبياتها خمسة وأربعون بيتاً بدأها بالغزل كما بدأ  
امرؤ القيس قصيدته ، فقال :

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حقاً كل هذا النجيب

ليالى لا تبلى نصيحة بيننا ليالى حلوا بالستار فغرب (٣)

مبتلة كأن أنضاء حلبيها على شادن من صاححة متربب (٤)

وبعد أن تحدث عن ماضى حبه لها ، ذكر الحاضر المؤلم الذى تقطعت

فيه أسباب المودة والحب ، فقال فيما قال :

إذا لحم الواشون للشر بيننا تبلغ رس الحب غير المكذب (٥)

---

(١) أى الذى لم ينضج تماما (٢) الهاديات : أوائل الوحش

(٣) الستار جبل بمالية الحجاز . غرب : موضع تلقاه .

(٤) مبتلة : الحسنه الخلقة وتقسيم الاعضاء ، أو الضامرة الكشح الانضاء

جمع نضو : الهزيل : الحلى ، والحلى : ما تزين به المرأة ، الشادن : ولد الغزال .

اصاحه : موضع . متربب : مر : فى البيوت . شبه جيدها وما عليه من الحلى بجيد

هذا الشادن الذى تربيته الجوارى وتزينه بالحلى .

(٥) اللحم : أدخل للشر اللام زائفة . الرس : الثابت الراسخ . المكذب :

الزائل المتقطع

أطعت الوشاة والمشاة بصرمها فقد أنهجت حبالها للتقضب (١)  
ويذكر وعدداله ، ودلالها الشديد ، ورجوع المودة والصلة من جديد ،  
ثم يقول :

فعمشناها من الشباب ملاوة فأنجح آيات الرسول المحجب (٢)  
ثم يذكر تسليبه بالأسعار على ظهر ناقته :  
فإبك لم تقطع لبانة عاشق بمثل بكور أو رواح مؤوب  
ثم يذقل إلى وصف الناقة ، فيجيد وصفها في خمسة أبيات جميلة قوية  
بليغة الأسلوب ، فيقول فيما يقول في وصف عينها :

بعين كمرآة الصناعات تديرها لمحجرها من النصيف المثقب (٣)  
وفي وصف ذيلها :

تذب به طوراً وطوراً تمره كذب البشير بالرداء المهذب (٤)  
ثم يذقل إلى وصف الفرس فيجيد إجابة عالية ، قال فيما قال :

وقد أغتدى والطير في وكنتاتها وماء الندى يجرى على كل مذنب (٥)  
بمنجرد قبلة الأوابد لآحه طراد الهوى كل شأو مغرب (٦)

---

(١) الصرم : الحجر . أنهجت حبالها للتقضب : ضعفت العلاقة بيني وبينها  
وكادت أن تنقطع ، والتقضب : التقطع .

(٢) ملاوة : دهرًا طويلًا . عمشناها : أي نعمنا بوصولها . آيات : علامات  
مخيب معل الخب وهو الخداع أو من الخبب يريد المشى بين الحبيبين والخبب نوع  
من السير ، يريد الرسول المفسد .

(٣) أي بعين صافية صفاء مرآة الصناعات وهي المرأة الحاذقة العمل . المحجر :  
ماحول المين . النصيف : الخنار . المثقب : ذو الثقب .

(٤) تذب : تدفع الذباب : المهذب : ذو الأهداب .

(٥) أغتدى : أخرج في الغدو . وكنتاتها : أعشاشها . المذنب : مسيل الماء إلى

الرياض . (٦) منجرد : قصير الشعر . الأوابد : بقر الوحش . لآحه : أهزله

ويصف أذنيه فيقول .

له حرتان تعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة وسط ررب (١)  
وهكذا يصفه علقمة وصفا دقيقا ؛ ثم انتقل إلى الصيد فقال في أسلوب

متع وتصوير خصب وخيال جميل :

رأينا شياعا رتعين خميلة كمشى العذارى في املاء المهدب (٢)

فبينما ثمارينا وعقد عذاره خرجن علينا كالجمان المنقب (٣)

فأدركهم ثانياً من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب (٤)

وهذا البيت الأخير من أسباب حكومة أم جندب الأدبية اتى فضات

فيها علقمة على امرىء القيس ؛ إلى أن قال :

فعادى عداً بين ثور ونعجة وتيس شبوب كلشميمة قرهب (٥)

ثم يذكر عودته إلى خبائه المظنب المضروب :

فقلنا : الأقداب صيد لقاص فخبوا علينا فضل برد مظنب (٦)

---

الطراد : المطاردة . الهوادي : أوائل الوحش . الشار : الشوط . المقرب : البعيد  
(١) الحرثان : الأذنان جعلهما حرتين للطاقتهما واتصاهما . السامعتان :  
الأذنان . المذعورة : المفزعة يريد بقرة الوحش ذعرت فتصببت أذنيها وحددتها  
الررب جماعة بقر الوحش .

(٢) الشياخ : النعاج الوحشية . الخميعة : الأرض الكثيرة النبات والشجر ؛  
المهدب ذو الهدب . (٣) الثمارى : التجادل والتشكك . عقد عذاره : أى إلجام  
الحبل . الجمان حب يصنع من فضة على هيئة المقد أى خرجت متتابعة منتظمة كالجمان  
المنظوم . (٤) ثنى عنان فرسه : جذبه نحوه الرائح السحاب ، المنحطب : المتساقط  
المنتابع (٥) فعادى عداً : جرى أشواطاً متتالية ، التيس : الذكر من الظباء  
الشبوب الفوى ، المشيمة : الشجرة البالية وشبهه بها فى حالة صيده وسطه صريفاً  
على الأرض كالشجرة التى تقع وهى بالية .

(٦) فخبوا : أى فضربوا علينا خياماً ، البرد : كل ثوب موشى ، المظنب :

المشودود بالاطناب وهى حبال الخميعة

وتمنهم بالأكل من الصيد ورميهم لعمون الصيد حول الخباء ،  
 كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب (١)  
 ثم يذكر عودته من رحلة الصيد على فرسه الذي سار في نشاط وحدة  
 يسابق النوق وتسابقه ؛ ويشبهه بالحياة المناسبة :  
 وراح يبارى في الجنباب قلوصلنا عزيزا علينا كالجنباب المسيب (٢)  
 وبذلك تلتهم هذه القصيدة .

- ٣ -

ومن ذلك العرض المريع نرى أن القصيدتين :

١ - وتشابهان في الوزن والقافية .

ب - وفي الموضوع أيضاً ، فكنتا القصيدتين مبدوءة بالفرز ،  
 ووصف كل من الشعارين في كليهما الناقة والفرس ورحلة الصيد ونزوله  
 في الخباء المضروب للراحة وتناول الطعام ، وعودته من هذه الرحلة الجميلة  
 الممتعة ، ويزيد امرؤ القيس ووصف المرقبة (٢) بيتين والدوية (٤) في بيتين  
 آخرين بعد الفرز مباشرة .

ج - وتشابه القصيدتان أيضاً في الخيال والروح ، وفي هذا الارتجال  
 ألفى والهدية الحاضرة الذين تفيض في ذكرهما الروايات المختلفة .

د - وتشابهان فوق ذلك في كثير من المعاني وأساليب الشعر :

١ - قال امرؤ القيس في الفرس :

حبيب إلى الأصحاب غير ملعن يفدونهم بالأمهات وبالآب

(١) الجزع : خرز فيه بياض وسواد

(٢) يبارى : يسابق . الجنباب : مصدر جاتبه مجازية إذا صار إلى جنبه ، الفرصر

الناقة الشابة القوية ، الجنباب : الحية . المسيب : المناسبة

(٣) هي المكان المرتفع الذي يقف عليه الديدبان ليرقب العدو

(٤) الدوية : الغلاة الواسعة

وقال علقمة :

أخا ثقة لا يلعن الحى شخصه صبورا على العلات غير مسبب  
فذكر امرؤ القيس أنه غير ملعن ، وفصل علقمة فقال « الحى ،  
وشخصه ، ثم عاد فأجمل فقال : « غير مسبب ، أى غير ملعن ؛ وزاد  
امرؤ القيس بقوله : « يفدونه بالأهات وبالآب ، ؛ وزاد علقمة بقوله :  
« أخا ثقة ، أى يوثق به وبنجابته وأصالته وقوته ومرعة عدوه عند  
المطالب ؛ وبقوله « صبورا على العلات ، أى على مختلف الحالات أو على  
ما يلزم به من تعب وإنصاف .

٢ - وقال امرؤ القيس فى الفرس أيضا :

فكان تناديننا وعقد عذاره وقال صحابي : قد شارك فاطم  
وقال علقمة :

فبينما تمارينا وعقد عذاره خرجن عاينا كالجمان المنقب  
يقول امرؤ القيس : أبصرنا قطيع الوحش فنادى بعضنا بعضاً وأجبت  
الفرس ، فسبق الصيد ، وقال أصحابي : قد سبقك القطيع فاطلبه . . ويقول  
علقمة : أخذنا فى الجمدال والكلام والشك وأنا أجم فرمى وإذا نجاج  
الوحش تخرج علينا متتابعة منتظمة كالجمان المنظوم ، فلم يذكر علقمة أن  
الصيد قد هرب منه ، ولا أن أصحابه قالوا له شيئاً ، وزاد بهذا التشبيه الرائع  
« الجمال المنقب ، زيادة رائعة .

٣ - وقال امرؤ القيس فى الفرس :

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه يمر كخذروف الوليد المنقب  
وقال علقمة :

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرايح المنقب  
فذكر امرؤ القيس أن فرسه أدرك الصيد بشوط واحد وأنه كان شديد

الجرى لا يبصره الناظر وأن مثله مثل هذه اللعبة التي يلعب بها الأطفال بما يسمونه «المقلاع» ، فإذا ضربت لم تكدر تراها العين ؛ وذكر علقمة أن فرسه أدرك الصيد وهوثان من عنانته أى يجذب به نحوه ، وشبه سرعته النادرة بسرعة السحاب المتساقط المتتابع . . فنجد امرأ القيس يفتخر على أن فرسه لم يصبه إجهاد وأنه أدرك الصيد من شوط واحد ، ونجد علقمة لا يذكر شيئاً من ذلك ولكنه يذكر أن فرسه كان شديد العدو حتى كان يجذب عنانته نحوه ليهدها في سيره ، وبأنى بهذا التشبيه الجيد الذى أفضله على تشبيه امرئ القيس .

٤ - وقال امرؤ القيس فى فرسه :

وراح كتييس الربل ، ينفض رأسه إذا ذاب به من صائنك متحلب (١)  
وقال علقمة :

وراح كشاة الربل ينفض رأسه إذا ذاب به من صائنك متحلب  
فوجد اتفاق البيتين فى أكثر الأسلوب وفى المعنى ، وإن كان علقمة مسبقاً ، والفضل لامرئ القيس .

٥ - ويقول علقمة :

ترى الفأر عن مسترغب القدر لا تحما

على جدد الصخراء من شد ملهب (٢)

---

(١) شاة الربل وتيس الربل يعنى الثور الوحشى وقد شبه به الفرس فى نشاطه وحدته ، ينفض : يحرك ، الصائنك : العرق ، المتحلب : السائل المتقاطر ، يقول إن هذا الفرس راح يحرك رأسه ليزيل العرق المتقاطر السائل

(٢) عن معنى من ، مسترغب القدر : واسع الخطو ، لا تحما : ظاهراً ، الجدد الطريق . شد ملهب : أى من جرى فرس ملهب وهو الشديد الجرى المثير للغبار

خنى الفأر من أنفاقه فكأنما تجلله شؤبوب غيث منقب (١)  
وظل لثيران الصريم غماغم يداعسهن بالنضى المعلب (٢)  
فهاو على حر الجبين وموق بمدراته كأنها ذاق مشعب (٣)  
وقال امرؤ القيس من قصيدته فى المعنى نفسه :

ترى الفأر فى مستنقع القاع لاجبا (٤)

على جدد الصحراء من شد ملهب

خناهن من أنفاقهن كأننا حذاهن ودق من عشى مجلب (٥)  
وظل لصيران الصريم غماغم يداعسها بالسهمرى المعلب  
فكباب على حر الجبين وموق بمدرية كأنها ذاق مشعب  
فتجد تشابه المعنى والأسلوب والألفاظ والخيال فى القطعتين .

٦ - وقال امرؤ القيس :

وقلنا لفتيان كرام : ألا انزلوا فعالوا علينا فضل ثوب مطب  
وقال علقمة :

فقلنا : ألا قد كان صيد لقاص فخبوا علينا فضل برد مطاب

(١) خنى الفأر : أخرجه من أنفاقه ، وهو جمع نفق وهو الحجر تجلله : غشيه  
وأحاط به ، الغيث المطر ، المنقب : الذى ينقب فى الارض ويستخرج ما فيها اشدته .  
الشؤبوب : الدفعة من المطر

(٢) لثيران الصريم : بقر الرمل ، الغماغم : حوار الثيران عند الطعن يداعسهن  
يطاعهن : النضى : الرمح ، المعلب ، المشدود بالعلباء وهى عصبة كانوا يشدون  
بها الرماح والسهام لئلا تنكسر

(٣) هاو : ساقط ، حر الجبين : ما أقبل عليك منه ، المدرى : القرن ، الذاق  
الحذ والطرف ، المشعب : الخرز الذى تخرز به الجلود

(٤) مستنقع القاع : الارض المنخفضة التى تنقع فيها المياه . لاجبا : ظاهرا

(٥) الودق : المطر ، مجلب : شديد الجلبة والصوت

فيزيد علقمة بذكره ، صيد القانص ، ، ويوجز فيحذف ذكر النزول ،  
ويزيد امرؤ القيس فينص على كرم الفتيان وعلى ذكر النزول .

٧ - ويقول امرؤ القيس :

وقد أعتدى قبل الشروع بسابح أقب كيعةفور الفلاة مجنب (١)  
ويقول علقمة :

وقد اغتدى والطير في وكلماتها وماء الندى يجرى على كل مذنب (٢)

بمنجرد قيد الأوابد لاحه طراد الهوادي كل شأو مغرب (٣)

فنجد علقمة يزيد هذه الزيادات الجميلة الرائعة حفا : « وماء الندى

يجرى على كل مذنب ، ، و « منجرد قيد الأوابد - البيت كله ، ،

ويزيد امرؤ القيس في وصف فرسه بما وصفه به ، وإن كانت « منجرد ،

وقيد الأوابد ، مما ابتكره امرؤ القيس وأخذ عنه ، إلا أن علقمة هنا أرفع  
بلاغة من غير شك .

٨ - ويقول امرؤ القيس في الناقة :

بمجنفرة حرف كأن فتودها على أبلق الكشجين ليس بمغرب (٤)

ويقول علقمة :

بمجنفرة الجنين حرف شملة كهمك مرقال على الأين ذغلب (٥)

---

(١) السابح : الفرس السريع الجرى ، الأقب : الضامر البطن ، اليعفور : حمار

الوحش ، الفلاة : الصحراء (٢) المذنب : مسيل الماء إلى الرياض

(٣) منجرد . قصير الشعر ، الأوابد ، بقر الوحش ، لاحه ، أهزله ، الطراد

المطاردة ، الهوادي ، أوائل الوحش ، الشأو : الشوط ، الغرب : البعيد

(٤) المجنفرة : الناقة العظيمة البطن ، الحرف التي تماثل حرف الجبل في صلاحيتها

الفتود : أداة الرجل ، أبلق الكشجين يريد حمرا وحشيا أبيض الخاصرة ، المغرب

الذي أبيضت أشفاره وحالته ،

(٥) الحرف ، الضامرة أيضا ، الشملة ، السريمة . كهمك أي كما تشتهي وتريد المرقال

٩ - ويقول امرؤ القيس في الفرس :

وهو هواء تحت صلب كأنه من الفضة الخلقاء زحلوق ملعب (١)

ويقول علقمة في المعنى نفسه :

وجوف هواء تحت متن كأنه من الهضبة الخلقاء زحلوق ملعب

١٠ - ويقول امرؤ القيس في ذنب الفرس :

وأسحم ريان العسيب كأنه عثا كليل قنو من سميحة مرطب (١)

ويقول علقمة في ذنب الناقة :

كأن بحاذيها إذا ما تشذرت (٣) عثا كليل قنو من سميحة مرطب

فيزيد علقمة بالشعر الأول أو أغلبه على امرؤ القيس .

١١ - ويقول امرؤ القيس في الفرس :

وعينان كالماويين (٤) ومحجر إلى سند مثل الصفيح المنصب

ويقول علقمة في الناقة :

بهين كمرآة الصناع تديرها لمحجرها من الصفيح المنصب

فيشبه امرؤ القيس عيني الفرس برآتين صافيتين ويقول : إن عينه

يسندها عظام الوجه القوي الصلب المنصب ، ويقول علقمة : إن عين

الكبيرة الرقلان وهو المشى السريع ، الايز ، التعب ذعاب ، خفيمة في سيرها

(١) البهو ، جوف الصدر ، هواء ، واسع ، الصلب ، الظهر الخلقاء ، المساء .

الزحلوق ، ما يترحلق عليه الاطفال أثناء اللعب

(٢) الاسحم ، الاسود ، والمرادبة الذنب ، ريان ، تمتلي ، العسيب ، أصل الذنب .

العثا كليل : الاغصان الرقيقة وهي الشاربخ ، القنو : العذق وهو العنقود . سميحة

بئر على حافته نخل مشمر

(٣) الخاذان ، ما وقع عليه الذنب من الفخذين ، تشذرت الناقة ، ضربت بذنها

(٤) تنبيه ماوية وهي المرأة الصافية المحجر : نقرة العين . الصفيح المنصب :

الواح الحجارة الثابتة .

الناقفة شبيهة بعين المرأة الصباغ التي تديرها وتنظر بها من خلال ثقوب  
الخيار؛ فتجد إحكاما في التشبيه عندهما واختلافا في تفاصيل المعنى، وانفاقا  
في عوممه. وهذا الاتفاق كما بين لنا مدى هذا التشابه الفني الواسع بين  
تينك القصيدتين الكبيرتين.

- ٤ -

وهناك خلاف كبير أيضا بين القصيدتين يتجلى لك في ما يأتي :

١ - قصيدة امرئ القيس تزيد على قصيدة علقمة عشرين بيتاً  
فالأولى خمسة وستون والثانية خمسة وأربعون .

٢ - وشتان بين غزل القصيدتين ، فغزل امرئ القيس تمتع خصب  
بعكس غزل علقمة ، علقمة لا يحسن أن يتغزل كما يتغزل امرؤ القيس ،  
فتجده يقول :

فإني لم تقطع لبانة عاشق بمثل بكور أورواح مؤوب  
فيرى أن يقطع آماله في حب محبوبته ويقطع صلته بها بالسفر مبكراً  
أورواحاً ؛ ويقول أيضا :

فقلت لها : فيئى فما يستفزنى ذوات العيون والبنان المخضب

وإذا لم تستفزه هؤلاء فمن الذى يستفزه بعدهن ؟

ولكن امرئ القيس لا يدور بملده شيء من ذلك ولا ينطق به لسانه ،  
إنتازه يقول :

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

فتجده يذكر ضعف المرأة وأنوثتها وسجرتها مع ذلك وامتلاكها بهذا  
الضعف القلوب والأرواح ؛ وقد ذكر علقمة في غزله الوصل ومظاهر الجمال  
في خلق حبيبته وفي زيلتها ، ثم صور ما وقع بينهما من صرم وعودة  
الصلوات ثم قطعه لها بالأسفار . أما امرؤ القيس وبذكر لبيانات الفؤاد

المعذب وحاجة قلبه إلى اللقاء وجمال محبوبته الفاتن ، ورائحتها الذكية حتى في غير وقت الزينة والطيب ، وإقامتها على المودة وثقته بها ، وينذكر ساعات رحيل أحبابه وهو ينظر إليهن نظرة اليأس الحزين ، تنهد دموعه حزناً لفراق أحبابه .

وعلقمة في غزله الذي يبلغ الأربعة عشر بيتاً لا يصل على أى حال إلى منزلة امرئ القيس شاعر الغزل والجمال الذي رسم في مطلع قصيدته صوراً حية رائعة لأحبابه وذكرهن في إيجاز وفي ثلاثة عشر بيتاً .

٣ - أما الناقة فقد وصفها علقمة في خمسة أبيات ووصفها امرؤ القيس في بيت بل في شطره فقط ، ويزيد امرؤ القيس فيصف حمار الوحش الذي شبه ناقته به وصفاً جيلاً ، فعلقمة إذاً يتفوق على امرئ القيس في وصف الناقة ، وإن كان امرؤ القيس يزيد عليه بوصفه للحمار الوحشى في ثلاثة أبيات :

٤ - ووصف الشاعران الفرس ، ووصفه علقمة في ثلاثة عشر بيتاً ثم ذكره في بيتين في آخر القصيدة ، ووصفه امرؤ القيس في سبعة عشر بيتاً ثم عاد إليه في ذكره لرحلة الصيد ، وفي نهاية القصيدة عاد لذكره في سبعة أبيات أخرى . ووصف امرئ القيس للفرس وصف دقيق ، لا يترك شيئاً منه إلا ويصفه ويصوره ومن أولى من امرئ القيس بذلك وهو الذي قيل فيه : « أشعرهم امرؤ القيس إذا ركب » ، ولكن امرؤ القيس مع ذلك يخطئ في بعض معانيه ، أما علقمة فلا يخطئ في شيء . وذلك ما لاحظناه أم جندب ونقدت امرؤ القيس من أجله وفضل علقمة عليه .

٥ - ووصف الصيد عند الشاعرين وصف جميل تتع . . ووصفه علقمة في ثمانية أبيات ووصفه امرؤ القيس في اثني عشر بيتاً . مع اتحاد في بعض الأساليب والمعاني ، ولكن امرؤ القيس يزيد في وصف الصيد على علقمة من غير شك ، وزاد عليه أيضاً بوصف الخباء الذي نزل هو ورفاقه فيه لتناول الغذاء وأكل لحم الشواء المصهوب كما يقول :

وبذلك نجد تفوق امرئ القيس في الغزل ووصف الصيد وتفوق  
علقمة في وصف الناقة والفرس .

٦ - على أن في قصيدة علقمة صورا شعرية كثيرة أرجح أنه اقتبسها  
من قصائد امرئ القيس الأخرى ، كقول علقمة : « وقد أغندى والظفر  
في وكأنتها » ، وقوله « بمنجرد قيد الأوابد » ، وقوله : « فهادى عداه  
بين نور ووعجة » ، وقوله :

كأن عيون الوحش حول خباتنا وأرحلنا الجزع الذي لم ينقب

-- ٥ --

وامرؤ القيس له السبق في إنشاء قصيدته وابتكار معانيها ، فعلقمة تابع  
له في المعاني التي شارك امرأ القيس فيها من غير شك . ولكن بماذا نسفى  
عمل علقمة ، أنسميه معارضة أم تقليداً فنياً . أم أنه عمل جديد بكر كعمل  
امرئ القيس الشاعر الأول . إن عمل علقمة الفنى ليس جديداً بكرة ،  
ولكنه جديد فى بعض نواحيه ، وهو تقليد فى بعض النواحي ، ومعارضة  
أدبية فى باقىها ، وأسنا نذهب مذهب من يفضل أحداً الشعراء على الإطلاق  
كما فعل القدماء ، ففضلوا علقمة على امرئ القيس ، فقالت أم جندب ما  
قالت ، وقال ابن رشيئ . ونازع - امرؤ القيس - علقمة بن عبدة . فكان  
من غلبة علقمة عليه ما كان (١) ، وكما فعل بعض المحدثين وفضلوا امرأ  
القيس على أى حال ، ولكن نهجنا فى الموازنة نهج يسير على العدل والحق  
والإنصاف فى الحكومة الأدبية دون نظر إلى ما عدا ذلك . إن عمل علقمة  
الفنى فى قصيدته جديد فى الكثير من معانيها وأساليبها وخيالها ، وهو  
تقليد فيما أسلفناه لك من معان احتذى فيها علقمة امرأ القيس الذى سبقه  
بأرتجال قصيدته ، ولكن العمل الفنى الذى عمله علقمة كله وعلى وجه  
الإجمال أصمية معارضة ، والمعارضة فى الشعر أن يقول الشاعر القصيدة ،

فيتبعه شاعر آخر بقصيدة في خيالها وروحها وموضوعها مع الاتفاق في الوزن والقافية في أحيان كثيرة ، ويقصد الشاعر الثاني أن يسجل بقصيدته على الأول تفوقا أو أن ينقض فكرة الأول في قصيدته . والمعارضات في الشعر العربي القديم والحديث كثيرة ؛ ولكن المعارضة في قصيدتنا - موضوع هذا البحث - أظهر وأبين وأوضح .

- ٦ -

وبعد فقد حاول علقمة بقصيدته أن يتفوق على امرئ القيس في حكم النقد الأدبي ،

وقد نال ما أراد عند القدماء ، وحرمه منه بعض الباحثين من المحدثين ولكننا نقدر عمل الشعارين الفنى معا :

١ - فلامرئ القيس ميزة البدى وفضيلة الابتكار ، وله فضل التفوق في الغزل والصيد :

٢ - وعلقمة فضل المعارضة وفضل الابتكار الذى يظهر في قصيدته أحيانا حتى ليكاد يجعلها جديدة من نواحيها ، وله فضل التفوق على امرئ القيس زعيم الشعر الجاهلى فى وصف الناقة وفى وصف الفرس وهو الفن الذى شهر به امرؤ القيس

إن الصور الفنية الممتعة فى القصيدتين كثيرة جدا ، وخيالهما قوى خصب يتكىء على الحس ، ومعانيهما متدفقة ثرة جياشة لا تكاد تنتهى . ووحدة الموضوع والروح والوزن والقافية فى القصيدتين تكاد تمازج بينهما إلى حد بعيد . وهذا هو آخر تلك الموازنة الأدبية الدقيقة لى فعلنا القول فيها لنتخذ منها منهجا أدبيا واضحا فى النقد والموازنة ،

## الموازنة بين الشعراء

الموازنة هي المعادلة بين كلام شاعرين فأكثر ومقابلة معنى كل واقظه بالآخر حتى يتبين رجحان أحدهم فيقال : إنه أشعر ، وإن كان من شهورات العقول المفاضلة بين الأشياء والظفر بالأفضل ولهذا كان الأدباء من يوم أن كشف لنا التاريخ وجودهم إلى اليوم مولعين بالموازنة بين الشعراء وتفضيل بعضهم على بعض فإذا نظرنا إليهم في الجاهلية رأيناهم في سوق عكاظ يتحاكون إلى النابغة تحت قبته الخمراء ولحننا هنالك الأعشى وحسان والخنساء يتناشدون ويتنافسون ، ومقابل العرب في تلك الحلبة يستمعون وهم أشوق ما يكونون إلى التمساق في البيان واستماع حكم النابغة في ذلك . وإذا رجعنا إلى آراء الأدباء في نوابغ شعراء الجاهلية وجدنا كلماتهم مفترقة في امرئ القيس والنابغة وزهير والأعشى : لكل منهم شبيعة تفضله على غيره وتقيم البراهين على تفوقه وكذلك حالهم مع كل نابه من الشعراء المخضرمين كالخطيئة وكمب بن زهير وحسان والنابغة الجعدي وأبي ذؤيب الهذلي والخنساء وأضراب هؤلاء .

وإذا تخطينا بهم هذه الطبقة إلى طبقة الشعراء الإسلاميين رأيناهم أبعد خلافا وأكثر شقاقا ، ورأينا الملوت والأمراء والعلماء يشاركونهم في هذا وبناضلون عمن يفضلون فضالا ولا كفضال الحرب تدفع عن العرض والنفوس ، وهذا تاريخ جرير والفرزدق والأخطل والراعي والقضامي ونصيب مشحون بأحداث المفاضلة وأحكام المحكمين من الشعراء والعلماء والأمراء ، وهي أحكام كثيرا ما تكون مطبوعة بطابع الهوى الشخصي يتجلى لنا ذلك في مجالس عبد الملك ابن مروان وأكثر ملوك بني أمية فقد كان المفضل عندهم هو الذي ينال فن عددهم أو يمدحهم بما ليس في سواهم وكذلك القول في الشعراء الغزليين من هذه الدولة : كمكثير ، وجميل ، وليلى

الأخباية : وقيس بن الملوح ، وعمر بن أبي ربيعة . والعرجى .

فإذا ذهبنا إلى بني العباس وجدنا الأدباء هنالك يتنازعون للتفضيل بين أبي نراس وأصريح الغواني مسلم بن الوليد ، وأبي العتاهية . ثم نراهم أشد ما يكونون تحاسبا وتقاطعا في أبي تمام والبحتري . ثم بين ابن المعتز وابن الرومي . ثم بين المتنبى ، وابن هاني ، والشريف الرضي ، وهيار الديلمي ، ولا يزال الخلاف الذي كان بين المنتقدين قائماً بين أدبائنا إلى اليوم .

وماترى مذاهب أكثر انشعابا ، ولا طائفة أبعد افتراقا ، من مذاهب الناس وطبائعهم في تفضيل الشعراء

فهم من يرى الفضل للشاعر في جريه على الفطرة مع السلامة وإصابة الغرض ، ومن هؤلاء هارون الرشيد . فقد كان يقدم أبا العتاهية ، حتى يجوز الحد في تقديمه لبله إلى عفو الخاطر وحاضر البديهة والكلام الذي يجرى في مجرى العادة حتى لقد بلغه أن إسحاق بن إبراهيم الموصلى يفضل العباس ابن الأحنف عليه ، فلما حضر بين يديه ، وأشده العباس أجود ما يرويه ولأبي العتاهية أرواه . تعصبا للعباس . قال هارون : فأين أنت عند قول أبي العتاهية :

قال لي أحمد ولم يدرب ما بي أنجب الغداة عتية حفا

فتنفست ثم قلت نعم حبا جرى في العروق عرقا فعرقا

ثم قال : ويحك أنعرف لأحد مثل هذا أو تعرف أحدا سبقه إلى قوله فتنفست ، ثم قلت كذا وكذا اذهب ويحك فاحفظها .

ولما عرف هذا الخلق من هرون ، كان الشعراء يتقربون بهذا النوع من الشعر ، ومن ذلك أن العباس بن الأحنف اشتاق أهله ، وقد كان خرج مع الرشيد إلى خراسان ، وطال مقامه بها ، ثم إلى أرمينية . فعارضه العباس في طريقه وأنشده :

قالوا خراسان أفضى ما يراد بنا ثم القبول فقد جئنا خراسانا

ما قدر الله أن يدني على شحط      سكان دجلة من سكان جيراننا  
مضى الذي كنت أرجوه وآمله      أما الذي كنت أخشاه فقد كانا  
عين الزمان أصابتنا فلا نظرت      وتذبت بصنوف المجر ألوانا

فقال له الرشيد « قد اشتقت يا عباس أذنت لك خاصة ، وأمره بثلاثين ألف درهم ، ولولا أن الشعر جاءه من الوجه الذي يحبه لما كان منه هذا العطف ولا هذا الإحسان .

ومنهم من يرى فضيلة الشعر في الصدق والرفق . وجميل الأحذوثة . ومن هؤلاء دوحه المجد والأدب . بضمة سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، السيدة مكينة بنت الحسين رضى الله عنهما . فقد أسمعت أشعراء على لسان وصيقتها نقدها الصحيح ، وغيرتها على أخلاق الأدباء ، وألقت عليهم درسا ما كان أحوج أمثالهم إليه فقد ذكر صاحب الأغاني أنه اجتمع في ضيافتها : جرير ، والفرزدق ، وكثير ، وجميل ، ونصيب . فنكثوا أياما ثم أذنت لهم فدخلوا عليها فعمدت حيث تراهم ولا يرونها ، وتسمع كلامهم ، ثم أخرجت وصيقة لها وضيئة قدرويت الأشعار والأحاديث فقالت « أيكم الفرزدق ، فقال لها : ها أنذا . فقالت أنت القائل :

هما دلتاني من ثمانين قامة      كما انحط بازاقم الريش كاسره

فلما استوت رجلاى فى الأرض قلتنا

أحى يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا

وأقبلت فى أعجاز ليل أباده

قال نعم . قالت « فما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك ؟ هلا سترت عليك

وعليها خذ هذه الألف وألحق بأهلك ، ا .

ثم دخلت على مولاتها وأخرجت فقالت « أيكم جرير ، قال « ها أنذا ،

فقالت أنت القائل :

طرقك صائدة القلوب وايسر ذا وقت الزيارة فارجمي بسلام  
تجرى السواك على أغر كأنه برد تحدر من متون غمام .  
فقال نعم . قالت « أولا أخذت بيدها وقلت لها ما يقال لمنلها ، أنت  
عفيف وفيك ضعف ، خذ هذه الألف وألحق بأهلك ، » .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت « أيكم كثير ، فقال « هاهنذا ،  
فقالت أنت القائل :

وأعجبي يا عز منك خلّاق كرام إذا عد الخلاق أربع  
دنوك حتى يدفع الجاهل الصبا ودومك أسباب المنى حين يطمع  
فوالله ما يدرى كريم بماطل أينسك إذ باعدت أو يتصدع  
قال نعم . قالت « ملحت (١) وشككت ، خذ هذه الثلاثة آلاف (٢)  
والحق بأهلك ، » .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت « أيكم نصيب ، قال « هاهنذا ،  
فقالت أنت القائل :

ولولا أن يقال صبا نصيب لقلبت بنفسى النشأ الصغار  
بنفسى كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار  
قال نعم . قالت « ربيتنا صغارا ، ومدحتنا كبارا ، خذ هذه الألف  
والحق بأهلك ، » .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت : يا جميل مولاتي تقرنك السلام  
وتقول لك والله ما زالت مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادى القرى إنى إذأ لسعيد  
لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

---

(١) الملاحظة الحسن والشكل الغزل  
(٢) الثلاثة آلاف هذه رواية الأغاني  
واعلمها تحريف والصوات الألف

جعلت حديثنا بشاشة ، وقتلانا شهداء ، خذ هذه الألف دينارا  
والحق بأهلك ، .

وقد قالت مرة لراوية جميل أليس صاحبك الذى يقول :

فيما لىنى أعمى أصم تقودنى بثينة لا يخفى على كلامها  
قال نعم . قالت ورحم الله صاحبك إن كان صادقا فى شعره ، . انتهت  
رواية الأغاني .

فأنت تراها قد أكرت جائزة كثير وجميل لعفتها وصدقها فى الحب  
ورفقها بالقوارير ، وتعطف عليها أيما تعطف كما عفت أجلاف الشاق  
وكذبة المحبة مثل جرير والفرزدق . وإن كانت مروءتها أبت عليها أن  
تحرهما الجائزة وهما فى حرهما خاصة .

ومنهم من برى الفضل فى المبالغة والقصد إلى الخيان الغريب ولا يبالي  
أصدق الشاعر أم كذب بل يجرى على قولهم ، وأعذبه أ كذبه ، . ومن دولاه  
عبد الملك بن مروان ، فقد روى أبو على القالى فى ذيل أماليه . أن  
عمر بن أبى ربيعة ، وكثير عزة ، وجميل بن معمر . اجتمعوا بباب عبد الملك  
ابن مروان فأذن لهم فدخلوا . فقال أنشدونى أرق ما قلتم فى الفوانى فأشده  
جميل بن معمر :

حلفت يميناً يا بئينة صادقاً فان كنت فيها كذبا فعبيت  
لئن كان جلد غير جلدك مسنى وباشرنى دون الشعار (١) شريت (٢)  
ولو أن راقى (٣) الموت يرقى جنازتى بمظقتها فى الناطقين حبيت

وأشده كثير غرة :

- 
- (١) الشعار ويفتح ماتحت الدثار من اللباس بلى شعر الجسد  
(٢) شراه أصابه بعله الشرى وهى بثور صفار حمر حككاكة محدث دفعة غالبا  
وتشند ليللا (٣) رقاها برقيه نفت فى عوزته

بأبى وأمى أنت من مظلومة طبن (١) العدو لها فغير حالها  
ولو أن غرة خاصمت شمس الضحى فى الحسن عند موفق لقضى لها  
وسعى إلى بصرم عزة نسوة جعل المليك خدودهن نهالها  
وقال ابن أبى ربيعة الخزومى القرشى :

ألا ليت قبرى يوم تقضى منيتى بتلك التى ما بين (٢) عينيك والغم  
وايت طهورى كان ريقك كله وايت حنوطى من مشاشك والدم (٣)  
ألا ليت أم الفضل كانت قرينتى هنا أو هنا فى جنة أو جهنم  
فقال عبد الملك لحاجبه اعط كل واحد منهم ألفين وانط صاحب جهنم  
عشرة آلاف .

فحكم لا كثرهم أمانى ، وأبعدهم فى الخيال ، ولم يبال بما وراء ذلك من  
الحاسن التى فى شعر صاحبه عمر ولا سيما قول كثير :

ولو أن غرة خاصمت شمس الضحى فى الحسن عند موفق لقضى لها  
فإن قوله عند موفق بما لم يوفق إليه سواه ، ولو أطم جميل أن ينشد  
عبد الملك أبيانه التى غالى فيها بقناعته فى حب بثينة لرجوت له أن يرضيه كما  
أرضاه عمر ، وذلك قوله :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى لو أبصره الواشى لقرت بلابله  
بلا وبالألا أستطيع وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله  
وبال نظرة العجلى وبالحول تنقضى أواخره لا نأتقى وأوائله  
وهو فى العفة والقناعة غاية ليس بعدها غاية .

ومنهم من يغضل الكلام لحسن التشبيهه وتجلى الوصف كما روى الأصمعى  
وقد حضر ندى أدب فى بنى عامر بن صعصعة ، وفيهم شيخ لهم طويل الصمت  
عالم بالشعر وأيام الناس ، يجتمع إليه فتيانهم ينشدونه أشعارهم فإذا سمع

(١) طبن كلفظن وزنا ومعنى (٢) ما بين عينيك والغم لعله يريد فتحة  
أنفها (٣) المشاش جمع مشاشة بالضمه وهى رأس العظم الممكن المضع

الشعر الجيد قرع الأرض بمحجن في يده ، فينفذ حكمه على من حضر بيكر (١) للممشد وإذا سمع مالا يعجبه قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة إن كان ذا غنم ، وابن مخاض إن كان ذا إبل فإذا أخذ ذلك ذبح لأهل النادى وما زال يسمع ويضرب الأرض بمحجنه لما يستحسن حتى أئشده شباب يصف ليله :

كان شميظ (٢) الصبح في أخرياتها ملا . بنقى من طيا لسة خضر  
نخال بقاياها التي أسار (٣) الدجى تمد وشيعاً (٤) قوق أردية الفجر  
فقام كالمجنون مصاناً سيفه حتى خااط البرك ، وهى إبل أهل الحوا . بالغة  
ما بلغت ، وجعل يضرب يميناً وشمالاً

فانظر كيف راعه من الشاب الممشد حسن تشبيهه منظر آخر الليل وقت  
ابتداء أشعة الفجر في الظلمات وتصويرها بصورة ملا . طويل مختار من  
الطيا لسة الخضر ، وكيف صور الأشعة في طبقات السحاب ، والأجواء في  
أخريات الليل بالأردية يجى . بعضها فوق بعض . ويتضام بعضها إلى بعض  
عليها الأعلام الموشاة حتى كان الفجر تخيرها يودع بها الليل ويستقبل  
بها النهار .

ومنهم من برى المزية للناعر في كثرة فنونه ، واتساع بجره ، ومن دؤلاً .  
بشار بن برد . فقد روى ابن سلام قال : سألت بشاراً المرعث أى الثلاثة  
أشعر ، يريد - جريرا ، والفرزدق ، والأخطل - فقال : لم يكن الأخطل  
مثلها ، ولكنه ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه ، قلت فمذاق . قال : كانت  
لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق . ولقد مانت النوار نقاء وإبهو حون  
عليها بشعر جرير ، يشير إلى قوله :

(١) البكر الجبل (٢) الشميظ المخلوط من بياض وسواد  
(٣) أسار : أبقى (٤) الوشيع عا الثوب كما يصنع الآب على نيات  
الحضريات من الوشى

لولا الحياء لعادنى استعمار (١) ولزرت قبرك والحبيب يزار  
ولقد سبق بشارا إلى هذا الحكم السيدة سكينه رضى الله عنها . وما ذاك  
إلا لرقته وكثرة فنونه . وكذلك رأى خالد بن صفوان ، فإنه قال فى مجلس  
عبد الملك ، وقد كان يصف الثلاثة : أما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ،  
وأهتكمهم لعدوه سترأ - الأغر الأبلق - الذى إن طلب لم يسبق ، وإن طلب لم  
يلحق ، فجرير . وقد فضله الراعى حتى على نفسه لما سمع قوله :

وعا عوى من غير شىء رميته بقارعة انفاذاها (٢) تقطر الدما  
خروج بأفواه الرواة كأنها قرا هندوانى إذا هز صمما  
وقال لخاصرى مجلسه داللام على أن يغلبنى مثل هذا ؟ .

وقد قال الصلتان العبدى لما حكم بين جرير والفرزدق ، وفضل جريرا  
بشعره ، والفرزدق بنسبه :

أرى الخطفى بز الفرزدق شعره ولكن خيرا من كليب مجاشع  
فإننا عرا لاشاعر اليوم مثله جرير ولكن فى كليب تواضع  
جرير أشد الشعاعين شكيمه ولكن عليه الباذخات الفوارع (٣)  
يناشدنى النهر الفرزدق بعد ما ألحت عليه من جرير (٤) صواقع  
فقلت له إنى ونصرك كالذى يثبت أنفا كشمته الجوارع

ومنهم من يرى الفضل فى قرب الكلام وصحة سبكه وعذوبة لفظه وكثرة  
مائه ورواقه ، فيفضل النابغة الذبياني فى الجاهليين ، والخنساء فى المخضرمين  
وعمر فى الإسلاميين ، وابن المعتز فى المولدين ، والشاب الظريف فى المتأخرين  
ومنهم من يراها فى الصنعة ، والغوصى على المعانى والاختراع ، فيفضل زهيراً  
ومسلم بن الوايد ، وأباتمام ، على غيرهم من معاصريهم ، وطائفة تحمك  
على الكلام بأثره فى نفس السامع . وهم أهل الفطرة ، والراسخون فى الأدب

(١) استعمار جرت عبرته وحزن  
(٢) انفاذاها : فتحاتها  
(٣) الفارغ المرتفع الظاهر الحسن  
(٤) كشم أنفه أى قطعه

البعيدون عن الهوى . وهؤلاء قلما يمدحون إلا كلام الوالدين من العشاق  
والمفجعين بالثكل والمصائب ، والناهضين بالإصلاح في الأمم من الحكماء ،  
لأن كلام هؤلاء يخرج من قلوبهم ، فيقع في قلوب الناس ، فإذا سمعوا مالك  
ابن الربيع يرثى نفسه ، ويذكر مرضه ، وغرته بخراسان شاركوه في مصابه  
وتوجهوا لبلائه ، وذلك قوله :

تذكرت من يبكي على فلم أجد سوى السيف والرحم الرديني با كيا  
وأشقر محبوبا يجر عنائه إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا  
فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا براية لاني مقيم لياايا  
ولا تحسداني بارك الله فيكما

من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا  
خذاني فخراني ببردى إليكما فقد كان قبل اليوم صعبا قياديا  
وقد كنت عطافا إذا الخيل أدبرت مريعا لدى الهيجا إلى من دعانيا  
يقولون لا تبعد وهم يدفنونني وأين مكان البعد إلا مكانيا  
غداة غد يالطف نفسي على غد إذا أدلجوا عني وأصبحت ناويا  
ويعجبهم شعر ابن المدينة وخاصة إذا سمعوه يقول :

ولو أني أستغفر الله كلما ذكرتك لم تكتب علي ذنوب  
وإني لأستحييك حتى كأنما علي بظمر الغيب منك رقيب  
أو سمعوا علي بن الجهم ، وهو يقول في الاغتراب :

وارحمنا للغريب بالبلد النا زح ماذا بنفسه صنعنا؟  
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده وما انتفعنا  
أو سمعوا عروة بن حزام وهو يقول في ابنة عمه عفراء :

فقد تركتني ما أعي لمحدث حديثا وإن ناجيته ونجاني  
كأن قطاة علقمت بجناحها علي كبدى من شدة الخفقان  
(٢٨)

فيا لبست كل اثنين بينهما هوى من الناس والانعام يلتقيان  
أو سمعوا أبا العلاء يقبح جفاه الإنسان للحيوان ، وقلة الشفة  
عليه في قوله :

وبين بنى حواء والخلق كلهم عدا . فما هذا التخاذل والدخل (١)  
هذه طائفة من وجوه التفضيل ذكرناها لتكون عنوانا لسواها ، ولما  
تنحصر أذواق الناس وأهواؤهم .

وكان السواد الأعظم من المفضلين متسرعين في الحكم جأرا ، فقد يحكم  
للشاعر بالسبق ، وهو لم ير من كلامه إلا القصيدة أو القصيدتين مما استجيد  
من كلامه ، وقد يحكم على غيره بالتأخر عنه لأن الذي رآه من كلامه كان دون  
الذي رآه من كلام السابق . ولو اطلع على كل ما قاله الشاعران وعلى أسباب  
قولهما ، وقارن بين معانيهما المتحددة الموضوع ، وأساليبهما ، ومقدار تأثيرهما  
بالحوادث التي قالها فيها الشعر . وحاذى البديهة بالبديهة . والروية بالروية ،  
وعلم أن اللاحق لم يسرق من السابق ، ولم يخترع لنفسه اختراعه ، لعدل  
عن حكمه ، ولما أطلق القول في التفضيل بل قال : فلان أشعر في قصيدة  
كذا ومعنى كذا ، والآخر أجود في كبيت وكبيت من جهة المعنى أو الديباجة  
أو حسن التصوير ، ولا يسوغ له أن يقول : أشعر على الإطلاق ،  
لإبعد أن يستقرى المحاسن والمساوى ويقارن بين مال لكل من الشاعرين منهما ،  
حتى إذا وجد أحدهما أنضرا ديباجة وأبلغ معنى وأغزر فنونا وأحضر بديهة  
وأقل سقطا ، وأكثر غوصا على المعاني ، وأجمل أخذا وأوفر مادة ، حكم له  
على الآخر حكما يؤيده الدليل الصحيح ، والذوق السليم . لا كحكم كثير من  
المفضلين الفضوليين . ومنهم جماعة من النحاة . عرضوا قوانينهم على بعض  
الشعر الرائع كشمس النابغة فلم يتفق مع بعضها ، ففضوا من فضله ، ونسوا  
أن قواعدهم محكومة بشعره ، لاحكمة عليه .

ومنهم آخرون حملتهم المعاصرة والمنافسة على الخط من شعر أقرانهم وقد  
قلدهم فذلك بمض المؤلفين ، فحاضوا في أقدارهم وهم لا يشعرون .  
وقد ينتقد الحضري البدوي فيعيبه لاختلاف الذوقين وربما كان البدوي  
في باديته أشعر من الحضري في حضارته .

وعندي أن الاعرابية التي كانت تندب ولدها بريدا عند قبره فتقول :

هل خبر القبر سائله أم قر عيننا بزائريه ؟  
أم هل تراه أحاط علما بالجسد المستكن فيه ؟  
لو يعلم القبر ما يوارى تاه على كل ما يليه  
يا جبلا كان ذا امتناع وطود عز لمن يليه  
ونحلة طلعتها نضيد يقرب من كف مجتليته  
ويامر يضا على فراش تؤذيه أيدي مرضيته  
ويا صبوراً على بلاه كان به الله يتلبيه  
يا دهر ماذا أردت مني أخلفت ما كنت أرتجيه ؟

أشعر من إبراهيم بن المهدي في رثاء ولده الذي مات بالبصرة وإن كست  
الحضارة كلامه ثوباً مرقشاً وذلك قوله من جيد قصيدته الطويلة :

كأن لم يكن كالفن في ميعه الضحى سقاء الندى فاهتز وهو رطيب  
كأن لم يكن زين الفتاء ومعقل النساء إذا يوم يكون عصب  
وريمان صدرى كان حين أشمه ومؤنس قصرى كان حين أغيب  
وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت بمحمد إلهى وهى منه سليم  
كظل سحاب لم يرقم غير ساعة إلى أن أطاحت به فطاح جنوب  
أو الشمس لما من غمام تحسرت مساء وقد وات وحان غروب  
سأبكىك ما أبكت دموعى والبكا بعينى ماء يا بنى يجيب

ولا بد أن يكون الموازن من الذوق الصحيح والاطلاع الواسع ، محيطاً  
بكل ما قاله الشعراء ، بعيداً عن الهوى والتقليد : دقيق النظر في المقابلة

بين المعاني والالفاظ ، فيوازن بين المفردات والأساليب والمعاني المخترعة وحسن الخيال وقبحه والبراعات والمخالص والمقاطع والأخذ والابتداع وأن يذكّر تعليل كل تحسين أو تقبيح بما يقنع حتى يرسم للنظار ما يهوى له الحكيم فلا يسمعه قبل أن يأتي على آخر الموازنة إلا انطلق بالحكم قبل سماعه كما فعل أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى فى كتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، فإنه قال : لست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر لكنى أقارن بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية وبين معنى ومعنى فأقول أيهما أشعر فى تلك القصيدة وذلك المعنى ثم أحكم أنت على جملة ما لكل واحد منهما إذا استطعت علما بالجميل والردى ، ثم ذكر مساوى الشعارين فسرد سرقات أبى تمام وإحالاته وغلظه وساقط شعره وقبح استعاراته وتجنّبه واضطراب وزنه ثم ذكر ما وجدته من ذلك للبحترى وقارن بين ما افتتحا به القول من الوقوف على الديار ووصفها والسلام عليها والدعاء لها إلى غير ذلك ونبه على الجيد وفضله على الردى وبين عمل ذلك .

ثم قال : وبقي ما لم يمكن إخراجه إلى البيان وهو ما لا يعرف إلا بالدربة ثم ضرب المثل بالفارسيين والجاريتيين تفساويان فى كل شيء . من الصفات الحسنة ومع هذا يفضل إحداهما على الأخرى المجرّبون ولا يستطيعون بيان ذلك ثم ذكر ميزان الموازنة وهو أن يكون الناقد من أصحاب الذوق السليم فحسه على النظر فى الوجوه التى فضل بها الأئمة شعر أوس بن حجر على الدابة الجعدى مثلا فإن عرفها فضل على مقتضاها وحكم حكما مقبولا وإلا فحسبه أن يكون مع الجمهور .

أما فائدة الموازونات فتحصيل ملكة الأدب وصحة النقد وكشف القناع عن المحاسن لتحتذى ، والمقايح لتجتنب . وكما أن اللسان لا يمرن على النطق بالصواب إلا بالمحاكاة كذلك الذهن لا يمرن على الفهم الصحيح ولا يحول فى ميدان فسيح من المعانى ولا يقدر الأشياء قدرها إلا بالمقارنات

الكثيرة التي تمثل في النفس لكل شاعر صورة وتقرر له حكما غير مزعزع ولا مدافع . ولو أن المتقدمين عنوا بهذا الموضوع عنايتهم بسواه ، لما بقي كثير منا مضطربا اضطرابهم إلى اليوم في منازل الشعراء ولعلنا نوفق إن شاء الله إلى مقدار صالح من المقارنات نبلغ به غايتنا

وسنبدأ ذلك بالموازنة بين زهير والأعشى لا تحادها في صفات كثيرة تجعل الموازنة صحيحة .

## الموازنة بين شاعرين جاهليين

١ - نحدثنا عن الموازنة والموازنين وتميز المقبول من آرائهم والمردود فيها وكيف تكون الموازنة صحيحة متقبلة . ومتى يصلح الموازن لتولي هذه الحكومة وأتينا على فائدة المقارنات بين الشعراء وانها تضم إلى علم الأدب ملكة .

والآن نبدأ الموازنة بين زهير والأعشى على منهجنا من استيفاء ما للشاعرين ومقابلة كل بالآخر على وجه يجلي لكل منهما صورة بيّنة وهنئة معينة وزبماض علينا الزمن فتركتنا بعض الشيء مما يدركه الطالب وقد نكل إلى الذرق السليم ما لا يقام البرهان عليه ولكن لا يفوتنا أن نعرض على القارئ ليحكم ذوقه كما حكمنا ولعله يرشد إلى ما لم نرشد إليه من وجوه التفضيل فقد يجي . من عفو الخاطر ما لا يجي . من كد القرية . وقد رأينا أن نهد للموازنة بين هذين الشاعرين بذكر الصفات المشتركة بينهما والصفات الخاصة ليكون ذلك أعون على الحكم الصحيح وبعد فنقول :

٢ - كلا الرجلين شاعر جاهلي مكثرمجيد متفنن معدود في الطبقة الأولى متكسب بشعره وإن كان الأعشى أكثر الخافا ونجمة في طلب رزقه . وهما معدودان من أصحاب المعلمات : لزهير واحدة باتفاق الرواة والأعشى اثنتان لاميتان احدهما مرفوعة وهي التي قال في مطلعها :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل؟  
والثانية مجرورة وهي التي قال في مطلعها :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

ولكن الرواة لم تتفق عليها فصاحب الجمهرة عد الأخيرة من المملقات  
وغيره عد الأولى، ومن اللغويين من أسقطهما كما فعلوا ذلك في قصيدتي  
النابغة الذبياني إحداهما الرائية وهي التي أولها :

عوجوا فخيروا نعم دمنة الدار ماذا تحيون من نوى وأحجار؟  
وأخراهما الدالية التي مطلعها :

يا دارمية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سائف الأبد  
وكما اختلفوا في مملقتي عنبرة والحارت بن حلزة اليشكري

٣ — وبتخالف الشعراء في المنشأ والأخلاق فزهير رباه خاله بشامة  
ابن الغدير في غطفان . وكان بشامة هذا شاعرا مجيدا غنيا حازما لا تبت  
غظمان في أمر دونه ، ولا تصدر إلا عن رأيه . وقد روى زهير شعره  
وحبب إليه القول ومهد له سبيله حتى نطق به صغيرا ، وقد ورثه من ماله  
وشعره فنشأ شغوفاً بالشعر قليل الحاجة إلى التكسب به ، وقد كان مع هذا  
أبوه شاعرا وكان كثيرا ما يختلف إليه ويعلمه ويستخبره ، وكانت اختاه  
سلى والخنساء (١) شاعرتين ، وكان ابنه كعب ومجرب شاعرين وكذلك  
المضرب بن كعب

فبيت زهير بيت عريق في الشعر جاهلية وإسلاما وكان زهير في الجاهلية  
سيدا كثير المال . حليما ، معروفا بالورع . ولهذا كان يكره الهجاء  
كراهة الناسك الأثام ، وقد صرح مرة بهجاء قوم حصن في قوله من  
قصيدة طويلة :

(١) الخنساء : هي غير السيدة تماضر أخت صخر

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء؟  
فإن قالوا النساء مخبآت فحق لكل محصنة هدا (١)  
فأسف لذلك أسفاً شديداً وقال : « ما خرجت في ليلة ظلماء ، إلا خفت  
أن يصيبني الله بعقوبته لهجأني قوما ظلمتهم » .

ولا كذلك الأعشى في هذا كله فقد كان خاله عبداً من خاعة وأبوه قيس  
ابن جندل قتيل الجوع لم يكن له في قومه ما كان لأبي سلمى وخاله وقد تيره  
بذلك جهنم أحد معاصريه من شعراء قبيلة قيس بن ثعلبة فقال :

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل وخالك عبد من خاعة راضع

فنشأ في اليمامة نشأة غير المياسير ، وأخذ في الزاني إلى هودبة بن علي  
صاحب اليمامة ببعض المدائح فيه حتى قربه منه ، ثم جعل الشعر متجرأ ثم  
اقترب من بني عبد المدان بنجران ، فأجزل لهم الشتاء ، وأجزلوا له العطاء ،  
ثم وفد على ملوك الحيرة ، ومدح الأسود بن المنذر أخا النعمان ، وما زال  
يبتجع البلاد متكسباً بشعره ، حتى وفد على ملوك فارس ، ولهذا كثرت  
الفارسية في شعره ، من أسماء الأشربة وآلة الملاهي ، كالنساء والبربط (٢)  
وغيرهما ، وكأسماء الأزهار في قوله :

لها جلسان عندها وبنفسج وسيسنبر المرزجوش منمنها (٣)

وأس وخيري ووردوسوسن يصبحن في كل دجن (٤) تقيها (٥)

(١) الهداء زفاف العروس إلى زوجها ، ومعنى البيت : إن ابني حصن إن قالوا :  
« نحن النساء مخبآت » يجب أن ينفن إلى أزواجهن وهو كلام في غاية التحقير .

(٢) البربط العود ، أعجمي ليس من ملاحى العرب ، وقد عربته حين سمعت به

(٣) المنمنم المصفر الورق

(٤) الدجن : ظلام الغيم في اليوم المطير

(٥) تقيم كان ذا غيم . الجلسان والبنفسج والسيسنبر والمرزجوش والآس

والخيري والسوسن : كل هذه ضروب من الرياحين .

وقد سمعه كسرى يوما يتغنى بقوله :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي تعشق؟

فقال : ما يقول هذا العربي ، فقالوا : يتغنى بالعربية فقال : فسروا قوله ، قالوا : زعم أنه سهر من غير مرض ، ولا عشق ، قال : فهذا الصبي ، وعندى أن هذا من قصور المترجم وسوء فهم ممن ترجم له ، فإن الشاعر أنكر على نفسه هذا السهاد ثم بين سببه بمد ، على أن أسباب السهاد لم تنحصر في السقم والعشق واللصوصية حتى يتم ما فهمه كسرى .

ومن هنا تعلم مقدار مصيبة الأمم بالتراجمة ، وخاصة مصيبتنا بضمائمهم اليوم ، وهم أسنتنا عند السياحين وغيرهم ، من لا يباليون أن يأخذوا علمهم بنا من أفواه هؤلاء الجملة ، المتصدرين للإرشاد .

ولقد كانت خاتمة مطافه ، أن قصد النبي صلى الله عليه وسلم . ومدحه بالدالية التي طلعا :

ألم تفتمض عيناك ليلمة أرمدا (١) وبت كما بات السليم مسهدا؟

ولكنه طمع في جائزة قریش (٢) فأخذنا ورجع أدراجه فما كاد يبلغ بلده منفوحة بالجماعة حتى رمى به بعيره فقتله ، ولقد صدق في صفة نفسه وطلبه للمال كل حياته بقوله في آخر قصيدة رويت عنه :

وما زلت أبقى المال مذ أنا يافع وايدا وكهلا حين شبت وأمردا  
وقوله في أخرى :

وطوفت للمال آفاهه عمان فخص فاوريشلم  
أبيت النجاشي في داره وأرض النبط وأرض العجم

---

(١) أرمدا الرجل : افتقر أو أجذب وهلكت مواشيه

(٢) جائزة قریش مائة من الإبل جعلوها له على أن يعود عن قصده النبي صلى الله

عليه وسلم وينظر سنة . وبعد ذلك يكون مع الغالب

فنجران فالسرو من حمير فأى مرام له لم أرم  
ولهذا لم يكن يتخرج من الهجاء المقذع (١) ، وقد بلغ من أسره أنه كان لا يهجو  
أحدا إلا وضعه ، ولا يمدح أحدا إلا رفعه ، وقد سمته العرب صناجتها لجودة  
شعره أولغنائهم به ، أولأهم شبهوه بالصناج ، وهو الضارب بالصنج ، وهى آلة  
بأوتار يضرب بها فيجتمع الناس لسماع شعره كما يجتمع العرب على الصناج ،  
ويرجح هذا ما كان له من المشاهد فى عكاظ . وإلى هنا فقد عرفنا حال  
الرجلين نشأة وأخلاقا . فلنبدا فى موازنة شعرهما .

٤ - وأجود ما قال زهير فى المدح قوله :

قد جعل المبتغون الخير فى هرم والسائلون إلى أبوابه طرقا  
إن تلقى يوماً على علانه هرما تلقى السماحة فيه والندى خلمقا (٢)  
لو نال حى من الدنيا بمنزلة وسط السماء لئالت كفه الأفقا  
وقوله :

متصرف للمجد معترف (٣) للناثبات براح للذكر  
جلد يحث على الجميع إذا كره الظنون جوامع الأمر  
فلأنت نفرى (٤) ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى  
والستر دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من ستر  
لو كنت من شىء سوى بشر كنت المنور ليلة البدر

(١) المقذع : المملوء شتائم ومكروها

(٢) أى أن تلقه على قلة ذات يده تجده سمحا ندبا فكيف به على غير الامتلات

(٣) المعترف : الصابر

(٤) نفرى : تبعد . وتخلق : توجد ، والمعنى : ولأنت توجد فتباعد ، وبعض

القوم لا يبعد فيما يوجد

وقوله :

على مكثريهم رزق من يعترهم  
وما يك من خير أنوه فإنما  
وعند المقلين السباحة والبذل  
توارثه آباء آبائهم قبل  
وهل يذبت الخطى إلا رشيجه (١)

وقوله :

ولو كان حمد يولد الناس لم تمت  
ولكن حمد الناس ليس بمخلد

وقوله :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم  
جن إذا فرعوا إنس إذا أمنوا  
قوم لأولهم أورجدهم قعدوا  
مرزءون به الأيل إذا قصدوا  
وقال الأعشى في مدح المحلق :

أبا مسمع سار الذي قد فعلتم  
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة  
فأنجد أقوام به ثم أعرقوا (٢)  
إلى ضوء نار باليفاع تحرق  
وبات على النار الندى والمحلق  
بأسحم داج عوض لا تنفرق  
رضي عنى لبان ندى أم تحالفا  
وقال :

ما النيل أصبح زاخرا من مده  
يوما بأجود نائلا منه إذا  
جاءت له ريح الصبا فجرى لها  
نفس البخيل تجهمت لسؤالها  
وقال :

ولو أن عز الناس في رأس صخرة  
لأعظاه رب العرش مفتاح بابها  
ململة (٣) تعي الأبى المخدما  
ولو لم يكن باب لأعظاه سلما

(١) الخطى الرمح نسبة إلى الخط وهي جزيرة بالبحرين، والشبيح: القنا الملتف  
(٢) أنجدوا: ذهبوا إلى نجد، وأعرقوا: ذهبوا إلى العراق  
(٣) الململ: المجتمع المدور المضموم

فما نبيل مصر إذ تسامى عبابه ولا بحر بانقيا إذ أراح مفعما  
بأجود منه نائلا إن بمضمهم إذا سئل المعروف صد وجهها (١)  
وقال :

لا يرقع (٢) الناس ما أوهى وإن جهدوا  
أن يرقعوه ولا يوهون ما رقعا  
غيث الأرامل والأيتام كلهم لم تطلع الشمس إلا ضراؤنا  
وقال :

المهينين ما لهم في زمان السوء حتى إذا أفاق أفاقوا  
وقال :

فرع نبع يهتز في غصن المجد العظيم الندى كثير الحمال (٣)  
وقال :

قبل امرئ طلق اليمين مبارك ألفي أباه بنجوة فسما لها  
هذا أجود ما رأيت من مدائح الرجلين ، وكل منهما انفرد بهما ،  
لم يشاركه فيها صاحبه . فأما زهير فقد انفرد بكل معانيه ، في الأبيات  
المختارة ما عدا قوله :

من يلق يوماً على علاقته هرما يلق السباحة فيه والندى خلفا  
وقوله :

وما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آباؤهم قبل  
فإيه شارك فيهما الأعشى في قوله « المهينين ما لهم الخ » وقوله « قبل  
امرئ الخ » وقد قصر الأعشى عن زهير في هذا المعنى فإن الأعشى قال

---

(١) جمعها : لم يقدم

(٢) يرقع الثوب ونحوه يلحم خرقة ، وأوهاه خرقة أو هيأه للتخرق .

(٣) الحمال الدينة ، يحملها قوم عن قوم

د إنهم يهيشون ما لهم في زمان السوء حتى إذا ما أفاق الزمان أفاقوا من إهانة المال ، ، ولكن زهيراً قال د إن الذي يلقي هرما على قلة ذات يده في أى وقت كان يلقاه سمحاً جواداً يصدر عنه الجود والسماح . صدور الغرائز ، فما بالك به أيام الرخا . وسعة العيش ، فزاد في المعنى زيادة رائعة ، ولم يقيد بقيد الأعشى الذى جعل بيته لا يسير كما سار بيت زهير .

فأما البيت الثانى : فإن معنى الأعشى فيه أجود لأنه بين أن الممدوح سما بنفسه إلى المنزلة العالية التى كان فيها أبوه ، فأثبت أنه عمل للمجد حتى بلغه ، وقد مهد لذلك بقوله د طلق اليدين مبارك .

وأما زهير فقال إن خير الممدوح موروث فأثبت له الحبيب ولم يشر إلى أنه فى جد بلوغ ما هو فيه ، على أن قوله د أبوه ، قد يشعر بأنهم جادون ولكن ذلك محتمل لا مقطوع به كما فى بيت الأعشى .

ه - هذا وبقى أن نقارن بين المعانى الرائعة مما اخترنا من شعر الشعراء فنقول ليس للأعشى إلا معنيان رائعتان أحدهما قوله د لم تطلع الشمس إلا ضر أو نفعاً ، فإنه معنى ضخم فى لفظ نخم مهد له بالبيت قبله وهو قوله :

لا يرقع الناس ما وهى وإن جهدوا أن يرقعوه ولا يوهون ما رقعا فأحكمه أيما إحكام ، ووضع موضع النتيجة من المقدمات الصحيحة ، والثانى قوله د وبات على النار الندى والمحلق ، فإنه من أبدع الكنايات عن وصف المحلق بالكرم وقد مكنها فضل تمكن وزادها حسناً بقوله بعد :

رضيعى لبان ندى أم تحالفا بأسحهم (١) داج عوض لا تفرق فإذا كان المحلق قد ارتضع هو والندى من ندى أم واحدة ، وتحالفا بعد على الاصطحاب بما يحلف به من يبيع نفسه للدفاع عن بيضة قومه فيغمس يده فى الدم ليستحق إهراق دمه ، وإن كانت يمينه غموساً . إذا

(١) الأسحهم الدم نغمس فيه أيدى المتحالفين

كان المحلق هو والندى كذلك كان الندى فطريا فيه ؛ لا يفارقه حتى عسرته ،  
أو تفارق نفسه بحسبه .

أما زهير فله كناية لا تنقص عن هذه معنى وتزيد عنها رشاقة وعبارة  
وهي قوله :

لو كنت من شئ سوى بشر كنت المنور ليلة البدر

فإنه صدر الكلام بلو وهي من مقربات المبالغة ومحسناتها ، ثم جاء بما يفيد  
أنه خير من البدر ليلة تمامه بأبدع كناية وهي قوله « كنت المنور ليلة البدر »  
لأن نوره غلب على نور البدر فلا يظهر البدر منه إلا كما يظهر من النجم في  
رائحة النهار ، وهذا معنى دقيق في لفظ وجيز رشيق .

وقد جاء زهير بما لم يجيء به سواه من شعراء الجاهلية والإسلام فيما علمت  
وهو قوله « كانك تعطيه الذي أنت سائله » وقوله :

جن إذا فزعوا إنس إذا أمنوا مرزءون بها ليل (١) إذا قصدوا (٢)

فإن الأولين في المدح بالجود ، غاية لم يبلغها سواه ، وأما الثالث فله رودتان  
لفظية ومعنوية ، فأما اللفظية فهي المقابلات البديعة ، والتقاسيم المحكمة ، وأما  
روعة المعنى ، فلما تراه فيه ، من غرر الأخلاق ، التي هي لباب ما ينتهي إليه  
عقل العاقل ، وحكمة الحكيم ، إذ أراد أن يختار لنفسه ما أشرف الفضائل  
ومن أعلى الكنايات عن الحمد قوله :

فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت ولكن حمد الناس ليس يخلد

وهذا وما تقدم لا نظير له في كلام الأعشى ، على أن لزهير في المديح  
مختارات كثيرة لا تكاد تبعد عما ذكرنا . وقد استقرت كلام الأعشى  
في المديح فما رأيته يعلو إلا على سبيل الندور ، ولهذا : كان زهير أمدح ،  
وهو في مدحه أصنع .

(١) البهلول السعيد الجامع لكل خير

(٢) ويرى : جهدوا ، من جهد عيشه كتمعب نكد

٦ - وأجود نسيب زهير مطلع القافية التي مدح بها هرما وأباه وإخوته  
وقد غنى به وهو قصيدته :

إن الخليط (١) أجد البين فأنفرقا      وعلق القلب من أسماء ما عاقما  
وقوله من قصيدة يمدح بها سنان بن أبي حارثة المري :  
وقد كنت من سلمى سنين ثمانيا      على صير (٢) أمر ما يمر وما يحملو  
و كنت إذا ما جئت يوم الحاجة      مضت وأجبت حاجة القدماء مخلو (٣)  
وكل محب أحدث النأى عنده      سلو فؤاد غير حبك ما يسلو  
وقوله :

تف بالديار التي لم يعرفها القدم      بلى وغيرها الأرواح والديم  
كأن عيني وقد ساله السليل (٤) بها      وعبرة ما هم لو أنهم أنم  
غرب (٥) على بكرة أولؤاؤ قاق      في السلك خازنه رباته النظم (٦)  
وقال الأعشى :

ودع هريرة إن الركب مرتحل      وهل تطيق وداعا أيها الرجل؟  
غراء فرعاء مصقول عوارضا  
تمشى الهويينا كما يمشى الوجى الوجل  
علقتها عرضا وعلقت رجلا      غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل  
وعلقتنى أخرى ما تلامنى      فاجتمع الحب حب كله تبل (٧)  
فكأنا مغرم يهذى بصاحبه      ناء ودان ومحبول ومحتبل (٨)

(١) الخليط : الخياط (٢) الصير : الطرف

(٣) أجبت : دنت أى متى انقضت حاجة دنت حاجة

(٤) السليل : واد . وما زائدة ، والمعنى هم عبرة لى لو أنهم قرييون فما حالى

على البعد (٥) الغرب : الدلو (٦) النظم : جمع نظام

(٧) تبل : سقم

(٨) المحبول : الذى نصبت له الحبالة وهى ما يصاد بها والمحتبل الذى أخذ فيها

وقال :

وأُنكرتني وما كان الذي نكرت مني الحوادث إلا الشيب والصلعما  
والناظر إلى غزلهما يرى بينهما فروقا .

الأول : أن غزل الأعشى في سهولة لفظه ، وخفة روحه أحب  
من غزل زهير .

الثاني : أن المعاني النابهة في كلام الأعشى أكثر منها في كلام زهير على  
أنه ليس في كلام زهير جميعه ما يعادل قول الأعشى ، وأنكرتني - البيت ، لأنه  
معنى نادر يحى ، مثله للفطرين ، وقدما يوفق له المذكفون .

الثالث : أن الأعشى لم يشغل نفسه بوصف الديار ورحلة الراحلين ،  
ولم يملأ كلامه بالأمكنة ومحاط السفر كما فعل زهير في مطلع معلقته بل شغله  
وصف صاحبته بالوقار والعفة والأمانة ، وكال الزينة ، وطيب الرائحة ،  
ثم وصف حال المحبين من توزيع أهوانهم ، على من لا يحبونهم . ثم  
ما يصير اليه أمرهم بعد هذا .

الرابع : أن الأعشى أغزر مادة من زهير في هذا الباب ، والظاهر أن  
زهيراً لورعه كان يتغزل على طريقة الشعراء ، ولم يكن هو عاشقاً . أما الأعشى  
فقد كان يعاقر الراح ، ويفازل الملاح ، خصوصاً أيام أعياد نجران وفي أيام  
الآحاد حينها كان يقول :

نازعتهم قنصب الريمان متسكتنا وقهوة مزة راووقها خضل  
أما زهير فليس في المختار من غزله أجود من قوله :

وقد كتبت من سلمى سنين ثمانيا على صير أمر ما يمر وما يجلو  
وقوله :

وفارقتك برهن لا فيكك له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقتا  
ومعنى الأول : أنه كان من حبهما ثمانى حجج على طرف في منزلة بين

المر والحلو إذ لا بأس ولا وصل وهو معنى حسن لكنه يجرى مثله في  
معارف الناس ومتناول المحبين من عامتهم ،

وأما الثاني وهو رهن القلب عندها فإنه ليس شيئاً زائداً على أصل  
الحب الصحيح وليس أمره فيه يبدع هذا مع غض النظر عن التكرار في  
قوله ( لا فالك له ) وقوله ( فأسمى الرهن قد غلقا ) واستعماله عبارات .  
هي بكلام الفقهاء أشبه منها بكلام الشعراء .

والأمر العجيب أن زهيراً على ورعه يشبه ريق صاحبه بعد النوم  
بالخزرة المعتقة . ولا أدري : أهو على تقواه يستطيب رائحتها . والأعشى  
على تهتكه يشبه أنفاس صاحبه بأنفاس الرياض . وما كان أخرى كلا  
أن يكون محل الآخر في ذلك ولكن خطرات الشعر لا تنقيد بحال الشاعر

الخامس أنه ليس في كلام الأعشى شيء من التعقيد ولا المبالغة المردودة  
كما في كلام زهير في قوله :

كأن عيني وقد سال السليل بها      وعبرة ما هم لو أنهم أمم  
غرب على بكرة أو لؤلؤ قلق      في السلك خان به رباته النظم

فإن عجز البيت الأول . لا يفهم إلا بعد أن تتأمل في د ما ، لتعرف أنها  
زائدة وفي عبرة لتعرف أنها خبر مقدم وتبصر في جواب لو . والمعنى وهم  
حزن لي لو أنهم قريبون فما حالي إذا كانوا بعيدين . وفيه عيب آخر  
وهو تعليقه على الثاني ، وأما المبالغة المردودة في الثاني فهي تشبيه عينه  
بالدلو على البكرة من غير أن يقول هذا التشبيه بما يقرب المبالغة فيه ،  
ولكن لا يخفى حسن التشبيه الذي هو قوله د أو لؤلؤ قلق في السلك ،  
فإنه في غاية الإحكام ، لأن وقوع حبات اللؤلؤ من النحر لا يكاد يفترق  
عن وقوع ماء الشؤون من العيون .

وإلى هنا عرفنا أن الأعشى أغزل وأطبع .

قال الأعمشي في آخر عمره من القصيدة التي مدح بها النبي صلى الله

عليه وسلم :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى      ولا فئت بعد الموت من قد تزودا  
ندمت على أن لا تكون كمثلها      فترصد الأمر الذي كُنْ أرسدا  
فإياك والميتات لا تقربنها      ولا تأخذن سهما حديدا لنقصدا  
وذا النصب المنصوب لا تقربنه      ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا  
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه      لعاقبة ولا الأسير المقيدا  
ولا تسخرن من بأئس ذى ضرورة      ولا تحسبن المال للمرء مخرلدا  
وقال :

فإن القريب من يقرب نفسه      لعمر أملك الخير لامن تنسبا  
وقال زهير :

ومن يجمل المعروف من دون عرضه

يفره (١) ومن لا يتق الشتم يشتم  
ومن يك ذا فضل فيمخل بفضله      على قومه يستغن عنه ويذمم  
ومن هاب أسباب المنايا بفلانه      وإن يرق أسباب السماء بسلم  
ومن يجمل المعروف في غير أهله      يكن حمده ذما عليه وينسدم  
ومن لم يذد (٢) عن حوضه بسلاحه

يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم  
ومن يقرب بحسب عدو اصديقه      ومن لا يكرم نفسه لا يكرم  
ومها تكتن عند امرى من خليفة      وإن خالها تخفى على الناس تعلم  
وكائن ترى من صامت لك معجب      زيادته أو نقصه فى التسكلم  
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده      فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

(١) يفره : يكثره أو يحفظه (٢) أى من لم يحم حرمة ضاع

وزهير هنا أكثر حكمة ، وأغزر مادة ، وأشد غوصا على المعاني  
الآخذة بالنفس ، والرأى الذى لا أظن أنى أخالف فيه أن زهير هنا أشعر  
من الأعشى ، وإنى تارك تعليل ذلك للذوق السليم لالصعوبة وإن كان لظهوره  
ظهورا بينا .

٨ - والأعشى فى الفخر والحماسة الكثير من الجيد الرائع وليس لزهير  
فيهما نصيب يذكر ، وأما الأعشى فله منها حظ وافر ، من ذلك قوله :

وإن منيت بنسا فى كل معركة لا تلمنا عن دماء أقوم نقتل  
قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا أو تنزلون فإنا معشر نزل  
قد نخضب العير من مكنون نائله وقد يشيط على أرماحنا البهل

وله من مثل هذا كثير ، وقد تصفحت شعر زهير فما وجدت له إلا بيتا  
واحدا يشبه هذه الأبيات وهو قوله :

قد أتريك القرن مصفرا أمامه يمد فى الرمح ميد الماتح (١) الأسن (٢)

٩ - ولم أر الشعارين اشتركا فى شىء من الأوصاف اشتركا كما فى صفة  
الصيد . قال زهير فى ذلك قصيدته :

إذا ما غدتنا ابتغى الصيد مرة متى نره فإننا لا نخأته (٣)  
وقال الأعشى فى ذلك أيضاً قصيدته :

واقعد أغتدى إذا صقع (٥) الديك بمهر مشذب (٦) فذال

فإذا قطعنا النظر عن بقية أوصاف الأعشى فى غير هذا الموضع من نعت  
القصور والقلاع والليل والنهار وبجالس اللهو ، وتفوقه فيها على زهير وجهلنا

(١) الماتح : الداخل فى البئر ليلاً الدلو لقلته ماثما (٢) الأسن : المنغير

(٣) أى لانسارقه بل نجاحه لو ثوقنا بجودة فرسنا

(٤) صقع الديك : صاح

(٥) المشذب : فليل اللحم

وصفه الاصطياد بإزاء وصف زهير له ، لانجد مندوحة من أن نقول إن الأعشى أحكم في وصفه وأدق ، فإنك تجده قد بدأ الأمر من أوله من حين صياح الديك إلى آخره من الأكل والسماع والشراب ، ولا نجد ذلك في كلام زهير فإنه وقف بالوصف عند اصطياد الحمار ، ثم إن جواد زهير أباته عاريا هو و غلامه من شماسه وعدم خضوعه ثم لما تم له أن يركبه غلامه هوى به إلى حيث لا يعرف النجاة ، ولا كذلك جواد الأعشى الذي قال فيه في إجابة وبراعة :

جواد يملأ العين عاريا ومقودا ومعرى وصافنا في الجلال

ثم إذا نظرنا إلى ما اتحدنا فيه من تشبيه الحصان عند كرهه على الصيد فرى أن تشبيهه الأعشى مصور المشبه حتى كأنه رسمه وذلك قوله :

بجرى بالغلام شبه حريق في يابس تذروه ربح الشمال

فقد اطلعنا على لون الحصان وأنه لا يرى على الأرض وأنه يسرع إسراع ربح الشمال في اليباس . وأما زهير فإنه شبهه بالدفة من المطر فلم ينظر إلا إلى السرعة ، ومع هذا لم يكن جواده في الإسراع بالاصطياد كجواد الأعشى . ولا ما قصه كذلك فإن الأعشى يقول :

لم يكن غير لمحمة الطرف حتى كعب نسما يعتامها كالمغالي

وأما جواد زهير فلم تعرف مدة اصطياده ولم يصطد إلا حماراً واحداً بعد أن أطال وصية غلامه ، هذا من جهة المعنى وأما من جهة الأسلوب فإنه في كلام الأعشى أسلس وأحكم .

١٠ - ولولم يكن زهير ورعاً لكان أهجى من الأعشى ولكن ورعه أبى عليه أن ينطلق لسانه بالفاحشات ومخازي الناس ، ولهذا لم يهج إلا مرة واحدة كما أسلفنا وقد كاد يذوب أسفاً عليها ، ولكنه دل بهذه المرة على أنه ناضج في هذا الفن لا ينقص عن درجة الذحول فيه ، ولولم يكن له منه إلا البيتان المتقدمان لكني ، فكيف به إذا كان له في باقي القصيدة شيء كثير ، لا يكاد ينزل

غن درجاتهما مثل قوله :

- فلم أر معشرا أمروا هديا ولم أر جار بيت يستبأ. (١)  
 فملا آل عبد الله عدوا (٢) مخازى لا يدب لها الضرا. (٣)  
 أرونا ستة لا عيب فيها يسوى بيننا فيها السوا. (٤)

وقد كان زهير هجا آل حصن لأن رجلا كان في جوارهم قامرم على ماله وأهله فقمرو فأخذوا ماله وامراته . وأما الأعشى فقد هجا كثيرين واستباح أعراض الناس لشهوات نفسه ولاوهى الأسباب ، ومن ذلك أنه كان معه جائزة من الأسود العنسى ، وكانت حملا وعنبرا ودهنا . فلما مر بنى عامر ضافهم عليها ، فأتى علقمة بن علاثة فقال له أجرنى ، قال قد أجرتك . قال من الجن والإنس ؟ قال نعم ، قال ومن الموت ؟ قال لا ، فأتى ابن الطفيل فقال أجرنى ، فأجاره حتى من الموت . فقال له الأعشى : وكيف تجرني من الموت ؟ قال إن مت وأنت في جوارى بعثت إلى أهلك الدية . قال الآن علمت أنك قد أجرتنى من الموت . فمدح عامرا ، وهجا علقمة . فقال علقمة : لو علمت الذى أراد كنت أعطيته إياه ، فانظر كيف هجا شخصا أراد أن يجيره من الجن والإنس ، ولم بأب عليه إلا الإجارة . من الموت الذى لا يجار منه أحد ، ولم يفهمه الأعشى مراده ، وأخذ يقذع في دجائه بلا سبب صحيح ويقول :

- تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم وجارانكم غرثى بين خمائصا  
 كلا أبويكم كان فرع دعامة ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا  
 فعض حديد الأرض إن كنت ساخطا بفيك وأحجارا كلاب الروادها. (٥)

(١) أى تؤخذ زوجته أو يقتل . والهدى : الرجل ذر الحرمة

(٢) أى اتركوا مخازى لا يخفى أمرها

(٣) الضراء ما نوارين به من شجر والمعنى مخازى لا يطمع فى سترها

(٤) أى أرونى طريقة لاتعاب عليكم تسوى بيننا فى الحق

(٥) يقال رهص الحائط إذا دعمه

هذا ولا أحب أن أكثر من ذكر الهجاء . وإنما أقول إن الأعشى فيه أكثر قولا ، ولأنه ينعت الناس بما ليس فيهم ، وإن زهيرا أقل قولا ، وأشد على المعنى غوصا . ولا ينعت أحدا إلا بما هو فيه ، ولم أر في كل ما قرأته للأعشى من الهجو أظح من قوله :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن سخانها  
وهو دون قول زهير :

فلم أر معشرا أسروا هديا ولم أر جارا بيت يستبأ

والهدى : الرجل ذو الحرمة وهو المستجير بالقوم ، الم يجر أو يأخذ عمدا .  
فإن أخذ العهد وأجير فهو حينئذ جار .

فالأعشى وصف قوم علقمة بأنهم لامرؤة لهم لتركهم النساء الجارات  
جائعات في وقت لا كسب لهن فيه ، وهم ملاء البطون لا تعطفهم رحمة ،  
ولا تأخذهم بهم شفقة .

وزهير يصف آل حصن بأنهم يأسرون المستجير بهم ، ويستبيحون  
حرمته ، ولكن لفظ الأعشى في بيته أرق ، وأسلوبه أعذب ، وتأثيره في النفس  
أشد ، ولهذا أرى أنهما يتعادلان في هذا الفن .

١١ - ولا مجال للمفاضلة في الخبرات ومجاس الشراب . فإن الأعشى  
فيها ابن بجدتها ، وهو في الجاهليين كأبي نواس في الإسلاميين ، وقد سد هذا  
الباب على زهير ورعه .

وأما الأعشى فإن شيطانه لم يكف بفتح الأبواب له بل كسرهما فمكأن  
كل حياته يشرب ويطرب بمثل قوله :

من خمر عانة (١) قد أتى لختامها حول تسل غمامة المزكوم

---

(١) عانة : بلدة على الفرات ينسب إليها نوع من الخمر الجيدة .

وقد تفنن في وصف الخمر والكأس والساق والنديم والمطرب . فن ذلك قوله :

وكأس كهين الديك باكرت خدرها

بفتيان صدق والنواقيس تضرب

سلاف كأن الزعفران وعندما يصفق في ناجورها ثم يقطب

لها أرج في البيت عال كأنه ألم به من بحر دارين أركب (١)

إلى غير ذلك ، قاله في الخمر ، ولا محل لرواية أجود ما قيل فيها .

١٢ - وللموازنة بين الشاعر في مطالع القصائد نذكر بعض مطالع

قصائد الأعشى ، قال :

١- ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي؟

٢- ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطبق وداعا أيها الرجل؟

٣- أرقمت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي تعشق؟

٤- ألم تفتنض عينك ليلة أرمدا وعادك ما عاد السليم مسهدا؟

٥- رحلت سمية غدوة أحمالها غضيبي عليك فما تقول بدالها

٦- شافتك من قتلة أطلالها بالسفح فالخبتين من حاجر

٧- ألا قل لتيا قبل مرتها اسلمى تحمية مشتاق لإيها مسلم

٨- ألم خيال من قتيلة بعد ما وهي حبلها من حبلنا فتصرما

٩- أنرحل من ليلى ولما تزود وكنت كمن قضى اللبانة من دد

ومن مطالع قصائد زهير ، قوله :

١- أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالتمثلتم

وقوله :

٢- لمن طلل برامة لا يريم عفا وخلاله حقب قديم

وقوله :

(١) الأركب : واحد مرآكب البر والبحر .

٣ - عفا من آل فاطمة الجوا . فيمن فالقوادم فالجسا (١) .  
وقوله :

- ٤ - صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلم  
وأفقر من سلمى التمتع اتيق فالتقل (٢)  
٥ - صحا القلب عن سلمى وأقصر باضه وعرس أفراس الصباور واحله (٣)  
٦ - لمن الديار غشيتها بالفدند كالوحى فى حجر المذيل المخلد  
٧ - غشيت ديارا بالبقيع فثهدم درارس قد أقوين من أم معبد  
٨ - إن الخليط أجد البين فانفرقا وعلق القلب من أسماء ما علقا  
٩ - إن الخليط أجد البين فانجردوا وأخلفوك عد الأمر الذى وعدوا

فبين مطالع الرجلين فروق ظاهرة : الأول : أن مطالع زهير مكررة المعانى فإن الأول منها والثانى والرابع والخامس والتاسع فى السؤال عن الطلل والسابع والثامن فى سلو قلبه عن صاحبه ، والحادى عشر والثانى عشر فى سفر صاحبه ، وأنها نوت ألا تصلة ، والعاشر مطلع تافه ، وأما الثالث فغير مكرر ، وهو متوسط الجودة . . الثانى : أن مطالع الأعشى أشد تأثيراً فى النفس ، وأنها : أغزر معنى ، وذلك أما لو قارنا مطلع الأعشى الأول وهو قوله :

ما بكاء الكبير ما الأطلال وسؤالى وما ترد سؤالى

بأحسن مطلع لزهير وهو أول معلقته لرجح الأعشى رجحاناً عظيماً فإن الأعشى أنكر على نفسه وقوفه بالأطلال وهو كبير ، وكذلك سؤال الخو الداتى لا يبين كلامها كما قال البيد ، فأثبت أنه بكى وأنه سأل الطلل لهشته ، فلما لم يجبه ، ورأى من نفسه شيئاً عاشقاً يسأل سؤال الخرق ، أنكر ذلك على نفسه ،

(١) الجوا : ما انحدر من الأرض ويمن والقوادم والحساء مواضع فى بنى غطفان

(٢) موضعان (٣) أى عربت أفراس الصبا وربوا حله التى كنت أركها للهوى

وأما زهير فلم يزد على أن قال: هل هذه الدمنة التي لا تبين من منازل أم أوفى؟ وهذا السؤال من شأنه أن يجيء عند كل من عرف أم أوفى، وكان مارا بأطلالها سواء أكان محبا أم غير محب، فليس في مطالعه شيء يجلي ما عنده من الشوق ويقف في مصاف العشاق، وقد تكرر هذا المعنى منه في المطالع من غير أن يزيد عليه شيئا، وليس له مطلع ما يكي فيه أو أنكر على نفسه البكاء ولا كذلك الأعشى.

وكذلك لا نجد نظيراً من كلام زهير لمطلع الأعشى في الوداع خصوصاً قوله: وهل تطيق وداعاً أيها الرجل،.

وأما زهير فإنه قال في مطلعين: إن الخليط أجد البين، ولم يذكر أنه هم بتوديعه أو خشى وقفة الوداع فوجم منه كما فعل الأعشى.

نعم إن زهيراً له مطلع واحد يتفوق فيه على الأعشى في نظيره، وذلك قوله:

صح القلب عن سلمى وأصبر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله  
وقول الأعشى:

صح القلب عن ذكرى قتيلة بعدما يكون لها مثل الأسير المسكبل

فإن في بيت زهير استعارة حسنة، وزيادة بديعة، لم يقع مثلها للأعشى في بيته، واهل الأعشى كان على نية أن يهود؟ فلم يؤكد كما أكد زهير في تعربة أفراس الصبا ورواحله، التي كان يركبها للهو، ويؤيد هذا قوله في مطلع آخر:

ألم خيال من قتيلة بعدما وهي حبيلها من حبلنا فتصرما

فالأعشى أفسح في مطالعه ميدانا، وأكثر تفتناً، ألا تراه ذكر الخيال والممامه بعد الانصرام في هذا المطلع، والشوق والتسليم في مطلع آخر، وهو قوله:

ألا قل لتيا قبل مرتها اسلمى تحية مشتاق اليها مسلم

وإنكاره اتخذ الزاد قبل الراحلة في قوله :

أترحل من ليلى ولما تزود وكنت كمن قضى اللبانة من دد

فظهر أن الأعشى في المطالع يتفوق على زهير في كثرة تفننه وروعة

معانيه وسهولة أسلوبه .

١٣ - أما من حيث المخلص فإن أكثر مخلص زهير مقتضبة كما في

معلقته ، حيث انتقل من الكلام في الظعان إلى مدح الحارث بن عوف ، وهم

ابن سنان بقاءة . وأما الأعشى فأكثر مخلصه تنكاد لاستشعر النفس بانتقاله

اليها مثل قوله :

فآليت لا أرتى لها من كلاله ولا من حفي حتى تزور محمدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره أغزر لعمرى في البلاد وأنجدا

ولا أطيل بإيراد أو بسرد الشواهد ، وإنما أقول : إذا كان انتقال الشاعر

من معنى لمعنى لمناسبة محكمة تسرق نفس القارىء من الأول إلى الثاني هو الأفضل

فالأعشى في هذا أمثل من زهير .

١٤ - وزهير أيسر أمثالا ، وأغزر حكمة ، ولا تنكاد تجمدا مثلا للأعشى

مثل قوله : وإنما العزة للكأثر ، حتى تجد أضعافه لزهير مثل :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ولولم يكن لزهير من ذلك إلا آخر معلقته لكفى .

١٥ - أما عن طبع الشعراء فقد رأيت اتفاق الرواة على هذه المسألة

في محله وهو أن زهيراً أصنع ، والأعشى أطبع ، وأذواق الناس في استحسان

أحد الوجهين مختلفة ، وأما أنا فإني ميال إلى الأطبع لأنه مقتضى الفطرة .

والخلاصة : أن زهيراً أيسر أمثالا ، وأغزر حكمة ، وأمدح وأصدق

وأصنع ، وأن الأعشى أغزل وأخف وأوصف وأجود مطالع ومخلص ،

وأما الخريبات ومجالس الشراب والأنس فهو ابن بجدتها الذي لا يضارعه

في الجاهلية أحد فيما نعلم ، وأما الهجاء فالشاعران فيه سيان . وخلاصة ذلك كله : أن زهيراً تفوق في ثلاثة فنون ، والأعشى في ستة ، وأن روح الشعر في الأعشى أظهر منها في زهير ، وللقارىء أن يحكم بمد ذلك بما يشاء .

## قصيدتان جاهليتان

- ١ -

أما الأولى فهي معلقة : عمرو بن كلثوم التغلبي الشاعر الجاهلي المشهور ( ٥٠٠ - ٦٠٠ ) ، ومطلعها :

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا  
وأما الثانية فهي مجهرة أمية من أبي الصلت :

عرفت الدار قد أقوت سائنا لزئب إذ تحمل بها قطينا

والقصيدة الأولى ملحمة تاريخية تصور المجد القديم لتغلب قبيلة الشاعر ، وملاحمها الحربية التي انتصرت فيها على أعدائها ، وهي فريدة في نوعها ، فهي جذيرة حقاً أن تسمى ملحمة ، لأنها تاريخ مفصل لقبيلة عمرو ومفاخرها وأيامها ، ومنها يوم خزاز الذي انتصر فيه كليب قائد النزاريين على اليمنيين ، وفيها تهديد لأعداء تغلب ، وتذية للملك عمرو بن هند ملك الحيرة ( ٥٦٢ - ٥٧٩ م ) كي لا يطيع بهم الوشاة أو يتحيز لبيكر شقيقة تغلب ومزاحمتها في المجد والنفوذ والسلطان . . وقد بدأها الشاعر بوصف الخمر بما يعد ميزة فريدة لها . ثم انتقل إلى موضوع القصيدة وهو الفخر ، وختمها بقوله :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبتش حين نبتش قادرينا  
ملأنا البر حتى ضاق عما وماء البحر نملؤه سفينا

إذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخمر له الجبار ساجدنا  
وأنت تعلم أن عمرو بن كلثوم ارتجى بعض معلقته أمام الملك عمرو بن  
هند وهو الجزء الذي هدد فيه أعداء تغلب وخذر الملك من الاستماع لوشاة  
والميل معهم على قومه ، ومنه :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا فحبرك اليقينا  
بأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قدرونا  
ثم أكل القصيدة كلها ، وأشدها في سوق عكاظ ، وقد عدتها  
تغلب سجل مجدها ونخارها فاعتزت بها اعتزازا كثيرا ، ويقال إنها أضافت  
إليها الكثير ، حتى بلغت أبياتها نحو ألف بيت ، وقال بعض شعراء  
بكر فيها :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم  
يفخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخر غير مستوم  
وأما بجمهرة أمية فقد تحدث فيها الشاعر عن مجد قبيلته « ثقيف » ،  
وهي من أمهات القبائل العربية وصاحبة النفوذ والسلطان في الطائف من بين  
قبائلها ؛ ولم يبدأ بوصف الخمر كما فعل عمرو بن كلثوم بل بدأها كما يبدأ  
الشعراء قصائدهم ، فذكر أطلال محبوبته « زينب » وعفاها ولعب الرياح  
المعصرات بها ، ثم انتقل إلى موضوع القصيدة وهو الفخر ، جد القبيلة وشرف  
الأباء فقال فيما قال :

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا ما آثرنا البيننا  
وكننا حيثما علمت معد أقننا حيث ساروا هارينا  
وتخبرك القبائل من معد إذا عدوا سعاية أولينا  
بأنا النازلون بكل نعر وأنا الضاربون إذا لقينا

إلى آخر ما ذكره من الفخر بأسرته وقومه ومجدهم ومنابتهم وما أرسدوه  
لريب الدهر من الخيل والرماح والسيوف والشيب المجربين والشبان الأقوياء ،

وراثتهم المجدد عن كبرى نزار إلى غير ذلك من مظاهر الكبرياء والعزة والسيادة التي أضافها أمية إلى قومه . . . ولا ندرى شيئاً عن التاريخ الأدبي للقصيدة ، وإن كنا نرجح أن الشاعر نظمها في مفاخرة من هذه المفاخرات التي تحدث كثيراً بين القبائل العربية وخاصة في العصر الجاهلي .

- ٢ -

والقصيدتان تتفقان في الموضوع والوزن والقافية ، وفي خيالهما الفني الغالب على القصيدتين ؛ وتتفقان كذلك في هذه المبالغة الواضحة في الفخر . بما لا يؤثر نظيرها من المبالغات في معاني الشعر الجاهلي إلا قليلاً ؛ كما تتشابهان في هذه السهولة الفنية الغالبة على القصيدتين وخاصة عندما ينتقل الشاعران إلى الغرض الأصلي من قصيدتهما وهو الفخر ، وليست هذه السهولة الفنية بفخرية على الشعارين ، فأرتجال عمر و قصيدته ومواقف الفخر فيها ، بما يقتضيه السهولة ، ونشأة أمية في الطائف ذات الحصب والزرع والثمار والهواء المعتدل والجو الجميل وتنقله في رحلانه التجارية بين الشام واليمن وثقافته العامة وقرآته في الكتب السماوية ، كل ذلك رقق من طبعه وهذب من أسلوبه وأكسبه مواهب فنية ممتازة ، وصقل من ملكاته الأدبية ، فظهر أثر ذلك في شعره وضوحاً وسهولة وإسجاًحاً .

وتتفق القصيدتان فوق ذلك في كثير من معاني الشعر وأساليب الفخر ؛ ومن مظاهر ذلك الاتماق هذه المعاني والأساليب والأبيات :

١ - قال عمرو :

ورثنا المجدد قد علمت معد نطاعن دونه حتى يبيننا

أى حتى يظهر الشرف لنا ، وقال : ورثنا مجدد علقمة بن سيف .

وقال وهو يتحدث عن الخيول الكريمة التي يخوض قومه عليها

المعارك :

ورثناهن عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بئينا  
فقال أمية :

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا ما ثرنا بئينا

ونستطيع أن نوازن بين البيتين الأخيرين إذا علمنا أن وراثته المجد في بيت أمية أبلغ في الفخر من وراثته الخيل في بيت عمرو ، وإن كانت وراثته الخيول من أسباب المجد لأن الخيل وركوبها واتخاذها عتادا دليل الشجاعة والبطولة وحب النضال ، وقول أمية « فأورثنا ما ثرنا بئينا » أبلغ من قول عمرو : « ونورثها إذا متنا بئينا » لأن أمية ذكر أن أبنائهم ورثوا مجد الآباء في حياتهم ، وأما عمرو فذكر أن الأبناء سيرثون هذه الخيول بعد وفاة آباءهم ، فلم يسند إليهم الشجاعة والبطولة وحماية الذمار في حياة الآباء ، وهذا قصور في الفخر ، وقال أمية « البئينا » وقال عمرو : « بئينا » فشهروا أمية وأبان عن وضوحهم ، وقال عمرو : « آباء صدق » فدل على شجاعتهم أو وضوح نسبهم وطهارة أعرافهم ، وهي زيادة لانظير لها في قول أمية . وقد أخذ أمية لفظ « قد علمت معد » من قول عمرو فقال :

وكنا حينما علمت معد أئنا حيث سداروا هارينا

ب - ويقول عمرو : « وأنا المهلكون إذا ابتلينا » أي نهلك أعداؤنا ونبيدهم إذا اخترنا بقتال الأعداء ، فيقول أمية : « وأنا الضاربون إذا لقينا » ، فتجد قول عمرو وأبلغ ، حيث نص على إهلاك الأعداء ، ولم يذكر أمية إلا الضرب ، وإن كان يكفى به عن الشجاعة والإقدام والعزيمة والجد في طلب الأعداء ، ولكنه على أي حال لم يصور نتيجة الحرب كما صورها عمرو بن كلثوم بقوله « المهلكون » .

ج - ويقول عمرو « وأما المانعون لما أردنا » ، ويروى : الحاكمون بما أردنا ، فيقول أمية « وأما المانعون إذا أردنا » .

د - ويقول عمرو :

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدرا وطينا  
ويروى من مجهرة أمية :

وأنا الشاربون الماء صفواً ويشرب غيرنا كدرا وطينا  
ه - ويعول عمرو :

بفتيان يرون القتل مجداً وشيب في الحروب مجربينا  
وقد روى من المجهرة :

وفتياناً يرون القتل مجداً وشيباً في الحروب مجربينا

- ٣ -

ومعلقة عمرو تمتاز بأنها الأصل الذي نسج على منواله أمية ، كما تمتاز  
بتنوع أغراضها ، وبطولها ، وأنها ملحمة تاريخية نادرة ، وهي إحدى  
المعلقات السبع ، التي هي قصائد تحتل الذروة في الشعر الجاهلي . وقد انتخبت  
من بين القصائد الجاهلية لشهرتها وخصائصها الفنية والأدبية الممتازة . وقال  
ابن قتيبة في قصيدة عمرو : وهي من جيد شعر العرب .

أما قصيدة أمية فلا تبلغ إلا نحو الثلاثين بيتاً أو تزيد قليلاً فهي نحو ثمان  
قصيدة عمرو ، وقد وضعها النقاد مع المجمرات . . والمجمرات سبع قصائد  
من الشعر الجاهلي رواها أبو زيد الأنصاري في «الجمهرة» ، وأصحابها هم :

١ - عبيد بن الأبرص ، ومجمرته مشهورة وهي في الحكمة ومطلعا :

عينك دمعهما سرور كأن شأنهما شعيب

والسرور : الكثيرة الجريان . والشعيب : المزادة ... وتشتهر بأضطراب

وزنها ؛ ومنها :

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

من يسأل الناس يحرمه وسائل الله لا يخيب

ب - عدى بن زيد ؛ وبجهرته فى الحكمة ومطلعها :

أتعرف رسم الدار من أم مريد؟ نعم ورمك الشوق قبل التجلد  
وهى شبيهة بمعلقة طرفة فى وزنها وقافيتها وحكمتها ، وتتفق معها فى  
بعض الأبيات مثل :

عن المرء لانسأك وسل عن قرينه فكل قرين بالمفانر يقتدى

ج - النمر بن توب ، وبجهرته فى الحكمة أيضا ومطلعها : د تأبى من  
أطلال عمرة مأسل .

د - أمية بن أبى الصلت ، وبجهرته موضع الحديث ، وهى فى الفخر .

ه - بشر بن أبى حازم ، وبجهرته فى الفخر بقومه وبطولاتهم  
وعزهم ، ومطلعها :

لمن الديار غشيتها بالأنعم ؟ تعدو معالمها كون الأرقم

و - خدائش بن زهير ، وبجهرته فى الفخر بقومه أيضا ، ومطلعها ؛  
د أمن رسم أطلال بتوضيح كالسطر ؟ .

ز - عنتره ، وقصيدته :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفنت الدار بعد توهم ؟

وبعد ما بعض النقاد من المملقات والآخر من المجمعرات .

وهذه القصائد السبع لم توضع فى مرتبة واحدة لانفاق موضوعاتها ؛  
إذ أن موضوعاتها مختلفة ؛ فثلاث منها فى الحكمة وأربع فى الفخر . كما أنها لم  
ترتب بالنظر إلى الناحية التاريخية ، إذ أن أصحابها لم يعيشوا فى عصر واحد ؛  
فعدى توفى نحو عام ٥٨٠ م ، وعبيد عام ٥٥٥ م ، وأميه عام ٦٢٤ م ،  
وعنتره عام ٦١٥ م الخ ؛ فهى إذا إنما وضعت فى منزلة أدبية واحدة تلى  
منزلة المملقات الأدبية بالنظر إلى خصائصها الفنية الأدبية وحدها ، ويكاد  
النقاد الأدبي يقف أمام تشابه شاعرية هؤلاء الشعراء وخصائص الشعاعرية

في هذه القصائد ؛ فهذه القصائد السبع يشبه بعضها بعضاً في النواحي الفنية والقطرة الأدبية وفي خصائص الشعر والشاعرية ، وتكاد تكون متساوية في حكم النقد الأدبي ، وهي على أي حال تلي المعلقة في الجودة والمكانة الأدبية . ونستخلص من ذلك كله أن النقاد لاحظوا الفرق الفنية الكبيرة بين القصدين فوضعوا الأولى في صف المعلقات والثانية مع المجهرات ، وفي الحق أن شاعرية عمرو في معلقته أنوى وأبين من شاعرية أمية في مجهرته ؛ سواء في الأسلوب أو المعاني أو الأغراض أو مدى الجودة الفنية ومواهب الشعر .

-- ٤ --

ويرى الدكتور طه حسين في كتابه « الأدب الجاهلي » ، أنه لا يمكن أن تكون معلقة عمرو أو أكثرها جاهلية ، وقد شك الرواة في بعضها ، ويرجح أن تكون المعلقة منتحلة ، ونحن لا نذهب هذا المذهب ، فالمعلقة تمثل حياة جاهلية لقبيلة تغلب ، وتمثل شاعراً جاهلياً ، وتصور حياة عمرو الفنية والاجتماعية نفسها ، وهي شبيهة بالآثار الباقية من شعر عمرو ، وإن كان هذا لا ينفى أن تكون قد زيدت عليها بعض الأبيات ؛ وقصيدة أمية نفسها تؤيد أن قصيدة عمرو جاهلية وأنها لم تنتحل بعد الإسلام على أيدي الرواة .

ونلاحظ على مجهرة أمية خلوها من الصبغة الدينية التي اشتهر بها أمية ، ويبدو أنه نظمها في شبابه قبل أن يقف نفسه وحياته وشعره على الجانب الديني وحده ، وتقليده فيها لعمر بن كاثوم يؤكد ذلك وأنها نظمت قبل أن تكتمل شخصية أمية الفنية ، وقد يكون السبب الذي جعل أمية ينظم مجهرته محتدياً فيها عمراً هو إعجابها بمعلقته أو روايته لشعره أو تشابه موقف الفخر الذي وقفه الشاعران ، ونحن لا نستطيع أن نقول إن الرواة أدخلوا على مجهرة أمية بعض الأبيات من معلقة عمرو وتشابه الوزن والقافية والخيال والموضوع في القصيدتين ؛ ذلك لأن مجهرة أمية ليست طويلة ولأنه إذا حذف منها

الآبيات المتشابهة لا يبقى منها في مقام الفخر إلا القليل من أبياتها، ولا يعقل أن ينظم الشاعر قصيدة في الفخر معانيها فيه مجردة أو شبه مجردة . . . ورواية أبي زيد للقصيدتين في كتابه دليل على إينانه بصحة القصيدتين أولاً، وبأن المعاني المتشابهة فيهما نتيجة لاتفق الشعارية أو للتقليد الأدبي ثانياً، وأبو زيد المتوفى عام ٢١٥ هـ راوية ثقة .

وبعد فليستطيع أن نقول : إن أمية قلد في مجمرته عمرو بن كلثوم في معلقاته تقليداً فنياً واضحاً ، فأخذ من المعلقات كثيراً من معاني الفخر وأساليبه ، وصاغ قصيدته على موسيقى وقافية معلقاته عمرو . وهذا التقليد الفني ليس بمعجيب بين الشعراء في شتى العصور وليس بغريب في الشعر الجاهلي نفسه فأنت ترى أن الشاعر الجاهلي كثيراً ما يتفق مع شاعر قبله أو معاصر له في أسلوب أو معنى أو بيت ، وأنت تعرف قول امرئ القيس :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أمي وتجمل  
وقول طرفة :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أمي وتجلد  
وتعرف غير ذلك مظاهر التشابه الفني أو التقليد الأدبي بين الشعراء الجاهليين .

### بين الجاهليين والمخضرمين

الشعراء الجاهليون هم الذين عاشوا طول حياتهم في الجاهلية ، أي قبل ظهور الإسلام ، أو كان إنتاجهم كله في العصر الجاهلي أو متأثراً بروح العصر الجاهلي وحده وإن عاشوا بعده قليلاً أو كثيراً ، فليبد جاهلي وإن عاش بعد الهجرة أربعين سنة لأنه لم ينظم بعد إسلامه شعراً قط ، وأممية بن أبي الصلت على ما ترجح جاهلي ، وإن عاش بعد الهجرة تسع سنوات لأنه لم يحى حياة إسلامية قط ، ومثله قيس بن الخطيم

والمخضرمون هم الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام ، وتأثروا في شعرهم بالجاهلية والإسلام معا ، مثل حسان والخطيبه ومعن بن أوس وكعب بن زهير والخنساء وسواهم . .

وأصل المخضرمه أن يجعل الشيء بين بين ، ومن ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يسمون نعمهم فيقطعون جزءا من أطراف آذانها ويتركونه ينوس (١) فتسمى مخضرمه لأن آذانها صارت بين الوافرة والناقصة ، فلما جاء الإسلام أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخضرموا من غير الموضع الذي يخضرم أهل الجاهلية حتى تمتاز نعمهم من نعم مخالفيهم لأنهم أهل حرب فكانت خضرمه أهل الإسلام بائنه من خضرمه أهل الجاهلية ، ثم قيل لكل من أدرك الخضرمتين مخضرم وأكل من كان نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام لأن حياته بينهما ومنه الشاعر المخضرم الذي أدرك الجاهلية والإسلام كحسان بن ثابت وكعب بن زهير ؛ ومن هذا المعنى قول الشاعر كما رواه صاحب اللسان :

إلى ابن حصان لم تخضرم جدوده      كبير الثنا والخيم والفرع والأصل  
والظاهر أن استشهاده بهذا البيت غير سديد لأن سياق البيت يدل على أن معنى لم تخضرم جدوده ليسوا أدياء لآعلى أنهم ليسوا بين بين اللهم إلا أن يريد معنى يؤول إلى هذا ، وذلك انه يقال رجل مخضرم أى أبوه أبيض وهو أسود فيكون بين أبيض وسوداء أو مغموز النسب وهو يناسب قوله ، إلى ابن حصان ، ومنه الطعام المخضرم وهو كما قال ابن سيده الذى ليس بمولود ولا مر ، أو كما قال ابن فارس بين الثقيل والخفيف وعلى كل حال بين بين ، وراء المخضرم ما لفتح على الأرجح وليكن قال ابن برى ان أكثر أهل اللغة على كسر الراء لأن الجاهلية لما دخلوا فى الإسلام خضرموا آذان إبلمهم ليكون علامة لإسلامهم إن أغير عليها أو حوربوا ؛ ويقال لمن أدرك

(١) أى يتحرك

الجماعية والإسلام مخضرم ، وقال ابن خالويه : خضرم خلط ، ومنه المخضرم الذى أدرك الجماعة والإسلام ، والظاهر ما قاله لأن اسم المنعول أصله بالنعم الموسومة فيكون اسم الفاعل لوائسها (١) وقد وجه ابن ررى رأى من فتح الرأ فقال تأويله عنده أنه قطع من الكفر إلى الإسلام وأما أقول إن هذا التأويل غير وجهه لأنه يستدعى أن يكون كل المخضرمين مسلمين وليس كذلك فإنهم عدوا كعب بن الأشرف اليهودى الهجاء من المخضرمين مع أنه مات على دينه ، ولو أنه وجهه بأنه قطع من حال من الشعر إلى حال أخرى كان أجود لأن كثيراً من الشعراء وجهوا تيار شعرهم إلى الحكم والمواظ والاخلاق وترفعوا عن الهجاء بل تغالى بعضهم كلبيد بن ربيعة العامرى وهو من أصحاب المعلمات فترك قول الشعر وبدل به الكتاب العزيز .

وقد توسع الناس بعدنى هذه التسمية فسموا بها كل من أدرك مدين فقالوا فى مثل بشار بن برد مخضرم لأنه أدرك بنى أمية وبنى العباس . بيد أنهم لا يذكرون ذلك من غير إضافة خوف اللبس ، ولذلك يقولون من مخضرمى الدولتين ، وعلى ما قدمنا لا يختص اسم الدولتين بالشاعر وإن اشتهر فيه ولا بزمان البعث . وبعضهم يشترط فى نعت الشاعر بالمخضرم أن يكون قد قال الشعر فى الزمانين ولهذا لا يسمى لبدا شاعرا مخضرم ما بل يعده من شعراء الجاهلية وإن كان مسلماً ويعد كعب بن الأشرف مخضرم ما وإن كان يهودياً .

## صور من الشعر الجاهلى

-- ١ --

قال حاتم الطائى :

أماوى قد طال التجنب والهجر وقد عذرتنى (٢) فى طلابكم عذر (٣)

(١) ومعناه أنه فى عصر الخضرمة

(٢) عذرتنى : أى رفعت عنى اللوم ، ومحت الإساءة وطمسها .

(٣) العذر : جمع عذير ، والعذير هو الحال ، وأصله العذر ، ويخفف فيقال عذر

أماوى إن المال غاد ورائح  
 أماوى إني لا أقول أسائل  
 أماوى إما مانع فمبين  
 أماوى ما يعنى الشراء عن الفتى  
 أماوى إن يصبح صداى (٤) بقفرة  
 ترى أن ما أنفقت لم يك ضائرى  
 أماوى إني رُب واحد أمه  
 وقد علم الأفوام لو أن حاتما  
 أماوى إن المال مال بذاته  
 وإني لا آلو (٥) بمالى صنيعة  
 يفك به العانى (٦) ويؤكل طيبا  
 ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتى  
 غنيانا (٩) زمانا بالتصملك والغنى  
 فما زادنا بأوا (١٠) على ذى قرابة  
 وما ضر جاريا بنة القوم فاعلمى  
 بعينى عن جارات قوسى غنلة  
 ويبقى من المال الأحاديث والذكر  
 إذا جاء يوما : خل فى مالنا النزر (١)  
 وإما عطاء لا ينهيه (٢) الزجر  
 إذا حشرجت (٣) يوما وضاق بها الصدر  
 من الأرض لا ماء لدى ولا خر  
 وأن يدى مما بخلت به صفر  
 أخذت فلا قتل عليه ولا أمر  
 أراد ثراء المال كان له وفر  
 فأوله شكر وآخره ذكر  
 فأوله زاد وآخره ذخر  
 وما إن يعر به القداح (٧) ولا القمر (٨)  
 شهودا وقد أودى بإخوته الدهر  
 وكلا سقانا بكأسيهما الدهر  
 غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقير  
 يجاورنى ألا يكون له ستر  
 وفى السمع منى عن أحاديثها وقر

- ٢ -

وقالت أم الصريح الكندية ترى بعض قومها :  
 هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد نصرهما

(١) النزر : القلة . (٢) نهيه : منعه .

(٣) الحشرجة . الفرغرة عند الموت

(٤) الصدى : ما يبقى من الميت فى قبره . (٥) لا آلو : لا أقصر .

(٦) العانى : الأسير . (٧) القداح : قداح الميسر . (٨) القمر : المقامرة .

(٩) غنيانا : غنى بالمكان ، أقام به . (١٠) البأو : الكبر والفخر .

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم وأن يرتقوا من خشية الموت سلما  
فلو أنهم فروا لكانوا أعزة (١) ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

- ٣ -

وقالت أمية بنت عبد شمس بن عبد مناف فيمن قتل من قريش في  
حرب الفجار :

أبي ليلى أن يذهب      وييط الطرف بالكوكب  
ونجم دونه الأهوا      ل بين الدلو والعقرب  
وهذا الصبح لا يأتي      ولا يدو ولا يقرب  
بعقر عشيرة منا      كرام الخيم والمنصب  
أحال عليهم دهر      حديد الثاب والمخلب  
فإن أبك فهم عزي      وهم ركبي وهم منكب

- ٤ -

وقالت فاطمة الخزاعية في رثاء إخوتها :

إخوتي لا تبعـدوا      وأبلى والله قد بعدوا  
لو تملتهم (٢) عشيرتهم      لاقتناء العز أو وولدوا  
هان من بعض الرزية أو      هان من بعض الذي أجد  
كل ما حي وان أمروا      وارد الحوض الذي وردوا

- ٥ -

وقال عنتره من معلقته :

لما رأيت القوم أقبل جمعهم      يتذاكرون كررت غير مذم (٣)

(١) أي لا يلامون لوضوح عذرهم - (٢) أي لو عاشوا مليا من الدهر

(٣) يتذاكرون : أي يحض بعضهم بعضا على القتال ، منذئذ عطف عليهم غير

مذموم علي عملي بل مدوحا عليه .

- يدعون عنتر والرماح كأنها  
ما زلت أرميهم بشغرة نحره  
فازور من وقع القنا بلبانه  
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى  
والخيل تفتحم الخبار عوابسا  
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها  
ذلل جمالى حيث شئت مشابعى  
لانى عدانى أن أزورك ، فاعلمى  
أشطان بئر فى لبان الأدهم (١)  
ولبانه ، حتى تسربل بالدم (٢)  
وشكا إلى بعبرة وتحمحم (٣)  
أو كان يدرى ماجواب تكلمى (٤)  
ما بين شيطمة وأجرد شيطم (٥)  
قيل الفوارس ويك عنتر أدم (٦)  
لبى ، وأحفزه رأى مبرم (٧)  
ما قد علمت وبعض ، الم تعلمى (٨)

- ٦ -

وقال لقيط بن يعمر الإيادى وهو شاعر جاهلى قديم مقل ، ذكر ابن

- (١) عنتر : أى يا عنتره حذف التاء للترخيم ، وروى المبرد أنه كان يسمى  
عنترا أيضا . والأشطان : جمع شطن ، وهى الحبال الطويلة الشديدة القتل .  
واللبان . الصدر . والأدهم : فرسه . (٢) أى بنقرة نحره .  
(٣) العبيرة : تردد البكاء فى الصدر قبل أن تفيض الدمعة ، والتحمحم : الصوت  
المنتقطع دون الصهيل ، ويكون من الفرس إذا طاب العطف عليه والرفة لحاله .  
(٤) المحاورة : الخطاب . ويروى : وكان لو علم الكلام مكلمى .  
(٥) الخبار : الأرض اللينة . والشيطم : الطويل . والأجرد : القصير الشعر .  
وهما صفتا حسن للفرس الكريم .  
(٦) ويك مركبة من (وى) وكاف الخطاب . ووى تعجب كأنهم قالوا :  
عجبا لك ! أدم : أوهى مخففة من ويك ، أو ومحك .  
(٧) الذلل : جمع ذلول ، وهو من الإبل وغيره ضد الصعب الحرون . ومشابعى  
قلبي أى متابعى ومشجعى . وأحفزه : أدفعه . والمبرم : المحكم . المعنى : يصف نفسه  
بأنه رجل أسفار ، وأن جماله للة ، لتعودها السير ، لا يصعب أن يوجه إلى أى أرض .  
ويصف نفسه أيضا بأنه حاضر العقل لا يعزب عقله فى أى حال من الأحوال ، بل هو  
أيضا يدفعه ويقويه برأى محكم .  
(٨) المعنى : صرفنى عن زيارتك ما قد علمته من الأسباب ، وما لم تعلمه .

الشجرى أنه كان كاتباً في ديوان كسرى، ولم يكن بيد الناس من شعره في زمن صاحب الأغاني إلا قصيدة كتب بها إلى قومه يحذرم ما اعتزمه كسرى من غزوم وقتالهم، وقطع أخرى لطاف متفرقة، فإذا صححت زوايا ابن الشجرى - وفي ما قاله أبو الفرج ما يقويها وإن لم يصرح وكان لقيط قد خدم الأكامرة وكتب لهم - فهو أقدم من بلغنا خبره من أئقن الفارسية من العرب وأجدرهم بأن يتأثر بها شعره. وليس من المستطاع اليوم وقد ضاع شعر لقيط تعيين ما كان لعلمه بالفارسية واتصاله بخدمة الملوك من أثر فيه، ولكن القصيدة التي بقيت له وانتهت إلينا تتميز من شعر ذلك العهد بأنها نسق واحد لا خلل فيه ولا اضطراب، وأنها لا تبدأ معنى حتى تنمه وتستوفيه ولا تنتقل عنه إلى آخر حتى يسكون هو الذي أدى إليه واقضاء. ولعل خير ما يدل على مذهب الشاعر ويكشف عن طريقته إثبات أبيات منها، تجمع إلى وضوح الدلالة كثيراً من الفائدة، وهذه القصيدة قالها لقيط يحذر فيها قومه عاقبة أمرهم إذا قهرم الفرس، ويذكروهم بما يحمل بالأمم إذا دارت عليهم الدائرة وغلبهم الأجنبي على سلطانهم، ويوصيهم باجتماع الكلمة والتشمير للحرب وتقليد زمامهم من توفرت فيه خلال القيادة وتمت له أداتها:

هيئات لا مال من زرع ولا إبل	يرجى اغابركم إن أنفكم جدعا
لا تلهكم إبل ليست لسكم إبل	لأن العدو بمظلم منكم قرعا
لا تتمرروا المال الأعداء لهم	إن يظفروا محتوكم والنلاد معا
يا قوم إن لسكم من إرث أولسكم	إن ضاع آخره أو ذل وانضما
ماذا يرد عليكم عز أولسكم	مجد أقدم أسفقت أن يفنى وينقطعا
فلا تفرنكم دنيا ولا طمع	أن تمنعشوا بزماع ذلك الطمعا
يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا	على نساءكم كسرى وما جمعا
يا قوم بيضتكم لا تفجعن بها	لأن أخاف عليها الأزم الجدعا
هو العناء الذي تبقى مدلته	إن طار طائركم يوما وإن وقعا
هو القناد الذي يجتث أصلكم	فن رأى مثل ذارأيا ومن سما

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا ، قد ينال الأمن من فزعا  
 وقلدوا أمركم لله دركم ربح الذراع بأمر الحرب مضطلعا  
 لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا  
 لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه هم تكاد حشاه تعظم الضلعا  
 مسهد النوم تعنيه أموركم يروم منها إلى الأعداء مطلقا  
 ما انفك يحلب در الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا  
 وليس يشغله مال يشمره عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا  
 قد استمر على شزر مريرته مستحکم السن لا قهماو لا ضرعا

- ٧ -

وقد كان من أعلام شعراء العصر الجاهلي طائفة كانت تنظم الشعر في  
 النسب ووحده ، وهم كثيرون ومنهم : المرقش الأكبر م ٥٥٢ م ، وعبدالله  
 ابن العجلان م ٥٦٦ م ومالك ، وعنترة ، ومسعود بن خراشة القميمي وقد  
 أدرك الإسلام ، ومنظورين زبان الفزاري . ولهم شعرا رائع وقصائد كثيرة  
 قصروها على الغزل ووحده كما في قصيدة المرقش الأكبر : سرى ليلا خيال  
 من سليمان . وقد يبدو أن النسب فن إسلامي بدأه عمر بن أبي ربيعة  
 وجميل وكثير وطبقتهم ، والحقيقة أن هؤلاء كانوا يحتذون مثالا لمن  
 تقدمهم ، وما أظن أحدا بلغ من صفة النساء ما بلغ النابغة حين سأله النعمان  
 أن يصف امرأته المتجردة ، أو ما بلغ المنخل اليشكري والمرار العدوي  
 وسويد بن أبي كاهل وشعر المرقشين الأكبر والأصغر وعبدالله بن العجلان  
 النهدي وقيس بن الحدادية ، عن صدقو الحب ونسبوا في لفظ عفيف ومعنى  
 نزيه مشهور معروف . . . قال المرقش الأكبر :

سرى ليلا خيال من سليمان فارقني وأصحابي هجود  
 فبت أدير أمرى كل حال وأرغب أهلها وهم بعيد  
 على أن قد سما طرفي لنار يشب لها بذى الأارطى وقود

حواليها مها جم التراقي  
نواعم لا تعالج بؤس عيش  
يرحن معاً بطاء المشى بدا  
سكن ببلدة وسكنت أخرى  
فسا بالى أفى ويحان عمدي  
ورب أسيلة الخدين بكر  
وذو أشر شتيت النبات عذب  
لهوت بها زماناً من شباني  
أناس كلما أخلقت وصلا

وقال :

نواعم أبكار سرار بدن  
يهدلن فى الآذان كل مذهب  
نشرن حديثاً آنسا فوضعه  
ولعبد الله بن العجلان :

حسان الوجوه لينات السوائف  
له ريد يعيا به كل واصف  
خفيضاً فلا يلغى به كل طائف

ألا أبلغا هنداً سلامى فإن نأت  
ولم أر هنداً بعد موقف ساعة  
أنت بين أتراب تمايس إذ مشت  
أشارت إلينا فى خفاء وراءها  
وقالت تباعد يا ابن عمى فإننى

وقال :

ولا تأمنا من دار ذى لطف بعدا  
أغيا يلاقى فى التعجل أم رشدا  
وإن لم تكن هند لوجهي كما قصدا

خليلي زورا قبل شحط النوى هنداً  
ولا تعجل لم يدر صاحب حاجة  
ومرا عليها بارك الله فيكما

وقولا لها ليس الضلال أجاننا ولكننا جرننا لنلقاكم عمدا  
وقال قيس بن الحدادية من قصيدة طويلة :

أجدك إن نعمم<sup>١</sup> نأت أنت جازع  
قد اقتربت لو أن في قرب دارها  
وقد جاورتنا في شهور كثيرة  
وظأت بها حفظ لغبي ورعية  
فقلت لقاء بعد حول وحجة  
وقد يلتقي بعد الشتات ألو النوى  
ومنها :

كأن فزادى بين شقين من عصا  
يحث بهم حاد سريع نجاؤه  
فقلت لها يا نعم حلى محلنا  
فقلت وعيناها تفيضان عبيرة  
فقلت لها : تالله يدرى مسافر  
فشدت على فيها اللثام وأعرضت  
وإني لعهد الود راع وانى  
فنصيب هذا العصر من النسب كما رأيت أوفروا أوجدنما توهم الأدباء ؛  
وهو أصل يلتقى إليه بارع النسب الاسلامى من قريب (١).

(١) راجع الشعراء العشاق في كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان

حول الادب الجاهلي

## حول العصر الجاهلي

- ١ -

عندما نقسم تاريخ الأدب العربي إلى عصور لندرسه على ضوءها ننظر بجد إلى تاريخ الأدب العربي الذي هو تاريخ لقومية الأمة العربية وأخلاقها وعاداتها وحياتها وآمالها وآلامها ولكل ما تأثرت به من مؤثرات حياتها الفكرية والاجتماعية والسياسية والأدبية . ننظر إلى تاريخ الأدب على أنه ليس علما جافا بل فنا أساسه الذوق ودراسة الفنون الأدبية في الأمة دراسة واسعة . ومؤرخ الأدب يعني بأن يدرس أسباب رقي الأدب وانحطاطه وتأثر الأدباء بها أو تأثيرهم فيها ، وأن يدرس صلوات المحدثين بالقدامى أدباء وشعراء وكتابا وخطباء ونقادا ، وأن يتعمق في فهم المذاهب والمدارس الأدبية العامة وصلاتها ببعض والعوامل التي أدت إلى قيام كل مدرسة وميزاتها وخصائصها ومدى تأثيرها بما قبلها وتأثيرها فيما بعدها من المدارس والمذاهب الأدبية العامة . فهذه المدارس والحركات الأدبية كانت تلعب دورا هاما في الأدب ، ولها من الأهمية في دراسة تاريخ الآداب ما لا يقل شأنه عن دراسات كثيرة في الأدب ، فتاريخ الأدب ليس مراداً لنصوص أدبية وتراجم عامة ، بل يوضح لنا الصلات بين المذاهب الأدبية ويربط كاتباً بآخر وجماعة بجماعة ومدرسة بمدرسة ، كما يدرس أسباب الانقلابات الأدبية المختلفة في عصور الأدب وتأثير فحول السكتاب في نهضة الأدب والشعر وتوجيهها وجهة جديدة . هذا كله فوق دراسة تاريخ الأدب الآثار الأدبية نظماً وشعراً ولشخصيات الأدباء شعراء وكتابا وخطباء والإمام بنشأتهم وحياتهم ونزعاتهم وغير ذلك من مكونات شخصيتهم وطابع كل منهم وسماته التي يتميز بها عن غيره ، فكل كاتب كبير أو شاعر عبقرى يأتي إلى هذا العالم بشيء جديد كل الجدة ذلك هو نفسه ، كما يقول بعض النقاد الغربيين : وكثير من السكتاب الأفاضل والشعراء الملهمين مخلوقون ذوقاً جديداً ومرحلة جديدة

في الأدب، وكما يتأثر الأديب بعصره فهو يؤثر فيه . فالأديب ابن عصره وبيئته ، فكل ما يبعث اتجاهها جديدا في الرأي أو في منحى الحياة أو في مجرى السياسة والشعور العام يؤثر في تكوين الآداب إلى حد كبير ويجب ألا ننسى ظروف الزمان والمكان والبيئة عند دراستنا لأي نص أدبي ، كما أنه لا بد من معرفة العوامل التي أثرت في فن الشاعر والمكاتب والأديب وفي ذوقهم وإنتاجهم الفني وجعلت لهم طابعا خاصا في أدبهم . ومهما تكن شخصية الأديب بالغة منتهاها فان روح جنسه وعصره لا بد من أن يظهر فيه . وعلى ذلك فتاريخ الأدب يتأثر بمؤثرات قومية كما يتأثر بمؤثرات شخصية ، فظهور الإسلام مثلا له من الأثر البعيد في الأدب العربي ما لا يستطاع حصره .

ومع ذلك فلا يقتصر تاريخ الأدب على دراسة المخلفات الأدبية لمختلف الأدباء والشعراء ، كل كاتب على حدة ، بل لا بد فيه من دراسة أدب الأمة جملة واحدة وإظهار مميزاته العامة باعتباره إنتاجا لعقلية هذه الأمة التي هي جماعة واحدة ، لها تفكير خاص وشعور خاص وذوق خاص : فبكل ماله أثر في تكوين الأمة له أثر في نسج أدبها ، فأدب الأمة هو تاريخها الذي دونهت بقلوبها ليصور لنا رقيها العقلي والخلقي فوق تقدمها الأدبي .

وقد اعتاد مؤرخو الآداب أن يقسموا الأدب إلى عصور مختلفة ، ولم يلجأوا إلى ذلك لسهولة الدرس فحسب ، ومن قبيل تقسيم الموضوع المتشعب إلى أبواب وفصول . . وهناك ما يبرر هذا التقسيم ، فالعصر التاريخي عبارة عن فترة زمنية يسود فيها نوع من الذوق العام ، وعلى ذلك فان أدب ذلك العصر يتسم بصفات خاصة من حيث المادة والفكرة والأسلوب ، وقد تختلف آثار الكتاب البارزين بقدر ما تختلف شخصياتهم ، ولكن تلك الصفات العامة تظهر فيهم جميعا . ولا ينتهي عصر ويخلفه آخر ، إلا بعد تغيير حاسم في الذوق العام . ولكننا يجب أن لا ننزع الحواجز المتينة بين عصر وعصر ، فليس تاريخ الإنسان أبوابا وفصولا ، ولكنه تيار واحد متدفق يسير حينما ذات البين وحينما ذات اليسار ، ليس له بداية معينة ، ولا نهاية

محدودة والعصور التاريخية في الواقع آخذ بعضها بتلايب بعض ، وقد يبدأ الرجل عمله في عصر من العصور ، ولا ينتهي منه إلا في عصر آخر ، كالمخضرمين بين الجاهلية والإسلام ، وكبشار وابن المقفع بين العصر الأموي والعصر العباسي . ومع ذلك فإن لتقسيم الأدب إلى عصور أهميته الدراسية لأنه بوجه أنظارنا إلى المراحل التي اجتازها الأدب وتميز في كل مرحلة منها بميزة خاصة ، وهو أهم ما يعنى به مؤرخ الآداب .

-- ٢ --

وهناك سؤال لا بد من إirاده ، وهو : ماذا نعنى بالعصر الجاهلي ؟

لأنه العصر الذي سبق الإسلام ، فإذا جعلنا حادث الهجرة هو الفاصل بين الجاهلية والإسلام ، كان عام ٦٢٢ م الذي هو بدء التاريخ الهجري نهاية هذا العصر الجاهلي ، وإذا اتسع أفقنا أكثر من ذلك كانت نهاية العصر الجاهلي عام ٦١٠ م ، وهي السنة التي بعث فيها الرسول صلوات الله عليه إلى قومه وإلى الإنسانية عامة .

أما مبدأ العصر الجاهلي ، فهو غير معلوم تماما ، والقرآن الكريم يشهد للعرب بمحضرات سالفه باندة ، كما يقول الاستاذ ابراهيم مصطفى فقد ورثوا ابراهيم وكانوا على دينه ، لأنه أبو العرب ، وقد أرسل إلى العرب من الرسل هود وصالح وشعيب ، ولكل رسالة دين ، وفي كل دين حضارة وقد شهدت الجزيرة العربية قبل الإسلام حضارات ذات شأن ، وعلى هذا الأصل نحاول أن نحدد أول الجاهلية العربية قبل الإسلام ، وسبيل ذلك أن نعرف آخر حضارة قامت بالجزيرة ونحدد نهايتها فتكون بدء هذا العصر الجاهلي . فإذا اقتصرنا على العصر التاريخي وعلى ما كشف من آثار حضاراته ذكرنا حضارة الانباط ، وقد كانت في شمال الجزيرة وامتدت من العراق إلى مصر ووصلت في الجنوب إلى وادي القري وورثت حضارة ثمود وأبقت آثارها خالدة وصمدت للروم في حروب شديدة مريرة - ثم حان حينها

فأنقضى أمرها على يد « تراجان » سنة ١٠٦ من الميلاد وورثت مكانتها تدمر  
ووسع سلطانها الشام ومصر وما بين النهرين والآناضول إلى أنقرة وجاء  
يومها فأنقضى ملكها سنة ٢٧١ م على يد أريان الروماني أيضا .

وكانت الحروب الطويلة القاسية بين الروم والفرس سبب انقطاع التجارة  
بينهما ، وكان لابد للتجارة أن تشرق لها مجرى ، فاتخذت سبيلها في مفاوز البلاد  
العربية البعيدة عن سلطان الدولتين ، وكان الروم أشد حسرة لانصراف  
التجارة إلى أيدي العرب .

ولهذا تجشموا الأهوال في القضاء على بطرة وعلى تدمر وحاولوا  
القضاء على دولة اليمن أيضا وأرسل أغسطس حملته المشهورة بقيادة قائده  
الياس جلاس فهلك في الصحراء جيشه وعاد بخيبة سجلها رفيقه وصديقه  
استرايون ، وأورثتهم يأسا أبديا من أن ينالوا بلاد اليمن عن طريق شمال  
الجزيرة . وفي القرن الرابع كانت المسيحية قد انتشرت وصالحتها الدولة  
الرومية البيزنطية واستعانت بها على مد سلطانها ، وكان رسل هذه الديانة قد  
وصلوا إلى الحبشة وبشروا فيها بدينهم فقامت بها دولة مسيحية حبشية تقابل  
في البلاد العربية دولة اليمن اليهودية ، وقامت العداوة بين الاثنتين ، فأحباش  
هذه الدولة من أصل عربي يمني ، واسكن المنافسة في التجارة والعداوة في الدين  
أججت نار الحرب بينهما ، ومن أنارتلك العداوة حديث الأخذود والنار  
ذات الوقود ، وأرسلت بيزنطة رسلا وسفنها إلى الأحباش فسكنتهم من  
القضاء على الدولة الحميرية باليمن بعد حروب سجال ، وانتهى بذلك عهد آخر  
دولة مستقلة قامت قبل الإسلام في الجزيرة العربية وكان ذلك سنة ٥٢٥ م ،  
كما يقول ابراهيم مصطفى ، وقد خلت بلاد العرب من دولة تهيمن عليها ،  
وتؤمن سبلها وتحمي تجارتها ووقعت في فوضى نرى بعض صورها في شعر  
كشعر الخارث بن حلزة إذ يقول :

هل علمتم أيام يذهب النا س غوارا لسكل حتى عواء  
لا يقيم العزيز بالبلد السم ل ولا ينفع الدليل النجاء

ليس ينبغي موائلنا من حذار رأس طود وحررة رجلا.

فهذا حد العصر الجاهلي العربي ، وقد كانت آثار المعامل اليمنية موجودة في شتى أرجاء الجزيرة العربية . فبنو الحارث بن كعب في جنوب الحجاز ، وكانوا يلقبون ملوكا ، والأوس والخزرج في شماله ، وفي نجد طىء وكاب وملوك كندة ، وفي عمان الأزدي ، وفي تخوم العراق المناذرة ، وفي مشارف الشام الفساسنة ، وكلهم ينتسبون إلى اليمن ، وقد نشبت الحروب بينهم كل يريد الملك لنفسه ، كما فعل قواد الاسكندر في ملكه الواسع من بعده ، وثار العرب من غير اليمن وهم العدنانيون ، وتطلعوا إلى الاستقلال والنفوذ والسلطان واشتعلت الحرب بين العدنانيين واليمنيين ، بل بين بعض العدنانيين والبعض الآخر ، ومضى شعراؤهم يتغنون بفضائع الحرب :

وحليل غانية تركت مجدلا      تمكو فريصته كشدق الأعلم  
فشككت بالرمح الأضم ثيابه      ليس السكريم على القنا بمحرم  
فتركته جزر السباع يلشنيه      يقضن حسن بنانه والمهصم

يقول ابراهيم مصطفى : إن حياة العرب تعتمد على التجارة ورزقهم منها ولا بد لهم أن يتجروا ليمشوا ، والاثر الوارد : تسعة أعشار الرزق من التجارة ، والرسول كان منذ الصبا تاجرا وأبوه وعمه وجده تجار وزوجه خديجة ترسل في التجارة أموالها .

فالعصر الجاهلي إذن يتبدى . بنقد حكومة البلاد وضياع أمنها ، واضطراب نظامها في سنة ٥٢٥ ، وينتهي بقيام الحكومة التي تقر السلام وتشر الأمن في سنة ٦٢٢ . وما بينهما عصر الجاهلية والفوضى وانتحار على السلطان .

فالفساسنة كانوا يتاخمون الروم في الشام قبيل الإسلام ، ولهم مع الدولة البيزنطية صلات مدونة معروفة . وكان أقدم اتصال للفساسنة ببيزنطة في زمن

الحارث الأكبر من سنة ٥٢٩ م إلى سنة ٥٦٠ م إذ أنعموا عليه ، ثم على ولده من بعده ، بلقب بطرق ، وهو لقب حكام الأقاليم عندهم ، ومن ذلك نعلم أن الفساسنة ، وهم يمنيون ، كانوا يستمدون سلطاتهم من دولتهم اليمنية ، ويجاررون الروم فلما زالت دولة اليمين وجاءهم الحرب من حيث كانوا يلمتسون العون ، اضطروا إلى الاستماتة بالروم واستمداد السلطان منهم... وفي بلاد تخوم العراق كان المناذرة ملوك الحيرة ، وكان لهم اتصال بملوك الفرس من آل ساسان . ونقرأ من أخبارهم أن (يزدجرد) أرسل ولده (بهرام) إيربي في بلاط المنذر بالحيرة ؛ وأن (يزدجرد) لما مات ثار الفرس رافضين أن يتولى أحد من أولاده لما كانوا يكرهون من حكمه ، وأن بهرام استعان بالمنذر وولده النعمان في جيش قدروه بثلاثين ألفاً ، وبهم تمكن من الجلوس على عرش أبيه ، ولا أرى في هذا صورة التابع الخاضع ، وقد كان ذلك سنة ٤٢٠ م ؛ ولكن في زمن كسرى أنوشروان نرى المنذر الثالث يتولى السلطان من يد كسرى ، وحكم كسرى من سنة ٥٣١ م إلى سنة ٥٧٨ م ، والمنذر قتل في واقعة محددة التاريخ سنة ٥٥٤ م ، واستمر الأمر على ذلك يولى الفرس حاكم الحيرة من المناذرة ، وربما لوه من غيرهم كما ولوا عليها إياس بن قبيصة الطائي . فهذه أسرة يمنية أخرى تبدلت طبيعة اتصالها بجارتها ، بعد أن سقطت دولة اليمين سنة ٤١٥ م .

وفي داخل الجزيرة كان امرؤ القيس آخر ملوك كندة ، وقد حاربه المنذر الثالث وحارب أسرته نزاعاً على الملك ، وقتل كثيراً من أمراء كندة صبراً ، وبيكهم امرؤ القيس في شعره :

فلو في يوم معركة أصيبوا      وليكن في ديار بني مرينا

فلم يغسل جماجمهم بغسل      وليكن في الدماء مرملينا

وإذا كان المنذر يستند إلى سلطان الفرس فان سبيل امرئ القيس أن

يستعين بمنافسهم الذين ينازعونهم الرغبة في التسلط على البلاد العربية ،  
وهم الروم ، ويقصد في ذلك إلى الحارث بن جبلة ، والحارث قد ولى من  
سنة ٢٥٢٩م إلى سنة ٥٦٩م ، وهكذا نرى أن ما ذكر من تاريخ الحوادث  
يؤيد هذا التحديد .

فالعصر الجاهلى الذى هذه بدايته ونلك نهايته ، هو العصر الذى  
ندرسه ، ونعنى باتباع الأدب شعره ونثره فيه ، وحسبنا ذلك الآن .

## آراء حول النثر الجاهلى

### - ١ -

النثر أحد ألوان الأدب وأقسامه ، وهو بخلاف الشعر لا يقيد بوزن أو  
قافية ، ويعتمد غالباً على الحقائق ، ويركن إلى صدق التعبير ، وجمال التمه وبر  
وجلال التأثير . . فإذا اعتمد النثر على الخيال ، وتعهد لإثارة العواطف ،  
وصيغ فى أسلوب الشعر فذلك هو الشعر المنشور ، والنثر أول ما ينشأ يستخدم  
فى أغراض المعيشة العادية ، ووسائل الحياة الاجتماعية . ثم لا يلبث أن يكثُر  
الاهتمام به ، والإقبال عليه ، وتمظُم الحاجة إليه ، ويقبل الكتاب يسجلونه  
بالكتابة ، فيكثُر ذبوعه ، ويزداد انتشاره . ويؤدى طالب الحياة وأغراضها  
الكثيرة فإذا ارتقت الحياة ، وتقدمت المدنية ، ازدادت أهمية النثر ،  
واتخذ وسيلة إلى أداء بعض الموضوعات التى تؤدى بالشعر ، فيستخدم فى  
وصف العواطف وإثارة المشاعر . ووصف مظاهر الطبيعة ، وفى الاستعطاف  
والعتاب والشكر فينشأ النثر الفنى الذى يقصد به الفن ، ويبحث على الابدعاز  
والأريحية ، ويتمم فيه تنظيم الفكرة ، وتدقيق المعنى وجودة السبك وجمال  
الرصاف وحسن الأداء .

فإذا ازداد العقل نماءً ، والشقاوة انتشاراً ، والعلوم سعة ، أخذ العلماء

يدونون بالنثر قواعد هذه العلوم المختلفة ، فينشأ النثر العلمي الذي يعنى به الأدب عناية خاصة ، لأنه منهل من مناهل الثقافة الأدبية ، وأثر من آثار العقلية التي تنشأ من الأدب ، ولأن الكثير من هذا النثر العلمي أدب جيد . حيث تؤدي الحقائق فيه بلغة النثر الفني ، كما في مؤلفات النقد والتاريخ والسياسة والاجتماع ، ولذلك يعد كثير من مؤلفات هذه العلوم أدبا فنيا رائعا لاشتماله على ميزات الأدب الفني وخصائصه ، فوق أن هذا النثر العلمي يصل مواهب الأديب وملاكه ويوسع أفقه ويمده بزاخر الأفكار والمعاني والموضوعات .

وأخير أقالنثر الفني ينقسم إلى خطابة وكتابة فنية ، والكتابة تشمل الوصف والقصص في رأى بعض الكتاب الأوربيين ، ويقسمها بعض كتاب العرب إلى رسائل وقصص ومناظرة وجدل وتاريخ . . أما قدامة بن جعفر فيقسم النثر إلى خطابة وترسل واحتجاج وحديث (١) .

- ٢ -

والأدباء يختلفون في نشأة النثر الفني هل وجد في العصر الجاهلي أو تأخر في النشأة الأدبية إلى العصر الأموي ؟ :

أما أدباء العربية المتقدمون ، والكثير من الأدباء المعاصرين ، فيرون أن العصر الجاهلي عرف النثر الفني ، وأجاده العرب القدماء قبل الإسلام لإجادة مألغة ، ونزل القرآن بلغة النثر الفني مفهما لهم ومعجزا (٢) .

وأما المستشرقون ومن تابعهم فيرون أن عرب الجاهلية لم يعرفوا هذا النثر ، كما يشهد عصر صدر الإسلام ، ويقررون إنه إنما نشأ على يد ابن المقفع المتوفى في صدر الدولة العباسية عام ١٤٣ هـ ، ومن ذهب إلى ذلك

(١) ص ٩٣ نقد النثر ط ١٩٣٩ .

(٢) ومن ذهب إلى هذا الرأى كذلك صاحب كتاب العن ومذاهبه في النثر

العربي ، وكذلك زكي مبارك في كتابه النثر الفني ، .

المسيو مرسيه الفرنسى (١) ، والمستشرق جب الإنجليزى (٢) .

أما الدكتور طه حسين فيقرر أنه لا يستطيع بحال من الأحوال أن يطمئن إلى أن العصر الجاهلى كان له نثر فنى (٣) وإن كان له نثر خاص لم يصل إلينا لضعف الذاكرة وخلوه من الوزن (٤) هذا النثر هو الخطابة ، وأن أول القرن الثانى الهجرى هو الذى شهد ظهور الحياة العقلية وهو الذى شهد مظهر هذه الحياة العقلية وهو نشأة النثر الفنى (٥) ، أما القرآن فى رأيه فليس نثراً كما أنه ليس شعراً ، وإنما هو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (٦) ، فالنثر العربى الذى ليس هو لغة التخاطب ولا الأحاديث العادية والذى لا يعبر عن عاطفة أو شعور من حيث هما عاطفة أو شعور بل من حيث هما صورة عامة يظهر فيها نتيجة التفكير ، هذا النثر فى رأيه هو أثر من آثار الحياة الحياة الإسلامية الجديدة (٧) ، فقد وجد فى هذا العصر كما يقول الدكتور النثر بألوانه المختلفة ، فوجد نثر عربى خالص فى التاريخ ، وفى مناقشة الفرق المتكلمة ، ووجد نثر عربى خالص فى الدين ، ثم وجد نثر عربى تشوبه الثقافة الأجنبية فى هذه الكتب التى طلب العرب إلى الروم أو الموالى نقلها إلى العربية (٨) .

ولكننا على أى حال لانقر هذه الآراء المختلفة التى تجحد وجود النثر الفنى فى العصر الجاهلى ، وإن كنا نؤمن بأن القرآن الكريم لا يماثله نثر فنى فى لغة العرب ، كما نؤمن بأن النثر الأدبى بعد الإسلام أخذ ينمو وينهض

(١) ٣٨ ج ١ النثر الفنى لوكى مبارك ،

(٢) ص ٧ و ٩ مجلة الأدب والفن عدد نوفمبر ١٩٤٥ من مقال للاستاذ

جب بعنوان خواطر فى الأدب العربى .

(٣) ص ٢٥ من حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين .

(٤) ص ٢٦ المرجع (٥) ص ٣٥ المرجع

(٦) ص ٢٥ المرجع (٧) ص ٢٨ المرجع

(٨) ص ٣٦ المرجع .

منذ مطلع القرن الثاني الهجري . وبلغ منزلة عالية على يد عبد الحميد الكاتب  
ومن جاء بعده من أئذاذ الأدباء وأئتمهم كبن المقفع والجاحظ وسواهما .

ويقول ابن رشيق في عمدته : وكان الكلام كله منشورا . فاحتاجت  
العرب إلى التفتى بمكارم أخلاقها ، وطيب أعرافها ، وذكر أياها العالحة ،  
وأوطائها النازحة ، فتومموا أعاريض جعلوها موازين الكلام . فلما تم لهم  
وزنه سموه شعرا (١) .

- ٣ -

هذا ولا يعنى الأدب من النثر الجاهلى إلا ما حق بأجنحة من الخيال  
والعاطفة والحكمة حتى ليعدهن قبيل الشعر المنشور . ولما كان الحفظ والرواية  
- لا التدوين - هما أساس التواتر فى العلم بفرائد النثر الجاهلى ، فقد ضاع  
الكثير منه ، بعكس المنظوم الذى ساعدت أوزانه وقوافيه على حياته واستيمابه  
والنغم أقرب إلى الاستقرار فى الحافظة والتردد على الشفاه .

ونحن نعرف بين الشعر الجاهلى نماذج بدیعة سلسلة رقيقة بعيدة كل البعد  
عن الوحشية، فلماذا لا توجد نماذج مثلها من النثر الجاهلى ؟ ولماذا تتعسف  
ونسب إليها الانتحال ولا ننسبه إلى ذلك الشعر المأثور الذى لولا اطلاعنا  
السابق لتصورنا أنه من إنتاج عصرنا الحاضر ؟ ومن السهل أن نتفق مع مؤرخى  
الأدب ونقادہ ، على أن النثر الجاهلى الفنى يتنوع إلى حكمة ، ومثل ، وخطابة  
ووصايا ومحاورات ومنافرات وسجع وكهان . فن أشهر حكماء العرب  
الجاهليين :

أكنم بن صيفى التميمى ، وعامر بن الظرب العدوانى ، واقمان الحكيم الذى  
اشتهرت حكمه القصصية فى العالم اشتهار أساطير أيوب فى الغرب ، وقد طبعت  
ودرست فى أوروبا منذ أكثر من قرن ، ومن مظاهر سردها اتباع الجمل

الاسمية بدل الذمالية المألوفة في الأسلوب العربي . ومن أشهر خطباء العرب الجاهليين : قس بن ساعدة الإيادي ، وله كلمات بدبحة مأثورة مشهورة بحكمها وأمثالها ، وكان العرب يتعاطون اليه في خصوماتهم كما كانوا يتهاوتون على خطبه في سوق عكاظ ، ومن الخطباء أيضا : هاني بن قبيصة الشيباني .

ومن أشهر الموصين البلغاء الجاهليين من العرب : ذو الأصبغ العداني ، والأوس بن حارثة . ومن أشهر المحاورين والمنافرين العرب في الجاهلية : قس بن ساعدة الإيادي ، وعامر بن الطفيل ، وعاقمة بن علاثة ، وكانا يتنازعان الرياسة على بني عامر ، وكانا يتنافران بالماخرة والمناظرة البلغة ، وأقوالهما في ذلك مشهورة .

ومن أشهر الحكماء العرب في الجاهلية : الكاهنة زبراء .

هذه صور شاخذة بعلو كعب الأدباء العرب النافرين في العصر الجاهلي . ونثرهم الفني في روعته ، لا يقل جلالا وجمالا عن شعر الجاهلية المنظوم ، وهو تراث قيم بالنسبة إلى عصره ، جدير بأن نعتز به ، وأن نلتفت إليه كل الالتفات في تاريخ الأدب الجاهلي ودراسته .

وفي هذا المقام ننوه بحكمة لقمان الحكيم ، الذي يجعله كثير من المراجع العربية القديمة عربيا ، ومن بينها كتاب (الأمثال) للبيداني ، وفي كتب التفسير ذكر للقمان ، وإشارة إلى اختلاف الآراء فيه هل هو عربي أو سرياني أو مضرى أو حبشى أو يوناني ؟ وهل هو حكيم أو نبى أو رسول ؟ وقد ذكرت ذلك في كتابي (الذكر الحكيم) . . . ويذمب المستشرق الإنجليزى رندل هريس في كتابه (قصة أحيقار) - طبع لندن سنة ١٨٩٨ ص ٧٥ من المقدمة - إلى أن القرآن الكريم قد أشار إلى أحيقار في سورة لقمان وأن لقمان هو أحيقار نفسه ، إذ أن كلاما لقمان

وأحيقار يوصف بالحكمة ، وأن كلا منهما كان يلقن ابنه حكماً يبهوها بقوله  
ديابني ، وأن بعض حكم أحيقار تشبه بعض الحكم التي جاءت في القرآن  
على لسان لقمان ، فالآية الكريمة : ( واقصد في مشيك واغضض من  
صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ) (١) يناظرها ما جاء في وصية  
أحيقار لابنه : ( يا بني احن رأسك ، ورفق من صوتك ، وكن بشوشاً  
وامش في الطريق المستقيم ، ولا تك أحق ، ولا ترفع صوتك بالضحك  
فإنه لو كان البيت يبني بالصوت المرتفع لبني الحمار بينين في يوم واحد ) .  
ولا شك أن التشابه قوى وواضح ، وقصة أحيقار مشهورة ، وترجمت  
إلى كثير من اللغات ، وهي إحدى القصص التي كانت شهـرزاد  
ترويها للملك شهریار ، والتي عرفناها في كتاب ألف ليلة وأيلة . وقد  
وردت في أقدم نصوصها بترجمة آرامية قديمة يرجع أن تاريخ تأليفها  
قبل نهاية القرن الخامس قبل الميلاد ، ويروي كليمانس الاسكندر  
وهو من كتاب القرن الثاني بعد الميلاد - أن ديمقريطس - الذي  
كان يعيش في القرن الخامس قبل الميلاد - قد ألف كتاباً  
في المواعظ الاخلاقية البابلية ، تناول فيه ما في قصة أحيقار من حكمة .  
ويوجد شبه بين قصة أحيقار وبعض أسفار العهد القديم كأسفار الأمثال ،  
بل وبين بعض أجزاء العهد الجديد . وقد ترجم السريان قصة أحيقار ،  
والنص السرياني هو أصل جميع التراجم التي ظهرت للقصة بعد ذلك  
ويشير عدى بن زيد إلى أحيقار في شعره :

عصفن على الحيقار وسط جنوده وبيتن في لذاته رب مارد

وكان أحيقار وزيراً حكيماً لملك أشور ونيبوى ، وهو سنحاريب ،

وكان أحيقار يتوق إلى أن يرزق بولد يرث حكمته وثروته ، ولكنه لم ينجب من ستين امرأة تزوجها ، لذلك بادر بترك الوثنية إلى عبادة إله واحد ، ولما تضرع إلى الله سمع صوتاً يقول له : «خذ نادان ابن أختك واجعله لك ولداً ، وعلمه علمك وأدبك ، ، وكان رضيعاً ففعل ذلك ، وكبر القلام وكبر أحيقار ، واستخلف سنحاريب الشاب نادان في الوزارة . كان أبيه وعند ذلك أخذ أحيقار في بذل النصح لابنه ، وفي تعليمه تجارب الحياة وعبر الايام التي مرت به ، وكل وصايا أحيقار تبدأ بكلمة « يا بني ، . وفي القصة بعد ذلك أحداث ومآس كثيرة ، منها فساد نادان في سياسته وسوء أخلاقه واسترداد أبيه ما وهب له من ثروة ووشاية نادان بأبيه عند الملك واختباء أحيقار في سرداب ووقوع الملك في أزمة سياسية وظهور أحيقار ، وظهور براءته ، وانتحار نادان . . وقد ذكر المسعودي لقمان ورجح أنه كان حكيماً من الحكماء ، ولا أستبعد أن يكون هو أحيقار نفسه .

## الحياة الادبية في العصر الجاهلي (١)

رانا امام نهضة جلية في الأدب العربي تناولت أعرق مدارسه كدار العلوم والأزهر : فبرى في الأولى جهودا أصيلة موبقة داعية الإعجاب بها كتلك التي يقوم إبراهيم أنيس وحامد عبد القادر في فقه اللغة وتلسمتها وعلم النفس الأدبي ونرى في كلية اللغة العربية بالأزهر نظيرا لما كمثل ما يقوم بها محمد عبد المنعم خنماجى الذى شغل بعلم الأدب وبالنقد الأدبي خاصة

والاستاذ خنماجى ظاهرة فذة شائقة في الوراثة والاطلاع والاستقراء والإنتاج ، فهو سبط الأديب الكبير الشيخ نافع الخنماجى ، وهو من أسرة بنى خنماجة التي تنتمى الى أصول عربية قديمة ومنهم الأمراء الخنماجيون في إقليم الكوفة . والأمهراء الخنماجيون بحلب ، ومنهم الأديب ابن سنان الخنماجى الحلبى ، ومن أشهر النابغةين في مصر من الخنماجين الشباب الخنماجى المصرى

وهذا الرجل الذى يحمل أعلى شهادات الأزهر العلمية ( وهى شهادة الاستاذية في الأدب والبلاغة - التى تعادل الدكتوراه ، من الجامعات السامقة كاسوربون مثلا - ، والذى أخرج حتى الآن نحو مائة كتاب في فنون الادب ، والذى يتولى الأستاذية بكلية اللغة العربية في الأزهر ، والذى يشغل ليل نهار بالنأليف والمطالعة حتى إنه لم يعرف عن أزهري قديما أو حديثاً أنه اطلع مثل اطلاعه على مئات الكتب القيمة من مخطوطة ومطبوعة ، هذا الرجل العلامة الموهوب الذى لا يكتفى بترانه العربى فيتعلم الفرنسية والإنجليزية ليقف بنفسه على أمهات التصانيف والمراجع

---

(١) دراسة لهذا الكتاب بعد ظهور الطبعة الأولى كتبها الدكتور المرحوم احمد زكى ابوشادى ، وأذاع بها من صوت أمريكا ، ونقلته عنها محطة الإذاعة البريطانية العربية

الأوربية والأمريكيتية وليتذوق الأدب العالمى من مناهله الأولى  
ومنابعه الاصلية ، أصبح الآن مناض آمال الازهر بين نى التجديد الادنى .  
وله لعسير أن يختار المرء كتاباً من كتبه للعرض فى مجال الحديث عن  
الأدب العربى ، نظراً لكثرتها وتنوعها ولتناولها جميع فروع الأدب .  
والاستاذ خماجى ليس لغوياً ولا أدبياً فحسب ، بل هو شاعر أيضاً ، شأنه  
فى ذلك شأن طه حسين ، ولذلك - إلى جانب ثقافته الواسعة التى تلتهم  
كل معرفة ميسورة - كان طابع كتابته شاعرياً جميلاً مع الحرص على الدقة  
العلمية فى الوقت ذاته . ولذلك نالت تصانيفه احتراماً عاماً فى جميع الأوساط  
الأدبية ببلاد العرب وفى دوائر الاستشراق ، بغض النظر عن موافقتنا على  
آرائه أو مخالفتنا له فيها .

وأمامنا الآن كتابه « الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى » ، وهو الحلقة  
الأولى من تاريخ الادب العربى المشغول بإخراجه تباعاً ، وقد صدق حين  
قال : إن تاريخ الادب العربى هو تاريخ لقومية الامة العربية وأخلاقها  
وعاداتها وآمالها وآلامها . وكل ما تأثرت به من مؤثرات حياتها الفكرية  
والاجتماعية والسياسية والادبية . ثم استمع إلى قوله : إن تاريخ الادب  
ليس علماً جافاً . بل أساسه الذوق ودراسة الفنون الادبية فى الامة دراسة  
واسعة . . . فعلى مؤرخ الادب أن يدرس أسباب رقى الادب وانحطاطه  
وتأثر الادب بها أو تأثيرهم فيها ، وأن يدرس صلات المحدثين بالقدامى  
أدباء وشعراء وكتابوا وخطباء ونقاداً ، وأن يتعمق فى فهم المذاهب والمدارس  
الادبية العامة وصلاتها ببعضها ببعض ، والعوامل التى أدت إلى قيام كل مدرسة  
وميزاتها وخصائصها ومدى تأثيرها بما قبلها وتأثيرها فيما بعدها من المدارس  
والمذاهب الادبية العامة . فهذه المدارس والحركات الادبية كانت تلعب دوراً  
هاماً ، ولها الاهمية الكبيرة فى دراسة تاريخ الادب الذى ليس مجرداً لنصوص  
أدبية وتراجم عامة ، ولكنه يوضح لنا الصلات بين المذاهب الادبية ويربط  
كاتباً بآخر وجماعة بجماعة ومدرسة بمدرسة كما يدرس أسباب الانقلابات

الادبية المختلفة في عصور الادب وتأثير لغزول الكتاب في نهضة الادب  
والشعر وتوجيههما وجهة جديدة ،

إن هذا الاسلوب المنرسل الناصع النافذ لا يعرف بين الازهرين إلا  
في أفذاذ أدبائهم كالمصنف ومحمد عبده وسعد زغلول وعلى عبد الرازق  
ومصطفى عبد الرازق ،

وهذا الكتاب الضخم الذى أتى لنا بتحليل جديد عميق للحياة الادبية  
في العصر الجاهلى هو أساس متين صالح للدارس الباحث في موضوعه ، ولو  
أنه أساس قابل للتعديل حتما في ضوء البحوث والكشوف والاستنباطات  
المستمرة وليس مثل الاستاذ خفاجى بالذى يتعالى على شىء من هذا ، بل  
بالعكس نجد الخريص على الاستقصاء والتحقيق وتعديل نظراته ونقداته  
على ضوء العلم .

وهكذا سيكون كلامنا عن الحياة الادبية في العصر الجاهلى دائماً على  
عمادين: أحدهما كتاب الاستاذ خفاجى إن لم نقل كتبه في هذا الموضوع  
الجليل ، إذ له كتب أخرى مكتملة أو شارحة مثل (أعلام الشعر الجاهلى)  
و(الشعراء الجاهليون) وغيرهما ، والآخر الكشوف العملية الحديثة التى يجب  
على ضوءها تنقيح نظرياتنا القديمة وتعديلها . وبذلك نخدم تاريخ الادب  
الجاهلى الخدمة الحققة ونتمكن من حسن دراسة ذلك الادب والاستمتاع به

### الحياة الادبية في العصر الجاهلى

بقلم الاديب الحجازى الكبير عبد الله عبد الجبار

محمد عبد المنعم خفاجى ، اسم لامع في دنيا الادب في العالم العربى  
الحديث وشخصية عجيبة محببة ، هى مزيج من الكبرياء ، والتواضع ، وتواضع  
النفس الكبيرة التى تجامل ، وتفرق في المجاملة حتى ليحسبها الغيى ضعفاً وما  
هى من الضعف فى شىء ، إنما هى سمة الإنسانية المهدبة المؤمنة بالخير

والفضائل ، والتي تعتقد أن القوة هي أن يتواضع المرء حيث يجب التواضع ، ويتكبر حيث يجب التكبر ، والذين لم يعرفوا أصحابنا الخفاجي ، أو يخاطوه عن كذب سيدهشون حين يرون هذا الحمل الوديع ، وهو ينقلب إلى أسد هصور إذا مامست كرامته أو كرامة بلده ، أو كرامة العروبة : أو كرامة الأحرار في أى مكان ، وكيف يزود عن هذه الكرامة بلسانه وفلسفه ، ويعلمها حرباً كلامية شعواء ضد الطغاة والظغيان ، ويصب عليهم التهم والقذائف ، لا يبالي ماقد تجرّه عليه هذه الجرأة من وبال ، لأنه ترى على أن لا يخشى في الحق لومة لائم .

وصاحبنا الخفاجي يمتاز بالإنتاج الغزير ، ولا أعرف أديباً في العالم العربى يدانيه في هذه الغزارة ، فقد بلغت كتبه التى ألفها وحققها أكثر من مائة كتاب ، وهو لم يتخط الأربعين إلا بقليل .

وقد سمعت صديقتنا الماقد الجهير الأستاذ مصطفى السجرتى يقول عنه ذات يوم : « لو أن هذه الكتب التى أنتجها الخفاجي ، لم يكن له فيها من عمل إلا أنه نسخها وحسب ، لأصابتنا الدهشة ، وقلنا له : كيف أتى لك الوقت الذى نسخها فيه ، فكيف وقد ألفها تأليفاً ورجع إلى العدد الكثير من المصادر والمراجع ؟ » .

فالخفاجي - إذن - مكثار . وهذه المزية يقابلها أصدقاؤه بالدهشة والقبضة - ويقابلها منافسوه - وهم قلة - بالحقد والحسد .

وأنا أقول للذين يعيبون على الخفاجي هذا السيل الغزير من الإنتاج ، ويتهمونونه بالسرعة في بعض الأحيان : ألا يكفيكم أن تحتوى هذه المائة كتاب على خمسين كتاباً جيدة جداً ، أو عشرين أو عشرة أو خمسة كتب ممتازة بلغت الذروة في البحث الأكاديمي ، وكل منها يصلح لأن يكون رسالة « دكتوراه » ممتازة ؟ ألا يكفيكم مثلاً كتابه « ابن المعتز » ، أو « الحياة الأدبية في العصر العباسي » ، أو « رائد الشعر الحديث » ، أو « قصة الأدب في مصر » ، أو كتابه « هذا الحياة الأدبية في العصر الجاهلي » ، أو كتابه « مذاهب الأدب ،

أو سوى ذلك من العديد من كتبه ودراساته ؛ وإن باحثاً منصفاً لا يستطيع أن ينكر هذه الحقيقة أبداً ، فالخفاجى دكتور مضروب فى عشرة أردنا أم لم نرد . . . وهو بهذا الصنيع قد فعل ما يفعله عادة أساتذة الجامعات فى كل حياتهم الجامعية التى يخصصونها غالباً لموضوع واحد ، ومادة واحدة . وزاد عليهم مائة كتاب أخرى فى التاريخ والأدب والتصوف والاجتماع والتراجم ، والبحوث الإسلامية والعربية والوطنية ، وأيا كان رأى النقاد فيها ؛ فهى - فى نظرى - تحتوى على الجديد العميق من الفائدة العلمية والأدبية ، وألا يكفى أن يطرى بعض هذه الكتب أدباء لهم مكانتهم الأدبية : كالمسحوقى ، وسلامة موسى ، وأبى شادى ، ووردبغ فلسطين ، وروكس العزبى ، وأحمد عارف الزين ، والشيخ محمد رضا الشيبى ، وسواهم من أعلام العالم العربى ، والإسلامى عامة .

ولمصدقنا الخفاجى فضل كبير على الأدب المعاصر بدراساته وبحوثه عنه ، وبما جمع ودون من نصوصه ، ومن آراء النقاد والباحثين فيه ، كما فعل فى كتابه « صور من الأدب الحديث » .

وقد نشر عن الخفاجى ثلاثة كتب كبيرة للأساتذة : حلیم مبرى ، ومحمد رضوان ، وفكرى أبو النصر ، وكتبت عنه مئات البحوث والدراسات والمقالات .

والخفاجى أديب به شرق الأسلوب تمضى فى قراءته دون أن تميل ؛ وهو قادر على تذليل الموضوعات الجافة وتطويعها بقلبه الحى حتى تغدو عذبة سائغة فى النفوس . . . وهو ذكى لماح ، سرعان ما يستشف الفكرة الجديدة ، ويتمثلها ويلتمس لها المراجع والمطابق ، فإذا هى بعد زمن قصير أو طويل كتاب جديد .

والخفاجى - قد أسهم مع المسهمين فى تغذية الفكر العربى الحديث بالدراسات البكر التى لم يسبق إليها ، وحسبك أن تعلم أن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الحالى طلب من رجال إدارته كتباً عن تاريخ الأزهر

ورجاله ، لتقديمها إلى هيئات ثقافية أجنبية فلم يجدوا كتاباً - في صميم الموضوع - غير كتاب الخفاجي ( الأزهر في ألف عام ) ، وهو يقع في ثلاثة مجلدات أما كتابه ( مواكب الحرية في مصر الإسلامية ) فهو صورة حية لروح التاريخ المصري حين يحلوها أديب وطني حر ، وهو جديد في موضوعه . وما أجدره أن يقرر في المدارس الثانوية ، فهو خير من عشرات كتب التاريخ الجافة التي تعتمد على السرد ، وليس وراءها أى هدف أو أية غاية وطنية أو قومية . وفي هذا المجال أجدني حائراً بين كتبه ، أذكر : ( الإسلام وحقوق الإنسان ) ، أم ( الإسلام رسالة الإصلاح والحربة ) ، أم ( الإسلام دين الإنسانية الخالد ) ، أم ( صور من الفكر العربي وتاريخ الإسلام ) ، أم كتابه ( قصة الأدب في الاندلس ) ، أم ( قصة الادب المعاصر ) ، أم ( الذكر الحكيم ) ، أم تفسيره للقرآن الكريم ؛ أم ( قصص من التايخ ) الذي نشره محتويًا على سبعة كتب من تأليفه ، أم غير ذلك من دراساته ؟ .

أما كتاب ( الحياة الادبية في العصر الجاهلي ) الذي يقدمه الخفاجي إلى القارىء العربي بعد تسع سنوات من طبعته الأولى في طبعة جديدة فريدة ، فهو كتاب واف في موضوعه . استقصى فيه كل البحوث الهامة التي لا يستغنى عنها دازس هذا العصر ، سواء كانت تمهيدية ، أو أساسية ، ونظرة في الكتاب تلك على أهميته ، فبعد التمهيد الشافي الذي عقده لموضوع « الأدب بين الذوق واللغة » تحدث عن المؤثرات في الادب الجاهلي ، ووصف الجزيرة العربية وأقسامها ، وأصل العرب ، وأشعوب العربية وطبقاتها . ثم تناول الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والعقلية ، وعقد فصلاً متمماً للخط العربي في الجاهلية ، ثم تحدث عن أيام العرب وأثرها في الادب ، مستشهداً بما أنارتها من أشعار حماسية ، ودرس اللغة العربية أصلها ونشأتها وأثر الاسواق العربية في تهذيب اللغة وترقية الادب ، واختلاف اللهجات العربية ، وخصائص اللغة العربية ، وعوامل نموها ، وفصاحة لغة قريش ،

ثم تناول تطور المناهج في دراسة الادب العربي وتاريخه ، وتقسيم الادب إلى إنشائي ووصفي . . كل ذلك في الباب الاول من هذا الكتاب القيم ؛ حتى إذا كان الباب الثاني يتحدث عن معنى الجاهلية ، وناقش آراء القائلين بأسبقية الشعر على النثر ، وأثبت أن النثر أقدم من الشعر ، ثم يتحدث عن النثر وقسمه إلى : مرسل ، ومزدوج ، ومسجوع ، وذكر خصائص النثر الجاهلي في معانيه وأغراضه وأساليبه ، وعزز كل ذلك بأثلة فنية من النثر الجاهلي ، ثم تكلم عن الحكم والامثال ، سواء كانت نثرية أو شعرية حتمية أم فرضية . ثم تناول الوصايا ونماذجها ، والخطابة ودواعيها ، وأغراضها وأساليبها ، وأشهر الخطباء ، وتحدث عن المحاورات والمنافرات والمفاخرات ، والكهانة وسجع الكهانة ، ثم عرض صوراً جميلة من القصص الجاهلي .

فإذا انتقل إلى الباب الثالث الذي عقده للشعر الجاهلي ، استهل حديثه بالحديث عن الشعر عامة وتعريف القدامى والمحدثين له ، وروى لنا كيف نشأ الشعر عامة ، وتدرج من دور البساطة إلى دور السجع ، ثم إلى دور الوزن ، ثم كيف تطور الشعر الجاهلي من الأبيات القليلة حتى تقهـمـيد للقصائد الطوال ، وتحدث عن تأثير الشعر في النفوس ، وبهزة الشاعر ، والتكسب بالشعر ، وشاعرية العرب . ثم قسم الشعر إلى : تمثيلي وقصصي ووجداني ، وبين الغنائية الغالبة على الشعر الجاهلي ؛ ثم تكلم عن تنقل الشعر في القبائل ، وشياطين الشعراء ؛ وطبقات الشعراء الجاهليين ، ورواية الشعر الجاهلي ، وعقد فصلاً ممتعاً للشعر الجاهلي بين التجديد والتقليد ؛ وتناول موضوع الصنعة والطبع في الشعر الجاهلي ، ودافع بحماسة مدعمة بالأدلة عن الشعر الجاهلي ؛ ثم أوضح لنا كيف كان الشعر الجاهلي سجلاً صادقاً لأخلاق العرب وعقائدهم ومعارفهم وحياتهم الاجتماعية ، وعزز آراءه بشواهد بليغة من روائع الشعر الجاهلي .

ثم درس المعلقات وسبب تسميتها بذلك وخص الآراء المتضاربة ورجح

رأى التبريزى القائل : بأن وجه تسميتها بالمعلقات علوقها بأذهان صفارم وكبارهم ، ومرسوسهم ورسائهم ، وذلك لشدة اعتنائهم بها . ثم تحدث عن منزلة المعلقات وشراحها ، وتناولها بالعرض والنقد ، معلقة معلقة .

وعقد فصلا لأغراض الشعر الجاهلي كالمديح والهجاء والفخر والثناء والحماسة والعتاب والاعتذار والحكمة والاخلاق والوصف والنسب . ثم فسر لا معاني الشعر الجاهلي ، وأخيلته وألفاظه وأساليبه ، وتحدث عن الرجز والقصيد ، وكانت لفظة بارعة من مؤلفنا تحدثه عن الشاعرات العربيات في الجاهلية . ومن أقوى فصول الكتاب الفصل الذى عقده لآراء علماء الادب في الشعر الجاهلي قديما وحديثا ، وقد ناقش فيه مناقشة بارعة آراء الدكتور طه حسين وطائفة من المستشرقين . ولم ينس المؤلف أن يتحدث عن النقد الادبي في الجاهلية . ثم تناول الحكومة الادبية بين قصيدتى علقمة وامرى القيس وعقد فصلا جميلا عن الموازنة بين الشعراء ، ثم قام بتطبيق بارع حين وازن بين شاعرين جاهليين هما زهير والاعشى ، ووازن بين قصائد جاهلية مشهورة ، وعرض صوراً من الشعر الجاهلي . . وختم الكتاب يبحث عن العصور الادبية وتحديد العصر الجاهلي ، إلى غير ذلك .

وبعد ، فهذا عرض سريع لرووس الموضوعات في هذا الكتاب القيم ، وأشهد أن هذا البحث على كثرة ماقرأت في هذا الموضوع - يعتبر من أحفل البحوث ؛ وأكثرها شمولاً واستيعاباً ، وتجليه للحياة الادبية في تلك الحقبة السحيقة من التاريخ العربى ، ولا يسفى في ختام هذه الكلمة القصيرة إلا أن أحيى الاستاذ الخماجى على جهاده الادبى المتصل ، وجهوده الثاقبة المشكورة في سبيل دعم القومية العربية الواثبة .

## خاتمة الكتاب

هذه هي الطبعة الثانية لكتاب «الحياة الأدبية في العصر الجاهلي» ، التي تشتمل على زيادات كثيرة تمكاد تبلغ مائتي صفحة ، والكتاب أوسع دراسة للأدب الجاهلي وفنونه ، وسماته ، وقد لقيت الطبعة الأولى منه كثيراً من اهتمام الدارسين والباحثين .

وبحسبي أن أكون قد مهدت بهذا الكتاب لفهم أصول الأدب ومذاهبه ، وأن أكون قد وضعت المناهج الحقة لدراسة الأدب العربي عامة والجاهلي خاصة ، وفي ذلك ما فيه من زيادة نصيبنا من الثقافة الأدبية ، ومن بعث الاهتمام بهذه اللغة الأصيلة ، لغة القرآن الكريم .

ولست في حاجة إلى القول بأن العناية بالأدب القديم دنياية بكتاب الله الخالد ، ومؤازرة قوية في سبيل فهمه والتأثر به . . . ومن الله السداد والنوفيق .

محمد عبد المنعم خلفا جى

## فهرست الكتاب

صحيفة	صحيفة
٩٢ يوم حليلة	٣ مقدمة
٩٣ يوم الزيرين	٤ تمهيد
٩٣ يوم شعب جبلة	٥ تاريخ كلمة أدب
٩٤ يوم خزازى	١٨ تاريخ أدب اللغة
٩٥ أيام الفجار	٢٠ علاقته بالتاريخ العام
٩٧ يوم ذى قار	٢١ تقسيمه إلى عصور
٩٩ - ١٢٥ اللغة العربية	٢٣ - ١٣٠ الباب الأول : المؤثرات
٩٩ أصلها	في الأدب الجاهلى
١٠٣ نشأتها	٢٤ موطن العرب
١٠٦ أطوار تهذيبها	٢٧ أصل العرب
١٠٧ - ١١٦ أثر الأسواق	٢٩ الشعوب العربية
١٠٩ عكاظ	٣٠ القبائل العربية
١١٦ مجنة	٢٥ حياة العرب
١١٦ ذو المجاز	٣٥ مدلول كلمة عرب
١١٦ اختلاف اللهجات العربية	٢٧ حياة العرب الاجتماعية
١١٩ خصائص اللغة العربية	٤٢ حياتهم السياسية
١٢٠ عوامل نمو اللغة العربية	٥٥ حياتهم الدينية
١٢٣ فصاحة لغة قريش	٦٠ معارف العرب في الجاهلية
١٢٤ اللغة العربية ومنزلتها بعد نزول القرآن	٧٢ الخط العربي في الجاهلية
١٢٦ الأدب العربي ودراساته	٧٧ - ٩٨ أيام العرب
١٣١ - ٢٠٣ الباب الثانى : النثر الجاهلى	٧٩ حرب داحس
١٣١ معنى الجاهلية	٨٥ حرب البسوس
	٩٢ يوم بعث

صحيفة	صحيفة
الشعر في الجاهلية ٢١٦	الشعر والنثر ١٣١
تأثيره ٢١٧	ميزات النثر الجاهلي ١٣٧
منزلة الشاعر ٢١٨	أمثلة للنثر المأثور في العصر الجاهلي ١٣٩
التكسب بالشعر ٢١٩	أقسام النثر : الحكيم والأمثال ١٤٥
شاعرية العرب ٢٢٠	نماذج لها ١٤٥
لون الشعر الجاهلي ٢٢٢	ماهى الحكمة ١٤٧
تنقل الشعر ٢٢٥	ماهو المثل ١٤٨
شياطين الشعراء ٢٢٦	الوصايا والنصائح : نماذج ١٥٠
طبقات الشعراء ٢٢٦	ماهى الوصايا ١٥٢
رواية الشعر ٢٣٤	الخطابة : نماذج ١٥٢
رواة الشعر الجاهلي ٢٣٥	ماهى الخطابة ١٥٧
الشعر الجاهلي بين التجديد والتقليد ٢٣٧	الخطابة عند الجاهليين ١٥٨
الشعر الجاهلي بين الطبع والصنعة ٢٤١	دواعيها - أغراضها ١٥٩
الطبع والصنعة في الشعر الجاهلي ٢٤٧	أسلوب الخطابة ١٦٠
أيضا	المأثور منها ١٦١
دفاع عن الشعر الجاهلي ٢٥١	الخطابة والخطيب ١٦١
صلة الشعر الجاهلي بالتاريخ ٢٥٨	أشهر الخطباء : قس الإبادى ١٦٢
تصويره الأخلاق ٢٥٩	أكثرهم ١٧١
تسجيله للعقائد ٢٦١	عمر بن معد يكرب ١٧٢
معارف العرب في الشعر الجاهلي ٢٠٢	من خطباء العرب ١٧٤
الشعر والحياة الاجتماعية ١٦٣	المحاورات ١٨٦
المعلقات ومنزلتها من الشعر الجاهلي ٢٦٨	سجع الكهان ١٨٧
معلقة طرفة ٢٧٧	صور من القصص الجاهلي ١٩٠
معلقة امرئ القيس ٢٨٤	٢٠٤-١٧٤ الباب الثالث : الشعر الجاهلي
معلقة عمرو بن كاثوم ٢٩١	٢٠٤ ماهو الشعر
معلقة زهير ٢٩٥	٢٠٦ آراء في الشعر
معلقة عنزة ٥٩٨	٢٠٧ نشأة الشعر

صحيفة

صحيفة

- ٣٠٤ معلقة لببند  
٣٠٧ معلقة الحارث  
٣٠٩ أبواب الشعر الجاهلي  
٣٠٩ المدح  
٣ ٢ الهجاء  
٣١٣ الفخر  
٣١٥ الرثاء  
٣٢٣ الحماسة  
٣٢٧ العتاب  
٣٢٨ الاعتذار  
٣٢٩ الحكمة والأخلاق  
٣٣١ الوصف  
٣٣٣ النسب  
٣٤١ النقد الأدبي في الجاهلية  
٣٤٥ فنون الشعر الجاهلي أو أغراضه  
٣٤٩ معاني الشعر الجاهلي  
٣٥٣ أخيلة الشعر الجاهلي  
٣٥٧ ألفاظه وأسلوبه

- ٣٦٤ الرجز في العصر الجاهلي  
٣٦٥ الشعر الجاهلي بين الرجز والقصيد  
٣٦٧ العربيات الشاعرات في العصر الجاهلي  
٣٧٦ آراء علماء الأدب في الشعر الجاهلي  
٤٠٤ الحكومة الأدبية بين قصيدتين  
٤٢٥ الموازنة بين الشعراء  
٤٣٧ الموازنة بين شاعرين جاهليين  
٤٥٨ قصيدتان جاهليتان  
٤٦٥ بين الجاهليين والمخضرمين  
٤٦٧ صور من الشعر الجاهلي  
٤٧٥ حول الأدب الجاهلي  
٤٧٦ حول العصر الجاهلي  
٤٨٣ آراء حول النثر الجاهلي  
٤٨٩ خاتمة الكتاب  
٤٩٠ الحياة الأدبية - ١  
٤٩٢ الحياة الأدبية - ٢  
٤٩٨ - ٥٠٤ ملاحق

# مؤلفات وتحقيقات د. محمد عبد المنعم خفاجي

- ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان  
الادب الجاهلي ( نصوص ودراسة )  
الادب العربي وتاريخه في العصرين الاموي والعباسي  
الادب العربي في الاندلس  
الآداب العربية في العصر العباسي الاول  
اعجاز القرآن ( تحقيق ) للباقلاني  
الاقتصاد في الاسلام  
البديع ( تحقيق ) لابن المعتز  
الحياة الادبية في العصر الجاهلي  
الحياة الادبية بعد ظهور الاسلام  
الحياة الادبية بعد سقوط بغداد الى العصر الحديث  
دراسات في الادب الجاهلي والاسلامي  
دراسات في الادب العربي الحديث  
دراسات في الادب المعاصر.

الفكر الاسلامي بين الاصاله والتجديد  
قصة الادب في مصر  
القصيدة العربية : دراسات ونقد  
المختار في الحديث النبوي الشريف  
من تراثنا الخالد.